

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية أصول الدين والشريعة

والحضارة الإسلامية

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

الرقم الترتيبي.....

رقم تسجيل الطالب.....

نظرية النبوة عند موسى بن ميمون دراسة تحليلية مقارنة

بمبحث مقدم لنيل الماجستير في شعبة مقارنة الأديان

إعداد الطالب : انصيرة اعمارة

أعضاء لجنة المناقشة : الاسم واللقب الرتبة العلمية الجامعة الأصلية

الرئيس : .....

المقرر : .....

مناقش : .....

مناقش : .....

مناقش : .....

نوقشت يوم : .....

الموافق : .....

السنة الدراسية : 2006م/2007م الموافق لـ 1427هـ/1428هـ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية أصول الدين والشريعة

والحضارة الإسلامية

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

نظرية النبوة عند موسى بن ميمون دراسة تحليلية مقارنة

بمقدم لنيل الماجستير في شعبة مقارنة الأديان

تحت إشراف الدكتور :

فرحات عبد الوهاب

إعداد الطالب :

انصيرة اعمارة

السنة الدراسية : 2006م/2007م الموافق لـ 1427 هـ / 1428 هـ

# شكر

أتوجه بعظيم شكري لكل من قدم لي يد العون لإتمام هذا البحث، وأخص منهم الأستاذ المشرف الدكتور عبد الوهاب فرحات الذي وجهني وجنبني الكثير من الأخطاء العلمية، وأوبري صابر، الذي أعانني على ترجمة بعض النصوص، وكذلك المهندس فرحات محمد عبد الحق.

جامعة الأمير  
العلوم الإسلامية

# الإهداء

إلى زوجتي وأولادي أهدي إليكم هذا العمل المتواضع .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن والاد إلى يوم الدين .

### تمهيد :

إن ابن ميمون كغيره من مفكري عصره، درس القضايا الدينية والفلسفية التي كانت محل بحث وجدال في زمانه وقبله، ومن بينها ظاهرة النبوة والتي ما وجد فيلسوف في أي زمن سبقه - ابن ميمون - إلا وأدل بدلوه وأعطى لها براهين وأدلة لإثباتها، باعتبارها أساس الوحي وصحة الرسالة وصدق النبوة.

وكانت دراسة ابن ميمون للنبوة دراسة فلسفية، وقد كان الحال في ذلك الزمان وقبله يقتضي من العلماء والفلاسفة أن يوجهوا قلمهم للرد على المنكرين والجاحدين للنبوة، فكان ابن ميمون من بين المفكرين الذين نحوا منحى التحليل والبرهان الفلسفي على إمكانية النبوة، وذلك بالاعتماد على نظرية النبوة لدى فلاسفة الإسلام من أمثال: الفارابي وابن سينا وغيرهما، وبهذا كانت آراؤه فيها - النبوة - صدى لأفكار أولئك الفلاسفة.

### أهمية البحث :

إن نظرية النبوة التي دعا إليها الفارابي قائمة على أسس نفسية وسيكولوجية، وهي تتصل اتصالاً وثيقاً بكل من نظريات المعرفة، والسعادة، والفيض، إذ أن المعرفة التي تشكل في الوقت نفسه السعادة، تتم عن طريق الاتصال بالعقل الفعال، الذي احتل المرتبة الثالثة في نظام الفارابي الفيضي، الذي استقى عناصره من الأفلاطونية الحديثة .

وهذه النظرية قائمة على أن المخيلة تلعب دوراً رئيسياً في تكوين الأحلام والرؤى، وهي تقوم بدورها في العمليات النفسية، من ذلك صلتها بالميل والعواطف، والعقل الفعال يقوم بدور أساسي في المعرفة التي يتلقاها الإنسان، الذي يصل إلى درجة عالية من الكمال .

وقد اعتنقها ابن ميمون، وهو الذي جعلنا نختار هذا البحث لنبين مدى تأثيره بفلاسفة الإسلام في الاستدلال على صحتها من جانب البراهين العقلية المخضة.

إن أهمية البحث في موضوع النبوة لدى ابن ميمون يجعلنا نظهر جوانب التوافق والاختلاف بينه وبين

وقد تناولت في بحثي هذا المحيط الذي عاش فيه، وأثره عليه وعلى اليهود بصفة عامة، ويظهر ذلك في فصول البحث، ليتبين من خلالها الأثر العميق الذي تركته البيئة الإسلامية على طريقة تفكيره وثقافته.

كما قدمت في أحد فصول البحث دراسة وافية عن سيرته الذاتية، والاجتماعية مع أسرته والجمع الذي يحيط به، وحاولت عند إنجاز هذا البحث أن ألتزم المنهج التحليلي المقارن، حيث عمدت ذكر الآراء والأقوال المختلفة في الديانتين اليهودية والإسلامية، ومقارنة أحكامهما وقواعدهما مع ما يعتقد ابن ميمون. وقد اتخذت الديانة اليهودية والإسلامية مجالاً للمقارنة، وذلك باعتبار ابن ميمون يهودي، وأحد المحاضرات الكبار في زمانه، وثانياً باعتباره عاش في بيئة إسلامية تأثر بإفرازاتها سياسياً واجتماعياً وفكرياً.

**الأسباب :**

والذي دفعني لاختيار هذا الموضوع الأسباب التالية وهي:

1- باعتبار أن آراء ابن ميمون قليل من تطرق إليها في جامعاتنا .

2- أردت أن أظهر مدى تأثير الفلسفة الإسلامية على اليهود الذين عاشوا في كنف البلاد الإسلامية، فأخذت عينة منهم وهو ابن ميمون، باعتبار أن هذه الشخصية لها وزن كبير في المجتمع اليهودي سابقاً في العصر الوسيط) وحاضراً، وهي شخصية محورية تأثر بها معظم المفكرين اليهود الذين جازوا بعدها .

3- إمطة اللثام عن بعض الموضوعات التي تظهر مدى تأثير الفكر الفلسفي الإسلامي على طريقتي تفكير ابن ميمون ومدى اقتناعه بذلك الفكر، وجوانب التأثير على معتقداته الدينية، وقد انصب اختياري على نظرية النبوة التي أول من قال بها الفارابي وتمسك بها ابن سينا ثم تلقفها من اليهود ابن ميمون.

4- الكشف عن شخصية فكرية عاشت في كنف بلاد المغرب الإسلامي ومصر، ومدى تأثيرها وتأثيرها في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية والفكرية .

### الإشكالية :

النبوة ظاهرة دينية واكبت الإنسان منذ ظهوره على الأرض، لكن هذا المخلوق بعد ترقيه وصل إلى درجة أن أنكر النبوة، إما اعتقاداً بعدم تحققها في عالم الحس أو لهوى في نفسه، ونحن في هذا البحث نخلص كيف يمكن للعلم الحديث بوسائله وطرقه وأنواعه واكتشافاته، أن يصل لإثبات حصول النبوة وإمكاناتها بما وصل إليه من منجزات علمية، وكيف يحصل اتصال المخلوقات الغير العاقلة بكائنات أخرى على الرغم ما بينها من بعد المسافات وحفاء التصورة، فما نالك نالدي به أن يكون النوع كذلك، وكيف يمكن أن نحقق

وكيف أن النبوة تواحه في هذا العصر موجة تشكيك وإنكار وما الدافع لذلك؟ وما هي الوسائل التي اتبعها المفرضون، وأي المشبهات التي أثاروها لزرع بذرة الكفر والإخاد بالأنبياء ثم نخالق الكون؟. وما هي الوسائل المناسبة للرد على أولئك، لتبقى القلوب عامرة بصرح الإيمان؟ .

كما تثار قضية العقل والنقل ومدى تعارض الأول مع الثاني، وما أوجه التعارض بينهما؟ وكيف نوفق بين العقل والنقل أو بين الحكمة والوحي؟، وهل يمكن أن نستغني بالعقل على الوحي أو العكس؟ وهل يمكن أن نضع حدودا للعقل بحيث لا يتجاوزها حفاظا على توازن الإنسان مع الطبيعة وترك للوحي يرسم مسيرة الإنسان في الحياة، باعتباره مخلوق ضعيف قد تتقاذفه الأهواء والشهوات من أي جانب فلا يستطيع التماسك والانضباط؟ أم نطلق له العنان ليصل إلى ما يصل إليه، دون النظر إلى النتائج السلبية والعكسية التي قد تؤدي إلى انحرافه عن حقيقة وجوده في الكون؟

وكيف أن النبوة قابلة أن تظهر في غير الأنبياء أم الأمر محصور بين فئة قليلة لها صفات معينة، قليلا ما توجد في غيرها ولهذا لا يمكن أن نعم سائر الناس؟

وما دامت النبوة أثبتت وجودها على مر تاريخ الإنسانية، وأنه لا بد أن تنقطع في فترة ولا تظهر بعدها، كيف استغل مروجو عدم خاتمة النبوة وادعوا تواصل النبوة حيننا وأحيانا أخرى ادعوا المسيحية (المسيح المنتظر) أو المهداوية (المهدي المنتظر) في العصر الحديث، وكيف خدعوا البعض من الناس .

وبما أن النظرية المسيحية (المسيحية) أمر مشترك بين جميع الديانات السماوية، كيف استغلت حاليا من طرف القوى الكبرى الاستعمارية، وما الهدف من إثارة الحروب والفتن في العالم وخصوصا في منطقة الشرق الأوسط، وتحديدًا ضد الشعوب الإسلامية، وهل لهذا الاستغلال جذور؟ .

إذا كان ابن ميمون اعتنق نظرية النبوة التي أول من دعا إليها الفيلسوف الفارابي، هل يمكن أن نعيد صياغة تراث ابن ميمون بما يتماشى مع اكتشافات العصر في الطبيعة والنفس والاجتماع؟ .

### خطة البحث :

وقد كان البحث في ستة فصول بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة نوجزها فيما يلي:

### الفصل الأول :

تناولت فيه السنة نجمع تأثيراتها السياسية والاجتماعية والفكرية، حيث ذكرت في الجانب السياسي

تأثيرات الأوضاع الداخلية والخارجية وانعكاسها على اليهود، وحتى على المسلمين، وتأثيرها على بقاء بعض الدول واندثار غيرها، وتعدى هذا الأمر فلسطين ومصر.

أما التأثيرات الاجتماعية فذكرت حملة من الفئات الاجتماعية التي تتميز بطريقة معينة في علاقتها مع بعضها البعض، وكيف أن كل فئة من مكونات مجتمع تلك الدول لها دورها في الحياة العامة والخاصة. أما التأثيرات الفكرية، فذكرت دور علماء الإسلام ومساهماتهم في تطوير العلوم والفلسفة، كما أشرت إلى تأثيرهم على الذهنية اليهودية خاصة، سواء في الأندلس (إسبانيا الإسلامية) أو المغرب أو مصر، ولم نذكر الحياة الفكرية في فلسطين لأنها كانت تحت سيطرة الصليبيين وفي نزاع عليها بين المسلمين والمسيحيين، وعادة ما تكون البلاد تحت تأثير الحروب المستمرة غير مستقرة لا يظهر فيها العلم والمعرفة أو لا تتطور تلك العلوم ولا يوجد من ينبغ فيها، وهذا لاشتغال الناس بالحروب وتأثيرها على حياتهم اليومية سياسياً واجتماعياً.

### الفصل الثاني:

تناولت فيه حياة ابن ميمون من مولده إلى آخر حياته، حيث ذكرت مختلف الآراء حول تاريخ مولده، وذكرت الأقرب إلى الصحة التاريخية، من جميع المصادر العربية والأجنبية (اليهودية والمسيحية)، ثم انتقلت إلى ترجيح الاسم والنسب وأسرته وكل ذلك من المصادر اليهودية، وغيرها، كما ذكرت أحواله لَمَّا كان في الأندلس وكيف انتقل إلى غيرها (فاس) بعد مضايقة الموحدين لليهود، ولم يكن هذا الأمر في الأندلس وحدها، بل تعداها إلى فاس بالمغرب، وفلسطين إلى أن استقر الحال بأسرة ابن ميمون في مصر، هناك رمى عصا الترحال، حيث وجد الهدوء والاستقرار، كما أظهرت أثر ابن ميمون على الجالية اليهودية حيث عين خلالها رئيساً عليها، وكيف انصرف إلى البحث والطب بسبب حالة الاستقرار والحرية الدينية التي وجدها في ظل حكم الأيوبيين - خلافاً لما كان عليه في فلسطين والمغرب وإسبانيا - فألف عدة كتب، وهناك برزت شخصيته الفكرية، حيث أكمل مؤلفه الضخم "دلالة الحائرين" وغيرها من الكتب .

كما بينت تأثير الشخصيات الدينية والعلمية والفلسفية على فكر ابن ميمون من اليهود أو المسلمين، لَمَّا كان بفاس إلى أن انتقل إلى مصر واستقر بها، مما برز بشكل مباشر في كتبه وخاصة كتاباه "مشنة التوراة" و"دلالة الحائرين" ولم يقتصر التأثير على الجانب الفكري الفلسفي بل تعداه إلى الجانب العلمي وأقصد بذلك فن الطب الذي أخذته من المصادر الإسلامية سواء من شخصيات إسلامية أو من كتبهم، ولم



يكن هذا التأثير في الفلسفة والطب بل تعداه إلى فنون أخرى كعلم الفلك وغيره. وقد أشار ابن ميمون نفسه في "دلالة الحائرين".

ثم أظهرت تأثيره الإيجابي على كثير من العلماء اليهود، حيث دعوا إلى ترويح فكره، وعصره البعض أعظم مفكري اليهود في القرن الوسيط، فأسس بهذا لمدرسة فكرية يهودية متميزة، حاولت التوفيق بين المعتقدات الدينية اليهودية والفلسفة، ثم ذكرت طائفة من علماء اليهود الذين ساروا على نهجه.

كما تطرقت إلى الأثر العكسي على كثير من العلماء اليهود حيث ذكرت طرفا منهم، وانتقادهم له في كثير من القضايا الفلسفية التي تناولها في كتابه "دلالة الحائرين" خاصة فيما يتعلق بقضية التوفيق بين الدين والفلسفة، وتأثير ذلك على العقيدة اليهودية في كثير من مبادئها.

وأخيرا ذكرت مصنفاته في جميع الفنون، وأفردت مصنفه الكبير "دلالة الحائرين" بالشرح، فأظهرت من خلاله اتجاهه الفكري وطريقة نقده للكثير من المدارس الإسلامية التي كانت رائجة في عصره وقبله، وكيف كان يرد أحيانا على أرسطو وأحيانا يتوافق معه، وتأثير فلاسفة الإسلام عليه في كثير من القضايا كنظرية الفيض والنبوة التي أطال فيها بالشرح والتحليل في مولفه "دلالة الحائرين".

كما أظهرت تأثير الدلالة على مفكري اليهود، وذلك بوضع شروح له، ومنهم من تأثر بأرائه فنقلها إلى مولفاته إستاناسا بها .

### الفصل الثالث:

قبل التطرق إلى شرح المصطلحات المتعلقة بالنبوة مهدت إلى ذلك بمدخل عن نبوة موسى عليه السلام، حيث أفردتها عن النبوة الإسرائيلية الكلاسيكية، ولأن نبوته مياينة لباقي أنبياء بني إسرائيل فهو يمثل القاعدة والأساس لأي نبوة جاءت بعده، ثم انتقلت بعدها إلى تاريخ النبوة الإسرائيلية، ذكرا نبوة بعض الأنبياء منهم، متسلسلا مع الأحداث الزمنية، ومظهرا معاناتهم مع أقوامهم، وكيف كانوا يحملون لواء واحد وهو بث الوعد ورضا الله عليهم إذا هم بقوا على الإيمان والتوحيد، والوعيد في شعب إسرائيل إذا هم بقوا على حالة العصيان والسير في طريق الوثنية .

أخيرا أظهرت الفرق بين نبوة موسى عليه السلام مع غيره من أنبياء بني إسرائيل جملة، وإلى نقاط الاختلاف والتمايز بين الأصل (موسى) والفرع (باقي الأنبياء) مظهرا في ذلك آراء ابن ميمون في الفرق بينهما.

ثم تطقت لشرح المصطلحات التي تدور في فلك النبوة، حيث بيئت معانيها في كتابي الذي يهودية

والإسلامية سواء من الجانب اللغوي أو العلمي، ثم أعقبها بإظهار معاني المصطلحات عند ابن ميمون إن كان له فيها رأي سواء بالاعتراض أو الموافقة، كما أشرت إلى ظاهرة تنبأ النساء في المجتمع اليهودي قديماً في عصر الأنبياء، ورأي علماء الإسلام في ذلك، ثم ذكرت علاقة كثير من المصطلحات بعضها ببعض، وأظهرت نقاط التوافق والاختلاف بينهما عند بعض علماء الإسلام وغيرهم من اليهود، كما بينت الفرق بين النبي الصادق والنبي الكاذب في اليهودية، والمعايير والمقاييس التي على أساسها تعرف النبي الصادق من الكاذب في اليهودية، وبينت رأي الإسلام، وابن ميمون في ذلك .

ثم بينت معاني الرسول في نظر اليهود وفي نظر الإسلام، ورأي ابن ميمون في ذلك، كما تطرقت إلى ذكر معاني الكهانة لغة واصطلاحاً، وحقيقتها في التوراة، وكذلك في المصادر العربية الإسلامية، وعلاقتها بالنسوة، كما أشرت إلى ما يكون بين النبي والكاهن والفرق بين النبوة والكهانة، مع ذكر رأي ابن ميمون في ذلك .

#### الفصل الرابع:

وبينت فيه إمكانية اتصال الإنسان بالسماء وزادته بيانا المكتشفات العلمية الحديثة من وسائل ترفيه ومعرفة، وقد ذكرت الآراء المتعلقة بإمكانها ووجوبها، وأظهرت أنها ممكنة ولا يمكن استحالتها، كما يدعي البعض، كما أبرزت في نفس الوقت من يقول بوجوبها من علماء المعتزلة، وأظهرت آراءهم في ذلك وتحليلاتهم العقلية لإثبات أن النبوة واجبة على الله لعباده، وهذا من جهة الصلاح واللفظ والاستحقاق .

ثم ذكرت موجة الشك في النبوة وإنكارها، وكيف بدأت من قبل ظهور الإسلام إلى يومنا هذا ومن أي منفذ دخلت، وتأثيرها على المجتمع الإسلامي وكيف أثرت في البعض ممن لديهم شيء من العلم والمعرفة فحملتهم يميلون إليها ويدعون غيرهم بإنكار النبوة بإثارة الشبه والاستدلال عنى ذلك، وذكرت من جملة مثري الجدل والنقاش فيها رأسين من رؤوس الفتنة هما: ابن الراوندي وأبي بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب والفيلسوف، ثم عرجت على ذكر ممن شككوا في النبوة في هذا العصر من المفرضين والمستشرقين مظهراً بعد ذلك شبه المنكرين والرد عليها من علماء الإسلام في عصرنا حيث أبلوا بلاء حسناً للذود عن صرح النبوة، ميرزا حجاجهم وآراءهم، وأنها تكون في مخلوق ذي طبيعة بشرية بشرط أن يكون له صفات معينة يمكنه من خلالها الوصول إلى قلوب الناس وتحقيق الغاية التي كلف بها .

ثم انتقلت إلى ذكر الدلالة على صدق النبي في الإسلام وعند ابن ميمون، عندها بينت الصفات التي رآها

ابن ميمون ضرورية لكي نحكم على هذا الإنسان أنه نبي .

بعدها تطرقت إلى مفهوم المعجزة من جانبها اللغوي والاصطلاحي في كلا الديانتين - اليهودية والإسلامية - مبينا إمكانية وقوعها مستشهدا ببعض فلاسفة الإسلام كابن سينا والغزالي وابن رشد، معطيا رأي ابن ميمون المتعلق بالمعجزة وأنها لا يمكن أن تكون دالة على صدق مدعي النبوة، لأن في رأيه المعجزة أمر حارق وهو يستطيع أن يأتي به غير النبي، بعدها ذكرت شروطها لتحقيق، وأعقبتها بذكر أصنافها وآراء العلماء .

وفي آخر الفصل أشرت إلى أن النبوة تختلف عن العبقرية في كثير من خصائصها، وإن كان النبي والعبقري يشتركان في قوة الفكر والتدبير الذهني، وأن الاختلاف البارز بينهما هو في دلالة صدق النبي وفي المعجزة التي لا يمكن أن تتأتى للعبقري مهما كان نابغة .

### الفصل الخامس:

قبل التعرض لرأي ابن ميمون في النبوة قدمته بلمحة وجيزة عن هذه النظرية لدى فلاسفة الإسلام - أعني الفارابي وابن سينا - باعتبارهما أول من نادى بها دون أن يتقيدا بالمفهوم الشرعي لها، وبينت تفسيرهما لها، ثم ذكرت رأي ابن ميمون في ذلك، وعلاقة الرؤى والأحلام بها، لدى الفلاسفة وعند ابن ميمون، ثم تطرقت لذكر التأويل المجازي قبل ابن ميمون ولديه أيضا، وتأويله للرؤى النبوية، حيث يعتبرها المنطلق الأساسي للنبوة، ذاكرا لجدل العقل مع النقل في هذا العصر وما تمخض عن هذا الجدل من ضرورة إعادة صياغة علم كلام جديد يتماشى مع القضايا والمسائل التي تثار بسبب الأحداث والتطورات المستجدة .

بعد ذلك عرجت على تحديد مفهوم الوحي في اليهودية والإسلام لغة واصطلاحا وعند فلاسفة الإسلام وابن ميمون، ثم ذكرت حدوث ظاهرة الوحي عند فلاسفة الإسلام، وطرقه، وصوره في الإسلام، وعند ابن ميمون .

كما عرجت على مراتب النبوة لدى ابن ميمون، وكيفية معرفة النبي لديه، ثم أظهرت الفرق بين النبي والفيلسوف عند فلاسفة الإسلام، وابن ميمون، بعدها بينت أن النبوة هبة إلهية وليست أمرا مكتسبا، عند الفارابي وغيره من فلاسفة الإسلام، وهو الرأي الذي سار عليه ابن ميمون، وقد ذكرته، ثم أشرت إلى وظيفة النبوة عنده .

## الفصل السادس:

وهو الأخير عرضت فيه بداية الخصائص المشتركة للنبوة في السديانتين اليهودية والإسلامية، من اصطفائية، وتاريخية، وذاتية، والمعاناة الشخصية، التي تحصل للنبي بسبب قيامه بمهمة التبليغ عن ربه، ومواجهة قومه له، مما يزرع في قلبه المعاناة ليس منهم فقط. والذين يقفون في طريق دعوته كالأنبياء الكذبة، ثم تطرقت إلى ارتقاء النبوات في التاريخ الإنساني بدءاً بآدم وانتهاءً بمحمد ﷺ، وأن هذه النبوة دائماً في تطور وإن تشابهت النبوات في التبليغ والوحي أحياناً، ثم بينت وجه الحاجة للنبوة، لأنه لا بد أن تكون للنبوات غايات تريد تحقيقها في أي مجتمع ظهرت فيه، مبرزا في هذا النسخ وهو ظاهرة تلاحق أي رسالة ماعدا رسالة محمد ﷺ، وأنها خاتمة الرسالات ونبوته خاتمة النبوات، مظهرا الحجج، حجج القائلين بعدم النسخ وخاصة من اليهود الذين يزعمون أن رسالة موسى عليه السلام لا تنسخ غيرها وهي - عند اليهود - الشريعة الكاملة، ثم بينت دلائل ختم النبوة نقلية كانت أو عقلية، ومنه عرجت إلى ختم النبوة في كل من الكتاب المقدس - العهد القديم - ثم ذكرت ختم النبوة في التلمود، وكيف كان الأمر إجماعاً من علماء وأحبار اليهود، اعتباراً من القرن السادس قبل الميلاد، وهذه الفترة تبين مدى تحكم وسيطرة الكهنة على الحياة الدينية وتوجيهها بما يخدم أغراضهم.

كما بينت ختم النبوة في الإسلام، ورأي ابن ميمون في ذلك، وكيف أن أعداء هذا الدين لا يهتنون إلا لما يروا الإسلام قد تحطم من داخله، ولهذا فهم يستأجرون أحياناً أناساً ليزرعوا الشبهات والبلبل لفتنة المسلمين في عقيدتهم، حيث ذكرت عدة طوائف اتخذت هذا المنحى، من إنكار خاتمة رسالة الإسلام ونبوته .

ثم تعرضت لنظرية المسيح المنتظر في العقيدة اليهودية والإسلامية، وادعاء بعض المغرورين والكاذبة بالمسيح المنتظر حيناً وبالمهدي أحياناً أخرى، وخاصة في زماننا، ونظرة ابن ميمون لها من خلال الحركة الميساوية التي كان رائدها في زمانه، وأخيراً ربطت هذه النظرية بواقع التحالف المسيحي (البروتستانتي) اليهودي من أجل العمل للإسراع بظهور المسيح المنتظر، وهو ملك من بيت داود عند اليهود، ومخلص البشرية عند المسيحيين عموماً، وعلاقة هذه العقيدة الميساوية بالأحداث التي وقعت سابقاً وتقع الآن، والدور السياسي والأمني للحكومات البريطانية والأمريكية سابقاً وحاضراً في الشرق الأوسط. وأخيراً تطرقت إلى إعادة صياغة تراث ابن ميمون .

ولإنجاز هذا بحث، رجعت إلى عدة مصادر ودراسات سابقة، والمصادر التي رجعت إليها والتي أحاطت بموضوع النبوة هي: كتاب " دلالة الحائرين " و "كتاب المعرفة" الغير المعرب، وهذين المصدرين هما من أهم كتب ابن ميمون التي يتعرض فيها إلى نظرية النبوة، وخاصة كتابه الأول، الذي عرض فيه بإسهاب حقيقة النبوة والوحي، وقد استفدت منه كثيرا .

ترجمة التفضي(ت646 هـ) في كتابه " أخبار الحكماء بأخبار العنماء " حيث يحدثنا التفضي عن ابن ميمون ولقبه ونسبه، والأذى الذي لقيه لما كان في الأندلس والمغرب إلى أن انتقل إلى مصر وبقي فيها في ضيافة القاضي اليبساني وخدمة البلاط الأيوبي من عهد صلاح الدين إلى بعد وفاته، كما ترجم له ابن أبي أصيبعة(ت668هـ) في كتابه " عيون الأنباء في طبقات الأطباء" فذكر اسمه ولقبه والزمن الذي توفي فيه .

حيث رجعت إلى المؤلفات اليهودية لمعرفة بدقة أوجه الاتفاق والاختلاف في اسمه ولقبه ونسبه وأسرته ومولده ووفاته، باعتبار أن ابن ميمون يهودي، إذا فهو أكثر الناس إطلاعا ومعرفة باسمه ولقبه ونسبه وأسرته ومولده ووفاته، وأحواله الخاصة والعامة، كما استأنست بالمراجع الغير اليهودية المعربة والغير المعربة، لمعرفة البيئة التي كان يعيش فيها ابن ميمون، وانعكاساتها عليه، ولم أستعن بهذه المراجع لمعرفة الحياة الخاصة والعامة لابن ميمون، بل وظفت الكثير منها في المقاربة والمقارنة بين عناصر فصول الرسالة، وكذلك للترجيح والتوثيق .

### صعوبات البحث :

وقد واجهتني صعوبات كثيرة عند إعداد هذا البحث أهمها :

أولا : صعوبة الوصول إلى المصادر الأخرى، - غير كتابيه السابقين- التي أشار فيها ابن ميمون لنظرية النبوة وتفسيره ها، وكذلك المراجع الكثيرة والمتنوعة التي أشارت لحياته وآراءه الفلسفية من بينها نظريته في النبوة، نظرا لندرتها في العالم العربي، وعدم وصول الكتب الأجنبية إلى مكتبتنا، التي أرشحت لحياته، ودرست أفكاره الفلسفية، والدينية، وعلاقتها بآراء عظماء الفلاسفة اليونانيين والإسلاميين .

ثانيا : صعوبات ترجع إلى طبيعة البحث ذاته، الذي يتمحور حول نظرية النبوة من الجانب الفلسفي وعلاقتها بالتفسير الديني، ومعروف أن هذا الموضوع يتطلب قدرا كبيرا من الإطلاع على مصطلحاته وأدواته .

هذا وإني لأرجو أن يكون هذا البحث في مستوى ما طمحت إليه، وأن يحقق الهدف الذي توخّيته منه، ونحسب أن النتائج التي توصلنا إليها في إطار البحث عن نظرية النبوة عند ابن ميمون هامة ومفيدة .  
والله من وراء القصد

أمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## الفصل الأول

عصر موسى بن ميمون

تمهيد :

أولا - الحياة السياسية في عصر ابن ميمون :

ثانيا - الحياة الاجتماعية في عصر ابن ميمون :

ثالثا - الحياة الفكرية في عصر ابن ميمون :

جامعة الزيتونة  
القادر للعلوم الإسلامية

إن الكتابة عن أية شخصية مهما كان وزنها في أي مجال من المجالات الدينية أو العلمية أو الاجتماعية، لا يمكن أن تتخطى البيئة التي عايشتها مكانا وزمانا، لأنه كما يقال: الإنسان ابن بيئته، فلا بد أن يكون للمكان الذي نشأت فيه وأحداثه اليومية دوره الرئيسي في التأثير على شخصيته، إن على المستوى الفكري أو النفسي أو الديني أو الاجتماعي .

لذلك يفرض علينا منهج البحث العلمي، أن نتناول الحياة التي عاشها موسى بن ميمون بجميع تأثيراتها السياسية والاجتماعية والفكرية، على شخصيته كفيلسوف يهودي وطبيعة ذاك التأثير سلبا أم إيجابا .

### أولا - الحياة السياسية في عصر ابن ميمون :

#### I - الحياة السياسية في الأندلس والمغرب :

كانت الأندلس والمغرب تحت حكم المرابطين بقيادة عدة أمراء أولهم يوسف بن تاشفين وآخرهم تاشفين، وكانت فترات المرابطين عامرة بالأحداث الداخلية مع الشائرين من اتباع المهدي بن تومرت، تحت قيادة عبد المؤمن بن علي (ت558 هـ)، والحروب الخارجية مع المسيحيين من أجل فتح أراضي جديدة للدولة الإسلامية وفي نفس الوقت الدفاع عن النفس من هجماتهم، وهذه الأحداث والحروب زادت في تعجيل سقوط دولة المرابطين، زيادة على ذلك ميل الأمراء والحكام إلى حياة الدعة والراحة وتأثرهم بالثقافة الأندلسية وترفها المادي، حيث انصرفوا عن إدارة شؤون الأمة، واهتمامهم بأمورهم الخاصة، مما جعل عامة الناس تنفر منهم، وفي غمرة هذا الترف واللامبالاة تمكن الفونسو السابع من القيام بمحلات داخل الجيوب الأندلسية سنة (1133م)، وأخيرا ثورة العامة على المرابطين سنة (1144م)، مما أسقطت حكم المرابطين في الأندلس والمغرب سنة (1145م)<sup>(1)</sup>.

وبعد انهيار حكم المرابطين سادت الإضطرابات، مما حدا ببعض الإمارات المنفصلة الاستعانة بجيوش الإمارات المسيحية للإجهاض على فلول المرابطين، من قشتالة والبرتغال<sup>(2)</sup>.

وكانت تلك الأحداث في زمن موسى بن ميمون وهو مازال فني، وقد حاول عبد المؤمن توحيد المغرب

1 - مونتغمري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة محمد رضا المصري، ط02، بيروت، شركة المطبوعات لتوزيع والبشر، 1998م، ص112.

2 - السليمان عبد القادر، المغرب الكبر العصور الاسلامي، ص 20، دار النهضة العربية، 1981م، ص 02، ص 742.



لما رأى انقسامه إلى دويلات، فزحف على تلمسان في (539 هـ)، ووهران في 27 رمضان من نفس السنة، وفاس في 14 ذي القعدة (540 هـ)، ومراكش في 18 شوال (541 هـ) <sup>(1)</sup>.

وبهذا وحد المغرب الأقصى، ثم التفت في المرحلة الثانية إلى فتح الأندلس وكانت قد انقسمت إلى عدة دويلات أيضا، وذلك بسبب نقمة الناس على المرابطين، فلما وصلها بايعته تلك الدول، وكل ذلك لم يجعل أمر الأندلس مستقرا، لأن بعض المدن في البلاد الأندلسية شقت عصا لطاعة، مما جعل عبد المؤمن ينتفت إليها غازيا ليوحد الأندلس بالكامل، وتم له ذلك في (556 هـ)، ولما عاد إلى مراكش في (555 هـ) قبل سيطرته الكاملة على الأندلس، بلغه أن بعض الثوار هاجموا إشبيلية مع حشود كبيرة من المسيحيين. وأن ابنه: أبا يعقوب وأبا سعيد عثمان انهزما، فخرج بجيش ضخم فدخل غرناطة واستردها، فحدث له مرض بعد ذلك أدى إلى وفاته في 27 من جمادى الثانية (558 هـ) <sup>(2)</sup>، وبعد وفاته خلفه ابنه محمد وبايعه الناس ولم يتولى الخلافة أكثر من 45 يوما، ثم عزل لأمر أخذ عليها، فبيع بعده أخوه أبو يعقوب يوسف في 15 جمادى الثانية (563 هـ) <sup>(3)</sup>.

## 2- الحياة السياسية في فلسطين ومصر:

كانت فلسطين مركز الصراع بين المسيحيين والمسلمين، ولأجلها قامت بينهما أربعة حروب صليبية، من أجل (القدس أو耶ريشليم)، وتعتبر فلسطين جزءا من الشام وهي تمثل جنوبه. وقد حكمها الفاطميون لسنين عديدة، بينما الجزء الشمالي منه حكمه أعداء الفاطميين وهم الأتراك (الصلاحية) والقسم الأكبر من آسيا الصغرى <sup>(4)</sup>.

وقد حكم الفاطميون حكام مصر فلسطين حكما عادلا رحيمًا على جميع الطوائف المسيحية واليهودية وغيرهما، وتُركت لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية دون أن تمس مراكز عبادتهم أو هدمها، ما عدا الفترة القصيرة التي حكم فيها الحاكم بأمر الله، الذي دمر كنيسة الضريح المقدس سنة (1010م)، إلا أن المسلمين أنفسهم أعادوا بناءها بأموالهم. وحصل في فترة حكم الفاطميين لفلسطين أن قامت الحرب الصليبية الأولى

1 - السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير العصر الإسلامي. (مرجع سابق)، ج 02، ص 782 - 786.

2 - المرجع نفسه والجزء، ص 788 - 796.

3 - المرجع نفسه والجزء، ص 797.

4 - ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد ندران، ط 02، القاهرة، مطبعة التاليف وترجمة والنشر، 1964م، ص 04.

(1095م - 1099م)، حيث اجتمع الصليبيون للسيطرة على أورشليم، وقد سقطت في أيديهم في شهر يوليو من سنة (1099م)، وحصلت فيها مذابح كبيرة راح ضحيتها سبعون ألف من المسلمين، أما اليهود فقد سيقوا إلى كنيس (معد) لهم وهناك أحرقوا أحياء<sup>(1)</sup>، وبعد تلك الحملة صارت أورشليم (القدس) ممنكة لاتينية مستقلة من يوم إنشائها، وقد حكمها الملك "جدفري البويرني".

وحتى بعد قيام الحرب الصليبية الثانية (1146م - 1148م) بقيت أورشليم (القدس) وعكسا تحت سيطرة المسيحيين وظلت مملكة أورشليم اللاتينية لمدة الأربعين سنة التي أعقبت الحملة الثانية (الصليبية) تمزقها الأحداث الداخلية<sup>(2)</sup>.

وأما مصر فكانت تحكمها في القرن الثاني عشر الأسرة الفاطمية إلى غاية سقوطها سنة (1171م)، وكانت في صراع مستمر مع الملوك المسيحيين، الذين حكموا أجزاء من الشام (فلسطين وإنطاكية)، وظلت تلك الدولة - الفاطمية - تحت تهديدهم لعقود حيث توالى عليها الضغوط والغارات والحروب الصليبية، وكان بلدوين الثالث يهدد الفاطميين بغزو مصر وذلك سنة (1160م)، ولم يمنعه من ذلك إلا بعد وعد حصل عليه من الخليفة الفاطمي بدفع إتاوة سنوية قدرها مائة وستون ألف دينار، غير أن تلك الإتاوة لم تدفع مطلقاً في حياته، فاتخذها من بعده "أمريك كونت" ملك يافا وعسقلان ذريعة ليزل مصر فجأة في سبتمبر سنة (1163م)<sup>(3)</sup>، «وبقيت مصر حتى بعد هذا الاستيلاء تحت ضغط المسيحيين في ظل الفاطميين، وقد حوصرت الإسكندرية سنة (1167م) من طرف ملك الفرنجة "أمريك" و"شاور"، وبعدها سلمها صلاح الدين وشركوه إليهما على عهد اتفقوا عليه وهو عدم معاقبة أتباع وأنصار شركوه وصلاح الدين، ودخل الفرنجة الإسكندرية في 04 أغسطس من نفس السنة»<sup>(4)</sup>.

بعد ذلك انتقل أمريك للزحف على القاهرة سنة (1168م)، وهذا بسبب نقضه للمعاهدة التي كانت بينه وبين شاور، إلا أن مصر رجعت ثانية إلى المسلمين بعد ما راسل الخليفة الفاطمي العاضد نور الدين في حلب يعرض عليه ثلث بلاد مصر، وإقطاعات لقادته، على أن يعينه في إجلاء الفرنجة عن الإسكندرية

1 - ون ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، (مراجع سابق)، مج 04، ج 04، ص 35.

2 - المرجع نفسه والمجلد والجزء والصفحة.

3 - سيمان رنيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريبي، ط 02، بيروت، دار الثقافة، 1981م، ج 02،

ص 592.

4 - المرجع نفسه، المجلد 02، ص 605.

والتحضر، فمرس في مصر في 02 يناير سنة (1169م)، ولم تمض ستة أيام حتى دخل شيركوه بجيشه الإسكندرية<sup>(1)</sup>، إلا أن الفرنج لم يشتم خروجهم من مصر على معاودة الرجوع إليها ثانية، حيث أُلح الملك أمليق على الإمبراطور البيزنطي أن يسرع لمساندته على مهاجمة مصر، تحالف الاثنان فُدف واحد، وخرج أسطول الإمبراطور من مياه الدردنيل بقيادة الدوق الكبير في 15 يوليو سنة (1169م)<sup>(2)</sup>، وبدؤوا بحصار دمياط في تلك السنة إلا أن تلك الحملة لم تنجح في الإستيلاء على دمياط وغيرها .

وكان الفاطميون يمرون بمرحلة ضعف كبيرة في عهد خليفتهم العاضد حيث لم يستطع مواجهة الحملات الصليبية لوحده، فاستعان بنور الدين وصلاح الدين، وما إن كانت سنة (1171م) وفي يناير أقام نور الدين حامية بالموصل والتي خضعت لحكم أخيه سيف الدين، ولشدة حرصه على سيادة المذهب السني كتب إلى صلاح الدين يطلب منه ذكر اسم الخليفة العباسي في الصلاة بجميع مساجد مصر، إلا أن الأخير نفذ الأوامر بعد إجراء تغييرات لحفظ الأمن، وكان الخليفة العاضد يعاني في هذه الفترة مرض الموت في قصره إلى أن توفي سنة (1171م)، وبوفاته زالت الدولة الفاطمية<sup>(3)</sup> .

ولما توفي نور الدين (ت 117م)، كادت بلاد الشام أن تقع في الفوضى الداخلية، فحشي صلاح الدين من دخول الصليبيين فخرج من مصر ومعه سبعمائة من الفرسان، واستطاع بحملته السريعة أن يستولي على جميع بلاد الشام، ولما عاد إلى مصر لقب نفسه ملكاً، وأسس بهذا الأسرة الأيوبية سنة (1175م)، ثم انتقل إلى بلاد النهرين فاستولى عليها، وكان فيها مثل ما كان في القاهرة القائم والحريص على دينه، والمتمسك بأصوله فأنشأ عدة مساجد<sup>(4)</sup> .

وفي سنة (1183م) قام صلاح الدين الأيوبي بشن بعض الغارات على فلسطين، ثم انتقل بجيشه إلى دمشق ففتحها، ثم هاجم رينجلند عند الكرك بعد سبعة أشهر من ذلك الوقت، إلا أنه تعذر عليه دخول القلعة المحصنة وفي سنة (1185م) وقّع مع الملكة اللاتينية هدنة تستمر مدتها أربع سنوات، إلا أن رينجلند ملّ فترة السلم، فاعترض قافلة سنة (1186م) للمسلمين ونهب متاعها، ولما علم صلاح الدين أقسم على

1 - سنيان رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العربي، (مراجع سابق)، ج 02، ص ص 618 - 619 .

2 - المرجع نفسه والجزء، ص 622 .

3 - المرجع نفسه والجزء، ص 637 .

4 - ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، مع 04، ج 04، ص ص 35 - 36 .

قتل ريجنلند، وخرج بجيش إلى حطين بالقرب من طبرية في اليوم الرابع من شهر يولييه سنة (1187م) وقعت الحرب وانتصر فيها صلاح الدين وقتل فيها ريجنلند لما اختار القتل على الإيمان وبتلك المعركة دخل صلاح الدين بيت المقدس<sup>(1)</sup>، وأجاز لليهود بأن يعودوا للإقامة فيها، وأعطى المسيحيين حق دخولها شريطة ألا يكونوا مسلحين، ثم حاصر عكا ولما وجدها محصنة ولى إلى دمشق سنة (1188م) وكان عمره خمسين سنة<sup>(2)</sup>، إلا أن الصليبيين لم يفقدوا الأمل لاسترجاع بيت المقدس فرحفوا عليها بقيادة فردريك بربرسا إمبراطور ألمانيا، غير أنه فشل ومات غريقا في نهر سالف في قليقية سنة (1190م)<sup>(3)</sup>، ولم ينجُ من جيشه إلا جزءا قليلا انضم إلى حصار عكا وكان ريتشارد الأول الملقب بقلب الأسد قد توج من زمن قريب ملكا على إنجلترا وهو في الحادية والثلاثين من عمره، فصمم على أن يجرب حظّه مع المسلمين، وصاحبه فيليب أغسطس ملك فرنسا وكان وقتئذ شابا في الحادية والعشرين من عمره .

وقد واصل ريتشارد الأول سيره إلى عكا في يونيه سنة (1191م)، وقد سبقه إليها فيليب، ودام حصار المسيحيين إلى عكا تسعة أشهر وهلك فيها منهم عدة آلاف، ثم استسلم المسلمون بعد أسابيع قليلة من وصول ريتشارد الأول<sup>(4)</sup> .

أفلحت الحملة الصليبية الثالثة في أخذ عكا، لكنها لم تفلح في الإستيلاء على بيت المقدس، ولأجل ذلك اشترك معظم ملوك أوروبا في حملة للاستيلاء عليها، إلا أن غرق بربرسا، وفرار فيليب، وإخفاق ريتشارد، ودسائس الفرسان المسيحيين في الأرض المقدسة التي لم يراعوا فيها واجبا أو ضميرا، والتراع الذي قام بين فرسان المستشفى وفرسان المعبد، وتجدد الحرب بين إنجلترا وفرنسا كل ذلك حطم كبرياء أوروبا وأذنها، وأضعف ثقة العالم المسيحي بها .

ولكن موت صلاح الدين المبكر سنة (1193م)، وانقسام دولته بعد وفاته بعث في قلوب العالم المسيحي آمالا جديدة، فلم يكد إنوسنت الثالث يجلس على عرش البابوية (1198م - 1216م)، حتى أخذ يطالب العالم المسيحي ببذل مجهود جديد لاسترجاع بيت المقدس<sup>(5)</sup> .

1 - ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، (مرجع سابق)، مج 04، ص 04، ص 36 .

2 - المرجع نفسه والمجلد والجزء، ص 38 .

3 - المرجع نفسه والمجلد والجزء، ص 39 .

4 - المرجع نفسه والمجلد والجزء، ص 40 .

5 - المرجع نفسه والمجلد والجزء، ص 46 .

ثانيا- الحياة الاجتماعية في عصر ابن ميمون :

## 1- الحياة الاجتماعية في الأندلس والمغرب :

حكم المرابطون الأندلس (إسبانيا) والمغرب من (1090م إلى 1145م)، وكانت الحياة الاجتماعية في حكم المرابطين تتميز بالتباين الواضح بين فئات الدولة، وكان يوجد من بين الفئات فئة المثلثين وطائفة سيدة حاكمة ذات قوة وسطوة، توزعت في مدن الأندلس والمغرب وأقاليمه، فكانوا يمتنون التجارة أو الزراعة<sup>(1)</sup>.

وقد انتشرت تلك الفئات المثلثة في المدن والقرى ويستعلي أفرادها على أهل البلاد، ويعيشون حياة تكاد تكون في معزل عن طبقات المجتمع الأخرى، وكانوا يرفضون الخضوع لأحكام القضاء مما جعل أمير المسلمين يكتب إلى أحد القضاة قائلاً : « وقد عهدنا إلى جماعة المرابطين أن يسلموا لك في كل حق تقضيه ولا يعترضوا عليك في قضاء قضيته »<sup>(2)</sup>. كما كان لطبقة الفقهاء دور كبير، وقد كانوا موجودين في كل عصر ومصر، إلا أنهم في ظل المرابطين اكتسبوا نفوذا وسلطانا لم يكن لهم من قبل، حيث أشركوهم في مجالس الشورى وكان لبعضهم وزراء، واستشاروهم في كل صغيرة وكبيرة من شؤون البلاد، وقربوهم إليهم فكان القضاء منهم يسرون في ركاب أمير المؤمنين .

كما كان للمرأة في هذا العهد مكانة مرموقة، فلقد كانت تشارك في الحياة العامة وتمتع بكامل الحرية والمساواة، فكانت زينب زوج أمير المؤمنين يوسف تتمتع بمكانة عظيمة إذ كان يشاركها في مختلف شؤون الدولة ويستمع لنصحتها وتوجيهاتها<sup>(3)</sup>.

ولم يكن المجتمع الإسلامي في ظل المرابطين مكونا من حاملي عقيدة واحدة، فلقد كان فيهم أهل الذمة من نصارى ويهود، إلا أنهم لم يشكلوا طبقة كثيرة في المجتمع الأندلسي والمغربي، ولما كانوا في ظل دولة ملوك الطوائف تلقوا معاملة طيبة فلم تهدر حقوقهم، بل عمل حكام تلك الدولة على حمايتهم وكسب ودّهم، واستعملوهم في أخصّ مهامهم السياسية والعسكرية، وعلى الرغم من هذه الرعاية والحماية والمساواة والتسامح الذي كان يتبعه نحوهم ملوك الطوائف، إلا أنهم لم يكن لهم في يوم من الأيام شعور

1 - حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، ط02، الكويت، دار الكتاب الحديث. 1996م، ص360 .

2 - المرجع نفسه، ص ص361 - 362 .

3 - المرجع نفسه، ص363 .

بعاطفة الولاء للدولة التي رعتهم ووفرت لهم الحماية وحافظت على حقوقهم، بل كانوا ينتهزون بين الحين والآخر الفرصة للإيقاع بها<sup>(1)</sup>.

ويبدو أن أحوال النصارى واليهود خصوصا قد تغيرت كثيرا مما كانت عليه سابقا - في عهد دول الطوائف - حيث خير المرابطون أهل الذمة، بين اعتناق الإسلام أو دفع الجزية فاختر الكثير منهم دفع الجزية، فلم يكن من المعقول أن يتلطف المرابطون باليهود لعلمهم بما كانوا يفعلون في ظل دول الطوائف - من الغدر والدسائس وإثارة الفتن والاستنجاد بالملوك المسيحيين لقلب أوضاع الدولة الإسلامية - فدخل كثير منهم الإسلام عن إكراه وتظاهروا بالقيام بالشعائر<sup>(2)</sup>.

وكان اليهود - كما هي عادتهم - يتجمعون في أماكن أو مدن خاصة بهم، فتمركزوا في الأندلس وتحديدا في أليسانة، أما يهود المغرب فقد كانوا يقيمون في مدينة فاس، وهي التي نزلت فيها أسرة ابن ميمون - بعد ذلك - ومدينة أغمات وريكة وكان أمير المؤمنين علي بن يوسف لا يسمح لهم بدخول مدينة مراكش إلا نهارا لقضاء حوائجهم، ثم ينصرفوا عنها عشية وإذا عثر على أحدهم قبل الليل استبيح دمه وماله ولذا كان اليهود يرفضون المبيت في مراكش خوفا على أنفسهم وأموالهم<sup>(3)</sup>، واستمر وضعهم على هذه التوتيرة حتى بعد سقوط دولة المرابطين.

وكان عبد المؤمن أثناء حكمه شديدا صارما في تطبيق أحكام الإسلام، ولا سيما في تأدية الصلاة في أوقاتها وإيتاء الزكاة وتحريم الخمر وإقامة الحدود على شاربها، وكان يذهب في صرامته إلى حد قتل تمارك الصلاة أو شارب الخمر، وكان فوق ذلك تقيا ورعا كثير التلاوة والخشوع شديدا في سياسته نحو النصارى واليهود، وهذا معلوم من الأسس الدينية التي قامت عليها دولة المرابطين، ومن الطبيعي وهي تحارب خصومها من المسلمين الخارجين على عقيدة التوحيد، أن تكون شديدة على أهل الذمة وخصوصا اليهود منهم وكان ذلك بعدما توطدت أقدام الموحدين بالمغرب وبسطوا سيادتهم على معظم إسبانيا<sup>(4)</sup>، حيث أصدر عبد المؤمن أوامره إلى جميع عمال مملكته بالأندلس والمغربين - الأقصى والأوسط - وأفريقيا بأن

1 - حمدي عبد النعم حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 1997م، ص 335.

2 - حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، ص 360.

3 - المرجع نفسه، ص 338.

4 - محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ط 02، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1990م، ص 404.

يخبروا اليهود والنصارى بين الجلاء عن البلاد أو اعتناق الإسلام، وضرب لذلك أجلا معنوما فمن أسلم منهم كان له ما للمسلمين من حقوق وعليه ما عليهم من واجبات، ومن امتنع عن الإسلام في الأجل المحدد فقد حل دمه وماله ولقد أسلم الكثير<sup>(1)</sup>، وهاجر القليل وبعض اليهود اعتنق الإسلام متظاهرا ونفذ أحكامه خشية من القتل، فلما واتته فرصة الخروج من البلاد بأثقاله وأهله هاجر وأظهر يهوديته كما كان، ومما يذكر أنه كان بين هؤلاء العلامة الفيلسوف والطبيب اليهودي موسى بن ميمون وأسرته، وهو من أهل قرطبة فتظاهر عند ظهور ذلك الأمر باعتناق الإسلام والقيام بأداء لشعائره، ولما خرج من الأندلس ومعه أهله ونزل مدينة الفسطاط بين يهوديتها حيث أظهر دينه واستقر بالمصيصة<sup>(2)</sup>.

ويظهر أن الإسلام الذي أكرهه عبد المؤمن اليهود والنصارى عنى اعتناقه، لم يحقق الأمل الذي أراده، فالذين أسلموا من اليهود خاصة، لم ينتهوا عن إيذاء الموحدين والتجسس عليهم ونقل أسرارهم إلى أعدائهم، ولما تظن الخليفة يعقوب المنصور أراد أن يميزهم - على الرغم من إسلامهم في الظاهر - ليتقي المسلمون أذاهم<sup>(3)</sup>، فوضع لهم لباسا يميزون به عن غيرهم<sup>(4)</sup>، وقد كتب إبراهيم بن عزرا<sup>(5)</sup> (ت1164م) قصيدة مؤثرة يبكي فيها مصير الجماعات اليهودية في إفريقيا، كما أن الفيلسوف والمؤرخ اليهودي للقرن

1 - التضيق الذي تعرض له اليهود من المسيحيين كان أشد وطأة لما بدأت الحروب الصليبية في 27 نوفمبر (1095م) على إثر الاجتماع المسيحي في (كليرمونت) بفرنسا، بتحريض من البابا الثاني وفي الثالث من ماي حاصر الصليبيون المتجمعون في المعبد اليهودي في (سباير) وقتلوا إحدى عشر يهوديا، وقرروا قتل كل يهودي يمتنع عن العمادة المسيحية ثم امتدت الاعتداءات إلى مناطق أخرى على نهر الراين في وسط أوروبا، فقتل ثمان مئة من اليهود في (ويرمز) ولقي ألف مصرهم في (مايتز)، و (كولون) حدث نفس الأمر في (ريجتز بيرغ) حيث رموهم في نهر الدانوب للتعميد الإجباري واستمرت المذابح في (ميتز) و(براغ) وفي مناطق (بوهيميا)، حيث لقي خمسة آلاف يهودي مصرعهم وهكذا نرى أن محاولة تصير اليهود في تلك الفترة تركزت في جنوب فرنسا ووسط أوروبا. أحمد عثمان، تاريخ اليهود، القاهرة، مكتبة الشروق، [د، ت]، ج2، ص ص 159 - 160. ينظر : ول ديورانت، قصة الحضارة، مج04، ج03، ص ص 87 - 94 .

2 - القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، القاهرة، مكتبة المتنبي، [د، ت]، ص209 .

3 - عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي. القاهرة، دائرة المعارف، مصر، [د، ت]، ص241 .

4 - وهو عبارة عن ثياب سوداء اللون ذات أكمام مفرطحة السعة، وشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب وظلوا يلبسونه طيلة أيام يعقوب المنصور وبداية عهد ابنه الناصر، وتوسلوا إلى الأخير بجميع الوسائل فغير زيهم إلى ثياب وعمائم صفراء كذلك وقال يعقوب المنصور: «لو صح عندي إسلامهم لتركهم يختلطون بالمسلمين في أنكحتهم وسائر أمورهم، ولو صح عندي كفرهم تقتلت رجالهم وسبيت ذراريهم وجعلت أموالهم فينا للمسلمين، ولكني متردد في أمرهم». أبو محمد عبد الواحد بن علي محي الدين المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تعليق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة، مطبعة الاستقامة، 1950م، ص203 .

5 - إبراهيم بن عزرا، أسباني من دائرة الثقافة الإسلامية، قيل أن ابنه الوحيد موسى تحول إلى الإسلام فارتحل ابن عزرا عن بلاد =

الثاني عشر إبراهيم بن داود يحكي في "كتاب التقاليد" عن اضطهادات الموحدين بعد حوالي عشرية من المحازر والإكراهات لاعتناق الإسلام، يحدث هذا بسبب سيف بن تومرت الذي رمى اليهود بالردة<sup>(1)</sup>، ويستطرد موريس ر.حيون (Maurice R.Hayoum) في التأكيد على وقوع المحازر بقوله: « يوجد على الأقل وثيقتين تثبتان الاضطهادات الكبيرة التي لحقت بيهود الأندلس وإفريقيا الشمالية، الأولى مصدرها سليمان هاكوهن ( Salomo Hacohe ) من الفسطاط (القاهرة القديمة)، الذي راسل والده الذي يعيش في السعودية حيث أخبره بأنه يشهد قدوم يهود ومسلمين هارين من الأندلس وإفريقيا الشمالية، كما يذكر له المحازر التي اقترفها الموحدون الغزاة بالمغرب (فاس ومراكش) وفي الجزائر (وهيران وتلمسان)، وبما أن هذه الوثيقة تربط بين الاضطهادات التي وقعت بالمغرب مع مدينة الفسطاط التي لجأ إليها ابن ميمون وأصحابه، فالحرّي بنا أن نورد مقتطفات منها » أما عن الأخبار حول المغرب فكل من يعلم بشأنها يصيبه الملح، وقد وصل هنا بالفسطاط العديد من اللاجئين الناجين من المعركة الدائرة وبعد حصارها قتل جميع من قاوم واستولى على الحكم المرابطين، واتجه بعدها - الغازي - نحو تلمسان الذي قتل فيها قسم كبير من سكانها اليهود واضطروهم لاعتناق الإسلام، ولما علم سكان سلجماسة (Sigilmassa) بهذا النبأ سلموا مدينتهم إلى عبد المؤمن بن علي، ولما استولى هذا الأخير على المناطق جمع كل اليهود وأمرهم باعتناق الإسلام، وبعد سبعة أشهر من الصلاة والصيام رفض اليهود اعتناق الإسلام فعمل الطاغية على قتل مائتين وخمسين منهم، أما الباقون فقد أسلموا أمرهم له وكان على رأسهم المحرم يوسف بن عمون (Rabi Joseph Ben Ammon) والقاضي الحاخامي لمدينة سلجماسة<sup>(2)</sup>. ويتأسف الباحثون اليهود من هذه الأحداث الدامية لكنهم لو علموا السبب لزال تأسفهم، ولكنهم دائما لا يريدون الحقيقة ولو الحكم الإسلامي الذي جعلهم يتفلسون الصعداء لأصبحوا في ذكريات الماضي، لأن أوروبا المسيحية ما كانت تسمح لليهود أن يبقى لهم وجود لولا أن قيّض الله لهم المسلمين، حيث أنقذوهم وساووهم معهم في

= الإسلام، لا يقرها بقية حياته منتقلا بين أوساط اليهود في فرنسا وإيطاليا، وهو من فحول شعراء العبرية يقرضه على الطريقة العربية الأندلسية، سواء في البحور أو القافية أو في شكل القصيدة أو المقامة. وفلسفته أفلاطونية تنتشر في تفسيراته للتوراة ومذهبه يقرب كثيرا من مذهب الخلوليين، فالله هو المبدأ الأول الذي منه تفيض كافة العقول والعوام... عبد المنعم الحفني، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ط 01، بيروت، دار المسيرة، 1980م، ص 33.

1 - Maurice-Ruben Hayoun, *Maïmonide ou l'autre Moïse*, Paris, Edition J.c Lattes, 1994, P25 .  
2 - Ibid, P26.



كل ميادين الحياة اليومية ما عدا الإمارة والجهاد ووزارة التفويض<sup>(1)</sup>.

## 2- الحياة الاجتماعية في فلسطين ومصر:

كانت فلسطين تحت سيطرة الصليبيين، وكان مجتمعها خليطاً من عدة أجناس وقوميات ولغات وأديان ما بين غربيين وشرقيين، بينهم المسيحي واليهودي والمسلم وغيرهم، وعلى الرغم من التباين الظاهر في نظهر الاجتماعي والثقافي، ومع ما كان عليه هذا المجتمع من اختلاف وتعدد، فقد عاشوا جميعهم في تسواد واستقرار، لولا مناوشات كان يتبادلها من حين لآخر جماعة الفتن وكان يسنها أرباب الحرب والقتال، ممن خُلقوا لها، وجبلوا على الحياة بما، دفاعاً عن كيانهم أو حبا في التوسع<sup>(2)</sup>.

والصليبيون لما دخلوا فلسطين كانوا أشد غلظة وقساوة وجفاء، إلا أنهم بمرور الوقت تغيروا جذرياً لما شاهدوه من حقائق كانت غائبة عنهم من عشرة طيبة وتسامح بين عدة أجناس، وتكونت لهم بمرور الوقت علاقات حميمة بينهم وبين المسلمين واليهود، وتأثروا بالحياة الاجتماعية السائدة هناك، وانزاحت عن أذهانهم السموم الروحية التي كان يدفعها ويغذيها باباوات الحروب الصليبية.

لقد كانت معاشرتهم للمسلمين عامل قوي في تحوّل القوم وتغيرهم مما كانوا عليه من جفاء وحشونة إلى ما أصبحوا فيه من دماثة الأخلاق وأنس لأهل البلاد وازدياد الثقة فيهم والطمأنينة إليهم، مع العلم أن هناك عاملاً نفسياً كان له أثره في تلك الظاهرة الاجتماعية نعني به أن سكان البلاد، كانوا بمجموعهم قد فقدوا العزة والقومية لكثرة ما تغير عليهم من حكام، وأصبح الأمر لديهم سيان أحكمهم هذا أم ذاك، على شرط أن ينعموا بالعدل فيطمئنوا إلى أموالهم وأرواحهم وممارسة دينهم وحقوقهم وكان ملوك الإفرنج مستعدين لأن يوفروا مطالب الحياة إذا هم أخلدوا إلى السكنينة وانصرفوا إلى أعمالهم الزراعية والصناعية والتجارية وتركوا القتال لأهله، فكان هذا عاملاً آخراً قرّب الثقة بين الفئات المختلفة من شعوب تلك المنطقة<sup>(3)</sup>.

فالحياة الاجتماعية في فلسطين مثل غيرها في مصر وفي بلدان أخرى كانت بها أعراف وعادات إلا أنها كانت تتميز عن عادات الوافدين من المسيحيين بسبب الحروب الصليبية، وهذا ما جعل أولئك الوافدين

1 - أذورددي، الأحكام السلطانية في الولايات الدينية، تعليق خالد عبد لطيف السبع العلمي، ط01، بيروت دار الكتاب

العربي، 1990م، ص61.

2 - زكي النقاش، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنج خلال الحروب الصليبية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1946م، ص139.

3 - المرجع نفسه، ص145.

يتخلون عن عاداتهم ويسايروا عادات البيئة التي حلوا بها التي تتميز بالهدوء والاستقرار وحسن المعاشرة،  
 حذوا حذوهم في حفلاتهم وأعيادهم فتشبهوا بهم في اتخاذ الطرب والمزمار والعود والقيثار<sup>(1)</sup>.

ولم يكن اليهود بعيدين عن تأثيرات البيئة الفلسطينية، لأنهم مثل غيرهم من الأجناس تتأثر وتؤثر،  
 على الرغم أن اليهودي له نظامه الخاص في كثير من جوانب الحياة اليومية في الأسرة وخارجها ولم تكن  
 بفلسطين حالة كبيرة بحيث يكون لها ثقلها لأن كثيرا منهم لم يفكروا أن يستقروا بها، خصوصا بعد قيام  
 الحروب الصليبية وهو ما حدا بأسرة موسى بن ميمون بالهجرة منها إلى مصر.

أما في مصر فقد ظهرت الدولة الأيوبية بين دولتين اتصفتا بالبدخ والتبذير والمبالغة في إحياء الحفلات،  
 وهما الدولة الفاطمية والدولة المملوكية، إلا أن دولة الأيوبيين أحاطت نشأتها ظروف غير الظروف التي  
 أحاطت بالدولة السابقة لها أو اللاحقة عليها، إذ ولدت الدولة الأيوبية في وقت كان الصليبيون في الشام  
 أشد ما يكونون قوة وعنفا، حتى هدد خطرهم بابتلاع البلدان العربية ليس في الشام فحسب، بل في مصر  
 والحجاز، لذلك لم تكن هناك فرصة أمام الأيوبيين ليحيوا حياة اجتماعية مترفة، حيث طغت فكرة الحرب  
 على السلاطين، وتغلبت عقيدة الجهاد على أحاسيس الناس ومشاعرهم، مما لم يترك مجالاً للتوسع في  
 الاحتفالات وحياة الترف، وإذا توافر الوقت أحيانا في العصر الأيوبي لحياة الترف، فإن المال لم يكثر عندئذ،  
 لأن حراسة القوافل وتحصين المدن والقلاع وإعداد الجيوش وبناء السفن والأساطيل وصناعة العُدَد والآلات  
 الحربية، كل ذلك كان كفيلا بأن يستنفذ كل درهم في خزانة سلاطين بني أيوب، وحسبنا أن أول ما فكر  
 فيه المعز لدين الله الفاطمي عند وصوله مصر عنى بتعمير القاهرة والعناية بأسواقها ومنشأتها، ورعاية  
 الحفلات الدينية والمبالغة فيها، في حين كان أول ما اهتم به صلاح الدين الأيوبي في الدور الأول من أدوار  
 سلطته هو بناء قلعة الجبل وبناء سور القاهرة، وتحصين الثغور<sup>(2)</sup>. ولا يعني ذلك أن الحياة الاجتماعية في  
 مصر صارت مجدبة خشنة، إذ أن الأيوبيين حافظوا على إحياء الأعياد الدينية، وغير الدينية<sup>(3)</sup>.

وقد كانت مصر متنوعة الأجناس وذلك بتدفق أعداد كبيرة من الشعوب ومن بينها اليهود وهذا بسبب  
 الحروب الصليبية، وهي من أهم الأسباب في التطور السكاني، وقد عاش اليهود بمصر في أمن واستقرار ولم

1 - زكي النقاش، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنج خلال الحروب الصليبية، (مرجع سابق)،  
 ص148.

2 - سعيد عبد الفتاح عشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، القاهرة، دار النهضة العربية، 1970م، ص171.

3 - المرجع نفسه، ص172.

يتعرضوا للضغوط والمساومات بل كان اعتناقهم للإسلام اختياريا مما زاد في تقليل أعدادهم .

ويمكن أن نسجل حالة واحدة كان اليهود قد أجبروا على اعتناق الإسلام، وهو ما حدث زمن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، إلا أن هذا الخليفة سمح في أواخر عهده لكل الذين اعتنقوا الإسلام مكرهين - من المسيحيين واليهود - للعودة إلى دينهم الأصلي فعاد الكثيرون إلى دينهم الأصلي<sup>(1)</sup> .

ثالثا - الحياة الفكرية في عصر ابن ميمون :

1 - الحياة الفكرية في الأندلس والمغرب :

المشرق العربي كان سباقا في تنوعه الفكري، ولم ينغلق على غيره، بل انتقلت آثاره إلى الأندلس والمغرب، فنشأت بذلك الآداب والفنون والعلوم والفلسفة، وقد نشأت الأخيرة من الطب والتنجيم<sup>(2)</sup>، وزخرت بيئة ابن ميمون بكثير من الآداب والعلوم لم تحظ بها الفترة السابقة وكان أول آثار المشرق على المغرب ظهور الشعر وكثرة الشعراء، ولم يكن هذا الأمر خاص بفترة المرابطين والموحدين بل كان منذ دخول الفاتحين إلى المغرب والأندلس، وتتناول المراجع بأن عبد الرحمان الأول الأموي كان يحب الشعر ويرسله<sup>(3)</sup> .

إن الفترة التي عاصرها ابن ميمون ظهر فيها كثير من الشعراء من أمثال ابن خفاجة وابن زقاق، وفي العهد الموحدني أبو جعفر بن سعيد، وأبو بكر بن زهر، وأبو البقاء وابن الآبار، وعلي بن سعيد المغربي، وغير هؤلاء كثير يصعب عددهم وإحصاؤهم<sup>(4)</sup> .

لقد كانت الأندلس تزخر بالآداب والمعارف، حيث اشتهر فيها كثير من العلماء، وألّفوا فيها عدّة مصنفات توازي وأحيانا تضاهي المؤلفات وقد صنفت فيها كتب من بينها كتاب "سراج الملوك" ليوסף بن الشيخ المالقي (ت1207م)، يعالج مجموعة واسعة من الموضوعات المختلفة في الآداب<sup>(5)</sup>، كما وضع ابن بسام (ت1147م)، تاريخه الأدبي المسمى بـ "الذخيرة"، وهذا الكتاب لا يزال إلى يومنا هذا من أغنى كنوز مكتباتنا المختصة بالأخبار الأدبية، وكما فعل معاصره الفتح ابن خاقان وكذلك ابن الخصال وابن

1 - قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر، ط01، القاهرة، دار الشروق، 1993م، ص34 .

2 - أحمد أمين، ظهر الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، 1969م، ج03، ص34 .

3 - مونتغمري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة، محمد رضا المصري، ص83 .

4 - أنجيل جنثال بالثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة، حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، [د، ت]، ص707 .

5 - المرجع السابق. ص134 .

الأفطس وابن المواعيني، واشتهر في الأندلس بمقاماته التي ظاهت مقامات الحريري، ولم تكن أقل منه رواجاً، وقد بدأت تُؤلف في الأندلس ابتداء من القرن الحادي عشر ميلادي، كما اشتهرت التراجم وأُلفت فيها عدة كتب ومن بين المُبرزين فيها ابن عبد البر والخشني، وابن الغرضي وابن شكوال، وفي المعاجم القاضي عياض (ت1149م) وابن دحية<sup>(1)</sup>.

كما استمرت العلوم الدينية في البروز والتعمير على الرغم من الاضطرابات التي شهدتها الأندلس والغرب إبان فترة المرابطين وحتى الموحدين، فإن تلك الفترة لم تبخل عنا بعلومها الدينية، وأخرجت لنا عدة أسماء نالت شهرة في الداخل والخارج (المشرق العربي)، كالشهرة التي نالها القاضي عياض، فهو شخصية المرابطين الرئيسية، حيث ولد في سبتة، ودرس في قرطبة، لكنه عاد في النهاية إلى سبتة ثم رجع إلى قرطبة، واشتهر القاضي بأنه أعظم محدثي زمانه في المغرب الإسلامي وترك عدة كتب من أشهرها "الشفاء"<sup>(2)</sup>.

وفي فترة حكم المرابطين أخذ المذهب المالكي في التطور، خلافاً لما كان عليه في أواخر القرن العاشر، لكن ومنذ أن ظهر خطر الموحدين في شمال إفريقيا شعر المالكيون، الذين كانوا يساندون المرابطين بأنهم مضطرون لا إلى مهاجمة تعاليم ابن تومرت وأتباعه الموحدين فحسب، بل إلى مهاجمة اعتقاد الأشعرية الذي كان سائداً آنذاك في بغداد<sup>(3)</sup> وكانوا يعتقدون أن له أكبر أثر في آراء ابن تومرت، وهذا مما حدا بيوسف بن تاشفين إلى أن أصدر أمراً من قاضي قرطبة وأتباعه، بأن الغزالي رجل مبتدع ومارق لا يجوز إتباع آرائه، فأحرق كتابه "إحياء علوم الدين" على مرأى من الناس، وفُرضت عقوبة الإعدام على كل من قرأ للغزالي<sup>(4)</sup>. كما دعوا إلى تفسير الآيات المجسمة للذات الإلهية، كـ «وَجْهٌ رَبِّكَ»<sup>(5)</sup>، وغيرها من الآيات تفسيرا حرفياً، وسفّهوا رأي المعتزلة في تأويل كل الآيات المجسمة، وهذا خلاف لما كان عليه ابن تومرت من تأويل الآيات المجسمة، فأعلن حرباً شعواء على المرابطين، لأنه شهد إحراق كتب الغزالي<sup>(6)</sup>.

وبعد قيام الدولة الموحدية سنة (1145م)، لم يعد الفقهاء المالكيون يُخضون بالتأييد الرسمي الذي نعموا

- 1 - أنخيل جنثالك بالشيئا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة، حسين مؤنس، (مرجع سابق)، ص710.
- 2 - مونتغمري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص145.
- 3 - المرجع نفسه، ص146.
- 4 - أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج03، ص36.
- 5 - سورة الرحمن : 25.
- 6 - المرجع السابق والجزء والصفحة.

به في ظل الموحدين، على الرغم أن الموحدين لم يستطيعوا الاستغناء عن فقهاء المالكية، نظرا لأن الشعب أصبح يألف مذهبهم، ومن الفقهاء المالكية العظام غير القاضي عياض الذين عايشوا الفترتين، أبو الوليد ابن رشد (ت1198م)<sup>(1)</sup>، وهذا الأخير لم يُعرف كفقيه أكثر مما عُرف من أعظم فلاسفة العالم .

بالنسبة للفن الإسلامي في فترة ابن ميمون يعد قليل الاهتمام، قد يكون السبب عدم اكتراث المرابطين والموحدين به لأنهم منشغلون بما هو أكثر أهمية منه، وعلى الرغم من هذا وجدت آثارا تبين على أن الموحدين لم يهملوا كلية الفن « وذلك من خلال مبان مختلفة في المغرب الإسلامي بعدما نُزع عنها في عهد متأخر نسيا الجص الذي غطيت به في عصر الموحدين، وقد استعمل المرابطون حِرَفَيْن من الأندلس، فأدى ذلك إلى انتقال طرز العمارة الأندلسية إلى الشاطئ المتوسط الجنوبي »<sup>(2)</sup> .

كما ولع الأندلسيون بتاريخ بلادهم وملوكهم وحوادثهم وتراجم علمائهم وأدبائهم والراجلين من بلادهم والوافدين عليها، «ويظهر أن الاشتغال بالحديث كان هو الذي أسلم إلى الاشتغال بالتاريخ»<sup>(3)</sup>، ومن أوائل مؤرخي الأندلس ابن حبيب حيث ألف في كل فروع العلم ومنها التاريخ العام وابن القوطية، وابن شكوال وكان من المحدثين والمؤرخين معا وقد ولد في قرطبة سنة (494هـ)<sup>(4)</sup> .

أما الأبحاث العلمية من نبات ورياضيات وفلك وطبيعة وكيمياء وحيوان وطب، فكانت «داخلة في الفلسفة ثم انفصلت عنها في العصر الحديث، كما انفصل علم النفس على الفلسفة، ويظهر أن أول من لفت النظر إلى الحركة العلمية مسلمة المجرطي (ت426هـ) من أهل قرطبة، والشيء المهم أيضا أنه ربي تلاميذ كثيرين كانوا نواة صالحة في هذه العلوم، مثل ابن السمع وابن صفار والزهراوي والكرماني، وكل هؤلاء كانوا في النبات»<sup>(5)</sup>، وابن البيطار (ت646هـ) وهو من أشهر علماء النبات والأعشاب، وقد كان ابن أبي أصيبعة تلميذا له وصحبه في الكشف عن النباتات في منطقة دمشق، وكذلك أمية بن أبي الصلت فهو يجيد عدة أنواع من العلوم<sup>(6)</sup>. وظهر من الرياضيين والفلكيين جابر بن أفلح، والبطروجي والرفوطي، ومنهم

1 - أنجيل جنثال بالنبيا، تاريخ الفكر الأندلسي، (مرجع سابق)، ص712 .

2 - مونتغمري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص155 .

3 - أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج03، ص574 .

4 - المرجع نفسه والجزء، ص575 .

5 - المرجع نفسه والجزء، صص269 - 270 .

6 - المرجع نفسه والجزء، ص270 .

ابن السَّمَّاط السرقسطي ومن الأطباء ابن رشد الفيلسوف، وابن العوام، والقائمة في علم الرياضيات والفلك طويلة<sup>(1)</sup>.

نشأت الفلسفة<sup>(2)</sup> في الأندلس كما نشأت في المشرق، وكانت الفلسفة متنوعة إلى نوعين :

- نوع يميل إلى التصوف منه إلى الفلسفة، ومن أنصاره ابن مسرة<sup>(3)</sup> وغيره .

- والنوع الثاني من اشتغل بالفلسفة الصرفة المحردة عن الروحانيات وأولهم ابن باجة، المعروف بـ " ابن

الصايغ". كانت له مكانة عظيمة عند ابن ميمون في علم الفلك حيث قال عنه: « ثم جاؤوا أقواما متأخرين

في الأندلس مهروا في التعليم جدا، وبينوا بحسب مقدمات بطليمس أن الزهرة وعطارد فوق الشمس، وقد

ألف ابن أفلح الإشبيلي الذي اجتمعت بولده كتابا مشهورا ثم تأمل هذا المعنى الفيلسوف الفاضل أبو بكر

بن الصايغ الذي قرأت على أحد تلاميذه وأظهر وجوه استدلال ونسخناها عنه، يبعد بها أن تكون الزهرة

وعطارد فوق الشمس، لكن ذلك الذي ذكره أبو بكر هو دليل استبعاد ذلك لا دليل منعه»<sup>(4)</sup>. ذلك

الفيلسوف ابن طفيل (ت581هـ / 1185م)، ويعرف في العصر الوسيط بـ "Abu bakr" من كنيته

أبي بكر، حيث يرى بعض المؤرخين إلى أنه كان تلميذا لابن باجة، ولكنه هو نفسه يذكر أنه لم يقع بينه

1 - أنجيل جنتالت بالثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، (مجمع سابق)، صص 455 - 457 .

2 - يقول شاخت: « وأول ما يلاحظ هو أن تلك الفلسفة تمثل وحدة لا سبيل إلى إنكارها على الرغم من اختلاف الأماكن التي

ظهرت فيها، والمؤلفات التي صنف فيها، كما أن نفس الملامح الأساسية الموجودة عند فلاسفة المسلمين في المشرق هي بعينها

الموجودة عندهم في المغرب، ونقطة البداية واحدة وهي الحقائق القرآنية وتعاليم الإسلام المتعلقة بالحياة اليومية، ولم يكن بينهم

من يبلغ به التهور أن شك فيها، وأقصى ما في الأمر أنهم كانوا يلجأون إلى التأويل المجازي في موضوعات معينة (مثل الخلق

والزمان وبعث الجسد)، وكان لديهم أيضا نفس الأساس العقلي الذي كان للفلسفة الهيلنستية Hellenistic

philosophe منطلق أرسطو والإيمان بالعقل باعتباره المعيار الأعلى، والنظر إلى الله تعالى على أنه وجود محض، محرك

أول غير متحرك، وفي الغالب القول بضرورة خلق العالم في الأزل، ويتميز أولئك الفلاسفة بنفس التكوين المدرسي المستمد

من النشأة الدينية العامة لهم، وهم توصلوا إلى نفس النتائج في النقط الأساسية المتعلقة بالله تعالى والخلق والإنسان وتنظيم

الدولة، وهم يشتركون في ظروف الحياة من ازدهار وغم، وهي الظروف التي كان يتسم بها المجتمع الإسلامي في العصور

الوسطى. ويلاحظ ثانيا أن هذه الفلسفة جزء من تيار الفكر الإغريقي، وهي تستند بصورة دائمة إلى كبار حكماء العصر

القديم، مع الاعتقاد الراسخ بوحدة الحكمة، وبوجود نوع من الإلهام عند الفلاسفة القدماء وأن الوحي الإسلامي ما هو إلا

استمرار لذلك الإلهام. « مجموعة من المؤلفين، تراث الإسلام، ترجمة حسين مؤنس وغيره، ط03، الكويت، المجلس الوطني

للثقافة والفنون والآداب، ج02، 1998م، صص 49 - 50 .

3 - أبو عبد الله بن عبد الله بن مسرة، ولد سنة (269هـ)، من أهم كتبه "توحيد الموقنين"، (ت319هـ). عبد المنعم الحفني،

الموسوعة الصوفية، ط01، القاهرة، دار الرشيد، 1992م، صص 363 - 364 .

4 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ترجمة حسين آتاي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م، صص 293 .

وبين ابن باجة اتصال شخصي<sup>(1)</sup>، وعرضت فلسفته إلى الناس بشكل رمزي وذلك في قصة "حي بن يقضان" وقد ترجمت إلى كثير من اللغات وخاصة اللغات الأوربية لاعتناء الفرنج بأعماله القيمة<sup>(2)</sup>. كذلك من الفلاسفة البارزين في القرن الوسيط والمغرب الإسلامي وفي الأندلس ابن رشد (ت595 هـ / 1198م) ويسميه الأوربيين "Averroès". ولم يكن فيلسوفا فقط، بل كان حاملا لعلوم الشرع، ودرس الطب وكان له باع فيه<sup>(3)</sup>.

كما كانت هناك حركة روحية قوية في إسبانيا الإسلامية والمغرب خلال القرن السادس الهجري وبعده حيث نجد عددا من المتصوفة الذين حافظوا على أصول التصوف ومنهجه كالشيخ أبي مدين شعيب الذي يطلق عليه بـ "شيخ الشيوخ" نظرا لتأثيره ولعدد الكبير الذين تخرجوا على يديه من مشايخ التصوف بالمغرب الإسلامي. كما أن هناك متصوفة آخرون ساروا على نهج أبي مدين، من أمثال: أبي علي النفطي (ت610 هـ) وأبي عبد الله محمد الدباغ (ت621 هـ) وأبي يوسف الدهاني (ت621 هـ) وعبد العزيز المهدي (ت621 هـ) وغيرهم كثير.

ومنهج التصوف في إسبانيا الإسلامية والمغرب لم يكن مستقلا عن حركة التصوف العام في العالم الإسلامي، بل نجد بذوره في المشرق الإسلامي، متمثلا في مدرسة الغزالي السنية وقد تعدت المعارف والعلوم من المسلمين إلى غيرهم من أهل الملل الأخرى، واستفادوا كثيرا منها كما نبغوا فيها أيضا وأقصد بذلك اليهود.

واليهود- قبل ذلك- أمة عاشت على مر الزمن منعومة التراث الأدبي والعلمي والفكري إلا التوراة والتلمود، وما دار حولهما من جدل ونقاشات وشروح، وقد تشتت اليهود في أنحاء العالم على إثر الإضطهادات التي توالى عليهم، مما جعل العقل اليهودي لا يفتتح عن المعارف والعلوم، والانطواء على النفس والروحانيات التراثية لتحميمهم من الذوبان والانصهار.

وإذا جاء الإسلام وانتشر في ربوع العالم، نال اليهود مثل باقي الشعوب المضطهدة، عطف المسلمون بتسامحهم فقد تُرك لليهود حرية العبادة والعقيدة في معابدهم، ولما انتشرت الثقافة الإسلامية بانتشار

1 - أنجيل جنثال بالنيا، تاريخ الفكر الأندلسي، (مرجع سابق)، ص348.

2 - مونتغري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة محمد رضا المصري، ص149.

3 - المرجع السابق، ص353.

الإسلام تفتت ذهنية الفكر اليهودي على تلك الثقافة، فأخذ ينهل منها ومن غيرها حتى ظهر فيهم رجال خدموا الأدب والفكر اليهودي .

وجد اليهود في إسبانيا الإسلامية والمغرب الظروف المواتية، التي ساعدتهم على ظهور حركة فكرية يهودية في جميع فنون الفكر والأدب والعلم، حتى أصبحت تلك البلاد مقصد العلماء اليهود الذين كانوا في المشرق، وتحولت مراكز الدراسات اليهودية من المشرق إلى إسبانيا الإسلامية والمغرب، وقد نبغ عدد كبير منهم في جميع المجالات سواء في الشعر والأدب واللغة والتاريخ والعلوم والفلسفة والتصوف، وبذلك أصبحت إسبانيا الإسلامية والمغرب أكبر مركز يهودي في العصر الوسيط .

وخذا يقول أحد الباحثين عن أثر الشعر فيهم: «ففي الشعر تأثر شعراء اليهود بالبيئة الإسبانية الجميلة فكان لذلك أثره البعيد في أسلوبهم الشعري، وفي إلهامهم موضوعات جديدة غير الموضوعات الدينية التي كانت شائعة، ومن هنا امتاز الشعر الإسباني بالإبداع والخلق من هذه الناحية، ومن شعراء البيئة الإسبانية موسى بن عزرا الغرناطي (1030م-1139م)، جمع إلى جانب مهارته في الشعر تفوقه في الكثير من العلوم والفنون، وقد ترك الكثير من الشعر في جميع الأغراض، ولكن الكثير منه مازال مخطوطا في المكاتب المطبوع منه قليل، وله مؤلف مشهور في تاريخ النظم والنثر في اللسانين العبري والعربي والموازنة بينهما في اللغتين»<sup>(1)</sup>.

ويذكر إبراهيم موسى الهنداوي قائلا: «فقد اهتم بالشعر العاطفي غير الديني، وخصص الكثير من قصائده في الخمر والموسيقى والصدقة والحب والطبيعة، وهو أول شاعر اهتم بالشعر العبري غير الديني، أما من حيث الشعر الديني فقد كان موسى بن عزرا مقلا، إلا أنه أنتج فيه، حيث وجد نفسه المعذبة المتألمة غراء سلوى في الدين»<sup>(2)</sup>، كذلك يهودا هاليافي (ت537هـ / 1143م) كما يطلق عليه يهودا اللاوي<sup>(3)</sup>، وبعض المراجع تطلق عليه جيدا هاليافي<sup>(4)</sup>، ويطلق عليه عند العرب أبي الحسن اللاوي<sup>(5)</sup>، وانشد الشعر في الغزل والإحشاء وكل نواحي الاجتماع وقد امتاز شعره على معاصريه بشدة العاطفة وقوة الخيال وجزالة

1 - د. ربحي كمال، دروس اللغة العبرية، بيروت، دار النهضة العربية، 1978م، ص 48 .

2 - إبراهيم موسى هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، [د، ت]، ص 103 - 104 .

3 - د. عبد المنعم الحفني، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ص 187 .

4 - Roger Arnaldez, *Trois Messagers pour un seul dieu*, Paris, Éditions Albin Michel, S,A, 1991, P255 .

5 - أنيس حنانت بالنتيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 499 .



اللفظ، وهو فيلسوف وله في الفلسفة الدينية مؤلف مشهور "الحوزري"<sup>(1)</sup>، وغير هذين كثير مثل إبراهيم بن عزرا، الذي يسمى في الكتابات العبرية بأبي إسحاق إبراهيم بن النجيد (ت 562 هـ/1167م)<sup>(2)</sup>، وهو كغيره من الشعراء اليهود في أشعارهم الدينية يعبر في شعره عن روح دينية عميقة وتغني شخصيته في الله فيقول في أحد مقطوعاته ما معناه :

« فيك يا ربي أصلي      لك حيي الشديد  
لك قلبي وإخلاصي      لك نفسي وروحي  
لك يدي وقدمي      منك صورتي وشكلي

منك جسمي وصورتي الإلهية      منك دمي وعظامي الضعيفة»<sup>(3)</sup>

وتذكر دائرة المعارف اليهودية أن هناك شعراء آخرون ظهرُوا في القرن الثاني عشر أنشدوا الشعر إلى جانب اشتغالهم بالفلسفة، ولكنهم أقل شهرة من الذين ذكرناهم وأهمهم يهودا بن سليمان الحريزي (ولد عام 1165م)، فقد أنشد الكثير من الشعر في مدح الشخصيات التي احتفت به ويوضع يهودا الحريزي من الناحية الشعرية في مرتبة الشعراء غير الدينيين، حيث أنشد أكثر شعره في أغراض دنيوية كالمديح والحب والخمر<sup>(4)</sup> ويقول إبراهيم موسى هنداوي معلقاً على مميزات الشعر العبري الحديث: « كان كثيراً جداً ولم يكن اهتمامهم به أقل من اهتمامهم بالنواحي الفكرية الأخرى، وأن شعراء اليهود تأثروا بالشعر العربي في أوزانه وأغراضه واصطلاحاته الفنية فاستعاروا منه في شعرهم كثيراً، وإن شعراء اليهود تأثروا أيضاً بالبيئة والطبيعة ومظاهرها مما ألهمهم الشعر في أغراض كثيرة دنيوية، وقد كان الشعر العبري قبل ذلك مقصوراً على الناحية الدينية كما نلاحظ في الشعر العبري ظاهرة جديدة وهي ظاهرة الشعر العلمي، فقد اشتهر شعراء الأندلس العرب والمسلمين بهذه الناحية وقلدهم اليهود في ذلك وتراهم قد خلقوا هذا النوع وبرعوا فيه، ونظموا شعراً كثيراً في النحو والفلسفة والفلك والطب والحكمة وغيرها ونلاحظ كذلك ظاهرة أخرى تمتاز بها إسبانيا الإسلامية وهي "الشعراء الفلاسفة"، فلم ينشأ من الفلاسفة شعراء مجيدون قدر من نشأ منهم في إسبانيا وحدها ولم يكن للفلسفة تأثيراً على شعرهم إلا من جهة معانيه الشعرية، من أمثال

1 - د. رنجي كمال، دروس في اللغة العبرية، (مرجع سابق)، ص 47 .

2 - أنجيل جتال بالثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 501 .

3 - إبراهيم موسى هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 114 .

4 - دائرة المعارف اليهودية، ج 10. نقل عن: المرجع نفسه، ص 117 .

ابن جبيرول وأبي الحسن اللاوي وإبراهيم بن عزرا ويوسف بن صديق كلهم من الشعراء الفلاسفة»<sup>(1)</sup> .  
وتلك المجموعة من الشعراء تبين مدى قدرة اليهودي على محاكاة غيره ليثبت أهليته وقدرته ووجوده  
خدمة للغة والدين، ولهذا فإن الأندلس كانت هي المهده الأول للشعر اليهودي الحديث والعصر الذهبي الثاني  
للأدب العربي، حيث كان العصر الذهبي الأول .

ومن النحويين الذين ظهروا من منتصف القرن الحادي عشر إلى النصف الأول من القرن الثاني عشر نجد  
عددا منهم ساروا على نهج ابن جناح وحيوج، وقد عاجلوا أجزاء من النحو العربي في مؤلفات مستقلة  
كإسحاق بن بشوس الطليطلي ألف كتابا في " التصاريف " وداود بن هاجر من غرناطة ألف كتابا في  
" الحركات " وليفي بن تيان من سرقسطة ألف كتابا بعنوان " المفتاح " وابن داود حيث حقق في العلاقة  
النحوية بين العربية والعبرية في كتابه " الموازنة " <sup>(2)</sup> .

كما ظهر النثر العربي تأثرا بالنثر العربي حيث احتوى على القصص الشعبي والأساطير والخرافات  
والأمثال مثله مثل النثر العربي، ومن أشهر كتب القصص التي ألفها اليهود في القرن الثاني عشر، كتاب  
" البهجة "، وسمي بهذا الاسم لأنه يحتوي على قصص وأساطير تهيء قارئها وتدخل عليه السرور والمتعة،  
ومؤلفه هو يوسف زيارا (1140م - 1200م)، وإلى جانب القصص والأساطير نجد الحكم والأمثال وهذا  
النوع له أصل في الكتاب المقدس وهو سفر خاص الأمثال وأنواعها<sup>(3)</sup> .

واللون الثالث من ألوان النثر العربي هو ما يسمى بالمقامات، وهي « نوع من الكتابة ابتكره بديع الزمان  
الهمداني، وهي نوع من القصص القصيرة تخيل فيها شخصا من المتسولين يطوف من مكان إلى مكان  
يستجدي الناس بفصاحته وبيانه »<sup>(4)</sup>، وكان لهذا النوع مقلدون من اليهود وأول من ألف فيه سليمان بن  
زقبل في القرن الثاني والثالث عشر، والثاني هو الشاعر يهودا الحريزي (446هـ - 516هـ / 1024م -  
1121م) في القرن الثاني عشر الميلادي، وقبل أن يؤلف أخذ على عاتقه ترجمة مقامات الحريري إلى العبرية  
وهذا ليتمرن على الأسلوب العربي<sup>(5)</sup> .

1 - إبراهيم موسى الهنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، (مراجع سابق)، ص 117 - 118 .

2 - المرجع نفسه، ص 15 .

3 - المرجع نفسه، ص 120 - 121 .

4 - المرجع نفسه، ص 127 .

5 - المرجع نفسه، ص 129 .

أما الرياضيات فهي مرتبطة بعلم الفلك ارتباطا وثيقا وكان الاهتمام بها أول الأمر من أجل السنين، وكانت هناك محاولات متفرقة ولم تُؤلف كتباً علمية خاصة بها، وبتواصل اليهود بالثقافة العربية الإسلامية برزت لهم محاولات في هذه الناحية، ومنذ فترة وجودهم بإسبانيا الإسلامية والمغرب بدأت تظهر لهم مؤلفات في الرياضيات والهندسة خاصة، والأمثلة على ذلك العالمين السابقين إبراهيم بن حيا فكان له كتاب في "المساحات والمقاييس" وإبراهيم بن عزرا كتب في الرياضيات ومنها كتاب "الأعداد" وكتاب في "خواص الأعداد العشرة الأولى" وكتاب في "المقاييس الهندسية"<sup>(1)</sup>. وكذلك السموأل بن يحيى (ت 570 هـ / 1174م) له من الكتب في هذا الميدان "رسالة في مسائل حسابية وجبر ومقابلة" و"كتاب القوافي في الحساب الهندي" و"كتاب إعجاز المهندسين" و"كتاب المثلث القائم الزاوية" وغيرها من الكتب في هذا الميدان ذكرها ابن أبي أصيبعة<sup>(2)</sup>، وقد اعتنق الإسلام ولم يرغب والده إسلامه وحاول ثنيه لكنه لم يستطع .

كما صوب اليهود عنايتهم بعلم الفلك، ومن الذين نبغوا في علم الفلك في القرن الحادي عشر والثاني عشر إبراهيم بن حيا الرشلوني (1065م - 1136م)، حيث ألف موسوعة مفقودة في علم الهيئة، والرياضيات، والبصريات والموسيقى، كما ألف في التقويم أقدم رسالة باللغة العبرية باقية إلى الآن<sup>(3)</sup>، كذلك اهتم إبراهيم بن عزرا بعلم الفلك وله عدة تأليف في الفلك والتنجيم منها: كتاب عن الإسطرلاب يسمى "آلة النحاس" وهو عبارة عن ترجمة للفلكي العربي ألبتاني "على جداول الخوارزمي" الفلكي وفي التنجيم "كتاب الولادة" و"كتاب القسمة والتنصيب" بين فيه الحوادث التي تحدث للإنسان بواسطة النجوم<sup>(4)</sup> .

أما الطب الذي كان ضمن العلوم التي امتزجت بالفلسفة ثم انفصلت عنها كما انفصل علم التنجيم، وقد شهد على يد المسلمين تطورا هائلا في المشرق والمغرب، إلا أنه في المغرب كان أكثر تأليفا واكتشافا للأمراض، وقد سارع اليهود إلى الاهتمام والعمل به فتكونت منهم طبقة كبيرة وأصبحوا مضرب المثل،

1 - إبراهيم موسى الهنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، (مرجع سابق)، ص 174 .

2 - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق . نزار رضا، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، [د، ت]، ص 472 .

3 - ول ديبرانت، قصة الحضارة، مج 04، ج 03، ص 110 .

4 - إبراهيم موسى الهنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 171-172 .

في الممارسة ودقة العلاج، وكان في المغرب الإسلامي كثير من الأطباء اليهود من بينهم موسى بن ميمون - هو أشهرهم - الذي مارس الطب لما كان بالأندلس وحتى بعد خروجه منها، وله فيه عدة رسائل شرحا وتعليقا وتأليفا، وكذلك يهودا اللاوي وإبراهيم بن عزرا في طليطلة وإلياس بن المدور في برشلونة، لكن غالبية الذين برزوا في الطب كانوا قبل الفترة التي ظهر فيها موسى بن ميمون<sup>(1)</sup>، وخاصة في ظل الحكم الأموي والفاطمي .

لم تكن الأندلس والمغرب بعيدتين عن الحركة الفكرية التي نشأت في المشرق، وقد انتقلت إليهما بعد الفتح الإسلامي، وذلك بسبب نزوح بعض علماء المشرق إلى الديار الأندلسية والمغربية أو لذهاب طلاب تلك الديار إلى المشرق طلبا للعلم، مثلما حدث مع المهدي بن تومرت ولما رجعوا نشروا آراءه - المشرق - في الأندلس والمغرب، ونظرا لأن المشرق يعج بمركات فكرية ومذهبية، انتقل ذلك الوعاء إلى الأندلس والمغرب، وكان من ضمن الفرق التي ظهرت المعتزلة والأشاعرة، ولم يقتصر ظهور الفرقين بين مسلمي الأندلس والمغرب بل تعداه إلى اليهود وغيرهم، وقد أخذ علماء اليهود بآراء الفرقين، وذلك ليعزروا بما تفسيرا لهم للتوراة وللدفاع عنها من الذين أساءوا فهمها، وكانت فيهما فرقان الربانية والقرائية فأخذتا بآراء فرقتي الإسلام وسارتا على نهجهما في عظام الأمور وصغائرها وحتى في طريقة جدالهما، ولهذا قال الشهرستاني عنهما: «أما القول بالقدر فهم مختلفون فيه حسب اختلاف الفرقين في الإسلام، فالربانية كالمعتزلة والقرائية كالمجيرة والمشبهة»<sup>(2)</sup>.

لقد انعكس الفكر الإسلامي على اليهود من خلال هاتين الفرقين - الربانية والقرائية - باتباع مناهج المعتزلة في القياس والجدال، وقد برزت فرقة المتكلمين من الربانيين مع سعديا الفيومي (ت942م) في المشرق ثم انتقلت إلى إسبانيا الإسلامية والمغرب ولهذا نجد لها صدى وتأثير - إيجابا وسلبا - عند موسى بن ميمون، في كتابه " دلالة الحائرين "، في الصفحات: 162 و 182 إلى 185 و 211 إلى 228. وفي الجزء الثاني ص 316 . حيث يرد عن المتكلمين ويفند طرقهم، كما يبين لنا أثر الفكر الإسلامي على اليهود، فيقول في الجزء الأول فصل 71: «أما هذا التزم اليسير الذي نجد من الكلام في معنى التوحيد وما يتعلق بهذا المعنى ببعض العلماء وعند القرائين فهي أمور أخذوها عن المتكلمين من الإسلام وهي نزرده جدا بالنسبة

1 - إبراهيم موسى الخنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، (مرجع سابق)، ص 179.

2 - الشهرستاني، الملل والنحل. فده له صدقي جميل العطار: ص 02. بيروت، دار الفكر، 2002م، ص 172.

إلى ما ألقه علماء الإسلام في ذلك، واتفق أيضا أن أول ابتداء الإسلام بهذه الطريقة كانت فرقة ما، وهي المعتزلة فأخذ عنهم أصحابنا ما أخذوا وسلكوا في طريقهم، وبعد ذلك بمدة حدثت في الإسلام فرقة أخرى، وهم الأشعرية، وحدثت لهم آراء أخرى، لا تجد عند أصحابنا من تلك الآراء شيئا لا لأنهم اختاروا الرأي الأول على الرأي الثاني بل لما اتفق أن أخذوا الرأي الأول وقبلوه أمرا برهانيا..»<sup>(1)</sup>.

وقد تحدث ابن ميمون مطولا عن فرق الإسلام من معتزلة وأشعرية وعرض مقدمات المعتزلة في الصفحات 179 إلى 228 ج 01. وهذا يدل دلالة واضحة على أنه درس المذاهب الكلامية دراسة عميقة بما فيها الفلسفة .

وقد كانت أفكار المعتزلة تدور بين الفرقتين اليهوديتين، وإن كان القراؤون هم أكثر استمساكا بآراء المعتزلة وقد نبغ فيهم كثير من العلماء في الشرق أما في الغرب فقليل، ومن اليهود المغاربة الذين تأثروا بالفكر المعتزلي الإسلامي نسيم بن يعقوب القيرواني عاش في القرن العاشر والحادي عشر، له كتاب "مفتاح مقاليد التلمود" كتيبه بالعربية وهو ذو اتجاهات أفلاطونية<sup>(2)</sup>. أما اليهود الذين تأثروا بمنهج الأشاعرة فقليل كذلك، منهم يوسف بن صديق (ت 1149م) فهو يعد من دائرة الثقافة الإسلامية<sup>(3)</sup>. وهذا نجد المستشرق اليهودي إسرائيل ولفنسون يقلل من تأثير المتكلمين المسلمين على يهود المغرب قائلا: «وإذا كان يهود الشرق قد تأثروا بالفرق الإسلامية، فإن الأندية العلمية اليهودية في المغرب والأندلس تخصصت منها لأهمها كانت قد اندفعت إلى الفلسفة الأرسطاليسية قبل كل شيء»<sup>(4)</sup>.

كما انتقلت إلى الوسط اليهودي تأثير الفلسفة الإسلامية وذلك عن طريق دراسة كتب فلاسفة المسلمين وأحيانا بالاتصال المباشر بهم، على الرغم أن الديانة اليهودية ديانة تدعو إلى صفاء النفس والابتعاد عن الوثنية، والالتزام بتعاليم التوراة والتلمود، وتدعو معتنقيها من العلماء والحكماء إلى عدم التفكير في أمور أكثر من طاقة الإنسان، لكي لا تتزعزع ثقة الناس في تعاليم التوراة والتلمود، والواقع أن كتبهم المقدسة تستغني عن البراهين العقلية لأنها تميل في بنائها على التجربة التاريخية. واستمرت حال الانغلاق قرون عديدة ولم ينشأ في اليهود رجال أطلقوا عنانهم للتفكير والتأمل الفلسفي. ويذكر عني سامي

1 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ترجمة حسين آتاي، (مصدر سابق)، ص 180 .

2 - عبد المنعم الحفني، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ص 41 .

3 - المرجع نفسه، ص 32 .

4 - المرجع نفسه، ص 33 .

النشار وعباس الشريبي، إن مونك (munk)، وهو كبير المستشرقين اليهودي يصرح بذلك قائلاً: « لم يوجد في كتبهم - اليهود - أي أثر لهذه التأملات الميتافيزيقية التي نجدها لدى المنود أو اليونان ولم تكن لهم فلسفة بالمعنى الذي نطلقه على هذه الكلمة، إن الموسوية في جانبها النظري لا تقدم لنا أفكاراً لاهوتياً علمياً ولا أي مذهب فلسفي، ولكنها تقدم لنا مذهباً دينياً يضع الوحي كأساس لها»<sup>(1)</sup>.

ولما انتقلت الحركة الفكرية إلى بلاد إسبانيا الإسلامية والمغرب، تأثر يهود هذه المناطق بما عند المسلمين من علوم وفلسفات، وقد وجد الفلاسفة اليهود أنفسهم - نتيجة للحراك الفلسفي المنتشر بينهم ولا يستطيعون رده - أنهم منقسمون إلى نمطين تفكير جد متباينين: أحدهما مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالكتاب المقدس والتلمود، ويعتمد على التجربة التاريخية (النقل). والآخر مرتبط بالفلسفة الإغريقية (العقل) حيث يولي أهمية جوهرية إلى التصور المحض (الفكرة الصرفة)، وهو الأمر الذي جعل الفكر اليهودي ينقسم على نفسه ويتفرع إلى تيارين أو لنقل إلى اتجاهين<sup>(2)</sup>:

يطلق على الاتجاه الأول الأفلاطونية المحدثه، أو صاحبة التجربة التاريخية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالكتاب المقدس والتلمود، وكان يمثلها يهودا هاليفي " HalLévi " (1085م - 1140م)، حيث يعلن صراحة أنه ضد الفلسفة والفلاسفة، والفلسفة عنده لا تعطي أقل اليقين، وأنها لا حاجة للاجتهاد فيها لبيان اتفاقها مع الدين أو معارضتها له. وهو يدين بالكثير - من الناحية التاريخية - إلى النقد الذي مارسه الغزالي ضد الفلسفة. وهذا الاتجاه كان متأثراً إلى حد كبير بالفيلسوف المسلم ابن مسرّة (ت 1318 هـ / 931م)، وكذلك ممن كان ضمن هذا الاتجاه يوسف بن صديق (ت 1149م)، وقد كتب بالعربية مؤلفاً في المنطق، لم يبق منه سوى عنوانه، ومؤلفاً نصف فلسفي ونصف لاهوتي تحت عنوان "العالم الصغير"<sup>(3)</sup>، وكذلك إبراهيم بن عزرا (ت 1167م)، وقد عرف بأنه نحوي وشارح للكتاب المقدس وعالم فلكي، ولم يؤلف إبراهيم بن عزرا مؤلفات كثيرة سوى كتابين له: الأول "أسماء الله" والثاني "كتاب أساس الخوف"<sup>(4)</sup>.

أما الاتجاه الثاني المرتبط بالفلسفة الأرسطاليسية المشائية أو العقلانية وكان يمثل عدد من الفلاسفة منهم

1 - علي سامي النشار وعباس أحمد الشريبي، الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية، ط 01، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1972م، ص 04 - 05 .

2 - Charles Touati, prophètes talmudistes philosophes, Paris, les éditions du cerf, 1990, P123 .

3 - المرجع السابق، ص 167.

4 - المرجع نفسه، ص 174.

إبراهيم بن داود (ت1180م) وقد ألف كتابه " العقيدة الرفيعة " باللغة العربية، وهو صورة من فلسفة ابن سينا، ويعد أول محاولة يهودية في التأليف للفلسفة، حيث تغلب فيه الفلسفة المشائية في صورتها الإسلامية، وقد مهد بمؤلفه ذلك لمن يأتي بعده للتوفيق بين الدين اليهودي وأرسطو، والفلسفة عنده كما عند ابن سينا لا تتعارض مع الدين<sup>(1)</sup>.

وكذلك موسى بن ميمون (ت1204م) وهو أعظم مفكر يهودي ظهر في القرن الوسيط، وله مؤلف فلسفي ضخيم هو " دلالة الحائرين " الذي أهده إلى أحد تلاميذه المقربين إليه وهو يوسف بن يهوذا ابن عقنن الذي رافقه مدة طويلة<sup>(2)</sup>، وابن ميمون يولي أهمية للأفكار المحضة أكثر مما يولي للحدث التاريخي، ولناخذ على سبيل المثال: نظريته في النبوة ومفهومها، ففي نظره أن النبي يقوم بإدراك الفكرة أو التصور المحض بقوة عقله الثاقبة، ثم يشيعها إلى الملا على شكل مجاز رمزي<sup>(3)</sup>.

وإبراهيم بن حيار (ت نحو1136م) وتظهر فلسفته في كتابه "بجلة المحلى" و" تأمل النفس العزوفة"<sup>(4)</sup>، ونسيم بن يعقوب القيرواني له مؤلف " مفتاح مغاليق القلوب " بالعربية وهو ذو اتجاهات افلاطونية<sup>(5)</sup>.

كما وجدت حركة صوفية وإن كان كُتِّب اليهود يرجعونها إلى أقدم العصور، وذلك إلى الذاكرة والخيال وإبداعات عصر الكتاب المقدس، بل وإلى أبعد من ذلك . متمثلة في النبوة نفسها، وما أتت به من وحي، وكذا أشهر ممثليها من الأنبياء، كإبراهيم وموسى عليهما السلام، وحزقيال وإيلي، بالإضافة إلى رؤى أنبياء آخرين ( صغاراً أو كباراً)، والسفرات المقدسة إلى السماء لبعض الشخصيات الأخرى المنتمية سواء للكتاب المقدس أو للأسطورة اليهودية، مثل " حينوش " الذي رفع من الأرض وحمل إلى السماء .

لقد كانت قصص السفرات هذه إلى العالم الآخر والقصص الأخرى لرؤى العالم، محل دراسة وتحليل وتبلورت فيما بعد إلى أدب خصص في بادئ الأمر، وفي الإسلام والمسيحية هناك معراج محمد ﷺ وكذلك الصعود إلى العالم الآخر الذي تحدث عنه الرسول (بولس) في الرسائل الثانية للإغريق<sup>(6)</sup>.

1 - عبد المنعم الحفني، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، (مرجع سابق)، ص30 .

2 - Haïm Zafrani, **Juifs d'Andalousie et du Maghreb**, Paris, Maisonneuve et Larose, 1996, P 49 .

3 - Charles Touati, **Prophètes Talmudistes Philosophes**. P123 .

4 - عند المنعم الحفني، الموسوعة النقدية في الفلسفة اليهودية، ص30 .

5 - المرجع نفسه، ص41 .

6 - Haïm Zafrani, **juifs d'Andalousie et du Maghreb**. P148 .

وقد انتشر في الفترة ما بين القرن الأول بعد الميلاد، كتاب من الكتب ذات الأسرار الخفية في بابل، يعرف باسم "سفر بصيرا"، أي كتاب الخلق، وكان الأتقياء من المتصوفة يقولون إن واضعه إبراهيم أو الله<sup>(1)</sup>، وهو يحكي قصة الخلق ومما جاء فيه « إن عملية الخلق قدمت بواسطة عشرة سفروثات (Sefiroth) أعداد أو أصول »<sup>(2)</sup>.

وقد شهدت القرون الوسطى ازدهار التعليم الصوفي في أوساط الشعب الإسرائيلي وشكل اتجاه ما يسمى بالقبالة<sup>(3)</sup>.

ويعود الفضل للمدرسة الصوفية في كونها تحتضن عددا معتبرا من الناسكين والصوفيين الذين يمارسون شكلا معيناً من الروحانية والتي نقلوها فيما بعد للثقافة اليهودية، وكذلك إلى الأخلاقيات التي تدرج ضمن اللغة العربية في بادئ الأمر، ثم شملت الترجمة العبرية فيما بعد وكذلك اللغة المحلية، ومن هؤلاء باهي فاقودة وإبراهيم أبو العافية وإبراهيم عوباديا وأبناء وأحفاد موسى بن ميمون فيما بعد<sup>(4)</sup>، إن من شأن دروس ابن عربي والممارسات الصوفية في الأندلس أن تتقارب من عدة أوجه، أين توجد تلك الممارسات الروحانية الباطنية، سواء "المسلمة أو اليهودية".

لقد كانت لتعاليم الغزالي ذلك التأثير الكبير على الحياة الفكرية سواء في المشرق أو في المغرب، واعتبار أن التجربة الصوفية القائمة على الذوق والمكاشفة هي بمثابة ذلك المثال الذي يحتذى به، وقد انحصر هذا التأثير في مستويين اثنين بالإضافة إلى أنه يشمل مرحلتين، على امتداد القرنين 12م و 13م حيث شمل هذا التأثير مؤلفي وكتاب اليهود باللغة العبرية، وعلى سبيل أمثال نذكر مايلي: يهودا هاليفي الذي يعتبر من أول المتأثرين<sup>(5)</sup>.

1 - Alan Unterman, **dictionnaire du judaïsme**, Paris, thomas et Hudson, 1997, P264.

2 - ول ديورانت، قصة الحضارة، مج 04، ج 03، ص 137.

3 - وتعني تقليد، يسمى كتابها " الزهار Zohar " وهو الذي يُقدم بعد اشوراة والتلمود ككتاب ثالث وينسب ذلك الكتاب للحاخام ( SIMEN BAR. YOHAI ) الذي عاش في القرن الثاني في الأرض المقدسة، والحقيقة أن مؤلف الزهار هو موسى الليوني ( MOÏSE DE LEON 1250م - 1305م ) و الزهار كتاب ضخم وهو يحتوي على اللاهوت الصوفي اليهودي والغاية منه وصف الحياة الباطنية لله واتجاه الإنسان نحو لوحدة الصوفية .

J, N, Dumont des 'auteurs. **Révélation et Tradition**, Paris, Droguet et Ardant, fayard, 1983, P23 .

4 - Haïm Zafrani, **juifs d'Andalousie et du Maghreb**. P155 .

5 - Haïm Zafrani, **Loc,cit** .



لقد كان تأثير الغزالي على مفكري اليهود الذين يكتبون باللغتين العبرية والعربية خلال هذه الفترة - القرون الوسطى - من العصر الذهبي الإسلامي اليهودي ذا أهمية كبيرة إلى غاية القرن 15م، واستمر ذلك إلى غاية عصرنا الحالي عند معظم الطبقات اليهودية المثقفة، وأيضاً خلال الكتابات التي تطرقت إلى الصوفية وإلى الأخلاقيات، والتي اضطلع القيام بهذه المهمة هو يهودا هاليفي عن طريق كتاباته، وعن طريق التأثير الذي مارسه على الروحانية اليهودية من خلال التعليم الذي لعب فيه الزهد الإسلامي دوراً كبيراً، برز هذا اليهودي الأندلسي باهي بن فاودة في النصف الثاني من القرن الحادي عشر، والذي استمر بمؤلفه "كتاب الهداية إلى فرائض القلوب" والذي أصبح كتاب زهد ذا شعبية منقطعة النظير داخل المجتمعات اليهودية في المشرق والمغرب .

إن السلسلة الأدبية والأفكار اليهودية التي قام باهي بتطويرها وعمل على تحليلها من خلال النص الزهدي، جميعها ينتهي في نظريته الروحية إلى مذهب الصوفية، وهذا يعني حتى إلى تأثيره بالزهد الإسلامي . لقد استخدم باهي في نظريته الروحية أساليب ومكونات إسلامية، بالرغم من أنه كان قادراً على إيجاد بدائل أخرى حتى تلك التي تنتهي إلى عرفه الديني الأصلي، مقتبساً بذلك من مذهب الزهد الإسلامي، خط السير الذي يؤدي بالروح إلى حب رباني طاهر، وأيضاً إلى الاتحاد مع النور السماوي المقدس<sup>(1)</sup>. وقد حوكم باهي من طرف الربانيين لميوله الإسلامية الظاهرة في كتاباته وفي اتجاهاته الصوفية الإسلامية، ونقده للأحبار لاهتمامهم بالشعائر الظاهرة والتي يسميها الفرائض الجسمانية<sup>(2)</sup>.

من شأن تعليم ودراسة الأعمال المكتوبة من طرف مؤلفين آخرين منحدرين من أصول إسلامية مغربية أن توحى بحالة التشبع القصوى التي بلغها الزهد الإسلامي، الذي يحمل الطابع المختلط، ونقصد بذلك الطابع الديني والفلسفي ومن بين هذه التفاسير نذكر "تفسير الكنيست" والذي حمل عنوان الزهد المنسوب إلى إسحاق بن غيات، وهو معاصر لباهي وأيضاً هناك نشيد الأناشيد لمؤلفه المغربي يوسف بن عقين (وهو غير موسى بن عقين تلميذ موسى بن ميمون)<sup>(3)</sup> والذي يعتبر معاصراً لموسى بن ميمون، حمل عنوان "انكشاف الأسرار وظهور الأنوار"<sup>(4)</sup>، يفلسف به نشيد الإنشاد على طريقة أهل الباطن، ويقول: « إنه

1 - Haïm Zafrani, *juifs d'Andalousie et du Maghreb*, P157 .

2 - عبد المنعم الحفني، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ص 34 .

3 - المرجع نفسه، ص 143 .

4 - Haïm Zafrani, *juifs d'Andalousie et du Maghreb*, P158 .

أشواق النفس العاقلة إلى العقل الكلي للرجوع إليه والاتحاد به»<sup>(1)</sup> .

كما تعدى أثر القباله الصوفية حتى إلى مجال التفسير " مستخدمين طريقة حساب الحمل أو تبديل حروف الكلمة وكان من أشهر من فسر ذلك موسى بن نحمان ( Nahmanide ) وكان الهدف الذي يسعى إليه المفسر الصوفي هو أن يجعل للنص معنى أزليا وأن يبرهن على أن كل قراءة جديدة فيه وكل كشف جديد إنما هو وحي جديد للنص وإثبات عودة أزلية ويهودية المعاني إلى الله وحده<sup>(2)</sup>، ولم يخل فكر موسى بن ميمون من الباطنية حيث تظهر فيه عناصر الزهد الفلسفي وبصفة خاصة في الصفحات الأخيرة من دلالة الحائرين<sup>(3)</sup> .

ونظرا لتأثير الثقافة الإسلامية على اليهود قام هؤلاء بترجمة كتب علماء وفلاسفة المسلمين إلى اللغات الأخرى كالعبرية وغيرها من اللغات الأوروبية، ويعتبر المترجمون هم الوسيط بين الشعوب والمجتمعات التي اختلفت في اللغات، وكانت الترجمات في العصور الوسطى وتحديدا في إسبانيا الإسلامية والمغرب، ولقد لعبت الأولى دورا خطيرا في القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وذلك في نقل الثقافة العربية الإسلامية إلى أوروبا عن طريق اليهود، وخاصة في الفلسفة والطب والفلك والرياضيات، وكان يهود إسبانيا والمغرب على اتصال بالفكر العربي، حيث سرّبوا الحركة الفكرية إلى الأندلس، ويظهر لنا جهد اليهود الفكري في ظاهرتين :

**الأولى :** ترجمة التراث العربي الإسلامي إلى العبرية واللغة الإسبانية، والاستفادة منه في مؤلفاتهم. وقد ازدهرت الترجمة على أيديهم واتخذها كثير من اليهود حرفة، فقد وجدوا تشجيعا من الرؤساء . وكانت أقدم الترجمات من العبرية إلى العربية ويرجع تاريخها إلى القرن الحادي عشر، قام بها إسحاق بن رويين البرجلوني في سنة (1078م). والترجمة عبارة عن مقالة للعالم حاي في البيع والشراء عند اليهود<sup>(4)</sup> .

وفي بداية القرن الثاني عشر ترجم موسى بن صمويل بن جيكايتيلا كتابي أبي زكريا حيسوج وهما "الأفعال ذوات حروف اللين" و"الأفعال ذوات المثلين". ومن النصف الأول للقرن الثاني عشر كانت هناك

1 - عبد انعم اخفي، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، (مرجع سابق)، ص143.

2 - عبد الرزاق قنديل، الأثر الإسلامي في الفكر اليهودي، القاهرة، دار التراث بالاشتراك مع مركز بحوث الشرق الأوسط، 1984م، ص139.

3 - Haïm Zafrani, *juifs d'Andalousie et du Maghreb*, P158 .

4 - دائرة المعارف اليهودية، ج12. نقل عن: إبراهيم موسى مهنوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص184.

ترجمات أو على الأقل مقتطفات من كتاب "الأمانات والاعتقادات" لسعديا الفيومي<sup>(1)</sup>، وترجمة شرحه على سفر التكوين قام بها موسى بن يوسف الأليساني، وحوالي منتصف القرن ترجم ابراهام بن عزرا<sup>(2)</sup> مؤلفات حيوج النحوية .

كما ترجم يهودا بن تيون (1120م - 1190م) في سنة (1161م)، جزء من كتاب " الهداية إلى فرائض القلوب " ليحيى بن يوسف بن فاوودة<sup>(3)</sup>. ويعتبره يهودا أب المترجمين في عصره لأنه جعل حياته كلها في نقل التراث العربي إلى العبري، وكان أكثر المترجمين إنتاجا وتدقيقا، وقد عاب أهل زمانه من المنشغلين بالترجمة لكثرة أخطائهم وذلك بسبب عدم معرفتهم الشاملة باللغات .

بعد ذلك قام يوسف قمحي من أسرة قمحي التي هاجرت إلى فرنسا بترجمة الكتاب كله<sup>(4)</sup>. كما ترجم يهودا كتاب "إصلاح الأخلاق" لابن جبيرول<sup>(5)</sup>، وكتاب يهودا هاليفي "الحجة والدليل في نصره السدين الضليل" وكتاب "اللمع في النحو العبري"، وكتاب "الأصول" لابن جناح، ونسب إليه أنه ترجم مجموعة أخرى لابن جبيرول تسمى كذلك "مختارات اللؤلؤ"<sup>(6)</sup>.

كما ترجم كتاب الغزالي "ميزان العمل" من طرف أبراهام بن صموئيل بن ليفي بن حسداي صاحب قصة "الأمير والدرراوئش"<sup>(7)</sup>، وكتاب "التفاحة" لارسطو، وكتاب "الإستقصات" لإسحاق الإسرائيلي<sup>(8)</sup>،

1 - سعدية بن يوسف الفيومي (882م - 942م) مصري ولد بالفيوم من أعمال الصعيد وثقافته عريبه و كتابه السابق ألفه بالعربية ويبدو فيه شديد التأثر بالمدرسة الكلامية عند المعتزلة وهو ينحو نحوهم في تفسير التوراة. عبد المنعم الحفني، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، (مرجع سابق)، ص 125 .

2 - ابراهام بن عزرا (1089م - 1164م) إسباني من دائرة الثقافة الإسلامية يعد من فحول الشعراء اليهود يقرض الشعر على الطريقة العربية الأندلسية سواء في البحر أو القافية أو في شكل القصيدة أو المقام، وفلسفته أفلوطونية تنتشر في تفسيراته للتوراة، ومذهبه يقرب كثيرا من مذهب الحلوليين، المرجع نفسه، ص 33 . وينظر أيضا : AlanUnterman

#### Dictionnaire du Judaïsme, PP136 -137

3 - باهي بن يوسف الفاوودة ( النصف الثاني من القرن الحادي عشر ) من دائرة الثقافة الإسلامية، عاش في سرقسطة بالأندلس، وكان قاضي جاليتها اليهودية، ونسب اليه خطأ " كتاب معاني النفس " له كتاب " التنبيه إلى لوازم الضمير " بالعربية قيل هو أول كتاب في الفلسفة اليهودية الأخلاقية. المرجع نفسه، ص 34 .

4 - إبراهيم موسى هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 185 .

5 - سيمان بن جبيرول ( 1021م . 1058م - 1070م) وشهرته أبو أيوب سليمان بن يحيى ويعرفه اللاتينيين باسم Alan Unterman, Dictionnaire du Judaïsme, P137. من دائرة الثقافة الإسلامية

6 - المرجع السابق، ص 186 .

7 - أنجيل حنتالث بالثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 501 .

8 - إسحاق الإسرائيلي (تو 850م - 950م) مصري عاش في القيروان التي كانت آنذاك من أهم المراكز الثقافية الإسلامية =

وكتاب " الوصايا " لموسى بن ميمون، وكتاب " كتيبة ودمنة " لابن المقفع<sup>(1)</sup> .

والثانية : الاضطلاع بدور الناقل للتراث العربي الإسلامي إلى اللغة الإسبانية، حيث لجأ الكثير من اليهود إلى طليطلة بسبب الاضطهاد الذي حل بهم من طرف الموحدين، وكانت مدينة طليطلة في ذلك الوقت تحت حكم الفونسو السابع (1126م-1157م)<sup>(2)</sup>، وكان الذي تولى هذه الحركة في بدايتها الأب ريموندو أسقف طليطلة حيث جمع في معهده بالمدينة عددا كبيرا من أفضل العلماء والمترجمين فدعاهم إلى نقل المعارف الإسلامية إلى اللغة الإسبانية، وكانت عنايتهم موجهة إلى الكتب التي سبق للمسلمين أن نقلوها عن اليونان في مختلف فروع العلم والمعرفة<sup>(3)</sup> .

لم تنته عناية الحكام من النقل إلى الإسبانية بل تعدوها إلى اللاتينية، وكان على رأس المترجمين الأسقف دومينيكوس غوند سيالفني (ويسمى في بعض النصوص غوند يسالينوس (ت1180م) ومن كبار كتيبة طليطلة وأعانه في الترجمة يوحنا بن داود، المعروف بالإشيلي أو الإسباني<sup>(4)</sup>. غير أن الأخير ينقل الكتاب العربي إلى الإسبانية، ثم يتولى الأول نقله إلى اللاتينية، ومن الكتب التي نقلت بهذه الطريقة " كتاب النفس لابن سينا و" مقاصد الفلاسفة " للغزالي وقد كانت طليطلة المركز الرئيسي الذي انتشرت فيه العلوم العربية<sup>(5)</sup> .

وكما قال أحمد أمين: « لقد أثرت الأندلس وغيرها من المدن الإسلامية في العالم الأوروبي بعلومها أكثر مما أثر المشرق، وذلك لقربها من أوروبا، لأنه كان يقصدها كثير من الأوروبيين فيتحققون على العرب ويتعلمون منهم ويشاهدون حركاتهم ويقلدونها في بلادهم فلو قلنا إن الحضارة الأوروبية قامت على أكتاف الحضارة الإسلامية وخاصة الأندلس لم نكن بعيدين عن الصواب »<sup>(6)</sup> .

= في العصر الوسطي، يعتبر أول فيلسوف أفلاطوني محدث في اليهودية، واشتهر كطبيب له كتابين " كتاب العناصر " و" كتاب التعاريف " . عبد المنعم الحنفي، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، (مرجع سابق)، ص47 .

1 - إبراهيم موسى هنداري، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص188 .  
2 - كمال اليازجي وانطوان غطاس كرم. تراث العرب في العلم والفلسفة، ط01، بيروت، دار المكشوف. 1970م. ص737 .

3 - المرجع نفسه، ص741 .

4 - محمد عبد الرحمان مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ط03 الجزائر ديوان المطبوعات الجزائرية. 1983م. ص855 .

5 - كمال اليازجي وانطوان غطاس كرم. أعلام الفلسفة العربية، ط03، بيروت، دار المكشوف، 1968م، ص886 .

6 - أحمد أمين. ظهر الإسلام. ج03، ص34 .

## 2- الحياة الفكرية في فلسطين ومصر:

لم تشر لنا المصادر عن وجود حياة فكرية في فلسطين على غرار ما كانت عليه الأندلس والمغرب، وقد يرجع السبب في ذلك إلى عدم الاستقرار بفعل الحروب الصليبية التي كانت تدور بين المسلمين والمسيحيين وعادة أن أهل المعرفة والعلم تظهر مواهبهم في ظل الهدوء والأمن والاستقرار ولهذا لم تكن أرض فلسطين مهياًة لتنشأ فيها حركة فكرية، سواء من جانب المسلمين أو غيرهم من أمثال الأخرى، وهو ما دعا الفيلسوف اليهودي ابن ميمون لمغادرة فلسطين حيث لم يبق فيها أكثر من سنة .

والناظر في الحياة الفكرية بمصر، في عهد الأيوبيين وهو العصر الذي عاش فيه موسى بن ميمون يجده مزدهراً وخاصة بعدما أنهى صلاح الدين الحروب الصليبية، بعقد صلح بينه وبين ريتشارد قلب الأسد عام (1192م)، تم بمقتضى تلك المعاهدة الاعتراف بسيطرة المسلمين على أرض فلسطين<sup>(1)</sup> .

وقد ساعد على ازدهار الحياة الفكرية رعاية الأمراء لها، فكان صلاح الدين بمجد العنماء ويقربهم إليه، واستمرت الحال هذه في البيت الأيوبي، فكان أخوه "العادل" ميالاً للعلماء فصف له فخر الدين الرازي كتاب "تأسيس التقديس"<sup>(2)</sup> .

ومما ساعد على انتشار الحركة الفكرية في العهد الأيوبي انتشار المدارس بمصر والشام، والغاية من انتشارها هو القضاء على آثار المذهب الشيعي من جهة، وتدعيم المذهب السني من جهة ثانية، ومن تلك المدارس المدرسة الكاملية والصالحية .

واشتهر من أفراد بني أيوب في مختلف دروب المعرفة المؤرخ الشهير أبو الفداء وهو إسماعيل بن علي عماد الدين صاحب حماد(ت732هـ/1231م) وهو صاحب كتاب "المختصر في أخبار البشر" ومنهم بهرام شاد بن فرخشاه صاحب بعلبك(ت628هـ/1231م)، وكان شاعراً أديباً .

وكان الملك الناصر بن الملك المعظم عيسى(ت656هـ/1258م)، مشتغلاً بتحصيل الكتب النفيسة وبجيز الأدباء، والملك المؤيد الأيوبي صاحب اليمن(ت721هـ/1321م) كان من أهل العليم واشتملت خزائنه على مائة ألف مجلد، والملك المعظم عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق(ت624هـ/1227م) وكان راغباً في الأدب وأهله، حتى شرط لكل من يحتفظ "المفصل" للزخشي

1 - أحمد عثمان، تاريخ اليهود. القاهرة، مكتب الشروق، [د، ت]، ج02، ص163.

2 - ابن حنكلا، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس، ط07. بيروت، دارالمنهاج، [د. ت]. ج05، ص76.

أما العزيز الذي خلف أباه صلاح الدين في السلطنة فقد قال عنه ابن خلكان أنه سمع الحديث من الحافظ السلفي والفقير أبي الطاهر بن عوف الزهري وسمع بمصر من العلامة أبي محمد بن بري النحوي وغيرهم<sup>(2)</sup> .

كذلك ظهر تقدير سلاطين بني أيوب للعلم في عنايتهم بالمكتبات وأهمها المكتبة التي عناها السلطان الكامل بالقلعة وكانت في الأصل تؤلف مكتبة القاضي الفاضل ثم أمر السلطان الكامل بوضع اليد عليها ونقلها إلى القلعة لتصبح نواة مكتبة كبرى ضمت آلاف المجلدات وتم نقلها إلى القلعة سنة (626هـ)<sup>(3)</sup> .

والواقع أن الأيوبيين عندما أدخلوا نظام المدارس في مصر، لم يكونوا مبتكرين وإنما كانوا محاكين لما شاهدوا وسمعوا به في الدولة العباسية قبل حضورهم إلى مصر، ذلك أنه من أبرز سمات الحياة العلمية في العصر العباسي الثاني ظاهرة انتشار المدارس، وخاصة بعد أن أسس نظام الملك وزير السلطات الملك شاه السلجوقي المدرسة السلجوقية في بغداد<sup>(4)</sup> .

ومهما يقال عن صلاح الدين من أنه قصد بإنشاء المدارس محاربة المذهب الشيعي ونشر تعاليم المذهب السني، فإن التوسع في إنشاء المدارس في حد ذاته كان تعبيرا قويا لرقى الحياة الفكرية في عصر الأيوبيين وقد بدأ صلاح الدين بإنشاء مدرستين في حياة الخليفة العاضد الفاطمي، إذ يرى ابن الأثير أنه كانت توجد دار تسمى دار المعونة يحبس فيها من يراد حبسه، فهدمها صلاح الدين وبني فيها مدرسة سنة (566هـ) .

وقد نشطت الحياة الأدبية في عصر الأيوبيين، وإن كانت الأحداث التي مرت بالعالم الإسلامي في الشرق الأدنى - وخاصة ما أصاب المسلمين على أيدي الصليبيين - قد صبغت الأدب صبغة خاصة فكسدت سوق الشعر واتجهت القرائح إلى الأدعية ومدح النبي ﷺ، وينقل لئل ياقوت الحموي أن من أشهر شعراء مصر في العصر الأيوبي ابن سناء الملك المصري (ت608هـ / 1211م) وقد استكثر من الموشحات وأجاد فيها، وكمال الدين ابن النبيه المصري (ت619هـ / 1222م) وابن شمس الخلافة (ت622هـ /

1 - جورجى زيدان، تاريخ أدب اللغة العربية، الجزائر، الأونيس موف، للنشر، 1993م، ج 02، ص 14.

2 - ابن خلكان، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج 02، ص 315.

3 - سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمالِك بمصر والشام، ص 153.

4 - المرجع السابق، ج 01، ص 396.

1235م) وعمر بن الفارض(ت632هـ / 1235م) وقد اتصف شعره بمسحه واضحة من التصوف،  
وجمال الدين بن مطروح(ت649هـ / 1251م)<sup>(1)</sup> .

أما النثر في ذلك العصر فقد اتصف بإتقان الصناعة اللفظية والتفنن في البديع والجناس والسجع والمبالغة  
في الترميق كما يبدو ذلك في كتابات عماد الدين الأصفهاني وخاصة كتابه "الفتح القصي" الذي أرخ فيه  
لاستيلاء صلاح الدين على بيت المقدس ومن أعلام النثر في ذلك العصر القاضي الفاضل(ت596هـ /  
200م) وكان وزير صلاح الدين عنى بيت المقدس وكتب عددا ضخما من الرسائل وشهد العصر الأيوبي  
كذلك نشاطا في علوم اللغة وخاصة النحو والصرف واشتهر من علماء اللغة أبو محمد بن ري (ت581هـ  
/ 1185م)، وأبو الفتح البلطي(ت596هـ / 1200م)، وابن عبد المعطي الزواوي (ت628هـ /  
1231م)<sup>(2)</sup> .

أما عن التاريخ فقد شهد نشاطا كبيرا في العصر الأيوبي حيث اتجه بعض المؤرخين بكتابة بعض  
الموسوعات في تاريخ الدولة الإسلامية واتجه آخرون نحو شروح تراجم العظماء وتدوين مآثرهم في حين  
عنى القسم الأكبر من المؤرخين بذكر أحداث الصراع بين المسلمين والصليبيين ومن مؤرخي ذلك العصر  
أبو على الجواني المصري(ت588هـ / 1263م) وله شجرة رسول الله ﷺ في النسب النبوي والملك المعظم  
عيسى الأيوبي(ت639هـ / 1241م)، وبهاء الدين شداد صاحب سيرة صلاح الدين المعروفة بـ"النوادر  
السلطانية"(ت632هـ / 1235م)، وشهاب الدين أبو شامة(ت665هـ / 1267م) صاحب  
كتاب "الروضتين"، وابن ظاهر الأزدي(ت613هـ / 1216م) صاحب كتاب "الدول المنقطعة"، وجمال  
الدين القفطي(ت646هـ / 1248م) صاحب "أخبار العلماء بأخبار الحكماء" هذا بالإضافة إلى أبي  
صالح الأرميني وابن عساكر الدمشقي وغيرهما كثير<sup>(3)</sup> .

كما كانت في مصر حركة صوفية قوية من كبار شيوخها أحمد البغدادي(ت675هـ)، والذي  
استطاع أن يؤسس طريقة عرفت "بانطريقة الأحمدية"، وكذلك الشيخ إبراهيم الدسوقي(ت676هـ)  
مؤسس "الطريقة البرهانية" وأبو الخجاج الأقبصري(ت642هـ)، ولم تعد مصر في هذا العصر من

1 - نقلا عن: سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك بمصر والشام، (مرجع سابق)، ص160.

2 - جورج زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج03، ص55 - 56 .

3 - المرجع السابق، ص161.

متصوفة قائلين بمذهب الحلول والوحدة، ولعل أشهرهم عمر بن الفارض (1).

كما كان اليهود يعيشون في أمن وهدوء، بسبب التسامح الذي أبداه صلاح الدين الأيوبي اتجاههم، عكس ما كانوا عليه في المغرب وأندلس، حيث كانوا يثنون تحت نير الإضطهادات الدينية القاسية، وكان صلاح الدين يعامل جميع الطوائف بالرفق والعدل (2).

ولم تذكر لنا المصادر عن الحياة الفكرية اليهودية في مصر في عهد الأيوبيين وقبله شيئا مهما في جميع الفنون، ماعدا حالة الأدب والطب، على الرغم من تحسن أحوال يهود مصر بعد قيام الدولة الفاطمية، وأدى ذلك إلى زيادة أعدادهم نتيجة لهجرة الكثيرين منهم إلى داخل البلاد (3).

وقد استخدم اليهود في مصر لغتين احدهما العربية والأخرى اليهودية والواضح أن اللغة العربية كانت هي لغة الحياة اليومية، لأنه لم يحدث منذ القرون المسيحية الأولى أن كانت اللغة العبرية هي لغة محكية، وظلت اللغة العبرية مرتبطة إلى حد كبير بالتراث الديني والعقدي لدى اليهود، بيد أنه من المهم أن نلاحظ أن كثيرا من الكتابات الدينية لأحبار اليهود وعلمائهم في مصر كتبت باللغة العربية (4).

وكل ما وصلنا من إنتاج شعراء يهود تلك الفترة كان مكتوبا باللغة العربية وكذلك معظم الإنتاج النثري، وفيما عدا بعض التعبيرات والمفردات الخاصة التي وجدت طريقها إلى اللغة العربية. وقد استخدم اليهود اللغة العربية حتى في شروح التوراة وفي التعليق على التلمود، وفي رأي بعض الباحثين أن السبب في ذلك يرجع إلى أن الكتابة باللغة العربية في ذلك الوقت كانت هي الممارسة الطبيعية والأقل جهدا، كذلك أن اللغة في المؤلفات العلمية - في رأي الباحث - لا تحمل مفهوما إيديولوجيا، كما هو الحال في الإبداع الفني مثل الشعر، إلا أننا يجب أن نضع في اعتبارنا الأسباب المباشرة لتلك الظاهرة تكمن في حقيقة تسويد اللغة العربية في ذلك الحين من جهة، ورغبة المؤلف في أن ينتشر لدى جمهور عريض لدى القراء من جهة أخرى، فقد كان اليهود مصريين شأهم شأن المسلمين والمسيحيين، وكانت اللغة العربية لغتهم ومن ثم كان طبيعيا لمن يوجه كتاباته إليهم أن يكتبها باللغة العربية، كما أن لدينا دليلا قويا على تسويد اللغة العربية بين

1 - فرحات عبد الوهاب، أبي الحسن الشاذلي حياته ومدسته في التصوف، رسالة ماجستير بإشراف الدكتور: بشر بوجنانة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، معهد الدعوة وأصول الدين، 1994م-1995م، ص 29.

2 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته. ط 01، القاهرة، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، 1936م. ص 16.

3 - قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر، ص 17.

4 - المرجع نفسه والصفحة .



يهود مصر في ذلك الحين، يتمثل في وثائق الجينيز التي كتبت باللغة العربية ولكن بحروف عبرية أو بعبارة أخرى كتبت باللغة العربية اليهودية التي كانت لغة يهود مصر<sup>(1)</sup>.

ومن أهم خصائص الثقافة العربية دور الشعر فيها وقد ساهم اليهود المصريون في كتابة الشعر في نفس الأغراض التي كتب فيها الشعراء المسلمون والنصارى، فقد كان قرص الشعر والاستماع إليه بالنسبة لهم وسيلة للتعبير عن مشاعرهم من ناحية، وممارسة ثقافية من جهة أخرى، كذلك كانوا يعتبرون الشعر تسلية ووسيلة دعائية، فقد كان كل حادث في الحياة الخاصة أو العامة يعتبر مناسبة لقصيدة، وكان أولئك الذين لا يملكون موهبة الشعراء ينتحلون أشعار المشهورين من شعراء زمانهم، وفي هذا لا نجد أية خصوصية للشعراء اليهود بحيث نميزهم عن غيرهم من المصريين<sup>(2)</sup>.

ونحن لا نستطيع أن نوافق على عبارات مثل "الشعر اليهودي" و"الأدب اليهودي" أو ما شابه ذلك من عبارات يستخدمها الكتاب والباحثون اليهود حاليا وهم يتحدثون عن اليهود الذين عاشوا في رحاب الحضارة العربية الإسلامية في مصر وغيرها، فالشعر والأدب الذي كتبه اليهود المصريون في ذلك الزمان يعد شعرا وأدبا مصرياً عربياً سواء من حيث لغته أو مضمونه أو غرضه، ولا يمكن أن تنسب ثقافة إلى دين ما متجاهلين حقائق التفاعل الاقتصادي والاجتماعي والفكري، التي تتشكل مع البيئة والتاريخ المشترك، ما نسميه الثقافة العامة للمجتمع<sup>(3)</sup>.

كما برز اليهود في الطب وكان من أشهر أطبائهم في ذاك العصر الموفق بن شوعة (ت579هـ) الذي جمع بين المعرفة في الطب الباطني، وطب العيون، والجراحة، وأيضا أبو الفضل بن الناقد<sup>(4)</sup>، الذي كان عالماً ذائع الصيت في مجال الطب الباطني والكحل، وكان الطلبة وتلاميذه يقرؤون عليه أكثر أوقاته، وهو راكب وأثناء سيره، وخلال زيارته التي يعود فيها مرضاه ويتفقد أحوالهم، وكان ابنه أبو الفرج طبيبا ناجحا وقد اعتنق الإسلام<sup>(5)</sup>.

كما برز صاحبنا موسى بن ميمون الذي قدم من الأندلس فارا بدينه من اضطهاد الموحدين، واستقر

1 - قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر، (مرجع سابق)، ص122.

2 - المرجع نفسه، ص123.

3 - المرجع نفسه، ص124.

4 - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص581.

5 - المرجع نفسه، ص583.

بالفسطاط وقد شمله القاضي الفاضل البيساني وزير صلاح الدين برعايته، وقد جعله هذا الأخير وولده من بعده طبيبا خاصا في البلاط<sup>(1)</sup>.

ومن الأطباء كذلك أبو البركات بن شعيا واسعد الدين يعقوب بن إسحاق وأبو الفضل داود بن سليمان بن مبارك الذي ولد بالقاهرة (556هـ)، وكان يعالج المرضى في بیمارستان الناصري، وله عدة مؤلفات في الطب<sup>(2)</sup>.

إذا فالحياة الفكرية بالنسبة لليهود لم تكن متعددة، ما عدا ما كان في الأدب والطب، أو ما يحمله موسى بن ميمون كالفلسفة وغيرها، وهذه في الحقيقة اكتسبها لما كان في الأندلس، لأنها كانت تزخر بحياة فكرية في جميع الفنون.

لقد حصل ذوبان للطائفة اليهودية في محيط الثقافة العربية الإسلامية الواسعة، حيث أدى النشاط الثقافي الهائل الذي شهدته فترة صعود الحضارة العربية الإسلامية إلى تخلي اليهود في بلدان العالم العربي - مصر من بينها بطبيعة الحال - عن اللغة الآرامية واللغة العبرية، واتخاذهم اللغة العربية هي لغة الكتابة والإنتاج الأدبي والفكري<sup>(3)</sup>.

- 
- 1 - أحمد الشناوي وآخرين، دائرة المعارف الإسلامية، مراجعة محمد مهدي علام، بيروت، دار المعارف، ج 01، ص 286.
  - 2 - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 583 - 584.
  - 3 - قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر، ص 121.

## الفصل الثاني

### نشأته وحياته ومصنفاته

تمهيد.

أولاً - اسمه ولقبه ونسبه وأسرته .

ثانياً - مولده وزمنه .

ثالثاً - تنقلاته بين الأمصار .

رابعاً - أساتذة ابن ميمون .

خامساً - أثر ابن ميمون على غيره .

سادساً - الرفضون لفكره .

سابعاً - مصنفات ابن ميمون :

ثامناً - كتاب دلالة الحائرين :

تاسعاً - تأثير الدلالة على الفكر اليهودي :

إن الكتابة عن حياة موسى بن ميمون، ذاك الفيلسوف واللاهوتي اليهودي العملاق، الذي عاش في القرون الوسطى، ليس بالأمر الهين، نظرا لتعدد مواهبه: الفلسفية، والطبية، والفلكية، والسياسية، وللمراحل التي مر بها في عدة دول وممالك، وتنقلاته من موطن إلى آخر، ونظرا لأن عصره كان زاخرا بالأحداث المتتالية، فإن المؤرخين الذين عاصروه، لم يترجموا له الترجمة الكافية والكاملة عن حياته، باعتباره شخصية فريدة من نوعها في ذلك العصر - القرون الوسطى - ولم يفرّدوا له مؤلفات خاصة تعالج مراحل حياته وأثرها على تكوين شخصيته العلمية، المتعددة المشارب والثقافات .

وكل ما وصلنا من ترجمات عنه في كتب التراجم، فقرات لا تتعدى أصابع اليد، مثل ما كتبه القفطي في تاريخه " أخبار العلماء بأخبار الحكماء "، أو ابن أبي أصيبعة في " عيون الأنباء في طبقات الأضياء " . أو عبد اللطيف البغدادي في مصر لعبد النظيف البغدادي .

وحقّ اليهود أنفسهم وهو من ملتهم لم يترجموا له الكثير قديما، والذي وصلنا عن حياته كتبها مؤلفات لمعاصرين تناول عصره وأثره عليه من جميع الجوانب الروحية، والفلسفية، والطبية، والفلكية.

وأحسن من ألف عنه من اليهود، المستشرق إسرائيل ولفنسون باللسان العربي، في كتاب مفرد عن حياته " موسى بن ميمون : حياته ومصنفاته "، وجميع من كتب عنه كان باللغة الإنجليزية، والألمانية، والأسبانية، والفرنسية، والعبرية، وغيرها من لغات العالم .

أولا - اسمه ولقبه ونسبه وأسرته :

1 - اسمه ولقبه :

هناك خلاف كبير بين الرواة فيما يخص اسمه، حيث يذكر القفطي (ت 646هـ) « هو موسى بن ميمون الإسرائيلي »<sup>(1)</sup>، أما ابن أبي أصيبعة (ت 668هـ) فيقول عنه: « هو الرئيس أبو عمران موسى بن ميمون<sup>(2)</sup>، ويعرف عند العرب بأبي عمران عبيد الله موسى بن ميمون »<sup>(3)</sup> .

ويزيد ولفنسون في إظهار أوجه الاختلاف بين الروايات العربية، قائلا: « أن بعض المتأخرين من أدباء

1 - القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (مرجع سابق)، ص 209 .

2 - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 582 .

3 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص 01 .

العرب لم يعرفوا وجه الصواب في تسمية موسى بن ميمون فحرفوها إلى موسى بن عبيد الله الإسرائيلي المغربي، أو إلى موسى بن عبد الله القرطبي»<sup>(1)</sup>. ويستمر ولفنسون في إظهار هذا الخلط في اسمه وقلة الدقة قائلاً: «ومنشأ هذه التسمية أن بعض الناسخين لمقالاته من المسلمين لم يكونوا دقيقين في نقل اسمه، فكتبوه موسى بن عبد الله القرطبي الإسرائيلي بدلا من أن يكتبوه أبو عمران موسى بن عبيد الله بن ميمون القرطبي»<sup>(2)</sup>. ويواصل ولفنسون قائلاً: «وكان العالم محمد أبو بكر بن محمد التبريزي يكتب اسمه على هذا النحو موسى بن ميمون بن عبد الله الإسرائيلي»<sup>(3)</sup>، وبعض دوائر المعارف تذكره بأبي عمران موسى بن ميمون بن عبد الله القرطبي الأندلسي الإسرائيلي<sup>(4)</sup>، أما صاحب الأعلام فيذكره بموسى بن ميمون بن يوسف بن إسحاق أبو عمران القرطبي<sup>(5)</sup>. أما الموسوعات الحديثة العربية والغربية ترى أنه موسى بن ميمون دون الزيادة السابقة في اسمه<sup>(6)</sup>.

والباحث حسن ظاظا يرى أنه موسى بن سليمان وليس ابن ميمون، لأن الاسم الأخير عنده يعتبر جد قديم ربما كان السابع<sup>(7)</sup>، كما أن الكتاب اليهود والغربيين يعرفونه بموسى بن ميمون<sup>(8)</sup>.

ويكنى عند العرب بأبي عمران عبيد الله، ولقبه صاحب عيون الأنبياء في طبقات الأطباء "بالرئيس"<sup>(9)</sup> وعند الغرب "Maïmonide"<sup>(10)</sup>، كما يلقب بـ "Rambam" وهذه الكلمة مركبة من الحروف الأولى لعدة كلمات تشكل اسمه وهي: "الربي موسى بن ميمون Rabi Moïse Ben

1 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، (مرجع سابق)، ص 02 .

2 - المرجع نفسه والصفحة .

3 - المرجع نفسه والصفحة .

4 - أحمد الشناوي وإبراهيم زكي خورشيد وغيرهما، دائرة المعارف الإسلامية، بيروت، دار المعرفة، [د، ت]، ج 01، ص 85 .

5 - خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم، ط 07. بيروت، دار العلم للملايين، 1986م، ج 07، ص 339 .

6 - عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، ط 01، [د، ب]، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، 1984م، ج 02، ص 497 .

Jhon R. Hinnelles, dictionary of Religions, P198 .

ينظر:

7 - حسن ظاظا، "موسى بن ميمون والفقهاء اليهودي"، الفيصل، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العدد 223، (السعودية).

1995م، ص 19.

8 - Haïm Zafrani, Juifs d'Andalousie et du Magreb, P111 .

9 - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ص 582 .

10 - Encyclopaedia, Universalis, Vol10, P336 .

Alan Unterman, Judaïsme du dictionnaire, P 01 .

ينظر :

ويسمى بالعبرية ربي موسى بن ميمين، ويلقب برئيس الملة (اليهودية) ويقابل هذا اللقب في العربية " ناجيد " وسمي أيضا " موشيه هزمان " ومعناها موسى زمانه<sup>(2)</sup>. ويرجع ولفنسون سبب تسميته بموسى أن اليهود يحتفلون بعيد الفصح لذكرى خروج موسى بن عمران عليه السلام مع بني إسرائيل من الديار المصرية هربا من اضطهاد فرعون، وذلك في أربعة من شهر نيسان، ويرى أن كنيته بأبي عمران لا علاقة له بابن له لأن ابنه الوحيد هو إبراهيم، ويعتقد أن العرف جرى على استعمال هذه الكنية ممن عرفوا باسم موسى، وقد عرف عند اليهود بهذه الكنية العالم موسى الطفلسي الذي عاش في النصف الأول من القرن التاسع للميلاد، كما عرف بها موسى بن يعقوب الإسرائيلي طيب الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وكذلك الشاعر اليهودي موسى بن طوبى الإشبيلي الذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع عشر<sup>(3)</sup>، وموسى بن إسرائيل الكوفي<sup>(4)</sup>، كما لقب بـ " نسرالسيناقوق أو المعبد "<sup>(5)</sup>.

## 2- نسبه :

فيما يتعلق بنسبه لم تورد المصادر العربية ولا اليهودية سلسلة نسبه إلا ما ذكره لنا ولفنسون في كتابه قائلا: « أن موسى ذكر جدول نسبه في آخر كتاب السراج على هذا النحو: « أنا موسى بن ميمون القاضي بن يوسف الحكيم بن إسحاق القاضي بن يوسف الحكيم بن عوبديا القاضي بن سليمان الحبر بن عوبديا القاضي بن حبر المقدس بن يوسف بن الحكيم الحبر عوبديا ». وهذه الرواية عن نسبه تذكر تسعة أسماء لأسلافه فقط، وهذا العدد - إذا افترضنا صحته - لا يكفي في إرجاع أسرة موسى إلى القرن الثاني ب. م »<sup>(6)</sup>.

## 3- أسرته :

فيما يخص أسرته لم تذكر لنا كتب التاريخ العربية شيئا يخصها إلا الذي ذكره ولفنسون بأنها من نسب يهوذا، حيث يورد بأن ميمون والده يمت إلى أسرة عريقة في الحسب كما يرجعها بعض المؤرخين إلى يهوذا

## 10 - Dictionnaire Encyclopédique du judaïsme, P684 .

2 - أحمد الشناري وغيره، دائرة المعارف الإسلامية، ج 01، ص 285 .

3 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص 02.

4 - الفنطى، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 208 .

5 - André chouraqui, Histoire du Judaïsme, 9<sup>em</sup> Edition, Paris, Presse Universitaire, 1987, P66 .

6 المرجع السابق والمنسفة .

ثانيا- مولده وزمنه :

1- مولده :

ليس هناك اختلاف بين المؤرخين، في الموضع والمكان الذي ولد فيه ابن ميمون، وكان ذلك في قرطبة حاضرة الأندلس، وهذا ما جعل المؤرخين يذبلون آخر اسمه بالقرطبي الأندلسي، سواء المعربون<sup>(2)</sup>، أو أصحاب المعاجم، والقواميس اليهودية، والمسيحية، والكتاب اليهود، والغريين<sup>(3)</sup>.

2- زمنه :

ولد الفيلسوف والطبيب اليهودي موسى بن ميمون، على الساعة 1<sup>سا</sup> و30<sup>د</sup> بعد الظهر في الثلاثين من شهر مارس سنة (1135م)<sup>(4)</sup>، ويُعتبر حفيده داود بن إبراهيم الذي علق على كتاب السراج، هو أول من ذكر تاريخ ميلاده<sup>(5)</sup>، ويعادل ذلك التاريخ 14 نيسان سنة (4895عبرية)، و(529 هـ)<sup>(6)</sup>، وهناك من يجعل تاريخ ميلاده سنة (1138م)<sup>(7)</sup>.

ومن المعاجم من يجعل ميلاده سنة (1136م)<sup>(8)</sup>، لكن الغالب والأصح هو التاريخ الذي ذكر أولا استنادا إلى رواية حفيده سابقا، ولم يذكر ابن أبي أصيبعة، ولا القفطي تاريخ ميلاده، وإن كان الأول ذكر زمن وفاته، لأنه صحب ابنه، وعملا معا في اليمارستان، لما كانا في القاهرة<sup>(9)</sup>.

1 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته. (مرجع سابق)، ص02 .

2 - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص582 .

3 - **Dictionnaire Encyclopédique du judaïsme**, Paris Les Éditions Du Cerf, 1993, P684.

Mircea Eliade et Ioan P. Couliano, **Dictionnaire des Religions**, P23 ينظر :

R. Hinnelles, **Dictionary of Religions**. P198 .

ينظر أيضا

4 - **Encyclopaedia, Universalis**, Vol10, P336 .

ينظر : ول ديورانت، قصة الحضارة: ترجمة محمد بدران، مج04، ص03، ص120.

5 - إسرائيل ولفنسون. موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته. ص01 .

6 - Haïm Zafrani, **Juifs d'Andalousie et du Magreb**, P111 .

ينظر : عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية. ص497 .

7 - **Dictionnaire Encyclopédique du Judaïsme**, P684 .

5 - Unterman Alan, **Dictionnaire du Judaïsme**, P180 .

9 - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص583 .

في قرطبة ولد موسى بن ميمون لأب من أكبر العلماء، وهو الطبيب والقاضي (الديان) ميمون وكانت قرطبة حافلة بالعلماء والفلاسفة من مسلمين ويهود في عهده وقبله، وكانت مركز العلم ومنارة الهدى وتعد أعظم مدينة بالأندلس، وليس لها شبيه في كثرة الأهل وسعة الرفعة وقد عدت قرطبة بحق من المراكز العظيمة للثقافة اليهودية في العهد الإسلامي، حيث وصل اليهود فيها إلى أوج عبقريتهم ومجدهم<sup>(1)</sup>.

وقد ازدهرت بقرطبة علوم اللغة العبرية والعربية، فظهر فيها كثير من علماء اليهود والمسلمين وفيها وجدت المدرسة العالية التي أسسها العالم موسى بن أحنوخ بمساعدة الوزير حسداي بن شفروط التي استغنى بها يهود الأندلس عن مدارس بغداد، وقد تركت هذه البيئة أثرا قويا على حياة ابن ميمون<sup>(2)</sup>.

ويذكر ول ديورانت قصة وإن كان يظن أنها من الخرافات الذائعة « أن الغلام أظهر عدم الميل للدرس، وتحصيل العلم وأن أباه الذي خاب فيه رجاؤه سماه " ابن الجزائر " وبعثه ليعيش مع معلمه السابق الحاخام يوسف بن مجاشن »<sup>(3)</sup>، ولقد درس ابن ميمون على أبيه العلوم الدينية كما درس العلوم العربية على يد المسلمين، ولما بلغ عمره العاشرة سنة (1147م - 1148م)، عبرت جيوش الموحدين حدود الأندلس بقيادة الخليفة عبد المؤمن بن علي، حينها غزو قرطبة وأصبح وضع اليهود بها مزعجا، إما النفي من المدينة أو اعتناق الإسلام في حين توعدوا الذين تمسكوا بالبقاء في أراضي الإسلام دون الجهر بعقيدة محمد بالموت الأكيد، فتجهز مئات الرجال والنساء والأطفال اليهود والمسيحيين لمغادرة المدينة خشية أن يظفر بهم عبد المؤمن وهم على عقيدة آبائهم، وبعضهم تظاهر بالإسلام، أما والد ابن ميمون فقد رفض الارتداد عن دينه ولو ظاهرا<sup>(4)</sup>.

ومن أسلم من اليهود والنصارى له أسباب الرزق مثل ما للمسلمين وعليه ما عليهم، أما الذي بقي على دين ملته فيحدد له أجل وإلا فيستباح النفس والمال<sup>(5)</sup>، وكان لاضطهاد العلم والعلماء أثر سيء على

1 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، (مرجع سابق)، ص 03 .

2 - المرجع نفسه، ص 04 .

3 - ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، مج 04، ج 03، ص 120 .

ينظر: Maurice - Ruben Hayoun, Maïmonide Ou l'autre Moï, PP 29 -30 .

4 - Maurice - Ruben Hayoun, Maïmonide Ou l'autre Moï, P31 .

5 - القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 209 .



دولة الموحدين بالأندلس وغيرها، ذاك الاضطهاد الذي حل باليهود والنصارى حيث أخرج علماءهم من قرطبة وغيرها من المدن الأندلسية التي دخلت تحت سلطان عبد المؤمن بن علي، فتوجهت جموع منهم إلى شمال الأندلس وآخرون إلى جنوب فرنسا وكان من بين النازحين إلى الأندلس أغلب أفراد أسرتي قمحي وتبون، وكذلك أسرة ميمون اليهودية المكونة من الوالد وولدين و بنت واحدة، أما الأم فقد توفيت بعد أشهر قليلة من ولادة موسى<sup>(1)</sup>، واستقرت بمدينة المرية جنوب الأندلس بعد أن دخلت نواحي المسيحيين سنة (1143م)، وكان قد حل فيها في ذلك الوقت الفيلسوف المسلم أبو الوليد محمد بن رشد، فهو كذلك من أهل قرطبة إلا أنه لم يحصل لقاء بينه وبين موسى بن ميمون<sup>(2)</sup>.

وفي فترة تنقلات الغلام موسى بن ميمون بالأندلس لم يهمل الدرس في العلوم الدينية اليهودية، حيث قرأ كذلك علم الفلك والمنطق والحساب والفلسفة وأخذ يتمرن على الطب وهذه عادة كل من يطلب العلم في ذلك الزمان وقبلة أن يكون ملما ببعض العلوم<sup>(3)</sup>، كما أنه اجتمع بولد ابن أفلح الإشبيلي أثناء إقامته بالمرية ودرس على أحد تلاميذ الفيلسوف أبي بكر بن الصايغ (ابن باجة) علم الهيئة<sup>(4)</sup>.

وقد تخرج أثناء إقامته بالأندلس على يد إسحاق بن يعقوب الفاسي (نسبة إلى فاس)<sup>(5)</sup>. ويرى ولفنسون أن أسرة ميمون أقامت في المرية وضواحيها اثني عشرة سنة - بعد أن دخلتها جيوش الموحدين - وكان فتحها على يد أبي يعقوب يوسف عبد المؤمن الكومي الذي كان يضطهد اليهود والنصارى اضطهادا

1 - حيث أخرجت تلك الأسرتين بعد ذلك عددا معتبرا من العلماء والفلاسفة والمترجمين في القرن الثاني عشر م، وقد نشر أولئك العلماء الثقافة اليهودية في المؤسسات العلمية بالمدن الكبرى مثل : مونيبييه ولونيل ومرسيليا كما نقلوا كتب فلاسفة المسلمين إلى اللغات الأوربية، إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، (مرجع سابق)، ص 05-06.

2 - وإن كان إبراهيم موسى الهنداوي يرى أنه حصل لقاء بينهما في المرية ودرس موسى على ابن رشد فلسفته وتأثر به تأثر كبيرا، إبراهيم موسى الهنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 154.

3 - المرجع السابق، ص 06.

4 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 293.

5 - عاش في عصر الانقسامات والتفكك في الدولة الإسلامية بالأندلس والمغرب، قضى فترة طويلة من حياته في موطنه الأصلي فاس بالمغرب، حيث تعلمت هناك على حاخام شمال إفريقيا حناثيل وزميله نسيم بن يعقوب، وأخذ مكانهما في رئاسة الطائفة هناك، إلا أنه اضطر إلى هجرة موطنه على إثر وشاية قام بها البعض حقدوا عليه، ومن هنا رحل إلى الأندلس واستقر في قرطبة ثم انتقل إلى غرناطة ومنها إلى أليسانة حيث عمل حاخاما للطائفة اليهودية عقب وفاة إسحاق بن غياث (ت 1089م)، ويعتبر الفاسي من الفقهاء المجتهدين في الشريعة اليهودية وقد أعاد تنسيق الأجزاء الآحادية في التلمود واستنبط منها أيضا أحكاما تشريعية تحت عنوان "التلمود الصغير". عبد الرزاق أحمد نوفل، الأثر الإسلامي في الفكر السديني اليهودي، ص 227. ينظر: عبد المجيد هو، الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، ص 115-116.

ويرى إرنست ريتان أن ابن ميمون تلقى العلم على ابن أفلح وابن رشد - عن الرغم من أن الأخير لم يلتق به - حيث

مروعا<sup>(1)</sup>، لذلك آثرت أسرة ميمون الرحيل منها ونزلت مدينة فاس<sup>(2)</sup>.

أقامت أسرة ميمون<sup>(3)</sup> في المرة اثنتي عشرة سنة ثم نزحت إلى فاس سنة (1160م) حيث أقامت فيها من تلك السنة<sup>(4)</sup>، ولسنا ندري الأسباب التي جعلت أسرة ميمون تختار المغرب (فاس) دون إسبانيا المسيحية على الرغم من أن عبد المؤمن بن علي أرغم أهلها بعد فتحها على اعتناق الإسلام أو الخروج منها<sup>(5)</sup>.

وكان نزوح عائلة ميمون بدعوة من الربّي جيذا هاكوهن بن سوسان الذي كان في ذلك الوقت الحرير

= يصرح ابن ميمون في رسالة كتبها سنة (1191م) أنه حصل على كل مؤلفات ابن رشد فيما عدا كتابه الحس والحسوس.

إرنست رينان، ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتير، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1957م، ص 188.

1 - الحقيقة أن أبا يعقوب ومن قبله لم يكن اضطهادهم لليهود ناجما عن حقد على عقيدتهم لأن الإسلام كفل حرية المعتقد لأهل الذمة، لكن الأمر يتعلق بمفاسدهم في المجتمع الإسلامي، وعدم الانضباط على العهود والمواثيق ولهذا سخط عليهما المسلمون واستثاره شاعر معروف اسمه أبو إسحاق الألبيري فقال في قصيدة :

ولا ترفع الضغظ عن رهطه	فقد كثروا كل علق لمين
وفرق عراهم وخذ مالهم	فأنت أحن بما يجمعون
ولا تحسبن قتلهم غدره	بل الغدر في تركهم يعثون
فقد نكثوا عهدنا عندهم	فكيف نلام على الناكثين
وكيف تكون لنا همة	ونحن حمول وهم ظاهرون .

أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج 03، ص 258 - 259.

2 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص 07. وإن كان شارل بروكلمان المستشرق اليهودي يرى أن مغادرة أسرة ميمون قرطبة (المرية) سنة (1150م) إلى شمال إفريقيا (فاس) كان بسبب ثورة المسلمين على اليهود في إشبيلية والتي عهد إلى إخمادها الشاعر ابن زيدون. شارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكي، ط 10، بيروت، دار العلم للملايين، 1984م، ص 315.

3 - وتذكر بعض المراجع اليهودية أن ميمون بن يوسف والد موسى لما نزل وأسرته فاس تزوج ميمون مرة ثانية - لأن زوجته الأولى والدة موسى توفيت بعد أشهر من ميلاد موسى - وأنجب طفلا وأصبح موسى يرعاه شخصيا بطلب من أبيه واسمه (جيذا بن أبي المعالي Juda Ibn Abul Maali). كما ولدت له طفلة يجهل اسمها وقد تزوجت. بمصر، أما ابنه فقد شغل أمين سر خاص لدى خاله الشهرير حينما عجز عن الكتابة بسبب كبر سنه ومرضه، ينظر :

Maurice - Ruben Hayoun, Maïmonide Ou l'autre Moï, P31 .

ينظر :

4 - Dictionnaire Encyclopédique du judaïsme, P684 .

وهناك من يرى أنها نزحت إلى فاس سنة (1159م)، ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، مج 04، ج 03، ص 120. أما القفطي فلم يذكر انتقاله إلى فاس، حيث يورد أنه لما مكنته الفرصة للخروج من الأندلس رحل مباشرة إلى مصر دون أن يعرج على مدينة فاس، القفطي أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص 209. وهذا يظهر عدم دقة القفطي في نقل الخبر.

5 - Haïm Zafrani, Juifs d'Andalousie et du Magreb, P112 .

الأعظم لليهود، وفي مدينة "فاس" أم موسى بن ميمون تعليمه فيما يتعلق بالعلوم الربانية - التوراتية والتلمودية - وبصفة خاصة على يد الحبر الأعظم ابن سوسان والذي بدوره كان يتابع بستحس شديد دراساته الفلسفية والطبية والفلكية على يد أساتذة وعلماء مسلمين ذائعي الصيت، والذين يقرون بأن له موهبة كبيرة وهذا من خلال دراسة علم التشريح في جامعة " القرويين " وعلى ما يبدو فإنه قام بكتابة مؤلف مختصر حول التقويم اليهودي " رسالة في حساب التقويم للأعياد اليهودية " بالإضافة إلى بعض الرسائل القصيرة حول الكتابات التلمودية، وأيضاً كتابات أخرى شملت ميدان الفلك والرياضيات. وفي ذلك الوقت قام بتحديد ذلك الملخص المتميز حول فن المنطق " مقالة في صناعة المنطق " والذي من خلاله قامت تلك العلاقة الوطيدة مع " الفارابي " (1).

وفي سنة (1160م) نشر موسى بن ميمون رسالة باللغة العربية بحث فيها الجماعة اليهودية على التمسك بالعروة الوثقى، والثبات على الحن والمصائب التي يريد الله بها اختبار بني إسرائيل، كما نشر مقالة له بالعربية " في سبيل تقديس اسم الله .. " وكانت رداً على أحد الأخبار اليهود الذي اتخى باللائمة على أبناء جلدته لاستسلامهم للاضطهادات الدينية التي تعرضوا لها من قبل الموحدون زمن عبد المؤمن بن علي (2)، كما نشر في هذه الفترة باللغة العربية " رسالة في الردة " وذلك بسبب ما لجأ إليه الموحدون من إرغام يهود مراكش على اعتناق الإسلام (3)، ولقد اضطرت الظروف القاسية أسرة موسى بن ميمون الخضوع للأمر الواقع مثل عائلات عديدة أخرى، لاعتناق الإسلام ظاهرياً بينما واصلوا طريقة حياتهم على اليهودية سرا، ويرى بعض الباحثين من المسلمين أن موسى بن ميمون وأسرته أسلموا حيث أصبح موسى يصلي ويقرأ القرآن وقد حفظ كثيراً من سوره (4)، وكان أول كتاب بدأ في تأليفه في فاس هو " شرح المشنا"، وجاء في مقدمته: «أنا موسى بن ميمون بدأت هذا الشرح عندما كنت في الثالثة والعشرين من عمري، وقد أكملته في سن الثلاثين في أرض مصر» (5).

### 1 - Haïm Zafrani, Juifs d'Andalousie et du Magreb, P113 .

- 2 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص 07 - 08 .
- 3 - أنجيل جنتال يالنيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 502 .
- 4 - عبد المجيد هو، الفرق والمذاهب اليهودية، ص 115 .
- 5 - ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ط 08، بيروت، دار النفائس، 2002م، ص 96 .

ثم توفي عبد المؤمن الكومي في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة للهجرة وقد حكم ابنه أبو يعقوب يوسف بعد ما خلع أخاه الأكبر محمد من الولاية في شعبان من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، فبدأت الإضطهادات على اليهود ودمرت الكنائس والبيع وانتهت هذه الحالة بنهاية دولة المصامدة في الأندلس والمغرب<sup>(1)</sup>.

ويبدو أن الهامش الصغير من الحرية الذي منح لليهود الراغبين في البقاء أمناء تحت المعتقد الإسلامي قد ذهب أدراج الرياح، وكان عليهم إما الدخول في الإسلام أو الرحيل، وكانت الشخصية الأكثر شهرة في مدينة فاس ودون منازع الحاخام الأعظم (جيذاها كوهن بن سوسان)، وقد انتظر الموحدون من هذه الشخصية أن تقوم بعمل ما يجعلها تعتنق الإسلام إلا أنها فضلت الموت على الاستسلام والتظاهر باعتناق الإسلام، وقد قتلت يوم 08 أفريل (1165م) وعلى مرأى من الناس وقد ترك قتله جميع يهود فاس في حالة حزن وهلع<sup>(2)</sup>، وكادت أن تكون أسرة ميمون من بين القتلى<sup>(3)</sup>، ورأى الحبر ميمون أن السيل بلغ الزبي والموحدون لم يتغيروا إطلاقاً، فكيف يمكنه الإقامة في مكان لا يجد فيه العيش المريح، واتخذ قراره بالمغادرة وكتب أمر رحلته لكي لا يكون تحرکه مريباً فيحكم عليه بالموت وأفراد عائلته<sup>(4)</sup>، وقد نزل موسى بن ميمون وأسرته البحر في يوم 18 أبريل (1165م) إلى أن وصلت السفينة بعد مرور ثمانية وعشرين يوماً إلى ميناء عكا بفلسطين<sup>(5)</sup>.

ويروي لنا موسى قصة نزوله البحر وما لاقاه فيه من أخطار كادت أن تؤدي بمن في السفينة جميعاً حيث يقول: « ونزلت البحر في اليوم الرابع من شهر أيار وكان ذلك ليلة السبت، ثم تعرض لنا في العاشر من الشهر المذكور موج عظيم كاد يفرق سفينتنا، وهاج البحر وماج فنذرت لرب العالمين أن أصوم اليومين المذكورين من كل شهر مع أهل بيتي كما أمر ذريتي به إلى آخر الأيام، وتوزيع الزكاة على الفقراء، وكذلك نذرت أن أمكث منعزلاً عن أعين الناس في اليوم العاشر من شهر أيار حتى لا أنقطع عن الصلاة والدرس فيه، ولا أقابل أحداً فيه إلا إذا اضطررت لذلك اضطراراً، وقد وصلت بعد ذلك بسلام في اليوم الثالث من شهر سيران، ونزلت مدينة عكا وهكذا أنقذت من الارتداد عن الدين وقد نذرت أن يكون يوم

1 - عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، (مرجع سابق)، ص 223 .

2 - Maurice - Ruben Hayoun, **Maïmonide Ou l'autre Moïse**, P34 .

3 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص 08 .

4 - Maurice - Ruben Hayoun, **Op, Cit**, P34 .

5 - المرجع السابق والصفحة .

وصولي إلى عكا يوم فرح ومرح، ويوما أقدم فيه للفقراء العطايا والمدايا وأمر ذريتي أن تفعل مثلي إلى آخر الأيام»<sup>(1)</sup>. وهذه الرسالة قد حفظها لنا الحاخام أليعازر أزيكري في القرن XVI حيث تحكي قصة العبور المقلق، وهذه الرسالة تطلعنا على أن أول مدينة مكنت ابن ميمون من إعادة ربط علاقة بتاريخ أجداده كانت مدينة عكا (AKRO)، وحينما انقشع الضباب عنها كانت أعين ابن ميمون محضبة بالدموع حينها تذكر كل أساتذة التلمود الذين قبلوا تراب الأرض المقدسة عندما كانوا في طريق العودة من بابل .

وجاء الحاخام الحليل يافت بن إلياس (Yefet Ibn Eliya) ليستقبل ميمون بن يوسف وأبناءه بعد أن أعلم بخبر قدومهم، فعمل قصارى جهده ليرتطم في المدينة، ولم يكن تعداد الجماعة اليهودية التي جاءت مع أسرة ابن ميمون سوى بضع عشرات من العائلات الفقيرة نوعا ما، وقد كان كل شيء جديد بالنسبة لابن ميمون، على الرغم من أنه يشعر بأن كل المناظر من حوله مألوفا لديه، لقد ألف حيوانات ونباتات بلد إسرائيل ليس فحسب بسبب التوراة، لكن بفضل القسم الأول من التلمود (Mishna)، سرّت عائلة ابن ميمون بكل ما كان يدور من حولها منذ منتصف شهر ماي (1165م) تاريخ وصولهم لعكا (AKRO)، وحتى شهر أكتوبر عندما قرروا الذهاب للقدس والخليل، ولم يكونوا يجهلوا بأنهم في وسط الصراعات بين المسيحيين والمسلمين كان ممثلوا هاتين الديانتين الكبيرتين الموحدتين يتصارعون للسيطرة على الأماكن المقدسة، ولم يكن لليهود حرية الذهاب إليها، وما أذهل أكثر الشاب ابن ميمون وأخوه داود (DAVID) هي مدينة عكا (AKRO)، التي تختلف كثيرا عن قرطبة، حيث جعلت منها مركزا كبيرا للتجارة الدولية<sup>(2)</sup> .

ولقد قام ابن ميمون خلال إقامته بعكا (AKRO) التي لم تدم سوى بضعة أشهر، بملاحظات هامة حيث قارن بين الممارسات الشعائرية في الأندلس وتلك التي يراها في عكا، لم يندهش حينما اكتشف أن وضع حي الرقاق المخبأة داخل ثمامم يهود الأرض المقدسة تختلف قليلا بالنسبة لتلك التي اعتمدت بالأندلس، وبالمقابل تفاجأ نوعا ما بالشعيرة الخالصة المنتشرة عند اليهود القادمين معه من إفريقيا الشمالية، حيث تعرض هؤلاء لتأثير إسلامي عميق، وحاولوا التقليد بصفة محضة الضوء اليومي لأتباع نبي المسلمين، أما فيما يخص تحضير لفائف الشريعة سفر التوراة فقد حزن ابن ميمون على أنهم لم يلجؤوا كما كان

1 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، (مرجع سابق)، ص 09 .

متداولاً بالأندلس لاستعمال الحبر الذي لا يمحي<sup>(1)</sup>. ومن هذا نلمس التزعة الإصلاحية لنزعيم الروحي

المستقبلي لليهود بمصر، الذي حاول تنظيم ممارسة الشعائر وتوحيد العبادة والطقوس بين جميع اليهود .

لم ينسى ابن ميمون أنه أيضا طبيب وعالم بالنباتات حيث توجه بعناية لدراسة الأنواع النباتية التي تنبت في الأرض المقدسة<sup>(2)</sup>، كما أن النطق بالعبرية أثار فضوله حيث رأى اختلافا بينا في ما رآه في عكا وما درسه في الأندلس، وأثناء وجوده في عكا اتصل أولا بالصليبيين، ولم يكن هؤلاء يسمحوا لليهود بالذهاب بحرية للقدس (Saint Jean) حيث كان يعيش بعض المساكين في فقر مدقع، أراد الخاخام ميمون بن يوسف الذهاب إليها بغرض المشاهدة والتأمل - رفقة أبنائه - في بقايا المعبد ولقد وجب عليه الصلاة وتقبيل حجارة الحائط الغربي الذي يسميه المسيحيون حائط المبكى، وقد اتخذ قراره للذهاب على الرغم من المخاطر التي قد يجدها في طريقه، فخرج ميمون بن يوسف مع أسرته خلال شهر أكتوبر (1165م) ليلا، وكان الخاخام يافث بن إلياس مسافرا لكي يقودهم بأمان إلى بيت المقدس ولا يتركهم السير لوحدهم للوصول إلى القدس .

إلا أن الخاخام ميمون خرج ووصل القدس وقد شعر بإحساس عظيم في قلبه لما رأى القدس، فتساءل أهذه هي مدينة الملك داود (DAVID) التي أقام فيها ملكه وحكم بني إسرائيل؟ . وبعد أداء عدة صلوات غادرت أسرة ميمون المدينة المقدسة في غضون ثلاثة أيام متجهة صوب الخليل بغرض زيارة قبور الآباء (الأنبياء)<sup>(3)</sup> .

وبعد رجوع أسرة ابن ميمون من زيارة القدس والخليل حاولت التأقلم مع البيئة التي حلت فيها وتوفير حاجات المعيشة اليومية، فقرر والد موسى بن ميمون إعطاء أحجاره الثمينة لابنه داود للالتجار بها في السوق، أما موسى فقد أهتمته الدراسة تحت إشراف والده، إلا أن الحياة في الأرض المقدسة كانت صعبة وقاسية للغاية، وبعد عدة أشهر تبين لأسرة ميمون أن الإقامة بها شبه مستحيلة نظرا للحروب الصليبية والاضطهادات والأمن فضلا عن الفقر، وأجبت الأسرة البقاء في مدينة عكا أو الخليل لولا الظروف الأمنية

1 - Maurice - Ruben Hayoun, **Maïmonide Ou l'autre Moïse**, P37 .

2 - لا يوجد دليل على أن موسى بن ميمون كان عالم نبات ولم يذكر ذلك ابن أبي أصيبعة ولا القفطي ولا حتى إسرائيل

وأفنديون في مصنفه، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته .

3 - Maurice - Ruben Hayoun, **Op, Cit**, P38 .

بعد أن أقامت أسرة ميمون نصف سنة بفلسطين، نزع الأخوان والأخت إلى مصر وتركوا والدهم في القدس، وكان السبب في نزوحهم إلى مصر أنها كانت تحت حكم الخلفاء العلويين (الفاطميين) واليهود فيها يعاملون معاملة حسنة، حيث كان فيها أصحاب الأموال والتجارة، كما كان اليهود منتشرين في أغلب المدن المصرية، وخاصة التي تقابل الوجه البحري<sup>(2)</sup>.

وكانت نفس موسى تهفو للإقامة في بلد يسود فيه روح الحرية والتسامح والأمان، ليستطيع تنفيذ طموحاته العلمية التي لم يتمكن من تحقيقها في الأندلس والمغرب وفلسطين، لأن أجواء تلك المدن مشبعة بالتعصب وإزهاق الأرواح.

ولقد وصلت أسرة ابن ميمون إلى الإسكندرية سنة (1165م) قادمة إليها من فلسطين<sup>(3)</sup>، وكانت آفاق العيش بالإسكندرية أكثر سحرا من الأرض المقدسة وكان بإمكان موسى أن ينصرف بهدوء لدراساته الغزيرة في التلمود والتوراة، في حين يذهب أخوه داود - وكان يتابع بانتظام دروس أخاه الأكبر - للسوق وكان يتاجر في المجوهرات والأحجار الكريمة أو النفيسة، وقد تزوج وأنجب طفلة وقد توسع في نشاطاته ولذا وجب عليه الابتعاد عن أسرته لأيام وأشهر لرعاية مصالحه التجارية وليوفر لقمة العيش لأسرته وليعين أخاه موسى للتفرغ للبحث والتدريس، إلا أن إقامة ابن ميمون في الإسكندرية لم تدم طويلا، بسبب وجود جماعة يهودية قوية وكثيرة العدد<sup>(4)</sup>، كان فيها ثلاثة آلاف عائلة وأغلبهم يخضعون لأوامر القرائين وقد ضاقت تلك الجماعة ابن ميمون كثيرا بتدخلاتها الصاخبة، حيث ترى كيف يسمح هذا المعلم الأندلسي الشاب لنفسه بتذكير القرائين بواجباتهم، ويبين لهم كيف يجب عليها شرح وصايا التوراة.

كما وجد أيضا مضايقات أكثر شدة من الحاخامات المحليين القلقين من تصاعد صوت ابن ميمون في الجماعة اليهودية، وحتى عندما كتب حكيم الفسطاط قانونه العظيم (كتاب مشنا التوراة Mishna Tora) كان أكبر موبخ ومضايق له من عمله حاخامات الإسكندرية ورأى ابن ميمون أنه من الحكمة

1 - Maurice - Ruben Hayoun, **Maïmonide Ou l'autre Moï**, P38.

2 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص 09.

3 - المرجع نفسه والصفحة.

4 - Maurice - Ruben Hayoun, **Maïmonide Ou l'autre Moï**, P40.

الابتعاد والاستقرار في الفسطاط، أقدم مدن القاهرة<sup>(1)</sup>، وسكن محلة تعرف بـ " المصيصة "<sup>(2)</sup>، وارتزق بالتجارة في الجوهر وما يجري مجراه، كما كان يفعل أخوه لكن ذلك لم يكن عمل موسى الدائم وإنما كان يساعد أخاه أما هو فكانت همته متجهة أكثر إلى دراسة التوراة والتلمود<sup>(3)</sup>.

وبعد إقامته في الفسطاط شهورا نقل إليه خبر وفاة والده الذي أقام في القدس وهناك توفي فيها، وكان ذلك في بداية سنة (1166م)، ثم تبعتها فاجعة أخرى وهي وفاة أخيه غرقا في المحيط الهندي، وبموت أخيه فقد موسى كل ما كان عنده من مال لدى أخيه<sup>(4)</sup>، وقد حكى ابن ميمون حاله ووضع في ذلك الوقت في رسالة وجهها للحاخام يافث بن إلياس في فلسطين الذي بقي على اتصال به<sup>(5)</sup>، لكن الفاجعتين لم تسوئن من عزيمة ابن ميمون بل زادتاه إصرارا على مواصلة البحث والدرس في التوراة والتلمود وفي قضايا الطب، حيث يقول القفطي: « وقرأ عليه الناس علوم الأوائل وذلك في أواخر أيام الدولة المصرية العلوية وراموا استخدامه في جملة الأطباء وإخراجه إلى ملك الإفرنج<sup>(6)</sup> بعسقلان فإنه طلب منهم طبيبا فاختروه فامتنع من الخدمة والصحة لهذه الواقعة وأقام على ذلك »<sup>(7)</sup>.

وقد اضطرت أحوال الأسرة وطموحاته الطبية إلى ممارسة مهنة الطب، وهذا ليوفر معاشه ومعاش أسرته، فاشتهر أمره في الفسطاط وضواحيها وعلا نجمه بين أبناء طائفته من اليهود في مصر .

ولامتيازته في الطب لفت إليه نظر القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني وقد كان كاتباً في ديوان الخليفة العاضد، وسيصبح القاضي الفاضل هو الراعي والحامي والسند لموسى بن ميمون، واستطاع القاضي أن ينال الحظوة عند السلطان الفعلي في مصر، وهو صلاح الدين الأيوبي وأصبح بعد

1 - Maurice - Ruben Hayoun, **Maimonide Ou l'autre Moïse**, P42 .

2 - القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 209. وتسمى " المصاصة ". أبو العباس أحمد بن علي المقرئ، تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، تحقيق د. عبد المجيد دياب، القاهرة، دار الفضيلة، [د، ت]، ص 85 .

3 - Maurice - Ruben Hayoun, **Loc, Cit** .

4 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص 10.

5 - Maurice - Ruben Hayoun, , **Op, Cit**, P41 .

6 لم نذكر لنا القفطي ملك الإفرنج الذي كان في حاجة إلى طبيب مصري ولا المصادر الأوربية، فلماذا رجعنا إلى التاريخ لو أننا أن ملوك الإفرنج الذين حكموا فلسطين منذ استوطن موسى بن ميمون مصر إلى يوم -الذي وقع فيه آخر ملوك بيت المقدس من الصليبيين في أيدي المسلمين كانوا أربعة : أولهم أليريك بن بردويل الثالث (ت 1173م) والثاني بردويل الرابع (ت 1185م) والثالث بردويل الخامس (ت 1186م) والرابع حويدا بن لوسبنيان . المرجع السابق، ص 30 .

7 - القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 209 .



ذلك مستشاره المقرب ورئيس ديوان الإنشاء لديه، وقد قام القاضي الفاضل بالتوصية لموسى بن ميمون لدى الخليفة العاضد أولاً، وبعد ذلك بقليل لدى السلطان صلاح الدين الأيوبي، وبعد ذلك صار موسى بن ميمون طبيباً خاصاً لصلاح الدين الأيوبي، وبقي كذلك الطبيب الخاص للملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي بن صلاح الدين الذي حكم مصر لفترة تقل عن عامين (1198م إلى 1200م)<sup>(1)</sup>.

وحدث بعد وصول موسى بن ميمون إلى مصر بخمس سنوات انقلاب سياسي هائل تولى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة (1171م) إمارة مصر بعد وفاة الخليفة العاضد (550 هـ / 1160م - 567 هـ / 1176م)، فانقرض بذلك حكم العلويين (الفاطميين) وبدأت الإمارة في عهد صلاح الدين تميل إلى الاستقرار بعدما وقعت الفتن في آخر أيام العلويين، وظهر الأمن في جميع أطرافها.

بينما كان في ذلك العهد يهود الأندلس والمغرب يرضخون تحت وطأة الاضطهادات الدينية كان يهود مصر - في عهد صلاح الدين - يتمتعون بكبقية الطوائف والملل بالهدوء والحرية، حيث أن صلاح الدين أطلق لجميعها حرية إقامة شعائرها، بل كان يعاملها بالرفق والعدل<sup>(2)</sup>.

وقد أحاط بابن ميمون مجموعة من شباب اليهود - كان أغلبهم من مهاجري الأندلس والمغرب - يستمعون لدروسه في علوم الشريعة والرياضيات والفلك والفلسفة، وتكوّن من حوله عدة تلاميذ اقتفوا أثره، وكان أحب التلاميذ إليه هو يوسف بن عقين الذي صار على مر الأيام من أقرب المقربين بين الأصحاب<sup>(3)</sup>، وصار صالحوم<sup>(4)</sup>، والحكيم كالباء، وسعديا بن بركات وهم من كبار تلاميذ ابن ميمون، وقد اشتهر الأخير برسائله التي اشتملت على ثمانية أسئلة وجهها إلى أستاذه موسى بن ميمون ثم دون ما أجابه به عليها<sup>(5)</sup>.

وكان الأول - التلميذ يوسف بن عقين - عنده بمثابة الابن حيث كان يحوطه بالحنان والدرس والمتابعة، نظراً لملازمته له في سائر الأوقات وقد كان يكتب له رسائل ويثني عليه لاهتماماته الدينية والفلسفية

1 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، (مرجع سابق)، ص 20.

2 - المرجع نفسه، ص 16.

3 - المرجع نفسه، ص 11.

4 - جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط 01، بيروت، دار الطليعة، 1987م، ص 32.

5 - المرجع نفسه، ص 14. نظر في ترجمته: القفطسي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء: ص 256 - 258. ينظر أيضاً:

إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص 11 - 13.

وقد كان يوسف بن عقين صديقا للقبطي حيث يقول عنه: « وكانت مودة طالمت مدتها »<sup>(2)</sup>، وكانت ليوسف بن عقين عدة رسائل وكتب<sup>(3)</sup>، ويقول ولفنسون: « وكان تلاميذ موسى هم الذين نشروا اسم أستاذهم في الديار المصرية، ثم في الشام من ناحية المغرب والأندلس وجنوب فرنسا من ناحية أخرى، لذلك أخذت الرسائل من جميع البلدان النائية والدانية تنهال عليه وفيها أسئلة في الدين والعلم والفلسفة »<sup>(4)</sup>.

ولما استقر موسى في مصر رأى أمورا كثيرة فيها خلاف بين اليهود العراقيين والشاميين فيما يتعلق بإتمام قراءة التوراة، حيث صرح بأن عادة يهود العراق إتمام قراءة التوراة في سنة واحدة أفضل من عادة يهود الشام في إتمام قراءة التوراة في ثلاث سنوات، مما جرّ عليه رئيس الطائفة اليهودية الشامية يحيى، أن حرض عليه عوام الناس مما اضطره ذلك إلى الصلاة مع أنصاره لفترة في بيته .

ويقول ولفنسون: « أن يحيى اغتصب لنفسه رياضة اليهود على أن يقدم ألف دينار كل سنة لوزير مصر - ولعل ذلك الوزير كان شاور - وبقي يظلم أبناء جلدته إلى أن أقيل، ولما تولى صلاح الدين يوسف بن أيوب مصر تمكن يحيى هذا مرة أخرى من الوصول إلى كرسي الرياسة، وكان في أثناء ذلك يرهق الشعب ويحمّله ما لا يطيق، وكان ابنه ينسج على منواله فأذاق الشعب - اليهود - ألوانا شتى من العذاب حتى ضاق صدر الأمة - اليهودية - فثارت في وجه الطاغية وهناك تنبّهت السلطة لأمره، وذلك بعد أن حكم

1 - من بينها « كنت أيتها التلميذ العزيز الربّي يوسف صانك الصخرة ابن الربّي يهودا سكنت نفسه جنة عدن، لما ملكت عندني وقصدتني من أبعد البلاد للقراءة علي عظم شأنك لشدة حرصك على الطلب، ولما رأيت في أشعارك ومقاماتك السيّ وصلتني - وأنت مقيم بالإسكندرية - من شدة الاشتياق للأمر النظرية، وقبل أن أمتحن تصورك قلت لعل شوقه أقوى من إدراكه فلما قرأت علي ما قرأت من علم الهيئة وما تقدم لك مما لا بد منه توطئة لها من التعاليم زدت بك غبطة لجودة دهنك وسرعة نسورك، ورأيت شوقك للتعاليم عظيمًا فتركك للارتياض فيها لعلمي بما لك ». موسى بن ميمون. دلاله الحانرين، (مصدر سابق)، ص ص 03 - 04 .

2 - القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 257 .

3 - أنظر عنها رسالة في ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 696. ومقالة في طب النفوس الأليمة ومعالجة القلوب السليمة، ومقالة انكشاف الأسرار وظهور الأنوار، ومزج فصول أبقراط ورسالة في أصول الديانة، ورسالة أنوار الأبصار وحدائق الأسرار، ومقالة في معرفة كمية المقادير، ورسالة في شرح كتاب الأبناء من أسفار المشناة. إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص 13.

4 - المرجع نفسه، ص 14.

أربع سنوات، فأمرت بعزله وطرده مع أسرته من الفسطاط»<sup>(1)</sup> .

وبقي موسى بن ميمون يعارض يحيى جهرا وأتباعه من الطائفة اليهودية إلى أن اختير الحير ثنائيل لرياسة الطائفة اثنين وسبعين ومائة وألف، ومع أنه - موسى بن ميمون - لم تسند إليه زعامة الطائفة قبل سنة سبع وثمانين ومائة وألف إلا أنه كان من جملة أعضاء هيئة المحكمة الشرعية اليهودية بالفسطاط بضع سنين قبل السنة المذكورة، وفي سنة (1187م) عهد إليه لقب زعيم المجموعة اليهودية بالفسطاط<sup>(2)</sup>، واليهود يعتبرونه أكثر الربيين حيث لقبوه « بنور الشرق والغرب »<sup>(3)</sup> .

ولما اختير لرياسة الطائفة اليهودية حرص على رفع المستوى الديني والخلقي والعلمي لطائفته، وقد رفض أن يأخذ مكافأة على خدماته في منصب الزعامة .

وقد أطلع ابن ميمون بعض العادات التي لم يظمن لها، ومن بينها استعمال التعاويذ التي كانت منتشرة بين عامة طبقات اليهود، لأنه يرى فيها نوعا من الوثنية، كما أطلع عادة رقص العروس أمام جمهور المحتفلين بما يملابس هزلية<sup>(4)</sup> .

وقد امتهن ابن ميمون الطب منذ أن غرق أخوه في المحيط الهندي، ليوفر لنفسه وأسرته وأسرته أخيه لقمة العيش وأصبح بهذه المهنة كما يقول ابن أبي أصيبعة: «أوحد زمانه في صناعة الطب وفي أعمالها»<sup>(5)</sup>، ونظرا لمهارته في الطب يقول القفطي: « راموا استخدامه في جملة الأطباء وإخراجه إلى ملك الإفرنج بعسقلان، فإنه طلب منهم طبيبا فاختاروه فامتنع من الخدمة والصحة لهذه الواقعة وأقام على ذلك»<sup>(6)</sup> .

وقد وصلت شهرته إلى القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني، حيث يذكر القفطي ذلك قائلاً: « ونظر إليه وقرر له رزقه فكان يشارك الأطباء ولا ينفرد برأيه لقله مشاركته ولم يكن رفيقا في المصاحبة والتدبير »<sup>(7)</sup>، وبقي طبيبا في دار انسلطان - صلاح الدين - إلى أن أصبح الطبيب الخاص للملك الأفضل نورالدين أبي الحسن علي بن صلاح الدين، الذي تولى حكم مصر بعد وفاة أخيه الملك العزيز سنة ثمان

1 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، (مرجع سابق)، ص 18 .

2 - Dictionnaire Encyclopédique du judaïsme, P684 .

3 - Dictionnaire de la bible, Paris, Éditeurs Letouzey et Ané, 1908, T 04, P579 .

4 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص 20 .

5 - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 582 .

6 - القفطي، أخبار الحكماء بأخبار العلماء، ص 209 .

7 - المرجع نفسه، ص 210 .

وتسعين ومائة وألف»<sup>(1)</sup>.

واستخدم ابن ميمون نفوذه في بلاط السلطان لحماية يهود مصر، ولما فتح صلاح الدين فلسطين طلب منه ابن ميمون أن يسمح لليهود بالإقامة فيها من جديد<sup>(2)</sup>. وقد تعلم في القاهرة اللغة الكلدانية واليونانية، وبعد سبع سنوات أصبح أستاذا في المدرسة التي أنشأها يهود مصر في الفسطاط لتعليم الديانة اليهودية والفلسفة والرياضة والطب<sup>(3)</sup>.

وأثناء إقامته في مصر تزوج ابن ميمون بأخت أبي المعالي (ت1237م) اليهودي- الذي كان كاتباً لأم نور الدين علي المدعو الأفضل- وأنجب منها ولدا يدعى إبراهيم وقد أصبح طبيبا بعد أبيه<sup>(4)</sup>، كما أن أبا المعالي تزوج أخت موسى، وكان ذلك في الخمسين من عمره، وأنجب منها ابنة واحدة وتوفيت في بداية عمرها<sup>(5)</sup>.

ولما أصبح ابن ميمون الطبيب الخاص في قصر الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف، لم يشغله ذلك على أن يعالج المرضى على اختلاف مللهم ونحلهم فيقول في رسالة، والتي أرسلت إلى صامويل بن تبون والذي يعتبر أول مترجم لكتاب " دلالة الحائرين "<sup>(6)</sup> فنقرأ فيها ما يلي: «... يقطن السلطان بالقاهرة بينما أعيش في مدينة الفسطاط، حيث توجد تلك المسافة الفاصلة بينهما والتي تقدر بحوالي أربعة آلاف ذراع والتي تشتمل على سفريتين وفي كل صباح أستيقظ باكرا وأذهب لزيارة الملك، وإذا كان هناك أحد من أطفاله أو زوجاته مرضى فإني أقضي طول النهار في القصر الملكي ونفس الشيء يتعلق بالموظفين، فإني أسعى لتوفير العلاج ولم يسبق لي وأن عدت من القصر قبل الظهر، وكلما عدت متعبا وجائعا وجدت

1 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، (مرجع سابق)، ص20.

2 - ول ديورانت، قصة الحضارة، مج04، ج03، ص121.

3 - ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ص96.

4 - القفطي، أخبار الحكماء بأخبار العلماء، ص210.

5 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص21. وترجمة إبراهيم بن موسى هو «أبو المنى إبراهيم بن الرئيس موسى بن ميمون، منشؤه بفسطاط بمصر وكان طبيبا مشهورا عالما بصناعة الطب، كفاء في أعمالها كان في خدمة الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب، واجتمعت به سنة إحدى وثلاثين أو اثنين وثلاثين وستمئة بالقاهرة، وكنت حينئذ أطلب في البيمارستان فوجدته شيخا طويلا نحيف الجسم حسن العشرة، لطيف الكلام متميز في الطب وتوفي إبراهيم بن الرئيس موسى بمصر ( ) ثلاثين وستمئة». ابن أبي أصيبعة، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ص583. ينظر : عبد المنعم الحفني، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ص03.

6 - الرسالة مؤرخة بتاريخ 1199/09/30م، Haïm Zafrani, Juifs d'Andalousie et du Magreb,

غرفة الانتظار مليئة باليهود وغيرهم، أناسا ذوي وجاهة وبسطاء، قضاة كانوا أو بوابين أصدقاء أو أعداء، لقد كان ذاك المنظر بمثابة مجتمع مختلط والذي هو في حاجة لتقدم العلاج الكافي، كنت دائما أسارع للحلوس بعد غسل يدي، وكنت أقف أمام المرضى مترجيا منهم الصبر، وكان الوقت لا يسمح لي في كثير من الأحيان حتى لاقتناء الطعام الخفيف وهو الوجبة الوحيدة في كامل اليوم، ... وبعد ذلك أفحصهم وأشخص الداء وأنصحهم بالدواء اللازم في وصفة طبية، وهكذا الحال إلى قدوم الليل، ويوم السبت هو اليوم الوحيد الذي أمكن فيه من الانعزال لبعض الوقت<sup>(1)</sup>، وفي ذلك اليوم وبعد أداء صلاة الضحى يجتمع أعضاء المجلس الأعلى للمجتمع من حولي وفي بيتي، وعندما أقوم بتقديم التعليمات إليهم في ذلك الأسبوع، ثم تنكب بعدها على الدراسة إلى غاية الظهر وبعد تناول الوجبة، البعض منهم يعود ونستأنف الدراسة إلى صلاة المساء...»<sup>(2)</sup>.

كما وجه خطايا لتلميذه يوسف بن عقتين قائلا: «...وأعلمك أنه قد حصلت لي شهرة عظيمة في الطب عند الكبراء مثل قاضي القضاة والأمراء ودار الفاضل وغيره من رؤساء البلد فمن لا ينال منهم شيئا، ... فكان هذا داعيا لقضاء الأيام في القاهرة لزيارة المرضى، حتى أكملت عملي كنت متعبا وكلما أتيت لي فرصة طالعت بعض كتب الطب لما لي به حاجة وأظنك تعلم صعوبة ذلك عند من له دين وتحقيق ويريد أن لا يقول شيئا إلا وله دليل وأين قيل ووجه القياس في ذلك، وكنت لا أجد ساعة أنظر فيها للأمور الشرعية ولا أقرأ إلا يوم السبت، وأما سائر العلوم فلم يعد هناك وقت لها،...»<sup>(3)</sup>.

وقد مدحه وأثنى عليه القاضي سعيد بن سناء الملك هبة الله شاعر السلطان صلاح الدين وأولاده، وشاعر القاضي الفاضل وقد عرف ابن ميمون في قصيدة ميمية يقول فيها :

« أرى طب جالينوس للجسم وحده	وطب أبي عمران للعقل والجسم
فله أنه طب الزمان بعلمه	لأبراه من داء الجهالة بالعلم
ولو كان بدر التم من يستطبه	تم له ما يدعيه من التم

1 - Haïm Zafrani, *Juifs d'Andalousie et du Magreb*, P P117-118 .

2 - Haïm Zafrani, *Loc, Cit* .

3 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص ص 23 - 24 .

وداواه يوم التمس من كلف به وأبرأه يوم السرار من السقم»<sup>(1)</sup>.

وقد ابتلي ابن ميمون في آخر حياته برجل من فقهاء الأندلس قدم إلى مصر يعرف بأبي العرب بن معيشة، حيث لقيه وتحقق من إسلامه بالأندلس ولما رآه في مصر يسير في عاداته ومعاملاته على طريقة اليهود، شنع به وأذاه وطلب تسليط عقوبة الردة<sup>(2)</sup> عليه، ولولا تدخل القاضي الفاضل عبد الرحيم قائلاً: «رجل يكره لا يصح إسلامه شرعاً»<sup>(3)</sup>.

وكان آخر ما أملاه موسى بن ميمون رسالة لعلماء اليهود بمدينة ليونيل بفرنسا بمدحهم فيها ويقول: «إن المتاعب العملية والمرض قد أنحلا جسمه، ولم يستطع الخروج من داره وهو يرى أن العلم قد هجر الديار الأندلسية وجميع الأقطار الشرقية، ولم يبق من حاملي الحضارة اليهودية غير يهود جنوب فرنسا»<sup>(4)</sup>. وكان القاضي الفاضل قد عاده في أثناء مرضه<sup>(5)</sup>.

وتوفي موسى بن ميمون بمصر في حدود واحد وستة مئة هجرية (13 ديسمبر 1204م) وقد أوصى

1 - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، (مرجع سابق)، ص 582.

2 - يقول ولفنسون: «ليس في جميع المصادر اليهودية أقل إشارة إلى إسلام أسرة ميمون في الأندلس أو في المغرب الأقصى، وقد مرت قرون كثيرة استمر فيها النضال الشديد بين أنصار موسى بن ميمون وأعدائه وفي أثناء هذه الحملات الشعواء لم يرم موسى بأنه خرج على دين أسلافه في أي مرحلة من مراحل حياته». إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص 27-28. ويستشهد ولفنسون على عدم إسلامه ما حكاه أبو الفرج الملقب (غريغوريوس أبو الفرج بن هارون المعروف بابن العبري، توفي حدود سنة 1286م) «فخرج من الأندلس إلى مصر ومعه أهله فترل مدينة الفسطاط بين يهودها فأظفر دينه وارتزق بالتجارة، وما يجري مجراها. وكان عالماً بشريعة اليهود وصنف كتاباً في مذهب اليهود سماه بالدلالة وبعضهم يستجده والآخر يذمه ويسميه الضلالة، وغلبت عليه النحلة الفلسفية وصنف رسالة في المعاد الجسماني وأنكر عليه مقدمو اليهود فأخفأها إلا عمن يرى رأيه، ورأيت جماعة من يهود بلاد الفرنج الغتم (عدم الإفصاح) بإنطاكية وطرابلس يلعنونه ويسمونهم كافراً، وله تصنيفات حسنة في الرياضيات ومقاربة في الطب، وأبتلي في آخر أيامه برجل من الأندلس فقيه يعرف بأبي العرب وصل إلى مصر وحاققه على إسلامه، ورام أذاه إلى أن حماه القاضي الفاضل وقال له: «رجل يكره لا يصح إسلامه شرعاً، ولما قربت وفاته تقدم إلى مخلفيه أن يحملوه إذا انقطعت راحته إلى بحيرة طرية فيدفنوه هناك لما فيها من قبور صالحهم، ففعل به ذلك». المرجع نفسه، ص 29. وحكاية إسلامه أو عدم إسلامه يوردها ولفنسون بالتفصيل مستعرضاً عدة أدلة تثبت أن ابن ميمون لم يسلم وبقي على دين أسلافه. المرجع نفسه، ص 33-34.

وإن كان بعض الباحثين المسلمين يرى أنه أسلم، والأمر غير ذلك، وهذا لتمويه الموحدين. عبد الحميد هو، الفرق والمذاهب اليهودية، ص 115.

3 - القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 210.

4 - نقلاً عن: المرجع السابق، ص 24.

5 - المرجع السابق والصفحة.

أسرته أن يحملوه إذا فارقت روحه جسده إلى بحيرة طبرية بفلسطين ويدفنوه هناك وذلك لما فيها من قبور بني إسرائيل وأحبارهم، وتم تنفيذ وصيته<sup>(1)</sup>، وبوفاته عم الحزن كامل مصر التي عاشت فيها الطائفة اليهودية، وقد قيل فيه الكثير من الرثاء حتى ذاع المثل بين اليهود: «من موسى إلى موسى لم يقم مثل موسى»<sup>(2)</sup>. يشيرون بذلك إلى أنه منذ عهد موسى بن عمران إلى عهد موسى بن ميمون لم يقم مثل موسى بن ميمون .

وينقل لنا ولفنسون أن بحارة اليهود بالقاهرة معبد يعرف بكنيسة موسى بن ميمون، ويرى أنه من أقدم المعابد وله منزلة عظيمة في ذهن اليهود، حيث تقام فيه مرة في السنة صلاة للترحّم على روح ابن ميمون، ويزعمون أن جثته بقيت فيه لعدة سنين في تابوت مقفل إلى أن نقلت إلى بحيرة طبرية<sup>(3)</sup> .

وفي احتفال اليهود بمرور ثمانمائة سنة على مولد ابن ميمون ينقل لنا ألكسندر بأن أحد اليهود شرح حروف الاختصار التي يتكون منها اسم ابن ميمون في " ربام " يقول : « أن حروف كلمة ربام ترمز إلى رئيس المتحدثين في كل مكان »<sup>(4)</sup> . وقد روى عبد اللطيف البغدادي عن ابن ميمون أنه كان فاضلا ولكن ليس في الغاية، فقد غلب عليه حب الرياسة وخدمة أرباب الدنيا<sup>(5)</sup> .

#### رابعا- أساتذة ابن ميمون :

إن هذه الشخصية العالمية وما وصلت إليه من درجة مرموقة في ميدان العلم والفلسفة، لا بد وأنها تأثرت وأخذت من غيرها سواء عن طريق الدراسة المباشرة أو غير المباشرة، أي عن طريق التلمذ أو القراءة لعلماء وفلاسفة عصره أو قبل عصره .

ومن بين أساتذة موسى بن ميمون والده الذي نشأ معه في بيت واحد، فلا بد أن يكون له تأثير قوي عليه، والإنسان كما يقال: ابن بيئته، فالإطار الأسري الذي أحتمضه ورباه كان عاملا قويا في تكوين شخصيته العلمية والفكرية، وكان والده قاضيا في المحكمة الشرعية اليهودية بقرطبة ولم يكن مثقفا في العلوم

1 - القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (مرجع سابق)، ص 210 .

2 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص 26 .

3 - المرجع نفسه والصفحة .

4 - Alexander Huitième, Centenaire de Maïmonide . نقلا عن: عبد الرزاق قنديل، الأثر الإسلامي

في الفكر الديني اليهودي، ص 248 .

5 - عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ط 02، القاهرة، مكتبة مدبولي، ج 02، 1999م، ص 1394 .

الدينية اليهودية فقط، بل كان من الذين اطلعوا ومارسوا العلوم الطبيعية والفلسفية ممارسة دقيقة، فكان لذلك الحمل المعرفي المتعدد تأثير لا بأس به في نشأة ابن ميمون، ومما يدل على ذلك ذكره<sup>(1)</sup> كم من مرة في مدونات المتعددة ونقله نصوصا عديدة عنه<sup>(2)</sup>.

ولما كان موسى بن ميمون في المرية بالأندلس، تتلمذ أيضا على يد الحاخام إسحاق بن يعقوب الفاسي - وهو من أساتذة والده - ويعتبر ذاك الحاخام خريج جامعة لوسيانا اليهودية - وتقع تلك الجامعة بين قرطبة وغرناطة - وقد أُلّف في التشريع التوراتي والتلمودي، ويعد كتابه تلمودا مختصرا وسماه "هالا خوت الأعراف" وقد حذف الربّي ابن يعقوب الفاسي جميع المناقشات الطويلة وحافظ فقط على تلك المقاطع المرتبطة بشؤون الحياة العملية، ولم يكن عمله منظما ولم يعجب ذلك الكتاب تلميذه ابن ميمون، فنشر مؤلفا منظما بعد ذلك عن القانون اليهودي، وبذلك لقب ابن ميمون: "نسر المعبد اليهودي"، وعرف عمله بمشنا التوراة والمعروف "آياد هزارقاه" أي "اليد القوية"<sup>(3)</sup>.

ولما انتقل ابن ميمون إلى فاس مع أسرته هربا من اضطهاد الموحدين، أكمل هناك تعليمه الديني والفلسفي، وكان ذلك على يد الحاخام والربّي يهودا هاكوهن بن سوسان والذي بدورده كان يتابع بتحمس شديد الدراسات الفلسفية والطبية والفلكية على يد أساتذة من علماء المسلمين الذائعي الصيت في جامعة القرويين<sup>(4)</sup>، أما غير أولئك من الأساتذة اليهود لم تذكر كتب اليهود وقواميسهم وموسوعاتهم آخرين، ومن الفلاسفة المسلمين الذين تتلمذ على كتبهم كالفارابي (ت 339هـ/950م)، حث يذكره عدة مرات في كتابه "دلالة الحائرين" وهو من الفلاسفة الذين تأثر بهم أيما تأثر وخاصة في نظرياته مثل: نظرية الفيض والسعادة والنبوة، والنظرية الأخيرة أعد لها في كتابه السابق 16 فصلا في الجزء الثاني، وأعطى لها تفسيرا عقليا ونفسيا بعيدا عن نظرة الوحي والشرع إليها.

ويذكر ابن ميمون الفارابي في كتابه السابق في الجزء الأول في الفصل 73 عند حديثه عن علم الكلام فيقول: «فأنتم في هذه المقدمة - العاشرة - تعتبرون الواجب والجائز والمستحيل تارة بالخيال لا بالعقل وتارة

1 - مثال ذلك قوله: « في مقدمة كتاب السراج ما يأتي وقد جمعت كل ما وصل إلي من تفاسير سيدي النوائد... ». ابن ميمون ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، (مراجع سابق)، ص 03.

2 - المرجع نفسه والصفحة.

3 - عبد المجيد مر، الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، ص 115 - 116.

4 - Haïm Zafrani, Juifs d'Andalousie et du Magreb, P114.



بيادئ الرأي المشترك كما ذكر أبو نصر الفارابي عند ذكره المعنى الذي يسميه المتكلمون عقلاً<sup>(1)</sup>. كذلك في نفس الجزء في الفصل 74 ص 221، وفي الجزء الثاني في الفصل 15 ص 18 عند معرض الكلام عن العقول الفعال، وأنه مفارق حيث يفعل وقتاً ولا يفعل وقتاً فيقول: « كما بين أبو نصر في مقالته "العقل" هناك قال كلاماً هذا نصه: « وظاهر أن العقل الفعال ليس دائماً يفعل، بل يفعل حيناً ولا يفعل حيناً». هذا نصه وهو حق بين<sup>(2)</sup>». كما ذكره في نفس الجزء الفصل 19 ص 330-331 .

كما قرأ ابن ميمون لابن أفلح الإشبيلي في علم الهيئة (الفلك)، حيث يقول: « وقد ألف ابن أفلح الإشبيلي الذي اجتمعت بولده كتاباً مشهوراً<sup>(3)</sup>، وأيضاً قرأ لابن باجة<sup>(4)</sup> عن طريق أحد تلاميذه، حيث يقول عند الحديث عن دلائل المتكلمين عن كون العالم محدث: « كما أوضح أبو بكر بن الصايغ هو ومن تجرد للكلام في هذه الغوامض<sup>(5)</sup>»، كما ذكره في الجزء الثاني الفصل 09 ص 293 والفصل 24 ص 345 ونفس الفصل ص 348 وفي الجزء الثالث الفصل 29 ص 581 .

كما ذكر ثابت بن قرة<sup>(6)</sup>، وقرأ له عند حديثه عن الأفلاك وموضعها بين كل فلكين، حيث يقول: «وقد بين ذلك ثابت بن قرة في مقالة له وبرهن على ما قلناه، أنه لا بد من جسم فلك بين كل فلكين<sup>(7)</sup>»، وفي نفس الجزء والفصل يذكر القفطي حيث يقول: « وكم بين المركزين بنصف قطر على ما برهن القبيصي في رسالة "الأبعاد"، فإنك إذا تأملت تلك الأبعاد تبين لك صحة ما نهتكت إليه فتأمل

1 - موسى بن ميمون، دلالة الخاترين، (مصدر سابق)، ص 208 .

2 - المصدر نفسه، ص 321 .

3 - المصدر نفسه، ص 293 .

4 - هو أبو بكر بن الصايغ المعروف بابن باجة عالم بعلوم الأوائل، وهو في الآداب فاضل فلم يبلغ أحد درجته من أهل عصره ومصره، وله تصانيف في الرياضيات والمنطق والهندسة استوزره أبو بكر يحيى بن تاشفين مدة عشرين سنة، وكان يشترك الأطباء في صناعتهم فحسدوه وقتلوه مسموماً، وكانت وفاته سنة (533هـ / 1138م). القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 265 .

5 - المصدر السابق، ص 220 .

6 - ثابت بن قرة بن مروان بن ثابت بن زكريا بن إبراهيم بن زكريا بن ماريون بن سالامانس أبو الحسن الخراساني الصابي. من أهل حران استوطن مدينة بغداد وكان الغالب عليه الفلسفة، وله كتب كثيرة في فنون العلم كالمنطق والحساب والهندسة والتنجيم والهيئة، وله كتاب "مدخل إلى كتاب إقليدس" عجيب وكتاب "مدخل إلى المنطق" وهو ترجم كتاب الإرمطاطيسي، واختصر كتاب "حيلة البرء" وهو من المقدمين في علمه، توفي في صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين المرجع السابق، ص 81 - 85 . ينظر: أبو نصر الفارابي، كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين، ص 59 .

7 - المصدر السابق، ص 347 .

عظيم هذا الإشكال»<sup>(1)</sup>، وهذا الكلام موجه لتلميذه المقرب يوسف بن عقين .

كما قرأ لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (الفيلسوف)، إلا أنه لم يتأثر به بل شنع عليه لما رآه يقول أن الشر في الكون هو الأساس والأكثر انتشاراً على الخير، حيث يقول: «وليس هذا الغلط عند الجمهور فقط إلا وعند من يزعم أنه قد علم شيئاً، للرازي كتاب مشهور ويسمى الإلهيات ضمنه من هذياناته وجهالاته عظام ومن جعلتها غرض ارتكبه وهو أن الشر في الوجود أكثر من الخير وإنك إذا قايست بين راحة الإنسان ولذاته في مدة حياته مع ما يصيبه من الآلام والأوجاع الصعبة والعاهات والزمانات والأنكاد والأحزان والنكبات فتجد أن وجوده - يعني الإنسان - نقمة وشر عظيم»<sup>(2)</sup> .

كما يشيد ابن ميمون بفضل فلاسفة الإسلام في عدة مواضع من كتاب " دلالة الحائرين "، ويتبين ذلك «من نصيحته لصموئيل بن تبون مترجم كتابه السابق حيث يقول له: «وأصح لك أن لا تدرس مصنفات أرسطو إلا عن طريق الإسكندر الأفروديسي أو ابن رشد، وألفت نظرك إلى ما كتبه أبو نصر الفارابي لأنه البر التقي وبخاصة مصنفه " مبادئ الموجودات "»<sup>(3)</sup>، فإنها تؤدي إلى حصافة العقل لأن أبا نصر كان حكيماً وفيلسوفاً كبيراً ومصنفاته صحيحة للعاقل وترشد إلى سبيل الحق لمن يبحث عن الحكمة.

أما مؤلفات ابن سينا فمع اشتغالها على جودة التدقيق ودقة التمحيص ليست مثل كتب أبي نصر الفارابي، وهي من المدونات المحبوبة التي تؤهل الإنسان للبحث بالإمعان في دقائقها»<sup>(4)</sup> .

كما تأثر ابن ميمون بأرسطو الذي عرفه عن طريق الترجمات العربية من أمثال ترجمة ابن حنين<sup>(5)</sup>، كما تأثر بيحيى النحوي<sup>(6)</sup>، وابن باجة، وابن طفيل، وثابت بن قرّة، والقيصي، وابن أفلاح الإشبيلي، والرازي،

1 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، (مصدر سابق)، ص 348 .

2 - المصدر نفسه، ص 496 .

3 - كتاب مبادئ الموجودات هو لقب للاسم الأصلي : كتاب السياسة المدنية .

4 - إبراهيم موسى الهنداوي، الأثر العربي في الفكر الديني اليهودي، ص 159 .

5 - ابن حنين هو إسحاق بن حنين (ت 298هـ/911م)، من نصارى الحيرة نسطوري مثل والده كان أفصح من أبيه العربية، عاون والده في "بيت الحكمة" خدام المعتقد والمعتضد، ونقل إلى العربية عن أفلاطون "سوفسطس" وعن أرسطو "الكون والفساد" وكتب النفس وبعض كتاب الحروف. أبو نصر الفارابي، كتاب الجمع بين رأي الحكيمين، تحقيق ألبر نصري نادر، ط 01، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1960م، ص 58 .

6 - يحيى النحوي المصري الإسكندراني تلميذ شاواوي كان أسقفاً في كنيسة الإسكندرية بمصر، ويعتقد مذهب انصارى اليعقوبية ثم رجع عما يعتقد النصارى في الثلاث لما قرأ كتب الحكمة، وعاش إلى أن فتح عمر بن العاص مصر والإسكندرية كان يحيى النحوي كثير التصانيف، صنف في شرح كتب أرسطوطاليس وكتاب الرد على برقلس القائل بالدهر ستة عشر مقالة وكتاب =

وأبو حامد الغزالي<sup>(1)</sup>، والفرغاني<sup>(2)</sup>، والحرايبي<sup>(3)</sup>، والفارابي، والمتكلمون<sup>(4)</sup>.

ويرى ليون الإفريقي أن موسى بن ميمون كان تلميذا لابن رشد، ومضيفا له أيضا حتى نكته وخشي أن يرى نفسه بين اختيار تسليم أستاذه وأن يرفض تضييفه ففر إلى مصر، ويرى إرنست رينان أن الأستاذ سلومون مونك أثبت أن تلك القصة مستحيلة الوقوع، لأن ابن رشد عندما نفى كان قد مضى على مغادرة ابن ميمون للأندلس أكثر من ثلاثين عاما هروبا من اضطهاد وتنكيل الموحدين، وقد قال ابن ميمون في كتابه " دلالة الحائرين " أنه كان تلميذا لأحد تلاميذ ابن باجة ولم يذكر ابن رشد، فضلا عن هذا فإننا نعلم التاريخ الصحيح الذي بدأ فيه معرفة مؤلفات ابن رشد وهذا في آخر سن حياته<sup>(5)</sup>، وإليك ما يعرب به عما ينازع نفسه في كتاب بعثه في سنة (1190م - 1191م) إلى تلميذه يوسف بن عقين قائلا له: « لقد تناولت في هذه الأزمة جميع ما ألف ابن رشد من كتب أرسطو عدا كتاب " الحس والمحسوس " وقد رأيت أنه وفق لإصابة الحق بيد أنني لم أجد حتى الآن متسعا من الوقت أدرس فيه مؤلفاته »<sup>(6)</sup>.

وبما أن ابن رشد توفي (595هـ / 1198م) وابن ميمون توفي سنة (1204م) فبهذا يكون ابن ميمون قد قرأ جميع مؤلفات ابن رشد في ثلاث عشرة سنة، ويمكن القول أنه خلال تصحيحاته لكتاب " دلالة الحائرين " قد رجع إلى كتب ابن رشد واستفاد منها ويقول حسين آتاي: « ما نذهب إليه من تأثيرات ابن رشد واضح في كتاب دلالة الحائرين »<sup>(7)</sup>، ويذكر ديلاس أوليري أن ابن ميمون قد سمع عن ابن رشد أول

= الرد على أرسطو طاليس ستة مقالات . القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (مرجع سابق)، ص 232 .

1 - أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي فقيه ومتكلم وفيلسوف وصوفي ومصلح ديني واجتماعي، ولد سنة 450هـ بطوس من أعمال خراسان رار دمشق والأندلس والخليل والقاهرة والإسكندرية ومكة والمدينة، وانقطع إلى العبادة وذكر الله في آخر أيامه عاد إلى مسقط رأسه ومات فيها سنة (505 هـ)، وله كتب منها: "إحياء علوم الدين" و" تحافت الفلاسفة " و" المنقذ من الضلال " وغير ذلك. ابن قنفذ، كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، ط 01، منشورات المكتب التجاري، 1971م، ص 266 - 267 .

2 - محمد بن كثير الفرغاني كان منجما فاضلا صانعا في علم الحدثان، كثير الإصابات له سهم صائب في سهم الغيب مقديما في صناعة النجومية وله من الكتب " كتاب الفصول " و " كتاب احتضار الجسطي " و " كتاب عمل الرخامات " . المرجع السابق، ص 188 .

3 - يوسف الحرايبي طبيب نزيل الأندلس رحل من المشرق إلى المغرب ونزل الأندلس في أيام الأمير محمد الأموي المستولي عن تلك الديار، وكان رجلا ذكيا عالما بأخبار الناس وطيبا مشهورا حيث مال إليه أطباء بلاد الأندلس . المرجع نفسه، ص 258 .

4 - عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1994م، ص 41 .

5 - إرنست رينان، ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتير، ص 188 .

6 - المرجع نفسه والصفحة .

7 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص XXIV .

ولا بد من الإقرار بأن موسى بن ميمون كان قد عرف مؤلفات أبو حامد الغزالي واطلع عليها، وقرأ له "تهافت الفلاسفة" والذي يعتبر رائعة من روائع الأدب الديني، والذي حرص فيه على نقض مما في فلسفة ابن رشد فكان رد الأخير "تهافت التهافت"، ولكن على ما يبدو أن مؤلف "دلالة الحائرين" قد تأثر ببعض مظاهر الفكر لدى عظماء فلاسفة المسلمين، إلى درجة أنه تبني بعض مقدماتهم<sup>(2)</sup> .

لم يستمد ابن ميمون ثقافته من خلال التقليد اليهودي - بنوعيه المكتوب والشفوي - إنما كان لمعرفة الكبيرة للثقافة العربية الإسلامية الدور الكبير في أن تسمح له بالقراءة والدرس من علماء المسلمين، والذين بدورهم واجهوا نفس المشاكل المترتبة عن العلاقة المتشابكة بين الدين والفلسفة .

لقد أولى ابن ميمون للمساهمات الكبيرة التي قدمها فلاسفة المسلمين وأطبائهم وفلكيوهم عناية كبيرة لاسيما العلوم السياسية، إضافة إلى أنه أوصى يوسف بن عقنن بقراءة المؤلف التمهيدي لابن سينا، والذي يحمل عنوان "حي بن يقظان"<sup>(3)</sup>، إلا أن هناك كتابين إسلاميين استقطبا اهتمامه والذين أولى لهما عناية خاصة وذلك في حضور رفيق الدرس يوسف بن عقنن، ويتعلق الأمر هنا بـ "تدبير المتوحد" لابن باجة، وأيضا "حي بن يقظان" لابن طفيل المتوفى سنة (571 هـ/1185م)<sup>(4)</sup> .

ويظهر تأثير ابن سينا في كتابه - ابن ميمون - "دلالة الحائرين" على الرغم من عدم ذكر اسمه، إلا أن ابن ميمون يطور أحيانا بعض الأفكار والتي هي قريبة منه إلى درجة كبيرة، ولهذا وجه له من طرف بعض الفلاسفة اليهود اللوم من أمثال إسحاق البلاخي ويوسف بن قسبي وموسى النربوني، لاقتباسه خصوصا وفقرات دون إرجاعها إلى مصدرها .

وفيما يلي «فقرة مقتبسة من نص لابن سينا: «إذن إنني أطلب من الحكيم أن يدلني على طريق السفر، وأن يوضح لي كيف يمكنني الشروع في ذلك السفر الذي يقوم به في حد ذاته، وبذلك جعله يتصرف ذاك

1 - ديلاس أوليري، الفكر العربي ومكانه في التاريخ، ترجمة تمام حسان، القاهرة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، [د، ت]، ص221 .

2 - Haïm Zafrani, *Juifs d'Andalousie et du Magreb*, PP123 - 124 .

3 - تجدد هذه الرسالة ورسالي ابن طفيل والسهورودي في الموضوع نفسه في كتاب أصدرته دار المعارف بعنوان "حي بن يقظان" أحمد فؤاد الأهواني، ابن سينا ط02، القاهرة، دار المعارف [د، ت]، ص26 .

4 - Maurice - Ruben Hayoun, *Maïmonide ou l'autre Moïse*, P177.

السلوك والذي من خلاله بدا وكأنه يحترق شغفا من أجل تحقيق أهدافه، ولقد رد علي: أنت وكل هؤلاء الذين أحوالهم تشبه أحوالي لا يمكنكم الشروع في ذلك السفر الذي أقوم به أنا بنفسي، وبالتالي فهو محرم عليكم، إن الطريق مسدود عليكم جميعا اللهم إذا ساعدك قدرك السعيد في تحقيق ذلك، ومنه فهو يفصلك عن هؤلاء الرفقاء. « لكن الآن ساعة الفراق لم تكن بعد، لقد كانت هذه الكلمة ملتصقة بلسانه تماما على تلك الحال التي لم يتوقعه أحد قط، وبالتالي عليك أن تسعد بذلك السفر البعيد كل البعد عن محطات التوقف وعدم الحركة، وعن قريب سوف تكون على الطريق الصحيح وأيضاً سوف تختلط شيئاً فشيئاً مع هؤلاء الرفقاء، وفي كل مرة تكون فيها وحيداً من أجل متابعة مسيرتك بكل نشاط وجد ستجدني حتماً معك، وستكون معزولاً عن الجماعة وفي كل مرة تتوق إليهم وستولي الأدبار نحوهم، وستكون بالتالي قد عزلت عني لتصل في الأخير إلى تلك اللحظة التي تقطع فيها اتصالك تماماً هؤلاء .

ومن خلال هذه الفقرة فإننا نجد معظم مكونات أو عناصر ذلك السفر المساري ( المسارة هي تلك الاحتفالات التي كانت تقام لإيقاف عضو جديد على بعض أسرار الديانات القديمة والجمعيات السرية الحديثة). أين يكون الإنسان قد أعد سلفاً لأن يكتشف تلك المناطق المرتفعة والتي من خلالها أقيم ذلك الحوار مع تلك الشخصية الفكرية والمثثلة هنا من طرف الشيخ الذي يبقى دائماً ذاك الشاب ألا وهو "حي بن يقظان" <sup>(1)</sup>.

في نهاية الأمر، فإن تلك المحاور قد قادتني إلى التساؤل حول تلك الأقاليم التي ذهب إليها، وكذلك حول هؤلاء الذين تبنا معرفته والذين من خلاله طوروا جميع معارفهم، فيقول لي: « إن جميع مقاطعات هذه الأرض تبدو ثلاثية : فالأولى تبدو تلك التي تتوسط بين المشرق والمغرب، ومن بين التي نعرفها جيداً، فإن هناك العديد من المعلومات التي تتعلق بما سترد في أقرب الآجال، إضافة إلى ذلك ستأتي إليك البشرية عن تلك الأشياء المدهشة والعجيبة التي يحتويها هذا الإقليم <sup>(2)</sup>، لكن بالمقابل يوجد هناك مقاطعتان أجنبيتان : الأولى تتموقع فيما وراء المغرب والأخرى فيما وراء المشرق. وبالنسبة لكل واحدة منهما، فإنه يوجد ذلك العائق أو الحاجز الذي يقف ما بين هذا العالم وتلك المقاطعة الأخرى، لأنه ليس بإمكان أي أحد أن يغالي في مفهوم هذه الفقرة. باستثناء أولئك "المختارون" من أوساط عامة الناس، أي هؤلاء الذين تمكنوا من

1 - Maurice - Ruben Hayoun, *Maïmonide ou l'autre Moïse*, P178 .

2 - *Ibid*, P179 .

اكتساب تلك القوة التي لا يمكن للفرد البشري أن يستحوذ عليها بصفة طبيعية»<sup>(1)</sup> .

تبدو هذه الفقرة الصغيرة في غاية الوضوح ومن خلال الفصل 51 من الجزء الثالث من "دلالة الحائرين"، فإن ابن ميمون يطور بالفعل شيئا من المجاز مثل ما حدث في قصر الملك، إن هذا المجاز له نفس النكهة التي يحملها النص الذي أتى به ابن سينا والذي يدلي بدلوه هو كذلك .

إن السلطان في قصره وأهل طاعته كل منهم قوم في المدينة وآخرون خارجها، والذين في المدينة منهم من استدير دار السلطان ووجهه متجه في طريق أخرى، ومنهم من قصد دار السلطان ووجهه إليه وطالب دخول داره والمثول عنده، لكنه ما رأى قط سور الدار، ومن القاصدين من وصل إلى الدار وهو يسدور حولها يطلب بابها، ومنهم من دخل من الباب وهو ماش في الدهاليز، ومنهم من انتهى إلى أن دخل إلى قاعة الدار وجعل مع الملك في موضع واحد وهو دار السلطان، وليس بمحصوله في داخل الدار يرى السلطان أو يكلمه، بل بعد حصوله في داخل الدار لا بد له من سعي آخر وحينئذ يحضر بين يدي السلطان ويراد على بعد أو على قرب أو يسمع كلام السلطان أو يكلمه<sup>(2)</sup> .

بعدها يشرع ابن ميمون في شرح الرواية التي نسجها على منوال "حي بن يقظان" وذلك باستخدام المجاز في الألفاظ التي وردت في الرواية .

وتعتبر فلسفة ابن ميمون شبيهة إلى حد كبير نظيرتها الأرسطية التي لاحظناها في ذلك الزمن، وكانت متأثرة إلى درجة كبيرة بالفلسفة السياسية لأفلاطون .

وفي رسالة موجهة إلى مترجم كتابه "دلالة الحائرين" صموئيل بن تيون يشير ابن ميمون إلى مصادر المتميزة، كتب ومؤلفات أرسطو وتفسيرها المختلفة عن طريق "الإسكندر الأفروديسي"<sup>(3)</sup> وأيضاً

### 1 Maurice - Ruben Hayoun, *Maimonide ou l'autre Moïse*, P179 .

- 2 - موسى بن ميمون، *دلالة الحائرين*، ص 714 - 715 .
- 3 - الإسكندر الأفروديسي: كان في زمن ملوك الطوائف بعد الإسكندر بن فليس ورأى جالينوس الطبيب وعاصره وكان ينقب بجالينوس رأس البغل، لأنه اجتمع به وناظره وجرت بينهما محاورات ومشاغبات ومخاصمات، إذ ذاك رأس البغل لقوة رأسه وكان هذا الإسكندر فيلسوف وقته، شرح من كتب أرسطو ما ليس بالكثير، وكانت شروحه يرغب فيها في الأيام الرومية وفي الملة الإسلامية، وللإسكندر من الكتب "كتاب النفس"، ومقالة "كتاب الرد على جالينوس في التمكن"، مقالة "كتاب العالية"، مقالة "كتاب عكس المقدمات"، مقالة "كتاب العناية"، مقالة "كتاب الفرق بين الهيولى الأصول والجنس" وغيرها من الكتب . القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 40 - 41 . ينظر : ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 106 - 107 .

"تامستوس"<sup>(1)</sup> وابن رشد، دون أن ننسى كتابات الفارابي وابن باجه وابن سينا إلا أن حصة الأسد من التأثير على نهج الفيلسوف كانت للفلاسفة الإسلاميين .

لقد كان تأثير الفارابي الذي أولاه ابن ميمون درجة كبيرة من الاهتمام حول المذاهب التي أتى بها "دلالة الحائرين" وتلك التي هي متعلقة بالنبوة والدور السياسي للنبي، كان معروفا جدا<sup>(2)</sup> .

كما لم يخل التأثير اليهودي عليه من خلال بعض المفكرين، إلا أنه كان ثانوي مقارنة مع الفلاسفة اليونان والمسلمين، وهذا نظرا لأن اليهود لم تكن لهم نظريات فلسفية تغري الباحث وتدعوه إلى التأثير بها، بحكم أنهم كانوا منغلقيين على أنفسهم، في إطار تراث روحي خوفا من ضياعه وتشويهه، ومن هؤلاء المفكرين اليهود: إسحاق الإسرائيلي<sup>(3)</sup>، ويوسف بن صديق<sup>(4)</sup> .

زيادة على ذلك نجد لابن ميمون إيماءات لأفلاطون وأيضا إلى أنصار نظرية فيثاغورث، إضافة إلى آبيقور<sup>(5)</sup> .

1 - كان فيلسوفا، وكاتباً لليوليانوس المرتد إلى مذهب الفلاسفة غير النصرانية وزمانه بعد زمان جالينوس وله من الكتب: كتاب ليوليانوس في التدبير، وكتاب الرسالة إلى لوليان الملك، ومن التفاسير على أرسطو الكلام على قاطفورياس، وكتاب نولوجيكا الأول وهو تحليل القياس، وكتاب أنولوجيكا الثاني وهو البرهان . ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء. (مراجع سابق)، ص ص 75 - 76 .

2 - Haïm Zafrani, *Juifs d'Andalousie et du Magreb*, P122 .

3 - إسحاق الإسرائيلي (830م - 950م) مصري هاجر إلى القيروان التي كانت آنذاك من أهم المراكز الثقافية الإسلامية في العصور الوسطى اشتهر كطبيب، ويعتبر أول فيلسوف أفلاطوني محدث في اليهودية ولو أن ابن ميمون لا يدرجه ضمن الفلاسفة، ويقول عنه : « أنه طبيب فحسب، وقد يكون ابن ميمون على حق فكتابه " كتاب التعاريف " و " كتاب العناصر "، وهما محفوظان في ترجمتهما العبرية واللاتينية من أصولهما العربية، لا يبدى فيها إسرائيلي الكثير من الأصالة، غير أن استطراداته الكثيرة المنطقية والميتافيزيقية والطبية، وهوامشه على كتاب التعريفات تعد محاولات جادة لتكوين مذهب يهودي على أساس من الفلسفة الإسلامية القائمة على أرضية إغريقية من الفلسفتين المشائية والأفلاطونية المحدثة، والغاية عنده من الفلسفة هي معرفة الله بقدر ما يستطيع الإنسان وهو هدف عقلي أكثر منه خلقي... » .د.عبد المنعم الحفني، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ص 47 .

4 - يوسف بن صديق (ت 1149م) القرطبي الأندلسي من دائرة الثقافة الإسلامية، يستخدم مذهب الأشاعرة ليهاجم به مذهب المعتزلة عند اليهود القرائين خاصة يوسف البصير، وهو يقول كإخوان الصفا أن الحكمة هي تحصيل المعرفة بالله، وتبدأ الحكمة عندما يعرف الإنسان نفسه، وكمال المعرفة أن يعمل بمقتضى المعرفة بالله، ولكن ابن الصديق يظل يهوديا، مع كل ما يقتسه من الثقافة الإسلامية، فهو ينكر البعث الجسماني، ويقول أن البعث لا يكون إلا للفضلاء . المرجع نفسه، ص ص 32 - 33 .

5 - من فلاسفة اليونان وحكمائهم، كان بعد أيزدقلس الحكيم زمان وأخذ الحكمة عن أصحاب سليمان بن داود .مصر، حين دخلوا إليها من بلاد الشام وقد أخذ الهندسة قبلهم عن المصريين ثم رجع إلى بلاد اليونان فأدخل إليهم علم الهندسة استخرج بذلك علم الألحان وادعى أنه استفاد ذلك من مشكاة النبوة وله في نبض العالم وترتيبه على خواص العدد ومراتبه رموز عجيبة وأغراض بعيدة وله في شأن المعاد مذاهب، ولفيثاغورس تأليف شريفة في الإرتماطقي والموسيقى وغير ذلك . التقطبي =

خامسا- أثر ابن ميمون على غيره :

من المعلوم أن تأثير العالم والأستاذ أول ما يكون على تلامذته، ثم يتعداهم إلى غيرهم سواء عن طريقهم أو عن طريق كتاباته وآرائه، ولذا كان أول المتأثرين بابن ميمون لما كان في الديار المصرية من تلامذته الرابي يوسف بن عقنين<sup>(1)</sup>، وكذلك الحكيم كالب، وسعديا بن بركات، وقد اشتهر الأخير برسائله التي اشتملت على ثمانية أسئلة وجهها إلى أستاذه ثم دون ما أجابه عليها<sup>(2)</sup>، وكذلك يعقوب بن ثنائيل<sup>(3)</sup>.

كما تأثر به وناصر النقل على العقل ولده إبراهيم(1186م-1237م)<sup>(4)</sup>، حيث حاول ابنه التوفيق بين الربانية والفلسفة، إلا أنه اختلف عن أبيه في أمور، فبينما كان والده عقلاويا وميوله أكثر للفلسفة فإن إبراهيم كان من أهل الكشف والتصوف، وكتابه "كفاية العابدين" بالعربية موسوعة في الصوفية.

بعدما تأثر به ابنه وأحفاده تعدى تأثيره كثير من الأوساط الدينية والفكرية اليهودية كابن لطيف<sup>(5)</sup>

(1210م-1280م)، وسعد بن كمونه<sup>(6)</sup> (ت1285م)، وهليل بن شوثيل<sup>(7)</sup> (ت1295م)، وفلقاري<sup>(8)</sup>

= أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (مرجع سابق)، ص 170 - 171.

1 - وهو غير يوسف بن يهوذا بن يعقوب بن عقنين (1150م - 1220م) وهو من دائرة الثقافة الإسلامية ولد بـيرشـلـونة الأندلس، وأقام في فاس بالمغرب وفيها التقى بموسى بن ميمون في رحلته من الأندلس إلى مصر. عبد المنعم الحفني، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ص 143.

2 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص 14.

3 - المرجع نفسه، ص 56.

4 - عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود، ص 39.

5 - هو إسحاق بن إبراهيم بن لطيف، من دائرة الثقافة الإسلامية قرأ الفلسفة اليونانية من خلال الشروح العربية، وتأثر كثيرا بالفارابي وابن ميمون، ويأخذ عن الأول نظريته في المدينة الفاضلة، كما تأثر بابن جبيرول ويعد أفلاطونيا حيث تخرج الفلسفة بالتصوف. المرجع نفسه، ص 38.

6 - هو سعد بن منصور بن كمونه، بغدادى من المدافعين عن اليهودية ضد خصومها اليهود المرتدين إلى الإسلام وأحسبهم السموأل بن يحيى المغربي صاحب كتاب "إفحام اليهود" ومصنفه "تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث" باللغة العربية ولا يستخبر في كتابه إلا للرازي على الرغم أنه نقل في فصل النبوة من أقوال لابن سينا والغزالي والميموني، ثم يحاول التصدي لأسس الديانات الثلاثة متهما الإسلام النقل على اليهودية. عبد المنعم الحفني، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ص 34 - 35.

7 - إيطالي فلسفته عقلية على طريقة ابن ميمون، وبسببه صدر الحكم بحرمان سليمان بن إبراهيم من موبلييه الذي كسان يؤنب يهود جنوب فرنسا على مذهب ابن ميمون في تأويله التوراة بالفلسفة اليونانية وخاصة عند أرسطو، ولابن شوثيل كتاب وحيد "جمال النفس" (تحو 1288م)، عبارة عن ترجمات لابن رشد. المرجع نفسه، ص 32.

8 - شطوب فلقاري أسباني صاحب "دليل الدليل" يشرح به كتاب دلالة الحائرين للميموني، ونال به استحسان علماء اليهود عامة وله ترجمات لكتابي الفارابي "إحصاء العلوم" و "الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون و أرسطو"، ورسالة ابن سينا في النفس، ورسائل إخوان الصفا. المرجع نفسه، ص 158.



(1225م-1295م)، والبيديسي<sup>(1)</sup> (1270م-1340م)، وابن جرشون<sup>(2)</sup> (1288م-1344م)،  
وابن وقار<sup>(3)</sup>، والزاي<sup>(4)</sup> (نحو 1310م-1360م)، واسينوزا<sup>(5)</sup> (1632م-1677م) .

واصل أبناء ابن ميمون وأحفاده حيث كانوا مثله علماء، فخلفه ابنه إبراهيم في منصب النجيد وطبيب البلاط عام 1205م، وخلفه أيضا حفيده داود بن إبراهيم وابن حفيده سليمان بن إبراهيم في زعامة اليهود، واحتفظ الثلاثة كلهم بتقاليد ابن ميمون في الفلسفة<sup>(6)</sup> .

وانتقل تأثير ابن ميمون إلى بلاد أوروبا المسيحية حيث عد جيوم الأفرنجيني *Guillaumed'auvergne* (ت 1249م) أسقف مدينة باريس أول من استمد نصوصا وآراء من " دلالة الحائرين " في القرن الثالث عشر، وفعل ذلك دون ذكر لاسم ابن ميمون، أما ويلهلم من مدينة هالس *J Wilhelm Von Hales* (ت 1245م) فقد ذكر اسم موسى في كثير من مصنفاته باسم

- 1 - هو بدايا بن إبراهيم البيديسي، فرنسي ثقافته إسلامية وقراءاته في الفلسفة من خلال ما كتب عنها وفيها بالعربية، وله تعليقات على كتاب القانون لابن سينا، وشروح على تعليقات ابن رشد على كتاب الطبيعة لأرسطو، وملخص لكتاب النفس لأرسطو العقل والمقالة للفارابي، وشروح على كتاب دليل الحائرين، ورد على سليمان أدرت وترجمة لكتاب دفاعا عن الفلسفة والإيمان القائم على العقل . عبد المنعم الحفني، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، (مرجع سابق)، ص 57 .
- 2 - لاوي بن جرشون المعروف عند اللاتين باسم GERZONIDES، وكتابه " سفر ملاحم الرب " الذي جمعه من آراء الفارابي وابن سينا وابن رشد على الخصوص، ويستخدم ابن جرشون البرهان الغائي ليثبت وجود الله وأن العالم مخلوق، وهو عكس ابن ميمون و الفارابي، ويقول مع أرسطو أنه مخلوق من مادة قديمة وليس من العدم إلا أن قدمها لا يعني فوق الزمن. المرجع نفسه، ص 28 . ينظر : Eliad et Couliano, *Dictionnaire des religions*, P23 .
- 3 - يوسف بن إبراهيم بن وقار، من إسبان القرن الرابع عشر ومن دائرة الثقافة الإسلامية، له كتاب " المقالة الجامعة في بيان الفلسفة والشريعة " بالعربية يقلد فيه ابن رشد والغزالي، ويحاول التوفيق بين أهداف ومناهج الفلسفة والشريعة، والفلسفة التي يعرفها هي التي يعرفها ابن رشد والفارابي وابن سينا وابن طفيل في كتبهم، وفلسفته اليهودية يستقيها من الميموني وموسى اللاوي . المرجع نفسه، ص 40 . ينظر أيضا: عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود، ص 45.
- 4 - مائير بن إسحاق الزاي أو الذئب، صاحب كتاب " سل الإيمان " صنفه على طريقة المسلمين وهو يقتبس منهم كثيرا ولا يذكر ذلك، ويذكر أنه يهدف إلى إثبات أن الفلسفة الإغريقية وخاصة عند أفلاطون وأرسطو في حقيقتها يهودية، ويحاول أن يقارب بين أقوال اليونانيين كما هي واردة عن ابن ميمون وابن جرشون وابن باقودا . المرجع نفسه، ص 111.
- 5 - أعظم من تصدى لقومه بالنقد في أشهر كتبه " البحث في اللاهوتي السياسي " (سنة 1670م) ميينا تحافت أسطورة الشعب المختار ولذلك لم يقصر النبوة عليهم كما يزعمون بل جعلها في كافة الأمم وهو ما يشهد به كتابهم نفسه، وحمل اسبينوزا على التوراة طويلة وكان واضحا أن اسبينوزا مطلع على ديانته عارفا بوجوه التقصير فيها، والواقع أنه نشأ في بيت، فأبواه رغم جنسيتها الهولندية من يهود المارانو البرتغاليين، وهم طائفة اضطرت إلى اعتناق المسيحية تقية فلما سنحت لهم فرصة العودة لدينهم عادوا إلى يهوديتهم، ولقد تلقى اسبينوزا تعليما دينيا لكنه اتجه إلى دراسة الفلسفة، وتأثر بالتراث اليهودي خاصة عند ابن جرشون وابن ميمون وسعديا . المرجع نفسه، ص 119 - 123.
- 6 - ول دورانت، قصة الحضارة، مج 04، ح 03، ص 132.

الحبر موسى المصري، وذكره كذلك وينسنسر دي بوفيه Vincenz de Beauvais (ت1264م) والذي كان من رؤساء حركة الدومينيقي كما ذكر زعيم فلاسفة القرن الثالث عشر ألبرت الأكبر Albertus Magnus (ت1280 م)، حيث اقتبس من مدونات مفكري اليهود وكان فيها اسم موسى، وفعل كذلك تلميذه الشهير توماس دي أكوينو Thomas d'aquins (ت1274م)، حيث أدمج الآخرين الكثير من الآراء لموسى بن ميمون دون أن ينسبها له<sup>(1)</sup>، كما ينقل لنا إسرائيل ولفنسون طائفة أخرى من القرن 16 و17 ككيوهنس روشلين Jhohanes Reuchlin (ت1522م)، وجان بودن Jean Bodin (ت1596م)، ويوسف يوستوس سكاليجر Joseph Justus Scaliger (ت1609 م)، حيث أن هؤلاء ينقلون نصوصا كثيرة من كتاب الدلالة<sup>(2)</sup>.

كما أن موسى السرجوسي الطبيب الخاص لملك يعقوب الأول ملك أرجونيا، نشر هو وغيره من كبار الأخبار بالأندلس رسالة حث فيها اليهود بالتمسك بالتعاليم التي وردت في "دلالة الحائرين"، وذكر فيها أن أحبار التلمود أنفسهم أباحوا معرفة الله عن طريق النظر والمنطق، كما ذكر أن دراسة الفلسفة تعاون رجال الدين على محاربة الفلاسفة الملحد<sup>(3)</sup>.

ولقد كان لتأثيره هزة عظيمة في مفكري اليهود وحتى عامة الشعب، وقد ساعد على ذلك الرسالة التي ألفها إبراهيم بن موسى بعنوان "رسالة الكفاح في سبيل الله" لذكره أسباب تأليف "دلالة الحائرين" وأسباب محاربة الرجعيين للفلسفة، والرد على التهم التي وجهها الأعداء إلى والده، وساق فيها قصيدة لشاعر مجهول تتضمن أن الأعداء وإن نجحوا في حرق صحف من "دلالة الحائرين" فإنهم لم يفلحوا في حرق تعاليم موسى بن ميمون لأنه قبس من نور<sup>(4)</sup>، ومما يظهر تأثير فلسفة ابن ميمون أن الذين كانوا معارضين له ندموا على أفعالهم العداوية، ومما يدل على ذلك أن يونس الجيروندي نوى أن يحج إلى قبر موسى بطبرية مستغفرا، إلا أن الوفاة باغتته في طليطلة قبل الوصول إلى قبره<sup>(5)</sup>.

ويقول ولفنسون: «والذي لا شك فيه أنه ليس هناك كتاب عبري بعد الكتاب المقدس، وصحف

1 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، (مرجع سابق)، ص129.

2 - المرجع نفسه، ص130.

3 - المرجع نفسه، ص133.

4 - المرجع نفسه، ص135.

5 - المرجع نفسه، الصفحة .

التلمود قد أثر أثرا عميقا في حياة اليهود مثل كتاب "دلالة الحائرين"، لأن أنصار موسى في حياته وبعد وفاته كانوا يقرؤونه في الكنائس ويدرسونه في المعابد، وأصبح عماد الاسترشاد لكل من يدرس كتب الدين وفقه الشريعة»<sup>(1)</sup>.

### سادسا- الرافضون لفكره :

مهما وصل الإنسان إلى مراتب العلوم والفنون ومهما بلغ تأثيره في الجماهير وتلامذته وأقرانه لا بد أن يكون له أعداء ومعارضون، إما حسدا من عند أنفسهم أو اختلافا في الرأي وهذه سنة الله في خلقه، فمهما أوتي الإنسان من علم وعمل خير فلا يمدح من كافة الناس فلا بد أن يذم من مجموعة، وموسى بن ميمون من بين خلق الله الذين أثروا في غيرهم إما إيجابا أو كان تأثيرهم عكسيا عليهم، حيث خالفه من بني ملته الكثير في اتجاهه الفلسفي الذي أدى بتطبيق آراء أرسطو على الكتاب المقدس واستخدام المجاز والاستعارة في شرحه يبلغ حد الشعوذة، ورفض ما جاء فيه من القصص التاريخية والقول بأنها غير صحيحة، حيث قيل عن قصة إبراهيم وسارة ليست إلا خرافة، وأن قواعد الطقوس اليهودية ليس لها غرض رمزي، ويظهر أن صرح الدين اليهودي كله يكاد أن ينهار على رأس أحبار اليهود، وقد قاوم بعضهم هذه التزعنة مقاومة عنيفة، قاومها شموئيل الفلسطيني، وإبراهيم بن داود البسكوبيري، وماير بن تادرس هاليفي أبو العافية الطليلي، ودون أستوك اللونكي، وسليمان بن أبراهام من يهود مونبيليه<sup>(2)</sup>. وذاك الأخير يعد زعيم المعارضين بمعاونة اثنين من كبار تلامذته هما: يوسف جيروندي وداود بن شاؤول، حيث عملا على تأليب الرأي العام اليهودي وأظهرا سخطهما على كل من يدرس كتاب "دلالة الحائرين"، ومن يؤول نصوص التوراة وآراء التلمود على طريقة الفلسفة وحذروه بالحرمان من حقوقه الشرعية<sup>(3)</sup>، واشتعلت الحرب بين أنصار موسى بن ميمون ومعارضيه مما حدا بموسى بن نحمان لبذل جهود كبيرة للتوفيق بين أنصاره ومعارضيه، ولكنها باءت بالفشل بسبب اتصال بعض معارضي موسى بن ميمون بالدومينيقين حيث حرضوهم على مصادرة مدوناته لاشتمالها على أسرار تضر بالمسيحية أيضا فقام الدومينيقيون - وكانوا في ذلك أصحاب السلطة في فرنسا - بإحراق مصنفاته، على مرأى من الجماهير بمدينة مونبيليه وباريس

1 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، (مرجع سابق)، ص 136.

2 - ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، مج 04، ج 03، ص 133.

3 - المرجع السابق، ص 132 - 133.

سنة (1233م). ولم تنته الأحداث عند إحراق كتب ابن ميمون بل إن المعارضين ألحوا على ألدومينيقيين أن ينجسوا على أنصاره فاضطهدوهم واكلوا بهم أشد تنكيل، وكادت حياتهم تكون في خطر وقد احتج بعض الحاخامات من يهود الأندلس على تلك الإضطهادات: منهم إبراهيم بن حسداي من مدينة برشلونة، وشموئيل سابورته.

وبعد سنة (1305م) اجتمع رؤساء الدين اليهودي بمدينة برشلونة وأعلنوا نبذهم لكل من يدرس العلوم الفلسفية قبل سن الخامسة والعشرين، وهذه إشارة لتحريمهم دراسة كتاب " دلالة الحائرين " (1)، وكان من جملة المفكرين اليهود الذين عارضوا فلسفة موسى بن ميمون لتعارضها مع المعتقدات اليهودية هارون بن إلياس (2)، وقريشقيش (3)، والناربوني (4)، وشمطوب بن يوسف (ت1480م) الذي يرى في كتابه " الأمانات " أن موسى قد جاء للضلالة لا لدلالة الحائرين من المجتمع اليهودي، مما جعل الكثير يردون عليه دفاعا عن موسى بن ميمون وكان من أشهرهم الأشقر التوشي (ت1533م) ودوران (5)، وأرم (6) .

- 1 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، (مرجع سابق)، ص ص134 - 135.
- 2 - هو هارون بن إلياس أو هارون الأصغر (1328م - 1369م) تميزا له عن هارون الأكبر أو ابن يوسف الذي عاش قبله بقرن، وابن إلياس قراء تركي من دائرة الثقافة الإسلامية اشتهر بكتابه " شجرة الحياة " (1346م) يعارض به كتاب " دلالة الحائرين " لموسى بن ميمون، ويؤدّه بنقد شديد للفلسفة اليونانية أو الشطحات الإغريقية كما يسميها، مؤثرا عليها علم الكلام . عبد المنعم الحفني ، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ص 26 .
- 3 - حسداي قريشقيش (نحو 1340م - 1410م) أسباني يأتي في المرتبة الثانية بعد الميموني، وفلسفته يعارض بها فلسفة أرسطو كما طرحها الميموني في كتابه " دلالة الحائرين "، وقد ألف قريشقيش كتابه " نور الله " بروح التراث اليهودي ينتقض به كتاب الميمون وكل ما يتصل أو من يتصل بفلسفة أرسطو، وتعرض للفارابي وابن سينا والغزالي وأبن باجة وكان شديد النقد لابن رشد، أما ابن ميمون فبرغم من هذا إلا أنه لا يقلل من شأنه كيهودي . المرجع نفسه، ص 174.
- 4 - هو موسى بن يشوع (ت1362م) وشهرته موسى الناربوني، ولد بناربون من أعمال الجنوب الفرنسي وعاش ابتداء من (1344م) متقلبا مدن إسبانيا وبها كتب شروحه على كثير من النصوص الإسلامية أخصها " مقاصد الفلاسفة " للغزالي، و" حي بن يقظان " لابن طفيل، وأغلب كتب ابن رشد، وكتاب " دلالة الحائرين " للميموني، وهو يحيل لابن رشد ميلا ظاهريا ويعارض به اتجاهات الميموني لصبح اليهودية بالأفلاطونية التي تعلمها على ابن سينا والفارابي، ورغم عقلانيته لم يستطع التخلص من الحلول والتشبيه الإسرائيليين . المرجع نفسه، ص 229 .
- 5 - إسحاق بن موسى (نحو 1414م) المعروف بالأفودي Efodi أو اسمه المسيحي دوران بروفيات Profiat، وكان قد أحرر في بلده إسبانيا على اعتناق المسيحية مدة اثني عشرة سنة وحرصه قريشقيش على كتابة رسالتين عن المسيحية وأغلاطها. وكتب شرح لدلالة الحائرين للميموني يعيرون عليه محاولة التوفيق بين الفلسفة والدين، والفلسفة التي يقصدها هي الأرسطية، والفلسفة الحق هي التي تستقى من التوراة وهو الأصل عنده لكل تعليم ونظر، الفلسفة بهذا المعنى خاصة بشعب إسرائيل وحده . المرجع نفسه، ص 101 .
- 6 - إسحاق بن موسى أرم أو الإرم (1420م - 1494م) بمعنى الهادي أو الذي يهتدي به، فلسفته إيمانية أخلاقية تعادي الحاد العقلاني الذي بدأه ابن ميمون، وكتابه " عقيدة إسحاق " محاولة الرد على ابن ميمون وهو عبارة عن مواعظ نقل الكثير منها

سابعاً- مصنفات ابن ميمون :

بدأ موسى بن ميمون التأليف والتدوين في المرة قبل أن تبلغ سنه الثالثة والعشرين، وكانت بداية أعماله رسالتين<sup>(1)</sup> :

- الأولى بالعبرية في حساب التقويم للأعياد اليهودية (Ma'aman ba-Ibbur)، شرح فيها قواعد التقويم العبري بطريقة سهلة جداً، وكيفية حساب الأعياد اليهودية وأعياد القمر الجديد، (تلك التي نحتفل بها في يوم واحد وأخرى خلال يومين) والكبس (لشهر الثالث عشر).

- أما الرسالة الثانية فقد وضعها لعلماء اليهود المتضلعين في الأدب العربي، والذين هم في حاجة إلى الفلسفة والمنطق الإسلامي، وكانت باللسان العربي واستمدت فكرتها من عمل الفارابي ولذا نجد أنه لا يذكر إلا الفارابي في عمله هذا، مما يحدد وجهة القارئ بدرجة كبيرة وتهدف رسالة "مقالة في المنطق" إلى تكوين منطق الفيلسوف المتمرن، وقد عرض فيها المؤلف بصفة واضحة وموجزة المصطلحات الأكثر أهمية في المنطق وكذا بعض مفردات الميتافيزيقا، إنها مقدمة حقيقية لفن التفلسف<sup>(2)</sup>.

كما أنه قبل هجرة ابن ميمون وأسرته إلى المغرب الأقصى، وتحديدًا إلى فاس، شرع يدون شرحاً لبعض أسفار التلمود البابلي إلا أن أغلب صفحاته ضاعت في فترة تنقلاته قبل وصول أرض مصر<sup>(3)</sup>.

كما بدأ في فجر شبابه يؤلف تفسيراً مفصلاً لكتاب "المشناه"<sup>(4)</sup>، وجاء في مقدمته «أنا موسى بن ميمون بدأت هذا الشرح عندما كنت في الثاني والعشرين من عمري، وقد أكملته في سن الثلاثين في

= من إسحاق إيراينيل ونسبها إلى نفسه، وي طرح في كل منها إحدى القضايا الفلسفية ثم يرد عليها من التوراة مما يدل على ثقافت العقل، وإرم من أهل الباطن، ويذهب إلى تفسير التوراة بطريقة "الزهار" كتاب الباطنية اليهود. الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، (مرجع سابق)، ص 46.

1- إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص 41.

2 - Maurice- Ruben Hayoun, Maïmonide ou l'autre Moïse, P33 .

3 - المرجع السابق، ص ص 42 - 43 .

4 - المشنا كلمة عبرية تعني التعليم Learning ويطلق عليها تارة القانون الثاني Second Law وتارة أخرى القانون الشفوي Orale Law، ويعتقد اليهود أنها نزلت على سيدنا موسى عليه السلام في طور سيناء، حيث يروي اليهود عن الحاخام ليفي بن شما (Chama) الذي يروي عن سيمون بن لاكيش (Lakish) الذي قال مفسراً لما جاء في التوراة "إننا سنعطيك ألواح الحجر وقانوننا ووصايا كتبنا لتعلمها لهم" سفر الخروج 12:24، إن المراد بالألواح الوصايا العشر هو القانون المكتوب والوصايا هي المشناه، و" كتبناها يعني الذي كتبه الأنبياء من كتابات مقدسة يتناقضها اليهود،" لتعلمها " معانها الحمارا فهذا يعلمنا أن هذا كله أعطي لموسى في طور سيناء. ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ص ص 13-14. وسأذكر قاموس الكتاب المقدس بأن مشنا التوراة لا ذكر لموضع تأليفه وتاريخه، والحقيقة غير ذلك، وأعيد طبعه في مسيير =

أرض مصر»<sup>(1)</sup>، إلا أن الأسفار والتنقلات الكثيرة وما أصابه بموت أبيه وأخيه أعاقه عن إكمال مؤلفه إلى أجل، ولما تغلب بعد ذلك على المصاعب أتم شرحه هذا سنة (1168م)، وكان عمره آنذاك ثلاثاً وثلاثين، وسماه "كتاب السراج" وقد وضع في بدايته بحثاً وافياً عن تاريخ نشأة الرواية والإسناد عند اليهود<sup>(2)</sup>، كما ألف ابن ميمون كتاباً آخر أدى إلى ثورة اجتماعية في حياة اليهود الدينية ونعني به كتاب "تثنية التوراة"، وذلك بعد عشرين سنة من ذلك الوقت وقد رتب في نظام منطقي وإيجاز ظاهر كل ما حوته أسفار موسى الخمسة من القوانين وجميع قوانين المشنا والجمارا، ويقول في مقدمة الكتاب: «لقد سميت هذا الكتاب مشنا التوراة (تكرار الشريعة) لأن من يقرأ الشريعة المسطورة (الأسفار الخمسة) لأول مرة ثم يقرأ هذه المجموعة، يعرف الشريعة الشفوية جميعها من غير أن يحتاج في ذلك للرجوع إلى أي كتاب آخر». وقد أغفل فيه بعض ما ورد في التلمود من قواعد خاصة بالفأل، والطيرة، والتمائم، والتنجيم فكان بذلك من بين مفكري العصور الوسطى القلائل الذين لم يؤمنوا بالتنجيم»<sup>(3)</sup>، و"تثنية التوراة" تشتمل على أربعة عشر كتاباً<sup>(4)</sup>،

= "Soncino" (1490م) وقسطنطينوبل "constantinople" (1509م).

Dictionnaire de la bible, T04, P57.

1 - H.Polan, the Talmoud, نقلا عن: ظفر الإسلام خان، التلمود: تاريخه وتعاليمه، ص96.

2 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص43. وينقل لنا إسرائيل ولفنسون بأن العالم Derenleour

يميل للاعتقاد بأن تسمية الكتاب بـ"السراج" لم يكن من المؤلف بل من الذين أعجبوا به. ويلاحظ في هذا الأمر أن القفطي ذكر أن موسى بن ميمون صنف شرحاً للتلمود الذي هو شرح التوراة المشنا الذي يقول القفطي أنه شرح التوراة وتفسيرها، وذلك لأن موسى ترجم من التلمود بعض الأسفار التي لم تنتشر كثيراً بين الجماهير اليهودية. حيث يقول القفطي: «بعضهم يستجده» وليس بالغريب عليه عدم تمييزه مدونات ابن ميمون وعدم معرفته الفرق بين المشنا والتلمود، لأنه لم يقرأها وإنما اكتفى بما سمعه منها. المرجع نفسه والصفحة. وكان موسى بن ميمون أول من نشر عملاً منظماً عن "القانون اليهودي" فلقب باسم "نسر المعبد اليهودي" ففي سنة (1180م) أخرج عمله الشهير المعنون بـ"مشناة التوراة" ( Mishna Torah) أي إعادة القانون والمعروف أيضاً باسم "أياد شازكاه" (Iad Chazakah) أي اليد القوية، ويضم كتاب موسى بن ميمون هذا أربعة أجزاء أو مجلدات تتألف من أربعة عشر كتاباً وهذا كله يشتمل على التلمود بكامله، وأضاف ابن ميمون إلى عمله هذا بحثاً فلسفياً ضخماً حاول فيه اشتراح قوانين وأحكام من عنده، لكن ثمة عيب في كتاب ابن ميمون وهي شموله على قوانين كثيرة لم تعد لها قيمة ولا معنى بعد خراب الهيكل. وهناك طبعة أخرى لكتاب ابن ميمون حذفت منها جميع ابتداعاته الفلسفية وجميع القوانين العتيقة التي باتت عديمة الفائدة، صدرت هذه الطبعة سنة (1340م) بإشراف يعقوب بن أشير وبالإجماع الكامل بين آراء الرايين سميت هذه الطبعة "أربعة تسورم" ( Arbaa Tourim) أي الأنظمة الأربعة وهي التالية: 1- أوراش شاليم، 2- أيوردباه، 3- شوشن هاميشيات، 4 - إيبهين هاريز "صخرة العون". أي بي برانائيس، فضح التلمود تعاليم الحاخامين السرية، زهدي الفاتح، ط05، بيروت، دار النفائس، 2003م، صص 38 - 40.

3 - ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، مج04، ج03، ص123.

4 - الكتب أو الأجزاء الأربعة عشر هم كالتالي: كتاب المعرفة، الحب، الفصول، النساء، القداسة، الرغبة، الحبوب، حكمة العبد.

لذلك سمي بالعبرية (يد هعزات) أما يد فهي إشارة إلى الجمل من الحروف، لأن الياء تحسب بالعبرية بعشرة والداد بأربعة، على أن هذه التسمية ليست من المؤلف<sup>(1)</sup>. وقبل أن ينشر ابن ميمون كتابه "تثنية التوراة" نشر كتاب "الفرائض" وهو عمهيد لعمله المنتظر "تثنية التوراة" وقد ألف كتاب "الفرائض" بلغة العرب، وإن كان أنجيل جنثال<sup>(2)</sup>، يرى أن الكتاب الأخير ألف بعد التثنية ليدافع به عن وجهات نظره أما إسرائيل ولفنسون يعتبر كتاب "الفرائض" سابقا عن التثنية<sup>(3)</sup>. ومن الرسائل التي ألفها ابن ميمون "رسالة حول الاعتناق تحت ضغط القوة" أو "رسالة التعذيب" أو "تقديس الاسم"، وهذه الرسالة موجهة إلى المجتمعات اليهودية التي عاشت في المغرب في العصر الذي انتهج فيه نظام الموحدن سياسة الضغط والعنف من أجل اعتناق اليهود للديانة الإسلامية، ومع هذا يقف ابن ميمون إلى جانبهم ويحثهم على الحفاظ على أصالتهم اليهودية بالرغم من حدة تيار الموحدن الذي تعرضوا له<sup>(4)</sup>.

كذلك من رسائله "رسالة إلى اليمن" وهي موجهة إلى يهود اليمن في عصر كان أهله يعمرون بفترة أزمة، وفي الحقيقة كانت هناك مجموعات كبيرة مزيفة تعتقد نفسها بأنها تمثل اليسوع والتي زرعت المشاكل وهزت روح اليمينيين اليهود، وعليه دخل ابن ميمون في نقاش مطول حول طبيعة "اليسوع"<sup>(5)</sup>، كما كتب مقالا حول "إعادة البعث" يتعرض فيه ابن ميمون إلى مفاهيمه ومعتقداته الشخصية حول بعث الموتى، وذلك في رد واضح وإجابة صريحة لأولئك الذين اتهموه بعدم توقيعه على أركان العقيدة<sup>(6)</sup>، كما كتب "رسالة الغزاء" إلى يعقوب الفيومي وإلى جماعات اليهود باليمن ممن اضطروهم الفاطميون للسدخول إلى الإسلام عندما نزلوا تلك البلاد (567هـ/1172م)<sup>(7)</sup>.

= تضحيات، العفة، الاكساب، الخسائر، قوانين، أحكام . ينظر:

**Dictionnaire Encyclopédique du judaïsme , P690 .**

1 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، (مراجع سابق)، ص 47 .

2 - أنجيل جنثال يالنيا، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله إلى العربية حسين مؤنس، ص 502 .

3 - المرجع السابق، ص 50 .

**4 - Dictionnaire Encyclopédique du judaïsme , P685 .**

وقد نشر المقال في نيويورك لأول مرة باللغة العربية سنة (1952م) مع كتابه رسالة إلى اليمن، ثم في تل أبيب

سنة (1972م) للمرة الثانية بنفس الشكل . موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص XXVIII .

5- Loc. Cit .

**6 - Dictionnaire Encyclopédique du judaïsme , P685 .**

7 - أنجيل جنثال يالنيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 502 .

ومن رسائله الصغيرة " رسالة السعادة " وهي جزء من رسالة لم يكملها ويرى العالم ستينشنيدر أنها دونت في آخر أيام ابن ميمون، وذلك لاشتمالها على آراء ناضجة، ولكونها موجهة ليوسف بن عقين أما العالم ريبورت فيرى أنها مكمله لكتاب " دلالة الحائرين"<sup>(1)</sup>، كما صنف ابن ميمون مقالة في " وحدانية الله " كتبها بالعربية ومقدمتها ذات طابع فلسفي بعنوان ثمانية فصول، طبعها وولف (Wolff) بترجمة ألمانية في ليزج عام 1863م<sup>(2)</sup> .

لم يهتم ابن ميمون بتأليف بحث في مجال علم الهيئة، ولكن معظم كتاباته الكثيرة التي خصت مجال الهيئة (الفلك) تشهد بأن هناك معرفة جيدة ليتولون وبصفة خاصة نذكر هنا بحثه الذي تعلق بالتقويم (الرزنامة) أي ( أكيدوش روش هوديش ) في التوراة وهناك أيضا العديد من الفقرات التي وردت في " دلالة الحائرين " والتي تُظهر بوضوح أنه تم التطرق إلى ميدان الفلك في أبحاثه<sup>(3)</sup>، غير أنه هذب كتاب "الاستكمال" لابن أفلح الإشبيلي في علم الفلك وقد كان في الأصل غير مرتب وغير منظم<sup>(4)</sup>، كما هذب " الاستكمال " لابن هود في علم الرياضة وهو كتاب جامع جميل فحقيقه وأصلحه<sup>(5)</sup> .

بدأ موسى بن ميمون بدراسة الطب في الأندلس، واستمر يدرسه كذلك لما انتقل إلى فاس، فكان على اتصال دائم بالأطباء، وإذا ما استثنينا مؤلفاته في التشريع اليهودي وبحثه في شؤون المجتمع اليهودي، نلاحظ أن ما ألفه في الطب يعد بحق من الموضوعات العربية العامة لأنه كان يعتمد فيه على المراجع العربية

1 - إسرائيل ولفسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، (مرجع سابق)، ص 56 . ومن علماء المسلمين الذين اعتبروا ابن ميمون منكرًا للمعاد الإمام محمد بن علي الشوكاني (ت 1250 هـ) وقد دون رده على ابن ميمون في كتابه، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوت وكان عنيفا في ذلك الرد واستدل على إنكاره للمعاد أن ابن ميمون صنف رسالة في إبطال المعاد الجسماني وأنكر عليه مقدمو اليهود فأخفاها إلا لمن يرى رأيه قال : « رأيت جماعة من يهود بلاد الفرنج بإنطاكية وطرابلس يلعنونه ويسمونهم كافرا " وهذه الرواية من نصراني عن طائفة اليهود، ثم يورد الشوكاني عدّة فقرات من كتابه " المشناه" تدل على تذبذب الرجل بين الإنكار والإنبات إلا أنه للأول أميل فرد عليه الشوكاني». محمد الشوكاني، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوت، ط 01، بيروت، دار الكتب العلمية، 1984م، ص 14 - 21 .

كما ذكر القفطي أن ابن ميمون صنف رسالة في إبطال المعاد. القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 210 .

2 - دائرة المعارف اليهودية، ج 11. نقلا عن: إبراهيم موسى الهنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 156.

3 - Dictionnaire Encyclopédique du judaïsme, P685 .

4 - إسرائيل ولفسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص 56 .

5 - القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 210 .



الإسلامية قبل كل شيء، و تعد مصنفاته الطبية جزءاً متمماً للأدب الطبي العربي في القرن (12 م.ب.)<sup>(1)</sup>.

ومصنفاته الطبية هي «عشرة بين مقالة ورسالة جميعها دون بالعربية في مصر في أزمنة مختلفة ما بين سنة (1167م و1200م)، وقد نقل أغلبها إلى العربية وبعضها إلى اللاتينية، ومن أهم مصنفاته " فصول القرطبي " أو " فصول موسى "، وتعد أكبر رسائله الطبية حجماً وشهرة وقد ألفها ما بين سنة (1187م و1190م)، وتحتوي على 1500 قانون استخلصت من مؤلفات جالينوس وغيره من أطباء الإغريق، وعليها اثنان وأربعون تعليقا ونقدا وتبدأ كل منها كالآتي " قال موسى " <sup>(2)</sup>، وقد ورد في هذه الرسالة ذكر لثلاثة من أطباء المسلمين، وهم ابن زهر الذي ورد اسمه 26 مرة، والتميمي الذي ورد اسمه 20 مرة، وابن رضوان الذي ورد ذكره ثلاث مرات، وكان الأخير من أطباء مصر في القرن الحادي عشر للميلاد<sup>(3)</sup>. وكما يقول ولفنسون: «والكتاب يقع في خمسة وعشرين فصلاً يبحث في التشريع ووظائف المخلوقات الحية، والأمراض الباطنية وعلامات الداء وتشخيصه وأسبابه وعلاجه، ويبحث في الحميات، ويوضح طرق تمرين الطبيب على معالجتها ويبين المسهلات والمقيات، ويتعرض لأمراض النساء وتدابير الصحة والرياضة والاستحمام والصيدلة، كما يناقش في النهاية جالينوس فيما ورد عنه من التناقض في آرائه مناقشة دقيقة، إلا أنها لم تخل من أدب جم وإعجاب به، وهذا الجزء من الرسالة هو من أهم ما ورد في أدب الطب العربي، وقد أصبح الكتاب في مجموعته من المراجع التي يعتمد عليها الأطباء منذ القرن الثاني عشر»<sup>(4)</sup>.

كما يذكر ابن أبي أصيبعة من كتبه "اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس"<sup>(5)</sup>، وقد اشترك تلميذه يوسف بن عقين معه في وضع المختصرات للكتب الستة عشر<sup>(6)</sup>، ويقول القفطي عن ذلك: «وصنف مختصراً لواحد وعشرين كتاباً من كتب جالينوس بزيادة جملة على ستة عشر فحماً في غاية الاختصار وعدم الفائدة لم يفعل فيه شيئاً»<sup>(7)</sup>، ويقول عبد اللطيف البغدادي عن ذلك المختصر «وعمل كتاباً في الطب جمعه من الستة عشر لجالينوس ومن خمسة كتب أخرى، وأراد أن لا يغير حرفاً إلا أن تكون واو العطف أو فاء

1 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، (مرجع سابق)، ص 142.

2 - المرجع نفسه، ص 143.

3 - المرجع نفسه والصفحة.

4 - المرجع نفسه والصفحة.

5 - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 583. ينظر: القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 210.

6 - المرجع السابق، ص 144.

7 - القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 210.

الوصل وكان ينقل فصولا يختارها»<sup>(1)</sup>، وكذلك مقالة في " السموم والتحرز من الأدوية القتالة "وهي بحث حول التسمم وكيفية علاجه وهو عبارة عن مخطوطة شهيرة جدا اشتملت على وصف شامل وكامل لجميع أشكال التسمم، وتعتبر الأولى التي ميز فيها بين مختلف الأفاعي السامة<sup>(2)</sup>، وكانت المقالة موجهة للوزير القاضي الفاضل البيساني في سنة(1198م) فعرفت بـ"المقالة الفاضلية"<sup>(3)</sup>.

أما مقالته في " تدبير الصحة " فقد صنفها للملك الأفضل علي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب<sup>(4)</sup>، وهي عبارة عن بحث حول النظافة أو الطهارة، وتعتبر من أشهر ما قدم ابن ميمون وحررها سنة (1198م) بأمر من الملك الأفضل، الذي يعاني حالة من الإحباط<sup>(5)</sup>، كما له عدة مقالات أخر من بينها "مقالة في البواسير"<sup>(6)</sup>، وضعها لشاب من أهل الفضل والنباهة وشرف البيت وجمالة القدر كان يعنيه أمره بسبب إصابته بها<sup>(7)</sup>، وله كذلك "مقالة في الربو" كتبها سنة(1190م) واعتبر أن أسباب هذا المرض هي بالدرجة الأولى أسباب عصبية<sup>(8)</sup>، وضعت لمريض نبيل شكا من آلام شديدة في رأسه حتى لم يتحمل عمامته، وكان مصابا بضيق التنفس وقد عاش بالإسكندرية، وقد بحث في الأسباب التي تسبب هذا السداء، وأشار إلى الأجواء الملائمة للمصابين به، ونصح المريض بالحضور إلى مصر لأن جوها يلائم في أحوال كثيرة حالة المصابين بهذا المرض، ثم أشار فيها إلى الأطباء بأن يعنوا بهذا المرض عناية خاصة وذكر لهم ما حدث

1 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، (مرجع سابق)، ص144 .

## 2 - Dictionnaire Encyclopédique du judaïsme , P685

3 - المرجع السابق، ص145.

4 - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص583 .

5 - وينقل ولفنسون عن المقرئزي أنه « قد ذكر في مبدأ هذه المقالة أنه يقصد شفاء مولانا من أمراض جعل الله الأسقام مجنبة لمقره العالي، والصحة والسلامة صاحبتين له دائما، نظرا لأن مولانا يشكو من تيبس الطبيعة وتحجرها في أكثر الأوقات من تفكير واستيحاش وتوقع الموت وأنه كثير التخممة ». مرجع سابق، ص147. أما المرض الذي أصاب الملك الأفضل فكان نتيجة إفراطه في اللهو وانغماسه في الشهوات حتى أدى إلى « احتلال أحواله، وسوء تدبيره، وقبيح سيرته، فانحرف عنه الملك العادل فله فلم ينته ..، وكان قد أقبل الأفضل بدمشق للعب ليله ونهاره وتظاهر بلذاته، وفوض الأمور إلى وزيره ثم ترك اللعب من غير سبب وتاب وأزال المنكرات وأراق الخمر، وأقبل على العبادة وليس الخشن من الثياب وشرع في نسخ مصحف بخطه واتخذ لنفسه سجدا يخلو فيه لعبادة ربه، وواظب على الصيام وجالس الفقراء وبالغ في التقشف حتى صار يصوم النهار ويقوم الليل». المقرئزي، السلوك في معرفة دول الملوك، ج1، 01، نقلا عن: المرجع نفسه والصفحة .

6 - المرجع السابق والصفحة .

7 - المرجع السابق، ص150 - 151 .

## 8 - Dictionnaire Encyclopédique du judaïsme, P685 .

لبعض أطباء المغرب الذين عاجلوا الأمير علي بن يوسف وكان ضحية جهلهم<sup>(1)</sup>.

وله كذلك "شرح حول فصول أبقراط" (Hippocrate)<sup>(2)</sup>، ويعتبر أبقراط الإغريقي عند العرب شيخ الأطباء، وقد نقل فصول أبقراط إلى العربية العالم السرياني إسحاق بن حنين (ت877م)، وقد كان موسى بن ميمون يسترشد بفصول أبقراط في أثناء العلاج العملي، ومن هنا وضع هوامشه وتعليقاته على فصول أبقراط كما فعل بفصول جالينوس<sup>(3)</sup>، وله أيضا "مقالة في الجماع" وهي عبارة عن عمل مختص بالعلاقات الجنسية<sup>(4)</sup> وضعها لسلطان حماة الملك تقي الدين أبي سعيد عمر بن نور الدين، تحدث فيها عن الجماع من الوجهة الصحية، وعن عجز القوة الجماعية، وعن الانتصاب الدائم، وعن الأدوية المقوية للباه<sup>(5)</sup>، ويذكر ولفنسون أن تلك المقالة قسمها إلى تسعة عشر فصلا صغيرا، حيث بحث فيها أحوال المخالطة الجنسية والأدوية والأغذية النافعة في ذلك، والأسباب التي تضعف الشهوة، وأضداد ذلك من الأعراض النفسانية، وذكر بأن ابن ميمون طرح فيها الكثير من نظريات ابن سينا وابن زهر<sup>(6)</sup>، وله "مقالة

1 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، (مرجع سابق)، ص151.

## 2 - Dictionnaire Encyclopédique du judaïsme, P685.

قال القفطي: «أبقراط بن إبراهيم، إمام فهم معروف ومشهور معني ببعض علوم الفلسفة وهو سيء الطبيعيين في عصره، وكان قبل الإسكندر بنحو مائة سنة وله في الطب تأليف شريفة موجزة الألفاظ مشهورة في جميع العالم، ولأبقراط في صدور كنه وصايا جميلة من التحنن والشفقة على النوع وتطهير الأخلاق من الكبر والعجب والحسد، وكان بعده في الشهرة جالينوس وقد اختلف في أول من استنبط الطب وفي أول الأطباء، ويذكر يحيى النحوي الإسكندري من تولى الطب رئاسة إلى زمن جالينوس وكانوا ثمانية وهم: إسقليبيوس الأول، غورس، ميلس، يرمانيدس، أفلاطون الطبيب، إسقليبيوس الثاني، بأقراط جالينوس». القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص64 - 66.

3 - المرجع السابق، ص152. يقول القفطي هو: «جالينوس الحكيم الفيلسوف الطبيعي اليوناني من أهل مدينة آموس إمام الأطباء في عصره ورئيس الطبيعيين في وقته ومؤلف الكتب القيمة في صناعة الطب وغيرها من علم الطبيعة وعلم الرهان . وقال أبو الحسن علي بن الحسين السعودي: « كان جالينوس بعد المسيح بمائتي سنة، وبعد بأقراط بنحو ستمائة سنة، وبعد الإسكندر بنحو خمسمائة سنة ونيف ولا أعلم بعد أرسطوطاليس من هو أعلم بالطبيعة بعد هذين الفاضلين أعني أبقراط وجالينوس». وقال محمد بن إسحاق النديم في كتابه: « ظهر جالينوس بعد ستمائة وخمسة وستون سنة من وفاة أبقراط وانتهت إليه الرئاسة في عصره، وهو الثامن من الرؤساء الذين أولهم أسقليبيادس مخترع الطب، وجالينوس عدة مؤلفات في الطب من بينها: "كتاب الفرق" نقله حنين إلى العربية والكتب الستة عشر التي يقرأها المتطببون متواليه، و"كتاب الصناعة" نقله حنين كذلك، و"كتاب إلى طوثرن في النبض" نقله حنين، كذلك "كتاب إلى افلوطن في التأي لشفاء الأمراض" نقله حنين، و"كتاب المقالات الخمس في التشريح"، و"كتاب القوى الطبيعية". إلخ...». المرجع السابق، ص85 - 90.

## 4 - Dictionnaire Encyclopédique du judaïsme, P685.

5 - ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة، محمد بدران، مج04، ج03، صص121 - 122.

6 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص152.

شرح أسماء العقار والعقاقير" وقد ذكرها ابن أبي أصيبعة<sup>(1)</sup>، وهي عبارة عن تعليق حول طبيعة الأدوية ضرورة التعرف عليها عن طريق أسمائها الشعبية أين قام بترتيبها حسب الترتيب الأبجدي، وغالبا ما تتبع التسمية العربية (الاسم العربي) بالتسمية الإغريقية والفارسية والأسبانية وكذا المغربية والبربرية<sup>(2)</sup>.

وكان آخر ما صنفه ابن ميمون ضمن مؤلفاته الطبية "مقالة بيان الأعراض" وقد دوّنها حوالي سنة (1200م)<sup>(3)</sup>، وهي عبارة عن شروحات تتعلق بالمتطابقات وهي بحث موجز أنجز بأمر من الملك الأفضل الذي يتساءل فيها عن حالة الإحباط التي يعيشها<sup>(4)</sup>، وذلك قبل أن يطرده الملك العادل سيف الدين بـزمن قصير ويأخذ العرش لنفسه وذريته<sup>(5)</sup>.

#### أ) - كتاب دلالة الحائرين :

بعد ما أنهى موسى بن ميمون تقنين الشريعة اليهودية في مؤلفه "مشنة التوراة" وغيره من كتبه، وجه عنايته بعد ذلك إلى كتابة مؤلف فلسفي لأبناء ملته، وذلك بعد عشر سنين من الكد، تحت عنوان "دلالة الحائرين" سنة (1190م)<sup>(6)</sup>، وقد كتبه باللغة العربية بحروف عبرية.

1 - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، (مرجع سابق)، ص 583. ولم يذكرها غيره من مؤرخي وعلماء العرب والمسلمين حتى كان يشك في صحتها، إلى أن ظهرت نسخة واحدة لهذه المقالة في اسطنبول، وهذه النسخة بخط الطبيب ابن البيطار المولود بمدينة مالقة بالأندلس في أواخر القرن الثاني عشر الذي جال في بلاد المغرب ومصر والشام إلى أن استوطن بمدينة دمشق وتوفي بها سنة (1248م)، وقد عنون ابن البيطار المقالة بما يأتي: كتاب شرح العقار، تأليف الرئيس أبي عمران موسى بن عبد الله الإسرائيلي المغربي. وقد ذكر ابن ميمون من بين مصادره ابن جلجل وأحمد بن محمد الغافقي، وأبا المطرف عبد الرحمان بن واقد اللخمي وابن سمجون وهم جميعا من العلماء المسلمين بالأندلس في القرن العاشر والحادي عشر للميلاد، كما ذكر عالما يهوديا من الأندلس وهو مروان بن جناح الذي عاش في القرن الحادي عشر. إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص 153.

2 - Dictionnaire Encyclopédique du judaïsme, P685 .

3 - المرجع السابق والصفحة .

4 - Op, Cit, P685 .

5 - المرجع السابق والصفحة .

6 - وكتب ابن ميمون "دلالة الحائرين" ما بين عام (1186م) و(1190م) لتلميذه يوسف بن عقنين، وكان يرسل له فصلا بعد فصل، وقد اعتمد في تأليفه على المصادر العربية والعبرية عند تحليلاته ومقارناته، موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص XXXIII . وإن كان علي سامي النشار وعباس الشريبي يريان أن تأليفه غير محدد التاريخ وهذا يتطلب بحثا ودقة حيث لا يعرف بالضبط من سنة (1185م إلى 1190م) أو إلى (1192م) . علي سامي النشار وزميله، الفكر اليهود وتأثره بالفلسفة الإسلامية، ص 206. وحتى الموسوعات اليهودية تختلف في تحديد نهاية لتاريخ تأليفه، فبعضهم يرى أنه تم ألفه سنة (1200م). وكتب دلالة الحائرين بالعربية وبحروف عبرية، ويعرف تحت اسم "موري نابوخيم" في العبرية، وهو العنوان الذي أعطاه صمويل بن تبون الذي ترجمه إلى العبرية، وقد ظهرت تلك الترجمة سنة (1204م) وبعد قرون، والإصدار الرابع =

واعتر إسرائيل ولفنسون « أن دراسة دلالة الحائرين من الترجمة الطبونية إنما هي دراسة ناقصة، لأنها ليست في كل الأحوال واضحة، لذلك أخرج النص العربي مصحوباً بترجمة فرنسية...، على أن هذا العمل الجليل قد انحصرت فائدته في جمهرة القراء من الأدباء اليهود وحدهم، لذلك بقي روضة أنفالم تطأها قدم رجال الطبقة المستتيرة من أبناء اللغة العربية»<sup>(1)</sup>.

ولم تكن خطة تأليف الكتاب بداية بهذا الشكل، حيث فكر أولاً بتأليف كتابين:  
الأول: عن النبوة.

والثاني: عن المطابقة والتجسيّدات، وقد عدل عن خطته وضم الكتابين في كتاب واحد وسماه "دلالة الحائرين"، حيث يقول في ذلك: «وقد كنا وعدنا في شرحنا المشنة بأننا نبين معاني غريبة في كتاب النبوة وفي كتاب المطابقة، وهو كتاب وعدنا أن نبين فيه مشكلات التأويلات كلها، التي ظواهرها منافية جداً للحق خارجة عن المعقول، وهي كلها أمثال، فلما شرعنا منذ سنين عديدة في تلك الكتب وألفنا منها شيئاً لم يحسن عندنا ما نابشنا تبينه على تلك الطريقة، لأننا رأينا إن بقينا على التمثيل والإخفاء لما ينبغي إخفاؤه، فما نكون خرجنا على الغرض الأول...، فلأجل هذه الأغراض أضربنا عن تأليف ذينك الكتابين على ما كنا عليه، واقتصرنا على ذكر قواعد الاعتقاد وحمل الحقائق بإيجاز وتلويح يقارب التصريح على ما ذكرناه في تأليف الفقه الكبير مشنة التوراة»<sup>(2)</sup>. ويهدف كتاب "دلالة الحائرين" من الناحية الفلسفية إلى حل الانعكاسات التي قد تظهر بين الفلسفة والدين، وبيان أن الإيمان الإسرائيلي والتفكير اليوناني ليسا بأعداء وإنما هما متماثلان، فالاحتكام إلى الفلسفة هو عنصر رئيسي للمعرفة وتنوير الذكاء عرف، درجاته العليا في قمة الرسالات الدينية<sup>(3)</sup>.

ويعتبر "دلالة الحائرين" قمة التفكير اليهودي الفلسفي الذي ظهر في القرون الوسطى متأثراً بالفكر

= ظهرت في فينيس (Venise) سنة (1551م)، والترجمة الرابعة في برلين سنة (1791م)، وباريس سنة (1520م)، في بال سنة (1629م) من طرف بوكستروف مع الترجمة اللاتينية، أما د. سليمان مونك (S.Monk) فنقل عنه أنه وضع العبارة التالية «دلالة الحائرين، مؤلف لاهوتي وفلسفي، نشر أول مرة في أصله العربي وأرشفته بترجمة فرنسية وملاحظات نقدية في الآداب والتفاسير"، والإصدار الثامن في باريس سنة (1856م) و(1866م)».

Dictionnaire Encyclopédique du judaïsme, P687.

1 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، ص 140 - 141.

2 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 10 - 11.

3 - André chouraqui, Histoire du Judaïsme, P66 .

الإسلامي، حيث يقول إسرائيل ولفنسون: «ومما لا شك فيه أن ظهور التفكير الفلسفي الديني اليهودي في القرون الوسطى، إنما هو نتيجة لاتصال اليهود بالحضارة الإسلامية الفلسفية، وكانت الفلسفة اليهودية العربية تتقدم مع تقدم الفلسفة الإسلامية»<sup>(1)</sup>.

### ب)- تأثير الدلالة على الفكر اليهودي :

ومما يظهر التأثير العميق لفلسفة ابن ميمون من خلال كتابه دلالة الحائرين أن بدأت تظهر شروح عن كتابه السابق، ففي سنة (1240م) ظهر شرح الجزء الأول والثاني لدلالة الحائرين لمؤلفه الطبيب موسى من مدينة سارنو، ويعد هذا العمل أول شرح لكتاب الدلالة .

وفي سنة (1280م) ظهر " دليل الدليل " حيث استحسنته مفكرو اليهود عامة، وبعد ذلك بفترة وجيزة وضع يوسف كسفي الأندلسي شرحين للكتاب عرف الأول بـ"الأساطين الفضية" والثاني "المسابك الفضية"، ومؤلف الكتاين لشدة تأثيره بموسى بن ميمون قال: «إن دلالة الحائرين مصنف مقدس»<sup>(2)</sup>، وعدّ نفسه غير محظوظ لأنه لم ينشأ في زمن موسى ولم يره «فهاجر إلى مصر ليلتقي بخلفه، فوجدهم رجال تقوى وإيمان لا رجال معرفة وحكمة فرجع خائباً إلى وطنه»<sup>(3)</sup>.

كما وضع موسى النربوني سنة (1362م) شرحاً لكتاب دلالة الحائرين، ألفه لمن تضرع في الفلسفة الإسلامية وضمنه كثيراً من نظريات ابن رشد، وكذلك إسحاق بن موسى المعروف بالأفودي شرحاً لكتاب الدلالة، ولاوي بن جرشون، وكذلك وضع دون اسحق أبرنييل (ت1509م) شرحاً مفصلاً للدلالة<sup>(4)</sup>.

كما أن كتاب الدلالة راج بين اليهود القرائين حتى أن هارون بن إلياس (ت1369م) يقلده في كتابه "شجرة الحياة"، ويتناول نفس القضايا والمسائل التي تعرض لها موسى بن ميمون، كما أن الصوفية اليهود الذين يعارضون موسى أشد الاعتراض أخذوا يدرسون كتاب "دلالة الحائرين" على مر العصور، وينقلون منه النصوص والفقرات ويستعملونها في مواضعهم من أمثال إبراهيم أبو العافية (ت1291م)، الذي عمل

1 - إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته، (مرجع سابق)، ص58.

2 - المرجع نفسه، ص136.

3 - المرجع نفسه، ص137.

4 - المرجع نفسه، ص138.

## الفصل الثالث :

### النبوة ومفاهيمها

تمهيد .

أولا - نبوة موسى عليه السلام .

ثانيا - تاريخ النبوة الإسرائيلية .

ثالثا - الفرق بين نبوة موسى ونبوة باقي الأنبياء .

رابعا - مفهوم النبي :

خامسا - نبوة المرأة .

سادسا - النبي الصادق والنبي الكاذب .

سابعا - مفهوم الرسول .

ثامنا - مفهوم الكاهن .

تاسعا - بين النبي والكاهن .

عاشرا - الفرق بين النبوة والكهانة .

الإسلامية

النبوة ظاهرة إلهية تجلّت في بعض بني الإنسان الذين اصطفاهم الله عز وجل عن بقية البشر وقد حفل التاريخ الإنساني بعدة رجال تميزوا عن غيرهم بتلك الظاهرة، منذ بدء الخليقة إلى غاية سيدنا محمد ﷺ، وقد اعتنى علماء الإسلام والفلاسفة، وقبلهما اليهود بتلك الظاهرة، وأصبحت محل بحث ودراسة وتحليل مما أصبغها صبغة النظرية سواء في إطار الدراسات العقائدية أو اللاهوتية .

وتعد النبوة إحدى الأدوات الهامة لدراسة وفهم تاريخ الديانة الإسرائيلية، نظرا لارتباط التاريخ الإسرائيلي، بتجربة النبوة من جهة، ومن جهة أخرى بالأحداث التي تعاقبت على بني إسرائيل من فجر دخولهم إلى أرض مصر .

وتجربة النبوة الإسرائيلية تشتمل على نوع من المواجهة، إذ يساهم فيها النبي بالفعل أو القول الذي يتلقاه، ويكون عادة مسلحا بكلام ربه، وبالتالي يصبح عدوا للتقاليد عن طريق فهمه لصيرورة هذا العالم بطريقة خاصة، فهو لا يتعلم معرفة خاصة من طرف الرب، بينما يستمدّها من دوره أو هدفه المؤقت الذي يسعى من أجل تحقيقه، فهو ليس بذلك الفيلسوف ولا اللاهوتي، بينما يضطلع بدور الوسيط، فتراه لا يجسد فقط الهدف المرجو من الرسالة .

ولما كانت النبوة هي الظاهرة المؤثرة والمحركة لحياة اليهود، ارتبطت شخصيات دينية عظيمة بما مثل: موسى وهارون ويشوع، وكان لهم الدور الخطير في تحليل وتفسير الأحداث التي مر بها الشعب الإسرائيلي، وكيفية توظيف رسالتهم في مجتمع عرف بالتقلب والإنعتاق من القيود والتشريعات .

ونحن بصدد البحث في نظرية النبوة عند ابن ميمون، لزم علينا أن نتطرق في هذا الفصل إلى مداخلها اللغوية والاصطلاحية وعلاقتها بالرسالة والرسول والكهانة، وغيرها مما يدور حولها من تشابه وتباين .

إلا أننا قبل ذلك سنعطي نظرة عن شخصية موسى ﷺ باعتباره أول نبي من أنبياء بني إسرائيل، ثم نتطرق لتاريخ النبوة الإسرائيلية بصفة عامة.

ونظرية النبوة تقوم على أساسين رئيسيين: الأول الاصطفاء الإلهي، والحق أنه لا يمكن لأحد أن ينكر حق الله في اختيار أنبيائه ورسله إلى الإنسانية وقد تمثل الاختيار الأول في آدم ﷺ من دون مخلوقاته تعالى وخصه بالعلم والمعرفة والقدرة .

والثاني هي كفاية الأنبياء للنبوة والرسول للرسالات، وأداء الأمانة ومن غير المنطقي أن نتصور إمكانية أن



يختار الله نبياً من الأنبياء أو رسولا من الرسل، ولا يكون ذلك النبي أو الرسول الذي اصطفاه أهلاً للنبوّة<sup>(1)</sup>.

### أولاً- نبوة موسى عليه السلام :

كان الفراعنة بعد موت يوسف عليه السلام، أخذوا يضطهدون الإسرائيليين بسبب أنهم أعانوا وخدموا ملوك الرعاة الذين أزاحوا الفراعنة عن الحكم، ومن عادة الحكام والسلاطين أنهم إذا تولوا الحكم والسلطان ينظروا إلى أنصار من كان قبلهم، فيضطهدوهم ويذلّوهم، لأن الذي كان يحكم مصر في عهد يوسف هم ملوك الرعاة، أما قبلهم وبعدهم كان الحكام فراعنة<sup>(2)</sup>، وانتقاماً منهم وإمعاناً في الإذلال أمر فرعون مصر- في عهد موسى عليه السلام- استضعاف طائفة من رعيته وهم الإسرائيليين، ويتمثل الاستضعاف في ذبح أبنائهم واستحياء نساءهم<sup>(3)</sup>.

وفي أثناء هذه العاصفة الهوجاء التي مرت ببني إسرائيل في مصر، والأحوال التي يلاقونها في حياتهم اليومية أينما حلوا، كان رجل عبراني يقال له عمران بن قاهت بن لاوي بن يوسف عليه السلام، تزوج<sup>(4)</sup> من عمته، يوكابد بنت لاوي<sup>(5)</sup>، وأخذ عمران يوكابد زوجة له فولدت له هارون وموسى عليه السلام .

ولما ولدته - موسى عليه السلام - خبأته عن عيون من يطلبون أطفال بني إسرائيل لقتل ذكرائهم، فمكث عندها ثلاثة أشهر، ولما خافت افترّاح أمرها أعلمها الله تعالى وعلمها أن تصنع له ما يشبه الصندوق وتطليه بالحُمُر<sup>(6)</sup>، والزفت ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر فعملت وطلبت من أختها أن تتبع أثره وتأتيها بخبره، ولم تزل أخته تراقبه حتى علمت أنه التفت وأدخل دار فرعون، وفي الحال عرضت عليهم مريم أخت موسى أن تأتيهم بأمرها لترضعه، فبعثتها ابنة فرعون لتأتيها بأمرها، فعادت مريم بعد ذلك، مع أختها

1 - علي الجوهري، المناظرة الأولى: أول لقاء يجمع بين النصارى والمسلمين، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، [د، ت]، ص40.

2 - محمد متولي الشعراوي، قصص الأنبياء، القاهرة، المكتبة التوفيقية، [د، ت]، ص310 .

3 - سفر الخروج 01 : 16 . و01 : 22 .

4 - وبرى عبد الوهاب النجار أن الزواج من القريات جدا، كالعمة والحالة في ذلك الزمان لم يتم تحريمه، لأن آدم زوج أولاده من بناته، وما ثبت حل التزويج بالقريات لا يحظر إلا بشرع جديد يأتي بعدم الإباحة، ونحن أسراء النص، وفي زمن موسى

كان الأمر مباحا، ونزلت الحرمة بعد خروج موسى ببني إسرائيل من مصر. عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، بيروت،

دار إحياء التراث العربي، [د، ت]، ص165.

5 - سفر الخروج 02 : 01 .

6 - سفر الخروج 02 : 03 .

وطلبوا منها أن ترضع موسى عليه السلام<sup>(1)</sup>، دون أن يدري أحد من آل القصر، ولما كبر الولد أصبح ابنا لفرعون فدعت ابنة فرعون اسمه موسى عليه السلام وبمرور الأيام كبر موسى عليه السلام وكبرت معه يهوديته، فحدث أن شاهد رجلا مصريا يضرب يهوديا، فتحركت في قلبه روحه اليهودية، وقتل ذلك المصري في الخفاء<sup>(2)</sup>، إلا أن فرعون علم بالأمر من عبراني آخر، وهدده موسى عليه السلام في موقف مماثل، بعد ما أمر فرعون أن يقتل موسى عليه السلام، بعدها هرب موسى عليه السلام من تلك الديار خوفا من البطش، واتجه إلى أرض مديان<sup>(3)</sup>، وكان غريبا على أهلها، وجلس بجانب بئر وكان عليه نفر من الناس يريدون السقاية، فرأى سبع فتيات - بنات كاهن مديان - يمنعن من استقاء غنمهن من قبل بعض الرعاة<sup>(4)</sup>، فقام موسى عليه السلام وسقى لهن غنمهن، وعندما علم رعوثيل بالأمر، طلب منهن أن يدعوا ويستضيفاه، وكانت تلك الحادثة العابرة سببا في زواج موسى عليه السلام من إحدى بنات ذاك الرجل الإسرائيلي المسماة صفورة، وولدت له ابنا سماه جرشوم<sup>(5)</sup>.

وقد بدأت قصة نبوة موسى عليه السلام، والصراع من أجل الخروج بيني قومه من أرض مصر إلى أرض الميعاد، كما تقول التوراة، لما كان موسى عليه السلام يرعى غنم حميه، كاهن مديان في البرية عند جبل حوريب<sup>(6)</sup>، حيث ظهر له ملاك الرب في صورة لهيب نار تتقد بين الأدغال، فانداهش موسى عليه السلام من تلك النار التي لم تتأثر بها الأشجار المحيطة بها، فاندفع إليها بحب الاستطلاع، فإذا بصوت يناديه من بين الأدغال قائلا: «لا تقرب إلى هنا واحلع حذاءك من رجلك، لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة، أنا إله أبليك، إله إبراهيم، وإله إسحاق، وإله يعقوب، فغطى موسى وجهه، لأنه يخاف أن ينظر إليه الله، فقال الرب: إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر، وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم، إني علمت أوجاعهم، فترلت لإنقاذهم من أيدي المصريين، وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة، إلى أرض تفيض عسلا، إلى مكان الكنعانيين والحيتيين والأموريين والفرزيين والحوريين واليبوسيين، فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون،

1 - سفر الخروج 02 : 07 - 10.

2 - سفر الخروج 02 : 11 - 13.

3 - سفر الخروج 02 : 14 - 15. مديان بلاد واقعة حول خليج العقبة عند نهايته الشمالية وشمال الحجاز وجنوب فلسطين، تنسب إلى مدين وتقول التوراة: مديان بن إبراهيم، سميت القبيلة باسمه وكانوا شاوية. عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص165.

4 - في القرآن الكريم أن البنات بتين وذلك في سورة القصص : 23 .

5 - سفر الخروج 02 : 16 - 22 .

6 - سفر الخروج 03 : 02 .

وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر، وحينما تخرج الشعب من مصر، تعبدون الله على هذا الجبل» (1).

فقبل موسى الرسالة، بعدما تردّد في قبولها، إلا أنه طلب من الرب أن يدعمه بمعجزات تقنع قومه، فوهب له الرب معجزتين، ليقنع بها قومه بأنه رسول من عند "يهوه"، وأنه قد جاء في حينه من مقابلة الرب الذي ظهر له في جبل حوريب وكلفه بالرسالة، وكانت المعجزتان: عصا موسى عليه السلام الشهيرة، واليد البرصاء، حيث تحكي التوراة: «فأجاب موسى وقال: ولكن هاهم لا يصدقونني، ولا يسمعون لقولي، بل يقولون لم يظهر لك الرب، فقال له الرب: ما هذه في يدك؟ فقال: عصا، فقال: اطرحها إلى الأرض، فطرحها إلى الأرض، فصارت حية، فهرب موسى منها، ثم قال الرب لموسى: مد يدك، وامسك بذنبها، فمد يده وأمسك بها فصارت عصا في يده، ثم قال له الرب أيضا: أدخل يدك في عبك فأدخل يده في عبه، ثم أخرجها، وإذا يده برصاء مثل الثلج، ثم قال له: رد يدك إلى عبك، فرد يده إلى عبه، ثم أخرجها من عبه، وإذا هي قد عادت مثل جسده وقال الرب: ويكون إذ لم يصدقوا هاتين الآيتين ولم يسمعوا لقولك، أنك تأخذ من ماء النهر وتسكب على اليابسة، فيصير الماء الذي تأخذه من النهر دما على اليابسة» (2).

وبالرغم من تلك الآيات التي منحها الله لموسى عليه السلام، ليقنع بها قومه من ناحية، وفرعون وقومه من ناحية أخرى، بأنه مبعوث من عند الله، إلا أن موسى عليه السلام كان متخوفا من هول الموقف ومقابلة فرعون، وقد نجح موسى بأنه لا يحسن الكلام، أو أنه ربما لا يتقن العبرية، قائلا للرب: «إستمع أيها السيد لست أنا صاحب الكلام، منذ أمس ولا أول من أمس، ولا من حيث كلمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان، فقال له الرب: من صنع للإنسان فما؟ أما هو أنا الرب؟ فالآن اذهب، وأنا أكون مع فمك، وأعطيك ما تتكلم به، فقال: استمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل، غضب الرب على موسى، وقال: أليس هارون السلاوي أخاك، أنا أعلم أنه هو يتكلم، وأيضا هاهو خارج لاستقبالك، فحينما يراك يفرح بقلبه، فتكلمه وتضع الكلمات في فمه، وأنا أكون في فمك ومع فمه، وأعلمكما ماذا تصنعان، وهو يكلم الشعب عنك، وهو يكون لك فمًا، وأنت تكون إلهًا، وتأخذ في يدك هذه العصا التي تصنع بها الآيات» (3).

وتصور لنا التوراة كيف مهد الرب اللقاء بين هارون وموسى وكيف جمع شمل شيوخ بني إسرائيل

1 - سفر الخروج 03 : 05 - 13.

2 - سفر الخروج 04 : 01 - 09.

3 - سفر الخروج 04 : 10 - 17.

وكيف عرض عليهم رسالته الربانية مؤيدة بمعجزاته، وكانت مقابلة موسى عليه السلام لشيوخ بني إسرائيل مقابلة موفقة، حيث آمن بنو إسرائيل بنبو موسى عليه السلام، أما فرعون فقد منع بني إسرائيل من التكاسل والتهرب من العمل، بحجة الذهاب مسيرة ثلاثة أيام، من أجل عبادة الله، وتقدم القرابين له بعيدا عن العمران حتى لا يصيبهم الله - كما جاء في سفر الخروج - بالوباء أو بالسيف، وقد رفض فرعون السماح لبني إسرائيل القيام بتلك الطقوس، بحجة أنها مضيعة للوقت، وتهرب من العمل الذي يساهم فيه كل الشعب، وقال لهما ملك مصر: « لماذا يا موسى وهارون تبطلان الشعب من أعماله، إذهبا إلى أئقالكما، وقال فرعون: هو ذا الآن شعب الأرض كثير وأنتما تريحاهم من أئقاهم»<sup>(1)</sup>، وهكذا أنكر فرعون رسالة الرب، وحرّم بني إسرائيل من أداء طقوسهم الدينية، كما أوصى بعدم إعطائهم تبنا لمواشيهم من مخزن الدولة، كما يفعل لغيرهم، وطالبهم بأن يسلموا كميات اللين كغيرهم من الرعاة، فلما استنجد موسى عليه السلام بربه، طلب منه أن يطرح آيات أمام فرعون ورجاله « وكلم الرب موسى وهارون قائلا: إذا كلمكما فرعون، فتصير ثعبانا. فدخل موسى وهارون إلى فرعون، وفعلا هكذا كما أمر الرب. طرح هارون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده، فصارت ثعبانا. فدعا فرعون أيضا الحكماء والسحرة. ففعل عرّافوا مصر أيضا بسحرهم كذلك. طرح كل واحد عصاه، فصارت العصي ثعابين. ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم. فاشتد قلب فرعون، فلم يسمع لهما كما تكلم الرب»<sup>(2)</sup>.

ولما كانت استجابة فرعون سلبية، رغم الآيات التي أظهرها أمامه موسى وهارون، فما كان من الرب إلا أن يطلب من موسى عليه السلام طرح الآية الثانية، فقال له: « اذهب إلى فرعون في الصباح، إنه يخرج إلى الماء وقف للقائه على حافة النهر، والعصا التي تحولت حية تأخذها في يدك، وتقول له: الرب إله العبرانيين أرسلني إليك قائلا : أطلق شعبي ليعبدني في البرية، وهو ذا حتى الآن لم تسمع، هكذا يقول الرب، هذا تعرف أبي أنا الرب، ها أنا أضرب بالعصا التي في يدي على الماء في النهر، فيتحول دما ويموت السمك الذي في النهر ويتن النهر، فيعاف المصريون أن يشربوا ماء من النهر»<sup>(3)</sup>.

وقد أيد الله موسى وهارون بآيات أخرى غير العصا التي تتحول حية، والتوراة ذكرت تلك العجائب،

1 - سفر الخروج 05 : 04 - 05 .

2 - سفر الخروج 07 : 08 - 13 .

3 - سفر الخروج 07 : 14 - 18 .

وكلها القصد منها لجعل فرعون يذعن لأوامر الرب ويطلق بني إسرائيل ليعبدوا ربهم خارج أرض مصر - وتحديدًا إلى الأرض الموعودة التي وعدهم بها أبوه إبراهيم عليه السلام - ولما كان فرعون - كما تذكر التوراة - متصلبًا في موقفه من خروج اليهود لأداء شعائرتهم، فما كان من الرب إلا أن يضيف آيات أخرى أسبوعًا بعد أسبوع لإقناع فرعون بالعدول عن موقفه، ومن تلك الآيات إغراق مصر بكاملها بعدد هائل من الضفادع، فاضت بها أنهار وامتألت بها الشوارع والبيوت، ولم ينج منها قصر فرعون نفسه، الأمر الذي أبدى فيه الأخير استحابة لطلبات موسى عليه السلام، لكن الرب - كما تذكر التوراة - قد غلظ قلب فرعون مرة أخرى، فنكث العهد وأخلف الوعد الذي قطعه على نفسه بمجرد انتهاء الأزمة .

ويروي لنا سفر الخروج كيف تم حدوث العبور بمعجزات الرب وعصا موسى عليه السلام، وكيف لاحقهم فرعون وجيشه، من أجل استرداد ما سلبوه من جيرانهم ليلة الخروج، وكيف انتقل الصراع بعد العبور من صراع يهودي مصري إلى صراع يهودي يهودي، بعد أن تاهوا بمشيئة الرب، وكيف تراجعوا عن ديانة التوحيد، وتأمروا على موسى عليه السلام، وفي النهاية كيف كلم الرب موسى عليه السلام من وراء الجبل، وأخبره بما يحكيه قومه من مؤامرات على حياته، مخالفين الوعد وناقضين العهد الذي قطعه على أنفسهم إزاء صاحب المعجزات وإزاء الرب الذي نجاهم من استرقاق فرعون لهم .

وتروي لنا التوراة كيف أن التيه في الصحراء كان بمشيئة الرب « وكان لما أطلق فرعون الشعب، أن الله لم يهدم في طريق أرض الفلسطينيين مع أفا قرية، لأن الله قال: لتلا يندم الشعب إذا رأوا حربًا ويرجعوا إلى مصر، فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف، وصعد بنو إسرائيل متجهين أرض مصر، وأخذ موسى عليه السلام عظام يوسف عليه السلام معه، لأنه كان قد استحلف بني إسرائيل بحلف قاتلا: إن الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا معكم »<sup>(1)</sup> ومضى الإسرائيليون في مسيرتهم نهارًا، مهتدين، بعمود سحب نهارًا، وعمود نار ليضيء لهم الطريق، وتلك كانت مسيرة الله أمامهم وأغلظ الرب قلب فرعون - كما تقول التوراة - فشد مركبته، وأخذ ست مائة مركبة وسائر مركبات مصر وجنوده، وسعى وراء بني إسرائيل .

ولما شاهد الإسرائيليون جيوش فرعون قد ادركتهم، فزعوا، وأنبوا موسى عليه السلام بسبب تحريضهم على الخروج، وجعلهم يموتون في الصحراء بدون قبور، وقالوا: « ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟ أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر؟ لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية، فقال موسى

للشعب: لا تخافوا، قفوا، وانظروا إخراج الرب الذي يصنعه لكم اليوم»<sup>(1)</sup>.

وجاءت آية النبوة بمعجزة موسى عليه السلام الكبرى، التي انفلق بها البحر بعصا موسى عليه السلام إلى ضفتين، عبر من خلالها أهل موسى عليه السلام وقومه، وغرق بينهما فرعون وجيشه، وكان ذلك عندما «انتقل عمود السحاب من أمامهم، ووقف وراءهم، فدخل بين عسكر المصريين وعسكر الإسرائيليين، وصار السحاب والظلام، وأضاء الليل، فلم يقترب هذا إلى ذاك كل الليل، ومد موسى عليه السلام يده على البحر، فأجرى الرب بريح شرقية شديدة كل الليل، وجعل البحر يابسة، وانشق الماء، فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم، وتبعهم المصريون، ودخلوا وراءهم، جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه إلى وسط البحر، وكان في هزيع الصباح، أن الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب، فقال الرب لموسى: مد يدك على البحر. يرجع الماء على المصريين وعلى مركباتهم وفرسانهم، فمد موسى يده على البحر، فرجع البحر عند إقبال الصباح إلى حاله الدائمة، وغطى مركبات المصريين وفرسان جميع جيش فرعون. لم يبق منهم أحد»<sup>(2)</sup>.

واحتفل الإسرائيليون بخروجهم ناجين، وبهلاك فرعون وأتباعه، ورثم موسى عليه السلام وبنو إسرائيل تسيحة للرب، تشيد بإلههم الذي صنع لهم المعجزات، وأنقذهم من أعدائهم، وتقول التسيحة: «الرب قوتي ونشيدى، وقد صار خلاصي، هذا إلهي فأمجده، إله أبي فأرفعه، يمينك يا رب تحطم العدو، وبكثرة عظمتك تقدم مقاوميك، ترسل سنخطك فيأكلهم كالقش، وبريح أنفك تراكمت المياه، من مثلك بين الآلهة يا رب، من مثلك معتزا في القداسة مخوفا بالتسايبح، صانع العجائب، وأخذت مريم أخت هارون الدفء بيدها، وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص وأحبتهم مريم: رثموا للرب فإنه قد تعظم»<sup>(3)</sup>.

خرج موسى عليه السلام وقومه من بحر سوف إلى برية أشور، فكانت مسيرتهم ثلاثة أيام بدون ماء، حتى وصلوا إلى منطقة "مارة"، فصرع موسى عليه السلام بأمر الرب شجرة حتى وقعت في الماء، فصار الماء المر عذبا. ثم واصلوا مسيرتهم إلى منطقة تقع فيها اثنا عشرة عينا ماء وسبعون نخلة، فاستراحوا قليلا في برية سينا، بين إيليم وسينا، فكانت رحلتهم قد أكملت ستة أسابيع منذ خروجهم من مصر.

1 - سفر الخروج 14 : 11 - 13.

2 - سفر الخروج 14 : 19 - 28.

3 - سفر الخروج 15 : 02 - 21.

بدأ الملل والمخاوف تدخل قلوب المهاجرين، وبهذا بدؤوا يحنون إلى أرض النيل العذب التي احتضنتهم طيلة السنين العجاف، وأخذوا يلومون موسى عليه السلام ويذنبوه. ولما سمع الرب تدمرهم، أمطرهم بحيز ولحم - كما تقول التوراة - لياكلوا منها يوما بيوم. كما أكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة خلال رحلتهم، حتى وصلوا إلى أطراف أرض كنعان. وعندما وصلوا في الشهر الثالث إلى صحراء سيناء في مواجهة الجبل، صعد موسى عليه السلام إلى الله، فناداه الرب من الجبل قائلا: «.. فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي، تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب. فإن لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة. هذه هي الكلمات التي تكلم بها بني إسرائيل»<sup>(1)</sup>.

نزل موسى عليه السلام من الجبل واجتمع بيني إسرائيل، ونقل إليهم ما قاله الرب، ودعاهم بعد صعود وهبوط متكرر، أن يستعدوا لليوم الثالث، حيث يتزل الرب فيه أمام عيونهم جميعا على جبل سناء. وتطهر الناس، وغسلوا ثيابهم<sup>(2)</sup>.

بعدها نزل موسى عليه السلام بأمر من الرب، ليصطحب أخاه هارون إلى قمة الجبل. وكلم الله من فوق الجبل موسى عليه السلام، على مسمع من جميع قومه، محدثا إياه وإياهم بوصايا العشر، وخاطب موسى عليه السلام الشعب بجميع الوصايا والشرائع وما أمر به الرب، فقال الشعب بصوت واحد: سمعا وطاعة لما قاله الرب. وكتب موسى عليه السلام كل ما قاله الرب، وبكر في الصباح، وبنى مذبحا في أسفل الجبل واثني عشر عمودا لأسباط إسرائيل الإثني عشر. وخبذا الفتية ليعدوا محرقات، وذبحوا ذبائح من الثيران، ورش موسى عليه السلام نصف الدم على المذابح، ثم أخذ كتاب العهد بما فيه من وصايا وشرائع، وقرأه على الشعب جملة وتفصيلا<sup>(3)</sup>.

وأمر الرب موسى عليه السلام أن يصعد إلى ذروة الجبل، ليعطيه لوحى الحجارة والشريعة والوصية التي كتبها الرب، لتعليمها إلى بني إسرائيل. فصعد موسى عليه السلام ويشوع خادمه، وبقي شيوخ بني إسرائيل. وعندما وصل موسى عليه السلام ويشوع قمة الجبل، «حل مجد الرب على جبل سيناء، وغطاه السحاب ستة أيام، وفي اليوم السابع دعى موسى من وسط السحاب. وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على رأس الجبل أمام عيون بني إسرائيل. ودخل موسى في وسط السحاب. وكان موسى في الجبل أربعين نهارا وأربعين ليلة»<sup>(4)</sup>.

1 - سفر الخروج 19 : 05 - 06 .

2 - سفر الخروج 19 : 16 - 19 .

3 - سفر الخروج 24 : 07 - 08 .

4 - سفر الخروج 24 : 16 - 18 .

تعلم موسى عليه السلام شعائر الله وكيفية تطبيقها وطقوسها وبنى مسكنا للرب ليقيم في وسط بني إسرائيل، وتعلم كيفية إعداد تابوت العهد كما سلف وصفه وكيفية وضعه في معبد الرب وتقديسه، وتنظيم الكهانة ولباسها وطقوسها وحكرها على هارون وذريته؛ وكيفية الأضحية وذبحها أمام الرب، وطقوس التعامل معها، وتقسيم لحومها واستخدام شحومها، وما إلى ذلك من طقوس. ونصت التشريعات على ضرورة الإغتسال، وإعداد مرحضة خاصة لهذا الغرض، قبل الدخول وبعد الدخول من خيمة الاجتماع والمذبح. كما أمر الرب بضرورة التعطر واستخدام أنواع معينة من الطيب والبخور، ميعة وأظفاراً وقتة عطرة ولبانا نقياً، تكون أجزاء متساوية، فتصنعها بخوراً عطراً صنعه العطار مملحاً نقياً وقديساً .

ثم لقن الرب موسى عليه السلام أحكام الشريعة، التي شملت جميع جوانب الحياة الروحية والعملية، ابتداء من تكليف هارون وبنيه من بعده بأمر الكهانة، إلى إقامة المعبد الذي يذكر فيه اسم الرب وبأوصاف معينة، إلى مسكن الكهنة والمقيمين على المعبد، إلى موقع الذبح الذي تقدم فيه القرابين، إلى وصف زي الكهان المميز عن زي عامة الناس إلى احترام الأعياد الموسمية، واحترام يوم السبت كعطلة تذكّر الناس بخلق العالم في ستة أيام، كما شملت أحكام الشريعة شؤون المعاملات، ولم تكد تترك من معاملات الحياة اليومية شيئاً .

وبينما كان موسى عليه السلام مستغرقاً كل وقته على جبل سيناء في العبادة، مستلهماً من الرب تفاصيل الرصايا العشر وأحكام الشريعة التي يجب على بني قومه إتباعها إذ باليهود يسيئون الظن به، ويزعمون أنه قد أصابته مصيبة. وتذكر التوراة إنهم طلبوا من أخيه هارون أن يصنع لهم آلهة تسير أمامهم وأن يقيموا مذابح، يقدمون فيها لهذه الآلهة القرابين، تيمناً بما وشكراً لما بذلته في سبيلهم حتى خرجوا سالمين من مصر.

وتصف لنا التوراة حركة الردة هذه بقولها : « ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هارون، وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا. إن موسى الرجل الذي أضعفنا من أرض مصر، لانعلم ماذا أصابه. فقال لهم هارون: انزعوا أقرط الذهب التي في آذان نسائكم وبنياتكم وبناتكم، وأتوني بها. فترع كل الشعب أقرط الذهب التي في آذانهم، وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم، وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكة. فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أضعفك من أرض مصر. فلما نظر هارون، بنى مذبحاً أمامه. ونادى هارون وقال: غدا عيد للرب. فبكروا في الغد وأضعفوا محرقات، وقدموا ذبائح سلامة. وجلس الشعب للأكل والشرب، ثم قاموا للعب » (1) .



من هنا طلب الرب من موسى عليه السلام أن يتزل من الجبل إلى شعبه الذي ارتد إلى الوثنية التي اعتادها لما كان في مصر، قائلا له: «إذهب إنزل، لأنه قد فسد شعبك الذي أصدتته من أرض مصر. زاغوا سريعا عن الطريق الذي أوصيتهم به. صنعوا لهم عجلا مسبوكا، وسجدوا له، وذبحوا له، وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصدتتك من أرض مصر»<sup>(1)</sup>.

فتضرع موسى عليه السلام إلى ربه أن يغفر لقومه، واستحلفه بإبراهيم وإسحاق ويعقوب، الذين وعدهم بأن يكثر نسلهم كنجوم السماء، فوسعت رحمة الرب موسى عليه السلام وقومه. إنصرف موسى نازلا الجبل، يحمل في رأسه هموم قومه الذين ارتدوا عن التوحيد، وفي يده لوحا الشهادة. «لوحان مكتوب على جانبيهما من هنا ومن هناك كانا مكتوبين. واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله، منقوشة على اللوحين. وسمع يشوع صوت الشعب في هتافه. فقال لموسى: صوت قتال في المحلة. فقال: ليس صوت صياح النصر، ولا صوت صياح الكسرة. بل صوت غناء أنا سامع. وكان عندما اقترب إلى المحلة، أنه أبصر العجل والرقص. فحمى غضب موسى، وطرح اللوحين من يديه، وكسرها في أسفل الجبل. ثم أخذ العجل الذي صنعوا، وأحرقه بالنار، وطحنه حتى صار ناعما، وذراه على وجه الماء، وسقى بني إسرائيل»<sup>(2)</sup>.

وقرر موسى عليه السلام تصفية المرتدين عن التوحيد، الذين خذلوا الرب ولم يلتزموا بأوامر موسى، فوقف في باب المحلة قائلا: «من للرب فيلي. فاجتمع إليه جميع بني لاوي. فقال لهم: هكذا قال الرب إله إسرائيل: ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب إلى باب في المحلة، واقتلوا كل واحد أخاه، وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه. ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى. ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل»<sup>(3)</sup>.

بعد انتهاء حروب الردة، صعد موسى عليه السلام إلى الجبل، ليطلب المغفرة والرحمة، فباركه الرب وطلب منه أن يصعد هو وشعبه إلى الأرض التي وعد بها إبراهيم وإسحاق ويعقوب، واعداء إياه أن يرسل أمامه ملاكا لطرده الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، لتخلو لشعب إسرائيل الأرض التي تفيض لبنا وعسلا على حد تعبير التوراة، وقال الرب غاضبا من بني إسرائيل: «فإنه شعب صلب الرقبة»<sup>(4)</sup>.

1 - سفر الخروج 32 : 07 - 08 .

2 - سفر الخروج 32 : 15 - 20 .

3 - سفر الخروج 32 : 25 - 28 .

4 - سفر الخروج 34 : 09 .

وتصف لنا التوراة غضب الرب من اليهود في مواضع عدة، نتيجة لعصيانهم وتمردهم على موسى عليه السلام ورسالته والتأمر عليه لأنه أثقلهم بالأوامر الإلهية. منها قوله: « وكلم الرب موسى وهارون قائلاً: حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علي؟ قل لهم: حي أنا، يقول الرب: لأفعلن بكم كما تكلمتم في أذني. في هذا القفر تسلط جثثكم. جميع المعدومين منكم حسب عددكم، من ابن عشرين سنة فصاعداً، الذين تدمروا علي. لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها، ما عدا كالب بن يفنة ويشوع بن نون. وأما أطفالكم الذين قلمت يكونون غنيمة، فإن سادخلهم، فيعرفون الأرض التي احتقرتموها. فجثثكم تسقط في هذا القفر. وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة، ويحملون فحورهم، حتى تفتي جثثكم في القفر. لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة علي. أما الرجال الذين أرسلهم موسى ليتجسسوا الأرض، ورجعوا، وسجسوا عليه كل الجماعة بإشاعة المذمة على الأرض، فمات الرجال الذين أشاعوا المذمة الرديئة على الأرض بالوباء أمام الرب وأما يشوع بن نون وكالب بن يفنة، من أولئك الرجال الذين ذهبوا ليتجسسوا الأرض، فعاشا»<sup>(1)</sup>.

وبالرغم كل الوصايا والتهديدات التي أملاها الرب على اليهود ليحذرهم من نكث العهد والردة عن التوحيد. إلا أنهم أخلفوا العهد، وانقلبوا لعبادة الأوثان التي كان يعبدها جيرانهم من الآشوريين والبابليين والكنعانيين والمصريين، وكل من خضعوا لهم في أزمانهم. وقد جاء في سفر إرميا قوله: « بعدد مدنك صارت آهتك يا يهوذا وبعدد شوارع أورشليم، وضعت مذابح للخزي، مذابح للتبخير للبعل»<sup>(2)</sup>. كل ذلك مما دعا الرب يقول فيهم: « أما أنتم، فتقدموا إلى هنا، يا بني الساحرة، نسل الفاسق والزانية. ممن تسخرون، وعلى من تغفرون الفم، وتدلعون اللسان. أما أنتم أولاد المعصية، نسل الكذب المتوقدون إلى الأصنام تحت كل شجرة خضراء، القتالون الأولاد في الأودية تحت شقوق المعازل»<sup>(3)</sup>.

أما في سفر التثنية، فيعد الرب - من خلال موسى عليه السلام - المؤمنين من اليهود العاملين بوصاياه، بكل ما يثلج الصدر، ويجعل الحياة مطمئنة، والعيش رغداً وفيراً. لكنه في الوقت نفسه، يتوعدهم بالتنكيل، إن أخلفوا عهدهم، وتنكروا لوصاياه. وذلك بمس المصير. يقول الرب لليهود من خلال موسى عليه السلام: « ولكن

1 - سفر العدد 14 : 26 - 38 .

2 - سفر إرميا 11 : 13 .

3 - سفر إشعياء 57 : 03 - 05 .

إن لم تسمع لصوت الرب إلهك، لتحرص أن تعمل بجميع وصاياها، التي أنا أوصيك بها اليوم. مباركا تكون في المدينة، ومباركا تكون في الحقل، ومباركا تكون ثمرة بطنك وثمره أرضك وثمره بهائمك، نتاج بقرك وإناث غنمك. مبارك تكون سلتك ومعجنتك. مباركا تكون في دخولك، ومباركا تكون في خروجك. يجعل أعدائك القائمين عليك منهزمين أمامك. وإن لم تسمع لصوت الرب إلهك، وتحرص أن تعمل بجميع وصاياها وفرائضه، التي أنا أوصيك بها اليوم، تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدررك. ملعونا تكون في المدينة، و ملعونا تكون في الحقل. ملعونة تكون سلتك ومعجنتك. ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمره أرضك، نتاج بقرك وإناث غنمك. ملعونا تكون في دخولك و ملعونا تكون في خروجك. يلصق بها الرب الوباء، حتى يبببك عن الأرض التي أنت داخل عليها، لكي تمتلكها. يضربك الرب بالسسل والحمى والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول، فتتبعك حتى تفنيك. يجعلك الرب منهزما أمام أعدائك. وتكون جثتك طعاما لجميع طيور السماء ووحوش الأرض، وليس من يزعجها. يضربك الرب بقرحة مصر وبالواسير والحروب والحكة، حتى لا تستطيع الشفاء. تخطب امرأة. يسلم بنوك وبناتك لشعب آخر، وعيناك تنظر إليهم طول النهار، فتكلان، وليس في يديك طائلة. بنين وبنات تلد، ولا يكونون لك، لأنهم إلى السبي يذهبون. يذهب الرب ويملكك الذي تقيمه عليك إلى أمة لم تعرفها أنت ولا آباؤك، وتبعد هناك آلهة أخرى من خشب وحجر. وتكون دهشا ومثلا وهزوة في جميع الشعوب الذين يسوقك الرب إليهم» (1).

كما أمر الرب موسى عليه السلام وقومه من بعده أن يحافظوا على ميثاقهم معه، وألا يتصاعوا إلى من يختلطون بهم، وألا يعبدوا ما يعبدون من أوثان، وألا يصاهروهم أو يتعاشوا معهم. كما وعد الرب موسى عليه السلام وقومه بأن يدمر تلك الشعوب، ويشنت شملهم، ويجعلهم هم وأمواهم وأولادهم غنيمة لليهود. ولم يلتزم بني إسرائيل ذاك الميثاق، مما حق عليهم وعيد الله (2).

ويروي لنا سفر التثنية آخر أيام موسى عليه السلام، وهو في سن المائة والعشرين، وكيف أمره الله أن يقطع عهدا مع بني قومه في مؤاب، فضلا عن العهد الذي قطعه معهم في حوريب ينقل النبي موسى آخر ما أمره به الرب إلى قومه، جاعلا يشوع بن نون خليفته في قيادة الإسرائيليين إلى أرض الميعاد. وفي توصيات النبي موسى عليه السلام ما يفيد المعاناة الصعبة التي عاشها طيلة الأربعين سنة الأخيرة. «ودعا موسى جميع بني إسرائيل

1 - سفر التثنية 28 : 15 - 37 .

2 - سفر الخروج 23 : 20 - 31 .

وقال لهم: أنتم شاهدتم ما فعل الرب أمام أعينكم في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وبكل أرضه. ولكن لم يعطكم الرب قلبا لتفهموا، وأعيننا لتبصروا، وآذاننا لتسمعوا إلى هذا اليوم»<sup>(1)</sup>.

ونادى الرب نداءه الأخير إلى موسى النبي في مؤاب، وأخطره بأن أيامه قد قربت على الانتهاء، وطلب منه أن يحضر مع يشوع في خيمة الاجتماع، لكي يوصيه بما يفعله بعد موسى. وتراءى الرب في الخيمة في عمود سحب. وقال الرب لموسى بحضور خليفته يشوع: «ها أنت ترقد مع آبائك، فيقوم هذا الشعب، ويفجر وراء آلهة الأجنبيين في الأرض التي هو داخل إليها في ما بينهم، ويتركني وينكث عهدي الذي قطعته معه، فيشتعل غضبي عليه في ذلك اليوم، وأتركه وأحجب وجهي عنه، فيكون مأكلة، وتصييه شرور كثيرة وشدائد...»<sup>(2)</sup> ولم ينج النبي موسى النبي نفسه من عتاب الرب له. وفي النصوص ما يفيد نهاية رسالته بغير توفيق، فكان دوره محصورا في تبليغ الرسالة، أما الإقناع بها وتنفيذها، فقد أصبح من مهام عبده ورفيقه يشوع. وقد جاء ذلك اللوم الإلهي للنبي موسى في صورته أشبه بالعزل وإنهاء رسالته بشكل غير طبيعي.

«وكلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلا: اصعد إلى الجبل عباريم، هذا جبل نبو الذي في أرض مؤاب الذي قبالة أريحا، وانظر إلى أرض كنعان التي أنا أعطيتها لبني إسرائيل ملكا. ومث في الجبل الذي تصعد إليه، وانضم إلى قومك، كما مات هارون أخوك في جبل هور وضم إلى قومه. لأنكما ختمان في وسط بني إسرائيل عند ماء مريية قادش في بيرة صين، إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل. فإنك تنظر الأرض من قبالتها، ولكنك لا تدخل إلى الأرض التي أنا أعطيتها لبني إسرائيل»<sup>(3)</sup>.

وصعد موسى النبي جبل نبو، وأراه الرب الأرض التي وعد بها إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وقال له: «قد أريتك إياها بعينيك، ولكنك إلى هناك لا تعبر»<sup>(4)</sup>.

وتوفي موسى في عمر مائة وعشرين سنة، ودفن هناك، وتولى يشوع بن نون قيادة المسيرة إلى القدس.

### ثانيا- تاريخ النبوة الإسرائيلية :

إن أنبياء بني إسرائيل قاموا بنشاط متواصل طيلة حياتهم، حيث حملوا المهمة الثقيلة التي أوكلوا بها وتفاعلوا معها وكانوا وهم يقومون بوظيفتهم في مجتمعهم متأثرين بالتمودج الموسوي (النبوة). الذي دافع

1 - سفر التثنية 29 : 02 - 04 .

2 - سفر التثنية 31 : 16 - 17 .

3 - سفر التثنية 32 : 48 - 52 .

4 - سفر التثنية 34 : 04 .

عن حقوق الله المتعلقة بالوحدانية والعبودية له دون غيره، وحقوق الإنسان المؤمن في الوقت نفسه<sup>(1)</sup>.

والدارس لحركة النبوة الإسرائيلية وتاريخها - يلاحظ أمراً ملفتاً للانتباه - وهو كثرة أنبيائها، في الفترة

المتتلة من عصر داود حوالي 1010 ق.م - 970 ق.م، إلى حادثة الأسر البابلي 587 ق.م .

وقد اعتبر اليهود هذه الظاهرة - تكاثر الأنبياء - لصالحهم واعتبروها شهادة على تكريم الله لهم،

واختيارهم على سائر الشعوب وتفضيلهم عليهم، وهذه عادتهم في تزييف الحقائق وخداع الناس .

لكن ذاك الأمر ليس في مصلحتهم، وإنما هو دليل على فساد تصورهم، وتعقد نفسيا لهم، وسوء

أخلاقهم، وتمكن الشر من نفوسهم، فصعب علاجهم وإصلاحهم. فاحتاج الأمر إلى أن يكون الأنبياء هم

الذين يتولون عملية الإصلاح، ومن المعروف أن طاقات وقدرات ومواهب الأنبياء تفوق ما عند الصالحين

العاديين، وإن التاريخ والواقع والعلم يقرر هذا<sup>(2)</sup>.

وقد تميزت النبوة الإسرائيلية في تلك الفترة بمميزات وخصائص، ميزتها عن النبوة التي أعقبت الأسر،

لذلك يمكن تقسيم النبوة الإسرائيلية إلى ثلاثة مراحل :

بعد موت يشوع عليه السلام حكم في هذه الفترة قضاة من الكهنة يعينهم الشعب، وكان من بينهم نساء

أحياناً<sup>(3)</sup>، وفي هذه الفترة لم يكن لبني إسرائيل ملوك يحكمونهم، ولم تكن طاعتهم - القضاة - واجبة، لهذا

السبب لم تتألف بين أسباط بني إسرائيل وحدة متماسكة قوية، بل ظلوا لفترة طويلة الأمد يؤلفون اثني

عشر سبطاً، ولكل من الأسباط لها استقلالها الواسع والضيق، وكان النظام عندهم قائم على أساس الحكم

الأبوي، وليس على أساس الدولة .

فكان شيوخ القبائل (الأسباط) يجتمعون في مجلس الكبراء، وهو الفاصل في شؤون القبيلة أو العشيرة<sup>(4)</sup>

وهو الذي يتحاور ويتعاون مع زعماء الأسباط الأخرى، إذا اضطرتهم إلى هذا التعاون الأحوال القاهرة التي

لا مفر منها، فإذا فشل التحاور والتفاوض أمام هؤلاء لجأ المتفاوضون إلى القاضي الذي كان يمثل الرئيس في

الجماعات اليهودية . وحسب التقويم العبري، فإن عهد القضاة استمر أكثر من 04 قرون 415 سنة، وقد

وضع في هذا العهد الأساس للحياة اليهودية وللفكر اليهودي، وكان لذلك سببين هما : العوامل الداخلية

1 - أحمد المشرقى، النبوة في الأديان الكتابية، ط01، بيروت، دار الجليل، 2004م، ص37 .

2 - صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، ط1، دمشق، دار القلم، 1998م، ص116 .

3 - سفر القضاة 04 : 04 و05 : 01 .

4 - أحمد شلبي، مقارنة الأديان : 1 - اليهودية، ط02، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1967م، ص58 .

للمجتمع اليهودي، والعوامل الخارجية والتأثيرات التي حملها اليهود معهم، أو ما تأثروا به من طبيعة الحياة الفلسطينية، وعلى هذا بدأت حياتهم تتغير خلال عهد القضاة رويدا رويدا، حيث بدؤوا ينتقلون من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار والقرى والمدن، فعرفوا الزراعة بجانب الرعي الذي كان أساس معيشتهم، ومصدر ثرائهم الوحيد<sup>(1)</sup>.

وقد كان هناك أنبياء في عهد القضاة إلا أن سفر هؤلاء لم يذكرهم بالاسم من بينهم النبي الذي أرسل إلى العبرانيين<sup>(2)</sup>، الذي ذكرهم بالرب الذي أخرجهم من مصر وحررهم من نير العبودية وأنقضهم من قبضة المصريين، ومن جميع الأمم والشعوب التي ضايقتهم بعد خروجهم، ووهبهم أرض ليست لهم، ودعاهم إلى ترك الخوف اتجاه الأمونيين، لأن أولئك كانوا على الوثنية، وأنتم مع كلام الرب، كذلك لم يذكر ذلك السفر النبي الذي بعثه الله إلى عالي ليذكره بالقربان والذبايح التي أمر بها الرب<sup>(3)</sup>.

بعد وفاة آخر القضاة تولى صموئيل مهنة القضاء وقد كان نبيا قبل ذلك على بني إسرائيل، حيث أحدث تغييرا جوهريا في النظام الإسرائيلي، نتج عنه التقليل من شأن الأنبياء، وبتنصيب أول ملك عليهم<sup>(4)</sup> أخرجت قيادة الأمة من يد النبوة، ووضعها في يد الملك.

وبوفاة صموئيل لم يعد في إسرائيل نبي قادر على مشاركة الملك في قيادة الأمة، باستثناء حالة صموئيل، ومع ذلك فإن أثر الأنبياء في حياة إسرائيل لم ينته بقيام الملكية، بل على العكس، ازداد نشاط بعض الأنبياء وذلك بعد وفاة صموئيل، كما زاد عددهم وأصبحوا فئة خاصة في الأمة.

وقد بدأت النبوة في هذه المرحلة تستقل عن بقية المؤسسات الدينية التي كانت تسود المجتمع الإسرائيلي آنذاك (مثل الكهانة والعرافة)، غير أن استقلال النبوة عن المؤسسات الدينية الأخرى قابله ارتباط جديد بالمؤسسات السياسية ولو مؤقتا والمثلة آنذاك في الملكية (مع شاول وداود وسليمان)، وكان ذلك منذ انتصاب أول ملك في بني إسرائيل وهو الملك شاول.

وبعد قيام مملكة داود وسليمان شهدت المنطقة - فلسطين - عدة تحولات في المجال الاجتماعي والاقتصادي مما أثر على بنية المجتمع الإسرائيلي القديم الذي تحول بسرعة من حياة البداوة إلى حياة الدولة

1 - أحمد شلي، مقارنة الأديان: 1 - اليهودية، (مرجع سابق)، ص 60.

2 - سفر القضاة 06 : 08.

3 - سفر صموئيل الأول 02 : 27.

4 - يصعب على الباحث معرفة تفاصيل كيفية وصول شاول إلى الحكم بدقة، ويبدو من الممكن ومن خلال الروايات التوراتية =

والمدينة، وكان لهذا التحول تأثيره الاجتماعي والديني فباتتقال المدينة إلى محور أساسي للنشاط الاجتماعي والاقتصادي، تم لأهل المدن السيطرة تدريجيا على أهل الريف مما أدى إلى انتشار الظلم الاجتماعي، حيث كانت الدعوة إلى ممارسة العدالة الاجتماعية والاقتصادية هي الأبرز في ذلك الوقت، كذلك بدأت في هذه المرحلة انتشار الآلهة الوثنية في بلاط الملوك، وخاصة في عهد سليمان النبي<sup>(1)</sup> مما دفع بالأنبياء أن يكونوا أول المعارضين لهذا الانحراف والابتعاد عن الإله "يهوه"<sup>(1)</sup>.

ومن مظاهر المعارضة النبوية للسلطة الملكية قبل انقسام المملكة أن أول صوت نبوي ينطلق بالمعارضة كان هو نفس الصوت الذي أعلن تنويجه أول ملك وهو صوت صموئيل ضد شاول، واستمر ذاك الصوت من النبيين جاد وناثان ودليل ذلك في الحادث الذي نسبه العهد القديم لداود مع بتشبع وزوجته أوريا الحثي وإنذار ناثان النبي لداود الملك بجزائين أليمين له نتيجة فعلته مع بتشبع والجزاء الثاني آجل ويتمثل في اعتداء أحد أبناء داود على عرض إحدى بنات داود<sup>(2)</sup>، بل إن إنذار ناثان لداود يتضمن جانبا آخر حين قال له : «والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد»<sup>(3)</sup>، مشيرا بذلك إلى منازعات أبناء داود فيما بينهم كقتل أبشالوم لأخيه أمنون الذي اعتدى على شرف أخته تامار وثورة أبشالوم على أبيه داود وانتهت بقتل أبشالوم مما أصاب داود بالحزن الشديد<sup>(4)</sup>، ومحاولة أدونيا اغتصاب الملك دون أخيه سليمان مما جعل سليمان يقتل أخاه حين استقل بالحكم .

وقد كان الأنبياء الأوائل<sup>(5)</sup> يقصرون وعظهم وإرشادهم على بني إسرائيل وحدهم، وليس كامل الأمة (كموسى وهارون). فمنذ ظهور صموئيل كزعيم لبني إسرائيل حتى ظهور عاموس، لا نجد نبيا يلقي وعظه وإرشاده في تجمع عام لأمة كلها .

فالأنبياء الأوائل كانوا أنبياء للأفراد، والأنبياء الأواخر كانوا أنبياء للأمة كلها، بدءا بعاموس النبي الذي

= المختلفة أن نستخلص وجهين أساسيين لهذا الحدث :- من جهة الدور الهام الذي لعبه صموئيل من تعيين شاول. - من جهة ثانية كان اختيار شاول نتيجة للمآثر العسكرية التي قام بها على رأس حملة عسكرية على الفلسطينيين. أندري لومير، تاريخ الشعب العبري، ترجمة أنطوان، أ، الهاشم، ط01، بيروت، عويدات للنشر والطباعة، 1999م، ص22 .

1 - أحمد شوقي، النبوة في الأدب الكتابية، ص39 .

2 - سفر صموئيل الثاني 12 : 11 و 13 : 01 - 21 .

3 - سفر صموئيل الثاني 12 : 10 .

4 - سفر صموئيل الثاني 18 : 09 - 33 .

5 - وهم صموئيل، ناثان، يشوع .

قام بوعظ الملوك علنا على مسمع الشعب<sup>(1)</sup> .

لقد لعب الأنبياء الأوائل دورا مهما في تسيير القضايا العادية، وكانوا دائما محل استشارة من أجل فهم معاني الكلام المترل، دون أن ننسى التأثير الكبير الذي يمارسونه والذي يحدد المصير السياسي لإسرائيل، وقد كانوا أيضا ذا أهمية بالنسبة للملكية التي تميزت بكون كل ملك لديه نبيه الخاص في البلاط، على سبيل المثال ناتان وجاد<sup>(2)</sup> .

وأهم ما ميز النبوة في هذه المرحلة أمران رئيسيان :

الأول: دعوتها الصريحة إلى نبذ الوثنية والشرك وتأكيد عبادة الإله الواحد .

الثاني: حرصها الشديد على إنجاز الإصلاح الديني والاجتماعي بالدعوة إلى انتشار العبادة من الركود الذي أصابها بسبب التركيز على الطقوس والرسوم والقرايين، وبالدعوة - في نفس الوقت - إلى نبذ الظلم الاجتماعي الذي بدأ يتفشى في المجتمع آنذاك<sup>(3)</sup> . ولم تكن وظيفة النبوة في هذه المرحلة مجرد التنبؤ بما سيأتي في المستقبل والإخبار عنه، كما كان الأمر في الكهانة والعرافة والتنجيم، إنما انحصرت مهمتها الأساسية في توبيخ الشعب اليهودي، وتصحيح انحرافات العقيدة وتذكيره بضرورة العودة إلى كلام الرب والتمسك بوصاياه<sup>(4)</sup> .

وبعد موت سليمان<sup>عليه السلام</sup> انقسمت المملكة إلى مملكتين، وكانت بينهما حروب متبادلة، وكان لبقاء المملكتين معتمدا على التحالفات الخارجية والولاءات السياسية للقوى الأجنبية، تعبيرا ضمنا عن ضعف الرابطة الدينية بين يهود المملكتين من جهة، وإعلانا لنهاية الاعتماد على الرب يهوه من جهة أخرى، كان هذا الانفصال بين الديني والسياسي الناتج بدوره عن الانقسام السياسي للملكة، قد عجل بظهور حركة نبوية قوية ومتواصلة .

تعتبر مملكة الشمال أكثر عرضة من مملكة الجنوب (يهودا) للخطر الوثني، وقد اتخذت المعارضة شكلا جديدا على يد النبي إيليا مع ياهوئين حناني، النبي المعارض لحكم بعشا وابنه أيلة في إسرائيل .

1 - سفر عاموس 03 : 09 .

2 - Dictionnaire Encyclopédique du judaïsme, P975 .

3 - أحمد المشرقي، النبوة في الأديان الكتابية، ص 39 .

4 - Mircea Eliade, Histoire des croyances, Paris, Éditions Payot Vol 01, 1976, P358 .



وكان ظهور إيليا يتناسب مع طبيعة المرحلة التي ظهر فيها، وكان دوره البارز ومعارضته الشاقة لأسرة آخاب، التي رسخت أركان الوثنية، مما جعل إيليا رائدا للمعارضة النبوية. فقد وقف في وجه آخاب وزوجته إيزابيل لانحرافهما، ونشر عبادة البعل في إسرائيل من طرف إيزابيل الوثنية، وكانت له مواقف يندر في ذلك الوقت ظهورها في غيره، حيث تحد لوحده آخاب وإيزابيل، بما صنع بأنبياء البعل الأربعمائة والخمسين فوق جبل الكرمل، وقضائه عليهم جميعا هم وأنبياء السواري الأربعمائة<sup>(1)</sup>. انتقاما لأنبياء الرب يهوه الذين قضت عليهم إيزابيل، وقد أثار انتقام إيليا نائرة إيزابيل وتوعدته، إلا أنه هرب بنفسه إلى بسر سبع في يهوذا<sup>(2)</sup>. ولم يرجع إلى إسرائيل لمواصلة المعارضة ضد ظلم آخاب وإيزابيل ولنايوت والزرعيلي حين تأمروا عليه وقتلاه ليستوليا على أملاكه ظلما<sup>(3)</sup>.

على الرغم من المعارضة البطولية التي قام بها إيليا ضد أسرة آخاب وما قام به كذلك ناتان ضد عم داود مع أوريا الحثي وزوجته بتشبع وما قام به أخيا الشيلوني من إثارة يربعام بن ناباط ضد سليمان حتى نجح في تفتيت مملكته. نجد المفكر اليهودي سيحال ينكر كل هذه الأعمال ويصف جاد وناتان النبيين بأفهما لم يكونا سوى خادمين لداود ومستشارين له فقط، ويصف إيليا بعد عمله البطولي على جبل الكرمل ضد الوثنية ورعاها - يضيف إيليا - يعد كل هذا بأنه كان كعبد بين يدي سيده<sup>(4)</sup>.

من هذا يتبين لنا أن إيليا كان يعد نبي المعارضة للقصر الملكي لأسباب كثيرة أهمها:

- التساهل في إدخال وانتشار الطقوس الوثنية إلى مملكة الشمال، وخاصة الطقوس الوثنية .

- انتشار الزواج بالأجنبيات وفي مقدمتهن إيزابيل الفينيقية وزواجها من الملك آخاب .

- تعاضم العصبية بين مملكة الشمال والجنوب، فقام ليوحد الشعب الإسرائيلي، مثلما عمل صموئيل

من أجل ذلك أراد أن يجمعهم أمام هيكل أورشليم، ومن هذا انطلق في تدمير نفوذ الشمال في شخص إيزابيل وكهنة البعل الذين جلبتهم من صور<sup>(5)</sup>.

1 - سفر الملوك الأول 18: 19 - 40 .

2 - سفر الملوك الأول 19: 01 .

3 - سفر الملوك الأول 21: 01 - 16 . و 19 - 26 .

4 - م.ص سيحال، حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل. نقلا عن: محمود أحمد المراغي، إشعيا نسي بني إسرائيل، ط01، بيروت، دار العلوم العربية، 1992م، ص 135 .

5 - سيد فرج راشد، السامريون واليهود، الرياض، دار المريخ للنشر، 1987م، ص 49 .

وقد استطاعت النبوة بعد إيليا أن تتغلغل في مجال السياسة في نهاية حكم الملك يورام (853-848 ق.م) تلك النبوة التي أصبح الإشع ممثلها الكبير، ويبدو أنه لم يتبع سياسة إيليا التي كانت تتميز بالشدّة والصرامة كما فضل الإشع أن يمارس مهامه في الأماكن الآهلة بالسكان، وأغلب الظن أنه كان يتمتع بنفوذ في السلطة السياسية ليس فقط في داخل إسرائيل، وإنما في مملكة إسرائيل ويهوذا<sup>(1)</sup>، فقد كان تدخل الإشع مباشرا وأكثر حسما فيما يتعلق بالأسرة الحاكمة في إسرائيل، وقد تسلم الإشع أو اليسع مسؤولية التغيير من أستاذه إيليا الذي أخذته عاصفة إلى السماء على عربة نارية<sup>(2)</sup>. ويقوم الإشع بما أوصاه به إيليا فيتولى مسؤولية القضاء على بيت آخاب ويعت باحد أتباعه من الأنبياء إلى راموت جلعاد نائبا عنه في مسح ياهو بن نمشي ملكا على إسرائيل، فيقوم يا هو ذلك القائد الخطير بعملية تطهير واسعة النطاق في إسرائيل، حيث بدأ بالقضاء على آخر بيت آخاب فقتل الملك يورام حفيد آخاب وقتل إيزابيل التي حاولت إغراءه بجمالها للإبقاء على حياتها، ثم استأصل شأفة أسرة آخاب جميعا، وطهر إسرائيل من الأوثان وأنيابها وكهنتها .

على الرغم من العمل الدعوي وحتى العسكري الذي قام به النبيان إيليا والإشع للقضاء على الوثنية الكنعانية في أرض إسرائيل الشمالية، فإن النتائج الطيبة التي حققتها جهودهما، لم يكتب لها البقاء والاستمرارية الطويلة، حيث انبثقت الوثنية من جديد في مجتمع المملكة على أيدي ملوك ساروا في طريق يربعام بن نباط مما كان سببا في ظهور جهود جديدة في منتصف القرن الثامن ق.م، لأنبياء يكملون رسالة الأنبياء السابقين، وكان من أهم هؤلاء الأنبياء، عاموس (حوالي 750 ق.م). وهوشع (حوالي 750 ق.م). وهؤلاء من الأنبياء الذين وصلت إلينا أعمالهم في أسفار تحمل أسماءهم خلافا لسابقيهما إيليا وهوشع اللذين لم يتركنا لنا كتب تحمل اسمهما. وقد يكون ذلك لتغلب الجانب العملي في دعوتهما على الجانب القولي<sup>(3)</sup>. وقد كان هؤلاء الأنبياء اختلفوا في طريقة دعوتهم على من سبقهم، وذلك بالتوجه إلى الأمة، ولهذا سموا بأنبياء الأمة، حيث جددوا ما كان عليه موسى وهارون .

ويعمل الباحث سيحال هذا العمل النبوي التحديدي بعاملين:

- 1 - سيد فرج راشد، السامريون واليهود، (مرجع سابق)، ص 50 .
- 2 - سفر الملوك الثاني 02 : 01 - 12 .
- 3 - محمود أحمد المراغي، إشعيا نبي بني إسرائيل، ص 137 .

الأول : فشل " أنبياء الأفراد " في دعوتهم إذ م يحققوا الأهداف التي كافحوا لأجلها، على الرغم من النجاحات الجزئية والظرفية .

الثاني : اتباع منهج موسى وهارون و صموئيل في نبواتهم ومواعظهم<sup>(1)</sup> .

ويبدو أن عاموس من بين أقدم الأنبياء الكتاب، وينحدر أصله من الريف، من جنوب القدس، وقد كانت له علاقة بمملكة الشمال، وكان يندد دائما بجشع وطمع هؤلاء الأنبياء، وأيضا من ليونة وضعف رجال الدين، وبالرغم أنهم كثيرون إلا أنهم منافقون. و برفضه لجميع الآراء والمعتقدات التي أتى بها معاصروه، فقد كان يرفض ويندد بتلك الأوهام التي كانت الأمة تتخبط فيها، منتظرة بأن تحل ساعة الجحد في أي وقت من الأوقات، لقد نذر من الظلمات وبدأ يتحدث عن نهاية إسرائيل بلهجة شديدة<sup>(2)</sup> .

وواصل عاموس يعارض السلطة الملكية وينادي بالتخلص من الملك الفاسد يربعام بن يوأش، مما جعل أمصيا كاهن بيت إيل الوثني يثير عليه يربعام فأهدر دمه، إلا أن عاموس يواصل دعوته وإنذاره غير آبه بسلطة الملك ولا بنفوذ الكاهن، وظل ينادي بالإصلاح منددا بالأوضاع الفاسدة في كل من إسرائيل ويهوذا.

وبعد مدة من الزمن ظهر النبي هوشع الذي بدأ بوعظ شعب المملكة الشمالية، وكان شأنه شأن عاموس مقتنعا بعدم جدوى القرابين<sup>(3)</sup>، إلا أن تعاليم هوشع كانت أكثر وضوحا وتأثيرا، مع أن عصره لم يكن مناسبا لإجراء إصلاحات دينية، وهذا فقد كان دور هوشع صعبا في القضاء على الانحرافات داخل إسرائيل. وفي عام(734ق.م) انقضت يد الآشوريين على بني إسرائيل وأسقطت المملكة الشمالية في عام (722 ق.م) لكن تأثير تعاليم هوشع استمرت بعد ذلك .

وبعد سقوط مملكة إسرائيل الشمالية استمرت مملكة يهوذا في البقاء قرنا ونصف القرن قبل أن تسقط بدورها على يد نبوخذ نصر، إلا أنها لم تعش كامل تلك المدة في استقرار بل تحت التهديد والحصار المتواصلين وانعكس ذلك الأمر على طبيعة ومضامين النبوات التي ظهرت في المملكة الجنوبية يهوذا<sup>(4)</sup> . وقد تضمنت أسفار عديدة منسوبة إلى أنبياء، كانوا في أيام بعض ملوك يهوذا على توبيخات وتوعدات

1 - سيد فرج راشد، السامريون واليهود، (مرجع سابق)، ص49 .

2 - Encyclopædia Universalis, Vol 13, P646 .

3 - سفر هوشع 06 : 06 .

4 - أحمد المشرفي، النبوة في الأديان الكتابية، ص42 .

وتنبؤات تصور لنا ما كانت عليه المملكة الجنوبية من خطايا دينية وخلقية واجتماعية، كما نظمت أسفار هؤلاء الأنبياء جملة من البشارات والوعد بالنجاة إذا رجعت يهوذا عن غيِّها واحترمت وصايا الرب .

ويعد إشعياء أمير تلك الفترة حيث شهد حكم أربعة من ملوك يهوذا إعزيا، وبوتام، وأحاز، وحزقيا، وعاصر التهديدات الآشورية وسقوط مملكة الشمال وحصار يهوذا عام(721ق.م) من قبل الملك الآشوري سنحاريب بن سرحون الثاني وقد أعلن معارضته للحاكم والمحكوم على السواء واعترض على كثير من السياسات الملكية المتجهة على الاعتماد على القوى الأجنبية كقوة مصر تلك القصة المربوضة<sup>(1)</sup>، كما شمل اعتراضه على الاهتمام بالمظهر دون الجوهر في العبادة فثار على الطقوس الدينية الجوفاء وخيانة الشعب لقدس إسرائيل<sup>(2)</sup>، كما أكد على وحدانية الله الخالصة .

وقد شهد إشعياء أحداثا عصيبة بالنسبة لليهود حيث دمرت السامرة مملكة الشمال في عهده (722ق.م) وشهد تخريب سنحاريب ليهوذا في السنة الرابعة عشر من حكم حزقيا<sup>(3)</sup>، ومحصرة عاصمتها أورشليم وكان صاحب رأي، يدل على مدى وعيه الديني والسياسي لما أثار على حزقيا بالألا يستسلم لملك آشوري وآلا يحاربه كذلك، لأن الرب يستولى أمر هذا العدو الظالم<sup>(4)</sup> .

مما دفع بحزقيا - متأثرا ربما بالنبي إشعياء - بإجراء إصلاح ديني وإداري هام وكان يهدف من ذلك إلى غاية مزدوجة: العودة إلى صفاء التقاليد اليهودية والتوحيد الديني ليهوذا مع شعب مملكة السامرة القديمة<sup>(5)</sup> . ومن أجل تحقيق التوحيد الديني أزال حزقيا جميع أماكن العبادة التقليدية ما عدا هيكل أورشليم، وحطم الأنصاب والمشارف وأقتلع الأشجار وسحق حية النحاس التي كان موسى قد صنعها<sup>(6)</sup> .

ولهذا فالدراسات النقدية للكتاب المقدس تعتبره أعظم أنبياء(يهوذا)، وأن كثير من إصحاحات سفر إشعياء في النسخة الكاثوليكية لم يكتبه هذا النبي، لأنه احتوى إشارات لأحداث حدثت بعد وفاته<sup>(7)</sup>،

1 - سفر إشعياء 30 : 03 .

2 - سفر إشعياء 01 : 04 .

3 - سفر حزقيا 36 : 01 .

4 - سفر إشعياء 37 : 33 - 35 .

5 - أندريه لومير، تاريخ الشعب العبري، ترجمة إنطوان.أ. الهاشم، ص 47 .

6 - سفر الملوك الثاني 18 : 04 .

ويعتبر قاموس الكتاب المقدس نبوته خلاصة النبوة الإسرائيلية<sup>(1)</sup> ولهذا تضمنت نبوة إشعيا مسألتين أساسيتين:

- النقد والاعتراض الشديد على الآثم والمرتد .
- التبشير بقرب الخلاص .

وقد كان هناك نبياً آخر عاصر إشعيا وهو ميخا وخدم كني ليهوذا من سنة (742-687 ق،م) فلم يكن على مستوى عظمة إشعيا لا في النسب ولا في سعة الأفق والتأثير في مجريات الأحداث، وقد نشأ في أسرة فقيرة بقرية مورشت<sup>(2)</sup> فاهتم بالمآسي والمظالم التي عاناها الفلاح الريفي، والتي أثارت سخطه، أما عن الترف والانحراف في المدينة الكبيرة فهو قليل أو يكاد يكون معدوما عنها . وبسبب نظرة ميخا الخلية الريفية فلم يكن لديه ما يقوله عن السلطة الملكية، إلا أنه كان يصور لنا طبيعة حب الأغنياء والوجهاء في تنمية ممتلكاتهم وتوسيع رقعة أراضيهم وذلك باستخدام القوة والبطش لأصحاب الحقوق<sup>(3)</sup>، وبتصرفهم هذا كانوا يكرهون الضعفاء ويحبون الشر والظلم، كما يكرهون الخير والعدالة ويهملون خدمة الوطن ويأكلون لحم الفلاحين<sup>(4)</sup>

وقد اتفق ميخا مع إشعيا إلى حد بعيد في الإحساس بمول القضاء الذي سيحل بيهوذا وحكامها<sup>(5)</sup>، فهو مشغول أساساً بخطيئة الشعب . وبعد إشعيا وميخا يبرز في يهوذا نبيا على جانب كبير من الأهمية، وهو إرميا الذي لعب دورا هاما في أزمة الكيان اليهودي آنذاك .

ورغم مساعدة إرميا لحركة الإصلاح التي قام بها يوشيا ملك يهوذا والتي قام بها جده حزقياس، ونشر سفر تثنية الإشتراع<sup>(6)</sup>، وأزال كل أثر للعبادات الخارجية ودمر المشارف وأماكن العبادة غير معبد أورشليم (بيت إيل)، ودعا إسرائيلي الشمال للحج إلى أورشليم للاحتفال بعيد الفصح<sup>(7)</sup>، ولم تدم حياة يوشيا كثيرا

#### 1 - Vocabulaire de Théologie Biblique, P1054 .

- 2 - سفر ميخا 01 : 14 .
- 3 - سفر ميخا 02 : 01 - 03 .
- 4 - سفر ميخا 03 : 02 - 03 .
- 5 - سفر ميخا 01 : 08 - 09 .
- 6 - سفر الملوك الثاني 23 : 22 - 23 .
- 7 - سفر أخبار الأيام الثاني 02 : 34 - 35 .

إذ كانت نهايته على يدي نحاو فرعون مصر في معركة مجد<sup>(1)</sup>، وموته بدأ نفوذ مصر يتسلط على يهوذا فأصبحت ولاية خاضعة لفرعون مصر، يعتقل ويخلع كما يشاء من ملوكها ويولي من يريد<sup>(2)</sup>، ويحدد الجزية التي يرتضيها وما لبثت يهوذا حتى أصبحت تتقاذفها أرجل اللاعنين الأقوياء، إذا تلقفتها قوة بابل، وصنعت بها مثلما صنعت مصر، وكان صوت إرميا وسط هذه الأزمة ما يزال يرن وينذر، ويحذر مما سيحل من خراب ودمار على يهوذا، وكان اعتراضه موجهًا أساسًا للحكام آنذاك وعلى رأسهم الملك يهوياكين الذي عينه نبوخذ نصر ملكا على يهوذا، بعد أن خلع يهوياقيم صنيعة مصر، ولم يكن يهوياكين يستمع لصيحات إرميا<sup>(3)</sup>، فاستشرى الفساد بين أوساط الشعب وحتى الكهنة، وابتعدوا على تعاليم الشريعة الموساوية، وصدوا عن دعوة إرميا، فزاد من صيحاته وأنذر بخراب الهيكل والمدينة، مما أثار عليه الشعب والكهنة، وأهموه بالتعدي على الرب وبالخيانة لوطنه، وطلبوا قتله إلا أن ذلك لم يثن إرميا عن دعوته، فأنذر الملك صدقيا وحذره من الخنث بيمين الولاء الذي أقسمه أمام ملك بابل نبوخذ نصر، وكرر إرميا ما فعله إشعيا قبله، من التحذير من الوقوع في دائرة إغراء فرعون مصر، للملك بتقدم يد المعونة ليهوذا ضد بابل، ولم يكن تحذير إرميا للملك من التمرد على بابل حيا في بابل ولكنه كان يدرك مدى الخطر الذي ستعرض له يهوذا إذا هي اعتمدت على وعود فرعون مصر، وتمردت على بابل فنأدى بالبقاء تحت السلطان البابلي<sup>(4)</sup>، تحاشيا لانتقام نبوخذ نصر الرهيب من يهوذا وشعبها وهيكلها إن هي تمردت عليه، رغم تفوق إسرائيل آنذاك على يهوذا في القوة والمنعة حتى حل بيهوذا ما كان يخشاه إرميا من أسر وتدمير.

يتبين مما سبق ذكره أن النبوة الإسرائيلية التي سبقت الأسر البابلي لم تتمكن من تحقيق مشروع إصلاح، ولم تفلح في إعادة الشعب إلى سواء السبيل، كما أنها لم تنجح في تجنب الشعب الوقوع في الأسر وتحطيم الهيكل أكثر من مرة، فقد ذهبت نداءاتها أدراج الرياح، وُسي الشعب في بابل سنة (587 ق.م)<sup>(5)</sup>. وبذلك تكون هذه النبوة الإسرائيلية قد عرفت نهايتها الحقيقية بعد أن شهدت انتعاشها الكبرى

1 - سفر أخبار الأيام الثاني 35 : 22 - 24 .

2 - سفر أخبار الأيام الثاني 36 : 01 - 04 .

3 - سفر أخبار الأيام الثاني 36 : 12 .

4 - سفر إرميا 27 : 08-17 و 18 : 14 .

في الفترة الفاصلة بين (القرن 8 والقرن 6 ق.م)، وهي التي تعرف بالفترة الكلاسيكية للنبوة<sup>(1)</sup>.

يعتبر الاستيلاء على أورشليم وتدمير الهيكل والفتك بالحاكم المؤقت جدليا سنة (587 ق.م) منعظنا

أساسيا في تاريخ الشعب الإسرائيلي، لقد وجد هذا الشعب نفسه مقسوما بعد هذا التاريخ إلى قسمين :  
قسما ملك في بلده، وقسم سبي إلى أرض غريبة، فهؤلاء وأولئك لم يعد لهم دولة وكانوا معرّضين لخطر  
الزوال من التاريخ كأمة متميزة<sup>(2)</sup>، أما تحطيم الهيكل فقد كان يعني - على الصعيد الديني - الإقلاع عن  
ممارسة طقس القربان وتعويضه بطقس الصلاة وإنشاء البيعة (الكنيس) بدلا من الهيكل<sup>(3)</sup>.

ولما كان الشعب أسيرا في المنفى كان النبي حزقيال الزعيم الروحي للمنفيين يستثير شجاعتهم، ويندد  
بآمالهم العبيثة بعودة سريعة إلى وضعهم السابق. منتقدا أخطاءهم العابرة محرضا إياهم على العودة سرا إلى  
يهوه الموجود بينهم<sup>(4)</sup>.

ويعتبر حزقيال من أبرز آخر الأنبياء الكبار في العهد القديم وتمحورت نبوته حول فكرة الخلاص  
والتبشير بقرب حصوله، والدعوة إلى التحرر من عبودية البابليين، وقد توّسّلت في ذلك التنبؤات والأحلام  
والرؤى. ويشير سفر حزقيال إلى أنه أوحى إلى حزقيال عن طريق الرؤيا، ولهذا فسفره يعد سفرا رؤيويًا  
وأن الله لم يتخلّ عن شعبه وهو في الأسر<sup>(5)</sup>.

ويستنتج من مضامين نبوة حزقيال أن وظيفة هذا النبي كانت تتمثل في تنظيم حياة الجالية اليهودية في  
السي واعداد الجيل الجديد للعودة إلى أورشليم وبناء الدولة والهيكل<sup>(6)</sup>.

تدرج نبوة دانيال كذلك في السياق الخلاصي نفسه الذي دعا إليه حزقيال، فقد ورد في السفر الذي  
يحمل اسمه أن نبوخذ نصر حلم حلما فإتزعج منه، حيث رأى فيه تمثالا رأسه من ذهب وصدرة وذراعا  
من فضة، وبطنه وفخذه من نحاس، وساقاه من حديد، وقدماه بعضهما من حديد والبعض الآخر من  
خزف<sup>(7)</sup>، وإذا «كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين فحُزب التمثال على قدميه اللستين من حديد

1 - أحمد المشرقي، النبوة في الأديان الكتابية، (مرجع سابق). ص 44.

2 - أندري لومير، تاريخ الشعب العبري، ترجمة أنطوان. إ. الخاشم، ص 55.

3 - Mircea Eliade. Histoire des croyances. vol 02, p 257.

4 - سفر حزقيال 01.

5 - سفر حزقيال 01 و 02.

6 - أحمد المشرقي، النبوة في الأديان الكتابية، ص 45.

7 - سفر دانيال 02 : 31 - 33.

وخزف فسحقهما فانسحق حيثذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا وصارت كعصافة اليبدر في الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان، أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلا كبيرا وملا الأرض كلها، هنا هو الحلم، فنخير بتعبيره قدام الملك» (1).

ولما عجز المنجمون والسحرة والعرافون عن تفسير هذا الحلم جيء بدانيال، ففسر الحلم على النحو الآتي « فأنت هذا الرأس من ذهب، وبعذك تقوم مملكة أخرى، أصغر منك ومملكة ثلاثة أخرى من نحاس فتسلط على كل الأرض، وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد، لأن الحديد يدق ويسحق كل شيء، وكالحديد الذي يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء، وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف والبعض الآخر من حديد، فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث إنك رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين، وأصابع القدمين بعضها من الحديد والبعض من خزف، فبعض المملكة يكون قويا والبعض قصوا، وبما رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين فأفهم يختلطون بنسل الناس ولكن لا يتلاصق هذا بذلك، كما أن الحديد لا يختلط بالخزف، وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً وملكتها لا يترك لشعب آخر، وتسحق وتفني كل هذه الممالك وهي تثبت للأبد» (2).

وهذا التأويل للحلم يقرر أن نهاية العالم أضحت قريبة، فالممالك القوية (كالبابلية والفارسية واليونانية) تتساقط الواحدة تلو الأخرى، وينتهي كل شيء ثم يقيم الرب - بعد ذلك - المملكة الأبدية لشعبه المختار. ويتضمن سفر دانيال رؤى آخر رآها دانيال وكلها تخبر كذلك عن نهاية العالم، وعن خلاص الشعب، وولادة عالم جديد، وعودة المخلص صاحب المعبد والسلطان والملكوت (3).

لقد كان لتلك الرؤى الصدى الكبير في الفترة التي سبقت ظهور المسيح، حتى عُدَّ الأساس التاريخي والروحي لظهور جنس أدبي ديني في الثقافة اليهودية يعرف باسم "الأدب الرؤيوي" الذي اقترن تاريخياً بالمرحلة المسيحانية « التي طال فيها انتظار المسيح المخلص، وقد كانت نبوة يوحنا المعمدان امتداد لهذا التيار الرؤيوي وخاتمة له، لأنه شهد نهايته بظهور المسيح» (4).

منذ سنة (583ق.م) نشر قورش مرسوماً سمح فيه بعودة المنفيين إلى بلادهم وأمر بإعادة بناء هيكل

1 - سفر دانيال 02 : 34 - 36 .

2 - سفر دانيال 02 : 38 - 44 .

3 - سفر دانيال 07 : 13 - 14 .

4 - أحمد المشرقي، النبوة في الأديان الكتابية، ص 47 .



سيمان على نفقة خزينة الملك. وقد غذى ذاك المرسوم أحلام اليهود المسييين بإعادة بناء المملكة "ممكة داود" وإعادة بناء الهيكل "هيكل سليمان" وهكذا تحولت دعوات الأنبياء من قضايا التوحيد وصون العهد والوصايا والتوبة عن الخطايا إلى قضايا أخرى أكثر عملية، مثل بناء الهيكل وإقامة الدولة، وتوثيق الأسفار والتحرر من سلطة الإمبراطوريات المهيمنة عليهم (اليونان والرومان بالخصوص)، ومراعاة الأحكام الدينية في المعاملات مثل الزواج والأكل والطهارة. لذلك كان أول عمل قام به عزرا<sup>(1)</sup> بعد العودة، هو إعانة اليهود على استعادة "وعيمهم القومي" والمتمثل في ثلاثة ثوابت دينية هي: المعبد والهيكل والناموس .

وقد اعترفته بعض المصادر بـ "أبي اليهودية الحالية"<sup>(2)</sup>، لكونه قام كذلك صحبة النبي نحميا بإصلاح حقيقي للديانة اليهودية وتمثل بخصوص في توثيق الأسفار الخمسة (التوراة) وتثبيتها بشكل نهائي، وفي تجميع جملة من الأخبار التاريخية وإعادة تركيبها وإدراجها ضمن أسفار العهد القديم تحت عنوان "أخبار الأيام" في سفرين<sup>(3)</sup>، كما قام بتحرير سفر الجامعة وسفر عزرا<sup>(4)</sup>، في حين تولى نحميا تحرير السفر الذي يحمل اسمه متعاوناً مع عزرا، وإلى هاتين الشخصيتين يُعزى كذلك جمع نصوص الأدعية والصلوات في سفر المزامير<sup>(5)</sup>.

وفي هذه المرحلة ظهرت بدايات احتدام الصراع بين تيارين دينيين متعارضين في تصورهما للنبوة، أطلق على أحدهما "التيار العالمي" وعلى الثاني "التيار القومي"، فالأول ينتظر ظهور أنبياء رؤيويين آخرين متفائلاً برؤية كل الأمم يوماً ما تعبد الإله الواحد<sup>(6)</sup>.

في حين قصر "التيار القومي" الوحي والنبوة على اليهود دون غيرهم، وهو ما يعني بطبيعة الحال ختم النبوة بعد أنبياء ما بعد الأسر.

ومما سبق ذكره أن أنبياء هذه المرحلة (مرحلة الحكم الفارسي)، قد قاموا بدورين كانا حاسمين إلى

الديانة اليهودية :

1 - لا يعتبر عزرا في الحقيقة نبيا من أنبياء العهد القديم، وإنما هو كاهن وكاتب لنشريعة الموسوية. سفر عزرا 07: 06 - 12. لكنه - مع ذلك - يذكر إلى جانب الأنبياء نظراً إلى قيمة الجهد التوثيقي الذي قام به على مستوى جمع النصوص . أحمد المشرفي، النبوة في الأديان الكتابية، (مرجع سابق)، ص 47 .

2 - Théo Encyclopédie Catholique, P249 .

3 - المرجع السابق، ص 48 .

4 - Mircea Eliade, Histoire des croyances, Vol02, P248 .

5 - Eliade Mircea, Loc,Cit .

6 - Eliade Mircea, Loc,Cit .

الأول: أدبيا توثيقيا ساهم في استقرار أسفار العهد القديم وتثبيتها في شكلها شبه النهائي .

الثاني: في تغليب الجوانب الشعائرية والتشريعية والعرقية على حساب الجوانب الأخرى (كالقضايا العقديّة والأخلاقية) .

وقد أدى هذا التحول إلى تمهيش دور الأنبياء في تاريخ بني إسرائيل، ومما ساهم في ذلك عدم تحقّق النبوءات الواعدة بالخلّاص والمبشرة به، مما جعل جانبا كبيرا من الشعب اليهودي غير قادر على إخفاء مشاعر الخيبة واليأس من وعود النبوة ومبشّراتها، لكن على الرغم من انقطاع النبوة في حياة الشعب اليهودي، فإن أقوال الأنبياء ووصاياهم وأعمالهم ظلت حية في وجدان اليهود<sup>(1)</sup> .

### ثالثا- الفرق بين نبوة موسى ونبوة باقي الأنبياء :

إن الفرق الذي يكمن بين نبوة موسى ونبوة الأنبياء الآخرين، في تصور ابن ميمون، في أن جميع الأنبياء سواء قبل موسى أو بعده، قد تلقوا أو استقبلوا رسالة النبوة من خلال الحلم أو رؤيا، وأن موسى كانت له استلهامات في حال اليقظة، وهو في كل قواه العقلية والجسدية، « فلما دخل موسى إلى خيمة الاجتماع ليتكلم معه كان يسمع الصوت يكلمه من على تابوت الشهادة من بين الكرويين وكلمه »<sup>(2)</sup> .

لقد استقبل جميع الأنبياء وحيهم عن طريق الوسيط(الملك)، ولهذا يرى ابن ميمون أن تلك الرؤيا حملت طابع " المجاز " أو " اللغز"<sup>(3)</sup>، والعكس تماما فيما يتعلق بموسى، حيث لم يكن هناك وسيط، « ويكلم الرب موسى وجها لوجها كما يكلم الرجل صاحبه »<sup>(4)</sup> .

وفي موضع آخر « فما إلى فم وعيانا أتكلم معه لا بالألغاز»<sup>(5)</sup>، لم يكن هناك ذلك المجاز الظاهر بالنسبة لموسى ولكن الحقيقة الواضحة هي مجردة من كل مغزى أو حيلة رمزية، ومثل هذا وتلك الشهادة التي تنسبها التوراة أو التقليد اليهودي، إلى موسى عندما قال: «وعيانا أتكلم معه لا بالألغاز»<sup>(6)</sup>، وهذا ما يؤكد أن موسى لم يستقبل الوحي على شاكلة ألغاز بل عن طريق تلك الرؤيا التي ظهرت فيها الحقيقة

1 - أحمد المشرفي، النبوة في الأديان الكتابية، (مرجع سابق)، ص 50 .

2 - سفر العدد 07 : 89 .

3 - Moïse Maïmonide, le livre de Connaissance, P89 .

4 - سفر الخروج 33 : 11 .

5 - سفر العدد 12 : 08 .

6 - سفر العدد 12 : 08 .

- أثناء حدوث الرؤيا، كان جميع الأنبياء قد مروا بحالة الاهتزاز سواء من الناحية الجسدية أو الفكرية. أما حالة موسى لم تكن كذلك، حيث تقول التوراة: «كما يكلم الرجل صاحبه»<sup>(2)</sup> بعبارة أخرى بنفس الطريقة التي يكون فيها الشخص هادئا عندما يتحدث إلى صاحبه أو قريبه، هي نفسها عندما حاز موسى على ذلك الإدراك والفهم لنبرة النبوة، ويحدث هذا الأمر من دون أن يفصل النبي أو يتعد عن حالة الهدوء التام والكامل<sup>(3)</sup> .

- كما يبين ابن ميمون فرقا آخر، وهو أن ادعاء النبوة ليست متاحة لجميع الأنبياء وقتما شاءوا، بينما العكس تماما فيما يتعلق بالنبي موسى، حيث تنزل عليه روح القدس وقتما أراد، فهو لم يكن بحاجة إلى الإعداد لعملية التحضير العقلي، ولا التحضير للنبوة في حد ذاتها<sup>(4)</sup> .

حيث يرى ابن ميمون أن موسى كان مهيا بطريقة طبيعية وفطرية، ولهذا السبب يرى أن الرب كان قد طمأن موسى، وذلك بهدف أن يكون مستعدا لحمل رسالة النبوة، حيث قيل: « فقال لهم موسى قفوا لأسمع ما يأمر به الرب من جهتكم »<sup>(5)</sup> و« اذهب قل لهم، أرجعوا إلى خيامكم، وأما أنت فقف هنا معي فأكلمك بجميع الوصايا والفرائض والأحكام التي تعلمهم فيعملونها في الأرض التي أنا أعطيهم ليمتلكوها»<sup>(6)</sup> .

- إن الفائدة التي نستخلصها من تلك الآية هو كون جميع الأنبياء عندما تغيب عنهم روح النبوة، فإنهم يُبرعان ما يعودون إلى خيامهم (حالتهم الطبيعية بدنيا وفكريا وروحيا)، وهذا يعني إشباع تلك الحاجات الجسدية وغيرها، التي يتقاسمونها مع بقية أفراد الشعب، وهذا ما يفسر ملازمتهم الدائمة لزوجاتهم<sup>(7)</sup> .

- والعكس صحيح، حيث لم يكن موسى متعودا على الرجوع لحيمته الأول وبالقدر الذي كان فيه متعلقا بزوجته وبجميع أهوائه، كان فكره أيضا متعلقا بـ "حجرة العوالم"، حيث كانت العظمة لا تفارقه

1 - Moïse Maïmonide, le livre de Connaissance, P88

2 - سفر الخروج 33 : 11 .

3 - Moïse Maïmonide, le livre de Connaissance, P88 .

4 - Moïse Maïmonide, Loc,cit .

5 - سفر العدد 09 : 08 .

6 - سفر التثنية 30 : 31 .

7 - Moïse Maïmonide, Op,Cit, P89 .

أبداً، على شاكلة تلك السحنة المشرقة، ويخلص ابن ميمون في أن موسى كان مقدساً مثل بقية الأنبياء<sup>(1)</sup>.

- كما يذكر ابن ميمون في كتابه دلالة الحائرين فوارق أخرى بين نبوة موسى ونبوة غيره حيث يورد دليلاً من التوراة بأن اسم يهوه لم يعرفه إلا موسى «وأما باسمي يهوه فلم أعرف عندهم»<sup>(2)</sup>، ونحن أعلمنا أن إدراكه - موسى - ليس كإدراك إبراهيم وغيره من الأنبياء، بل أكثر عظمة، ناهيك عن إدراك غيره .

- أما اختلاف نبوته عن نبوة كل من جاء بعده من أنبياء بني إسرائيل، فهو قوله على جهة الإخبار: «ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه»<sup>(3)</sup>.

- كما يظهر أن إدراك موسى مابين لإدراك كل من يتأخر بعده في إسرائيل<sup>(4)</sup>.

- كما يذكر فرقا آخر بين نبوة موسى وغيره، وذلك ما يتعلق بالمعجزات، حيث يرى أن معجزات الأنبياء التي أيدت نبوتهم «أخبر بها آحاد الناس»<sup>(5)</sup> ويضرب أمثال على ذلك لبعض الأنبياء الذين كانت لهم معجزات مثل إياهو واليشاع وكل آيات نبي كانت كذلك، إلا آيات ومعجزات موسى عليه السلام. حيث بينت التوراة أن معجزاته عليه السلام كانت بالإشهار الذي يصل حد التواتر في نظر ابن ميمون، حيث يعلمها ويسمع بها المخالف والمؤلف «ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعطيها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده. اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التي صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل»<sup>(6)</sup>.

وقد ربطت التوراة بين المعنيين، حيث أنه لا يقوم من يدرك الأمور كإدراك موسى، ولا من يعمل كأعماله من آيات ومعجزات، ثم يبين أن تلك الآيات والمعجزات كانت أمام فرعون وكل عبيده وشعبه وبحضور كل بني إسرائيل، حيث شاهدوا وتابعوا معجزاته، وهذا الأمر لم يحصل لنبي قبله وحتى بعده<sup>(7)</sup>.

ويستشهد ابن ميمون على أن معجزات موسى مبينة لمعجزات غيره، بعدة أمثلة: أن معجزات موسى

1 - Moïse Maïmonide, le livre de Connaissance, P90 .

2 - سفر خروج 06 : 03 .

3 - سف التثية 34 : 10 .

4 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 398 .

5 - المصدر نفسه، ص 399 .

6 - سفر التثية 34 : 10 - 12 .

7 - المصدر السابق والصفحة .

كانت داخل صحراء سيناء لأن ظروف وأحوال الفترة التي مروا بها عند الخروج تقتضي ذلك، وليس من أجل إثبات مدة صحة رسالته. من بينها إغراق المصريين في البحر والغذاء الذي أنزل من السماء « فقال لهم موسى هو الخبز الذي أعطاكم الرب لتأكلوا، هذا الشيء الذي أمر به الرب، التقطوا منه كل واحد على حسب أكله، عَمِرًا للرأس على عدد نفوسكم تأخذون كل واحد للذين في خيمته »<sup>(1)</sup>.

وعندما أحس بنو إسرائيل بالعطش قام موسى بغلق البحر ليخرج منه الماء « ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماء غزير فشربت الجماعة ومَواشيها »<sup>(2)</sup> وكذلك عندما رفضت إنسحاق زعامة موسى على بني إسرائيل أحرقها الرب<sup>(3)</sup> لكن موسى يرى أن أعظم المعجزات كانت في جبل سيناء وهو الذي أدى بهم إلى الإيمان به، حيث رأوا النيران والأصوات والبروق بأمر أعينهم والسحابة المظلمة التي كانت هي مصدر الصوت المنبعث<sup>(4)</sup>، « وجه لوجه تكلم الرب معنا في الجبل من وسط النار »<sup>(5)</sup>.

- كما أن هناك فرقا آخر وهو أن نبوة موسى عليه السلام أيدت بشريعة، كناموس ينظم علاقة بني إسرائيل مع إلههم يهوه، وعلاقة بعضهم ببعض، أما الآخرين من الأنبياء لم تكن لهم شريعة بل كان دورهم ينحصر في التذكير بالمبادئ الكبرى، التي دعت إليها ديانة موسى والدعوة للالتزام بهذا القانون الكامل، والغير متغير (المنسوخ)، والإخلاص التام له، ويكون هذا هو المعيار لضمان حقيقة موهبة النبوة لمن يزعم أنه نبي .

وفي الأخير يخلص ابن ميمون أن قمة النبوة التي بلغها موسى لا تدخل في إطار نظام النبوة العام الذي عهده الأنبياء الآخرين، لأن نبوته ونبوة إخوته الأنبياء تختلفان في طبيعتهما وليس في درجتتهما<sup>(6)</sup>.

لكن يبدو أن تلك المسوغات غير جازمة على تفرد نبوة موسى على غيره، وتميزها على السابقين واللاحقين له، لأن العهد القديم نفسه يتضمن ما ينقض تلك المسوغات وذلك من عدة زوايا :

1 - فبالنسبة لتمييز وتباين نبوة موسى عن سابقيه بسبب إعلان يهوه اسمه له فإن نوحا يفوق موسى بقطع العهد دونه «ولكن أقيم عهدي معك، فتدخل الفلك أنت وبنوك وامراتك ونساء نبيك معك»<sup>(7)</sup>.

1 - سفر الخروج 16 : 15 - 16 .

2 - سفر العدد 20 : 11 .

3 - سفر العدد 20 .

4 - Moïse Maïmonide, le livre de Connaissance, P92 .

5 - سفر التثنية 05 : 04 .

6 - Charles Touati, prophètes, talmudistes, philosophes, P174 .

7 - سفر التكوين 06 : 18 .

كما أن إبراهيم قطع معه العهد بإعطائه الأرض المقدسة وجعله ونسله شعب للرب، وخص إبراهيم بشريعة الختان كعلامة للعهد وللشعب « في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»<sup>(1)</sup>، والثلاثة التي أُعطيها إبراهيم هي الأساس الذي أقام عليه اليهود دعوى تميزهم على البشرية .

2- أما تميز نبوة موسى بسبب معرفة الرب له وجهاً لوجه، فإن بعض السابقين واللاحقين من أنبياء العهد القديم قد عرفوا الله وجهاً لوجه سواء أكان المقصود بمعرفة الرب سماع صوته حقيقة كما فسر اسينوزا هذه العبارة في التوراة، أم كان المقصود رؤية يهوه وجهاً لوجه<sup>(2)</sup>، فعن سماع صوت الرب تحكي التوراة: « عاد الرب يتراءى في شيلو لأن الرب تجلى لصموئيل في شيلو بكلمة الرب»<sup>(3)</sup> .

ويعلق اسينوزا على ذلك النص بقوله: « وربما كنت أجد نفسي ميالاً إلى اعتبار صوت الله الذي ينادي به صموئيل في الكتاب حقيقياً لأننا نقرأ في صموئيل « وعاد الرب يتراءى في شيلو لأن الرب تجلى لصموئيل في شيلو بكلمة الرب»<sup>(4)</sup>. والواقع أن النص يبدو كما لو كان يشير إلى أن حضور الله هو ظهوره بكلمة أو سماع صموئيل لله وهو يتكلم، ومع ذلك لما كان من الضروري ضرورة مطلقاً أن نفرق بين نبوة موسى ونبوة غيره من الأنبياء فإننا مضطرون إلى أن نؤكد أن الصوت الذي سمعه صموئيل كان من صنع الخيال»<sup>(5)</sup> .

وعن رؤية الرب نقض التوراة أن الرب قد تراءى لإبراهيم عند بلوط ممرا، ولم يسقط إبراهيم مغشياً عليه كما سقط موسى، بل إن إبراهيم حادته وسامره، وتناول معه الطعام الذي أعدّه له، وتلقى إبراهيم منه البشرى بمولد إسحاق والإحاطة بتدمير سدوم<sup>(6)</sup> .

3- دعوى تميز موسى بسبب مباينة معجزاته لسائر معجزات النبيين التي أخرج بها الآحاد، بينما

معجزات موسى قد وقعت أمام أعين جميع بني إسرائيل، تلك الدعوة ينقضها إمساك الشمس ليشوع في

1 - سفر التكوين 15 : 18 .

2 - باروخ اسينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، ط2، بيروت، دار الطليعة، 1981م. ص 133 .

3 - سفر صموئيل الأول 3 : 21 .

4 - سفر صموئيل الأول 3 : 21 .

5 - المرجع السابق، ص 127 .

6 - سفر التكوين 18 : 01 - 33 .

كيد السماء وتعطيها عن الغروب نحو يوم كامل، والتي حدثت أمام عيون كل بني إسرائيل» حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الأموريين أمام بني إسرائيل، وقال أمام عيون إسرائيل يا شمس دومي على جبعون ويا قمر على وادي أيلون، فدامت الشمس ووقفت القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل، ولم يكن اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب صوت إنسان، لأن الرب حارب عن إسرائيل»<sup>(1)</sup>.

فإذا أضفنا إلى تلك الروايات الثلاث جانباً آخر هو الفحص النقدي لنص التوراة» ولم يبق من بعد في بني إسرائيل كموسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه»<sup>(2)</sup>، والذي يظهر أن تلك الفقرة أقدمت إلى العهد القديم في فترة متأخرة بين القرنين السادس والسابع قبل الميلاد، مما يجعل النص الأصلي القديم «سأقيم لهم نبيا في وسط إخوتكم مثلك»<sup>(3)</sup>، هو الأساس والقاعدة التي يجب أن تبني عليها نبوة موسى.

وثانياً: نبوة الآباء<sup>(4)</sup>. ويقول ابن ميمون شارحاً ومعللاً تميز نبوة موسى على غيره: «أُبيان ذلك بحسب ما نصت عليه الكتب النبوية وجاء في الآثار هو أن كل من تقدم سيدنا موسى من الأنبياء مثل الآباء وسام، ونوح، ومتوشاخ، وأخنوخ، لم يقل أحد منهم قط لصنف من الناس: إن الله أرسلني لكم وأمرني أن أقول لكم كذا وكذا. وقد نهاكم عن فعل كذا، وأمركم بفعل كذا. هذا شيء لا نص التوراة تشهد به، ولا خير صحيح أتى به، بل إنما كانوا هؤلاء يأتيهم وحى من الله على ما بيننا، فمن عظم عليه ذلك الفيض مثل إبراهيم، جمع الناس ودلهم على جهة التعلم والإرشاد إلى حق قد أدركه كما كان إبراهيم يعلم الناس ويبين لهم بأدلة نظرية أن للعالم إلهاً واحداً، وأنه خلق كل ما سواه وأنه لا ينبغي أن تعد هذه الصورة ولا شيء من هذه المخلوقات، ويعاهد الناس على ذلك، ويجذبهم بخطب حسنة وإحسان لهم، لا أنه قال يوماً قط إن الله بعثني لكم وأمرني ونهاني، حتى أنه لما أمره بالختان هو ونبوه وذووه ختنهم ولم يدع الناس لذلك بصورة دعوة النبوة، ألا ترى نص التوراة فيه: «وقد علمت أنه.»<sup>(5)</sup>.

فقد بين أنه على جهة الوصية فقط يفعل ذلك، وكذلك إسحاق، ويعقوب، ولوى، وقوهات، وعمرام،

1 - سفر يشوع 10 : 12 - 15 .

2 - سفر يشوع 10 : 12 - 15 .

3 - سفر يشوع 10 : 12 - 15 .

4 - عبد الراضي محمد عبد المحسن: المعتقدات الدينية لدى العرب، ص 57 .

5 - سفر التكوين 18 : 19 .

على هذه الصورة كانوا يدعون الناس، وكذلك تجد الحكماء يقولون في من تقدمه (يقصد موسى) : محكمة غير، محكمة متوشاخ، مدرسة متوشاخ، كلهم عليهم السلام إنما كانوا أنبياء يعلمون الناس بصورة أنهم مدرسون، ومعلمون، ومرشدون»<sup>(1)</sup>، مثل هذا الاستدلال في سبيل إظهار الفرق، والتمييز بين نبوة ومهمة الآباء على الإرشاد والتعليم، وسلبهم صفة التبليغ النبوي، من رسائلهم، تنهاوى أمامه الحقائق التالية:

(أ) - أن التعليم والإرشاد كان أيضا أحد مهام موسى عليه السلام .

(ب) - أن إبراهيم دعا الناس جميعا للإيمان بإله واحد وكان له تبع «أنت زعيم لله في وسطنا»<sup>(2)</sup>.

(ج) - أن الأمر الإلهي بالختان لم يقتصر على بيت إبراهيم، بل تجاوزه إلى كل غريب في بيته «فتختون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم.... وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك، يختن ختاننا»<sup>(3)</sup> .

(د) - إن العهد القديم لم يميز بين الوحي الموسوي والوحي الإبراهيمي ولم يرد به موضوع يجعل مهمة الآباء تعليمية إرشادية خارج إطار المنهج النبوي، بل نجد يتحدث عن إبراهيم كني «فالآن رُد امرأة الرجل فإنه نبي فيصلي لأجلك فتحيا...»<sup>(4)</sup> .

ويرجع السبب في انتقاد تلك الآراء فوق الحجة والبرهان أنها تقلل من شأن بعض أنبياء على الرغم أن العهد القديم لم يقلل من شأن أي نبي<sup>(5)</sup> .

رابعا- مفهوم النبي :

1- عند اليهود :

ليس من السهولة بمكان على الباحث في ماهية النبوة العثور على مفهوم دقيق وواضح ومحدد للفظه " نبي" في اللغة العبرية وذلك بسبب تعدد مهام ووظائف النبي لدى بني إسرائيل ويرى Cornill إلى أن المنطقة العربية كانت التربة الأولى لكلمة " نبي " أو " نبوة "، حيث يذهب - للاستدلال على قناعته - إلى

1 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، (مصدر سابق)، ص 412 - 413 .

2 - سفر التكوين 23 : 06 .

3 - سفر التكوين 17 : 11 - 14 .

4 - سفر التكوين 20 : 07 .

5 - عبد الراضي محمد عبد المحسن، المعتقدات الدينية لدى الغرب، ص 58 .



أن أصل صيغة الفعل التي تتناسب مع كلمة "نبي" لم توجد في اللغة العبرية القديمة<sup>(1)</sup>. وهذا الذي ذهب إليه الأستاذ العقاد حيث يرى أن العبرانيين استعاروها من العرب في شمال الجزيرة العربية بعد اتصالهم بها، لأنهم كانوا يسمون الأنبياء الأقدمين بالآباء، الذين ظهر فيهم ملكي صادق<sup>(2)</sup> على عهد إبراهيم الخليل، وكذلك ظهر أيوب وبلعام<sup>(3)</sup>، وشعيب (يثرون) وعرفوا معنى النبوة غير الرؤية والسحر والعرافة والتنحيم وما زالوا على تلك الحالة في التعلم من جيرانهم العرب إلى أن أرسل الله إليهم موسى عليه السلام، الذي تعلم على حميه نبي مدين قبل جهره بدعوته<sup>(4)</sup>.

ويرى العقاد أن كلمة النبي عربية لفظاً ومعنى، فمن حيث اللفظ أن مادة (نبا) و(النبوءة) أصلية في اللغة. ومن حيث المعنى لأن المعنى الذي تؤديه لا تجمعها كلمة واحدة في اللغات الأخرى، فهي تجمع معاني الكشف والوحي والإنباء بالغيب والإنذار والتبشير، وكلها معاني متفرقة تؤدها اللغات الحديثة بكلمات متعددة، فالكشف مثلاً يؤديه في اللغة الإنجليزية كلمة Révélation والوحي يؤديه كلمة Inspiration واستطلاع الغيب يؤديه كلمة Divination أو Oracle ولا تجتمع كلها في معنى النبوة كما تجتمع تلك في اللغة العربية، ولم تستعر كلمة النبوة من معنى آخر باعتبار أن اللغة العربية غنية جداً بكلمات غير النبوة مثل: العرافة، والعيافة، والكهانة، والتي لا تختلط في اللغة العربية بمعنى النبوة، كما تختلط باللغات الأخرى عند أصل التسمية واشتقاق المعاني الجديدة من الألفاظ القديمة<sup>(5)</sup>.

1 - محمود أحمد المراغي، إشعياء نبي بني إسرائيل، (مرجع سابق)، ص 177.

- 2 - عباس محمود العقاد، إبراهيم أبو الأنبياء، صيدا، منشورات المكتبة العصرية، [د، ت]، ص 159. وملكى صادق « وهو رجل تقي، ومعنى اسمه هو "ملك العدل" أو "ملك السلام" وكان كاهنًا لله العلي كما يقول العهد القديم، وقد عرف أن الله هو خالق السماوات والأرض، وهناك أربعة آراء مختلفة في تبين حقيقته وهي 1 - أنه كان ملكاً عظيماً لتلك المنطقة وهي شاليم وكان إبراهيم يقدم له الإكرام الذي يستحقه. 2 - قد يكون اسم ملكى صادق، لقباً يطلق على ملوك شاليم (أورشليم) 3 - كان ملكى صادق "رمزاً" للمسيح، والرمز هو حادث أو تعليم في العهد القديم يتصل اتصالاً وثيقاً بما فعله المسيح 4 - كان ملكى صادق ظهور للمسيح على الأرض في هيئة جسمية مؤقتة قبل تجسده، ويؤيد كثيرون من علماء اللاهوت المسيحيين هذا الرأي ». بروس بارتون وآخرين، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ترجمة وليم هبة، وجوزيف صابر وآخرين، القاهرة، شركة ماستر ميديا، [د، ت]، ص 38 - 39.
- 3 - بلعام بن باعور أحد الشخصيات البارزة في العهد القديم عاش بالقرب من نهر الفرات، ورحل إلى موآب، وهو ساحر وعراف، وهو نبي كاذب، فمع أنه لم يكن من بني إسرائيل، إلا أنه كان على استعداد أن يعترف بأن الرب إله قدير ولكنه لم يؤمن بأن الرب هو الإله الحقيقي الوحيد، كان واسع الشهرة للعنات وبركاته الفعالة، وقد عاصر بالاق (ملك موآب)، وموسى وهارون، وشجع بني إسرائيل على عبادة الأوثان. المرجع نفسه، ص 323.
- 4 - عباس محمود العقاد، الإسلاميات، ط 03، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ج 01، 1986م، ص 76.
- 5 - عباس محمود العقاد، إبراهيم أبو الأنبياء، ص 159.

ويرى سيغال الباحث اليهودي أن النبي ليس دخيلا على بني إسرائيل من جهة الكنعانيين، كما يقول البعض، فيقول في ذلك: «ويدو أن لفظ " النبي " خاص ببني إسرائيل، فليس هناك نقوش تثبت وجوده في الكنعانية أو الفينيقية»<sup>(1)</sup>.

غير أن سيغال يستند في اعتقاده ذلك بأن الاسم " نبي " قلم جدا في العبرية الإسرائيلية وأنه كان إلى ما قبل التاريخ من حياة بني إسرائيل، على حقيقة يتمسك بها، وهي أن الفعل المجرد " نبأ " الذي اشتق منه النبي كان موجودا ولكنه نُسي مع توالي العصور<sup>(2)</sup>.

إلا أن الباحث حسن ظاظا يرى أن لقب النبي كان معروفا قبل العبريين عند الكنعانيين، والآراميين، والبابليين، والآشوريين، وأن بني إسرائيل أخذوه أول الأمر عن بعض أولئك الأقوام<sup>(3)</sup>، وهذا المذهب يراه كذلك قاموس الكتاب المقدس حيث يشك في نسبة كلمة " النبي " إلى اللغة العبرية وأن أصلها عربي أخذت من لفظة " نبأ " Naba بالعبرية " נָבֵא " لا، أخبر، أو من السريانية، وهناك من يرجعها إلى اللغات السامية الأخرى<sup>(4)</sup>. وتدور تخمينات الباحثين لكلمة النبي حول المعاني التالية :

- 1- ينبع أو " يتفجر " أو بتعبير آخر " انفجر فيه أو اندفق فيه " والكلمة أخذت من كلمتين هما " نون Non "، " بيت Bethe " وبذلك يكون النبي هو الذي اندفق فيه الروح واستنادا إلى ذلك فهو يثور ويفور، بسبب النظرة التقليدية للأنبياء على أنهم الهائجون المندفعون .
- 2- " أعلن " على أنها مشتقة من الفعل " نبأ " في اللغة العربية، إلا أن المقصود به في العبرية التخصيص بالإعلان الإلهي ( إعلان الوحي) .
- 3- " ينادي " على أن الكلمة مشتقة من الآشورية من الفعل " نابو Nabu " الذي يتضمن أيضا: فكرة التفجير والاندفاع فالكلمة " منبو Manbu " تعني ينبوع أو النافورة و الكلمة " نيهو Nibhu " تعني النبع الصغير .
- 4- إنها اسم لأحد آلهة الآشوريين " نيو Nebo " رسول الآلهة والمتحدث بلسانهم .

1 - م . ص . سيغال، حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل، نقلا عن: محمود أحمد المراغي، إشعاع نبي بني إسرائيل، (مرجع سابق)، ص119.

2 - نقلا عن: المرجع نفسه والصفحة .

3 - حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، ط02، دمشق، بيروت، دار القلم ودار: لشامية، 1990م، ص70.

4 - Dictionnaire de la Bible, Éditeurs Letouzey et Ané. 1899, Tome05. P70 - 708 .

5- "نعوم ne,un" من الفعل "نعم na,un" ومنه اشتقت العبارة "نعوم يهوه" أي المتكلم بوحى الله .

6- الداخلة في معاملة أو صلة مع الله، على أن هناك صلة بين الفعل "بو" ومعناه "يدخل في" وبين

الكلمة نبي<sup>(1)</sup> .

وتحديد معنى النبي بدقة في العهد القديم أمر صعب، نظراً لغزارة تلك المادة وتداخلها مما يكشف عن

تعقد الظاهرة النبوية، وقد أطلقت لفظة النبي على فئات مختلفة، حيث شملت كلا من الأنبياء الحقيقيين

والأنبياء الكذابين على حد سواء، مما جعل الدارسين يختلفون في تحديد معناه وقد استغل العهد القديم عدة

ألفاظ للدلالة على النبي، أشهرها ثلاثة: נָבִיא, רוֹעֵה, נָבִיא, Nabî , hôzéh , Roéh .

1- (Roéh) נָבִיא (أو العراف وأصل هذه الكلمة مشتق من נָבִיא الذي يعني "رأى" بواسطة

عين الجسم أو الروح، وقد استعمل هذا اللفظ للتعبير عن رؤيا الأنبياء، وأول من أعطى هذا الاسم في

التوراة هو شاول و«قال شاول لغلامه الذي معه تعال نرجع لئلا يترك أبي الأتن ويهتم بنا. فقال له هو ذا

رجل الله»<sup>(2)</sup> «فعاد الغلام وأجاب يوجد بيدي ربع شاقل فضة فأعطيه لرجل الله»<sup>(3)</sup> وكان العراف إذن

يستشار عند مناجاة الله، واعتبرت إجاباته كإجابات الله<sup>(4)</sup> وتُسمى بعض الشخصيات بالعرافين أو

السحرة، مثل بلعام الذي تنبأ أو نبأه الله «كلام من يستمع أقوال الله والذي يشاهد رؤيا القدير»<sup>(5)</sup>، ولهذا

لا مانع عند اليهود أن ينسب الله الساحر ما دام ما يليق به فيه خير للشعب<sup>(6)</sup> .

والذي يدرس قصة صموئيل<sup>(7)</sup> يستخلص بأن العراف<sup>(8)</sup> يستقبل الرؤيا ويسمع كلام الله، وهذا ليظهره

Hurbert Irsigler, **Prophetie und propheten literatur.** - 1

الحسن، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، (مرجع سابق)، ص 24 - 25 .

2 - سفر صموئيل أول 09 : 05 - 06 .

3 - سفر صموئيل أول 09 : 09 .

4 - **Dictionnaire de la Bible, Tome05, P706 .**

5 - سفر العدد 24 : 04 .

6 - بروس بارتون وآخرين، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ترجمة وليم هبة، وحوزيف صابر وآخرين، ص 321 .

7 - صموئيل بن القانة، ومعناه في العبرية "الذي طلب الله" «وقد دعي صموئيل مثل موسى للقيام بالكثير من مختلف الأدوار،

كان قاضيا وكاهنا ونبيا ومشيرا ورحل الله في فترة حاسمة من تاريخ بني إسرائيل، واستخدامه الله للانتقال بيني إسرائيل من

حالة الحكم القبلي المتفكك إلى الحكم الملكي، ويعتبر صموئيل آخر قضاة بني إسرائيل، وقد عاش في إفرائيم وعاصر شاول

وعالي وداود». المرجع نفسه، ص 575. ونجد قصته في سفر صموئيل الأول: 01 - 38، كما ذكر في مزمو 99 : 06

وسفر إرميا 15 : 01.

8 - وقد كانت العرافة أو قراءة الأمر الطالع أمرا شائعا في حضارتنا الإغريقية والرومان، وكانت هناك عدة وسائل خرافية =

للآخرين، كما أنه يفسر الأحلام والرؤى وقراءة الكف<sup>(1)</sup>. والعراف أو الرائي بذاك المفهوم ليس مصطلحا عبريا خالصا إذ اكتشف في "تل دير علا" بالأردن سنة (1967م)، لفيفة يرجع تاريخها إلى سنة (750-650 ق،م) تحوي اثنين من أقوال وأحكام أحد الرائين بلهجة آرامية ذات مسحة كنعانية<sup>(2)</sup>.

(2) - הוזה (hôzêh) الناظر وهو مشتق من نفس الفعل (Roéh) ראה وله نفس المعنى "رأى" ولكنه مستعمل أكثر من الأول، رأى بعض النقاد أن הוזה هو النبي المرتبط بعائلة الأعمال، أما ראה (Roéh) الرائي أي العراف مرتبط بمصالح العباد، أما جمع اللفظة (hozém) قد وصف أساسا من يدعي النبوة. وقد رفض اليهود قديما الناظرين الحقيقيين، وطلبوا من الأنبياء الدجالين أن يخبروهم بما يرون لهم وأن يقدموا لهم رؤيا كاذبة.

وفي بداية الأمر كان הוזה (hôzêh) يستعمل في الأنبياء (الناظرين) الحقيقيين الذين لا تتعلق أعينهم عن الرؤى الإلهية، فيقرؤوها ويقدموها للغير، لكن أخيرا أصبح يطلق على الأنبياء الدجالين والكذبة<sup>(3)</sup>.

(3) - נביא (Nabi) النبي، أو شارح الله، يُعد أصل هذه الكلمة غير منبثق من العبرية القديمة، والنقاد يرجحون أصله إلى اللغات السامية مثل العربية من نبا (Naba) נבא أي أخبر ومن السريانية (Nabu) كما أسلفنا<sup>(4)</sup>. كما توجد عدة اطلاقات وألقاب لم يوردها قاموس الكتاب المقدس من بينها:

- حالم الأحلام هو « الذي يتلقى أحلاما باعتبار الأحلام إحدى وسائل الوحي، كما هو الحال مع الرؤى<sup>(5)</sup> » وحالم الأحلام يستخدم جنبا إلى جنب مع لفظة النبي، إذ كلاهما يستطيع الإتيان بالخوارق والآيات، كما يذكر سفر التثنية « إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلم أو أعطاك آية أو أعجوبة<sup>(6)</sup> ». ويجب عزل هذه الوسيلة عن وظيفة مفسر الأحلام المحترف فهي وظيفة لا علاقة لها بالنبوة، أما النبي فقد يوحى

= الناس، ظنا منهم أنها تعلمهم بأحداث المستقبل، من تفسير فال الطبيعة إلى الاتصال بأرواح الموتى. بروس بارتون وآخرين، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ترجمة وليم هبة، وجوزيف صابر وآخرين (موجع سابق)، ص 2327.

1 - J.N.Dumont, *Révélation et Traditions*, P216 .

2 - Welhausen J. prolezmena, *Zur Geschichte Israel* - نقلا عن: عبد الراضي محمد عبد المحسن المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص 28.

3 - *Dictionnaire de la Bible*, Tome05, P707 .

4 - Loc, Cit .

5 - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ النبوة الإسرائيلية، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، [د، ت]، ص 29.

6 - سفر التثنية 13 : 01 .

إليه عن طريق الأحلام والرؤى ويعطى القدرة على تفسيرهما وتفسير أحلام غيره<sup>(1)</sup>، كما حدث مثلاً مع إبراهيم ويوسف عليهما السلام.

- والحارس، وملاخ يهوه، ورجل الروح، المجنون وإن كانت تلك عند النقاد تستعمل في النبي الكاذب<sup>(2)</sup>، «جاءت أيام العقاب جاءت أيام الجزاء سيرف إسرائيل النبي أحق إنسان الروح مجنون»<sup>(3)</sup>.

ومن الآراء التي ذكرت في معنى النبي هو أنه شخص في حالة الانجذاب نبوي لدوافع خارجة عن إرادته وإن الكلمة في أصلها الأول كانت تستخدم للإشارة إلى جماعات دينية متعصبة، وأن هذا المعنى قد عدل فيما بعد ليطلق على الأنبياء وهذا الرأي كما هو واضح يركز على عنصر الانجذاب في التجربة النبوية، ورأي آخر يرى أن فكرة الانجذاب ليست أصلية ولكنها فرضت فرضاً على المعنى الأصلي وهو الإخبار، وهذا يعني أن الانجذاب مجرد حالة مصاحبة أو مواكبة للفعل الأساسي للنبي<sup>(4)</sup>، «بمذا يتبين أن النبي قد جمع في شخصه وظائف عدة: الرائي والناظر والحالم ومفسر الأحلام والرؤى والمخبر والمنبئ، فهي كلها وسائل الاتصال الإلهي بالأنبياء وليست وظائف مستقلة، كما هو الحال في بعض ديانات الشرق الأدنى القديم»<sup>(5)</sup>.

والنبي في العرف اللغوي لدى العرب «أنبأ عن الله فترك همزه وهو من النبوة والنباوة، الارتفاع عن الأرض»<sup>(6)</sup> ولهذا فالنبي يفيد الرفع، ومن جهة اللغة لا يقع تخصص للنبوة، والنباوة لأنها تستعمل في كل رتبة<sup>(7)</sup>، «والنبي بغير الهمز أبلغ عند النحويين من النبي بالهمز»<sup>(8)</sup>.

وروي أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: «يا نبي الله فقال: «لست بنبي الله ولكني نبي الله»<sup>(9)</sup>،

1 - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ النبوة الإسرائيلية، (مرجع سابق)، ص 29.

2 - المرجع نفسه والصفحة.

3 - سفر هوشع 9: 07.

4 - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية، ط 01، القاهرة، دار بقاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م، ص 116.

5 - المرجع السابق والصفحة.

6 - ابن منظور، لسان العرب، القاهرة، المؤسسة العامة للتأليف والأنباء والنشر، [د، ت]، ج 01، ص 158.

7 - القاضي أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمداني الاسد آبادي، المغني في أبواب العدل والتوحيد، تحقيق محمد الحضري ومحمود محمد قاسم، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1965م، ج 15، ص 14.

8 - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد خليل عيتاني، ط 02، بيروت، دار المعرفة، 1999م، ص 484. ينظر: محمد علي بن علي بن محمد التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون،

ص 165. وينظر أيضاً: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، بيروت، دار العلم للجميع، 1306هـ، ج 01، ص 92.

9 - ابن منظور، لسان العرب، ج 01، ص 157.

حيث أنكروا الهمز، ويقصد نبي الله الخارج والمدعي النبوة كذاباً<sup>(1)</sup>، ورد الرسول ﷺ بذلك لأنه تفرس في الرجل اعتقاداً منه أنه بعض المخبرين، والرسول ﷺ ممن رفعه الله فقال له: يا نبي الله أي ممن رفعه الله<sup>(2)</sup>. وهذا أحد الوجهين اللذين ذهب إليهما الراغب الأصفهاني.

أما الوجه الثاني فهو من النبأ أي الخير وتسميته «لإنبائه بالأمور الغيبية وماضيها وآتيها»<sup>(3)</sup>. وعلى ذلك دل قوله تعالى إخباراً عن عيسى عليه السلام ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾<sup>(4)</sup>، فترك الهمزة من نبي كالبرية والذرية والحايية<sup>(5)</sup> ولهذا «فالنبي هو المخبر عن الله عز وجل»<sup>(6)</sup>، وهو نبوءة الله<sup>(7)</sup>، وبهذا فالنبوة أخذت من الإنباء والإخبار والإعلام، وقيل «النبي هو الطريق سمي به لأنه طريق إلى الله»<sup>(8)</sup> وبهذا يتبين أن النبي يحتمل ثلاثة أوجه: المرتفع والمخبر والطريق. وعلى هذا فالنبوة هي ذلك الاتصال القائم على أساس انتقال الرسالة الربانية إلى الأنبياء الذين تم اختيارهم مستلهمين للروح القدس<sup>(9)</sup>، أو هي الإخبار عن الله وخفياياه ومقاصده، وعن الأمور المستقبلية ومصير الشعوب والمدن والأقدار بوحى خاص من الله على فم أنبيائه المصطفين<sup>(10)</sup>.

أما إذا انتقلنا إلى النبي في الاصطلاح العبري «هو ذاك الإنسان الذي يتكلم أو يكتب ما يسدور في خاطره، دون أن يكون ذاك الأمر من بنات أفكاره، بل هو من قوة خارجة عن إرادته وهي قوة الله»<sup>(11)</sup>. أو هو: ذاك الشخص المدعو من الله لتوصيل رسالة إلهية إلى قومه، وهذا التفسير للنبي الذي اعتمده الترجمة

1 - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، بيروت، دار العلم للملايين، (مرجع سابق)، ج 01، ص 92.

2 - الراغب الأصفهاني، الاعتقادات، تحقيق شران العجلي، ط 01، بيروت، مؤسسة الاشراف للطباعة والنشر والتوزيع، 1988م، ص 119.

3 - المرجع نفسه، ص 118.

4 - سورة آل عمران: 49.

5 - المرجع السابق والصفحة.

6 - إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وآخرين، المعجم الوسيط، ط 02، مصر، دار المعارف، 1973م، ج 02، ص 896.

7 - تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية، النبوات، تحقيق محمد عبد الرحمان عوض، ط 01، بيروت، دار الكتاب العربي 1985م، ص 281.

8 - محمد علي بن علي بن محمد التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ط 01، بيروت، دار الكتاب العلمية، 1998م، ج 04، ص 165.

9 - Alan Unterman, Dictionnaire du judaïsme, P237.

10 - بطرس عبد الملك وآخرين، قاموس الكتاب المقدس، ط 13، القاهرة، دار مكتبة العائلة، 2000م، ص 949.

11 - المرجع نفسه والصفحة.

السبعينية حين استعملت الكلمة اليونانية Prophetes للتعبير عن هذا المعنى<sup>(1)</sup>.

فالتبي هو إنسان يظهر الله له إرادته مهما كانت، سواء الحاضرة أم المستقبلية ليظهرها للناس<sup>(2)</sup>.

## 2- عند المسلمين :

لا نستطيع أن نعطي تعريفا واحدا محددا ودقيقا للتبي والنبوة، نظرا لأن النبوة في التاريخ الإسلامي مرت بعدة مفاهيم وهذا راجع إلى الخلافات التي حدثت بين المسلمين وخاصة بعد مقتل علي بن أبي طالب عليه السلام، مما تمخض عنه افتراق الأمة الإسلامية إلى عدة فرق وخاصة فرقتي الشيعة والسنة وعلى الرغم أن الخلاف كان سياسيا يتعلق بطريقة الحكم وكيفية اختيار إمام المسلمين إلا أنه تحول بمرور الزمن إلى خلاف عقائدي وفكري في إطار كلامي، وتعمق ذلك الخلاف إلى أن شمل جميع أحكام الإسلام .

لقد كانت فرقة الشيعة أول فرقة استقلت بمفاهيم خاصة من جهة النبوة والإمامة حيث ارتقوا بهما إلى مكانة متوازية لهذا أشار الشهرستاني(ت 548هـ) إلى أن أعظم خلاف وقع في الأمة خلاف الإمامة. قائلا: « ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة »<sup>(3)</sup>. ويرجع ذلك إلى واقعة مقتل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وقالوا بإمامته وخلافته نضا ووصية إما جليا وإما خفيا وقالوا: « ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين، لا يجوز للرسول عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله. وبعضهم يميل إلى أصول الاعتزال، وبعضهم إلى السنة وبعضهم إلى التشبيه »<sup>(4)</sup> والإمام عندهم « يجب أن يكون حائزا للكمالات والفضائل السامية، ليكون قدوة للمسلمين فهو من حيث الخوف والرجاء والحب لله والتوكل عليه وسائر الكمالات والصفات الحميدة الأخرى من العلم والعبادة والزهد والشجاعة أفضل من سائر الناس كاملا في جميع الصفات الكمالية مزاها عن جميع الرذائل والصفات القبيحة »<sup>(5)</sup> والذي يعيننا هنا هو ما تمخضت عنه هذه التجربة من نتائج فكرية كان أبرزها إدراج الإمامة في مقام يوازي مقام النبوة وتمثل ذلك في نقطتين .

أولا : العصمة ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ

1 - بطرس عبد الملك وآخرين: قاموس الكتاب المقدس، (مرجع سابق)، ص949.

2 - Dictionnaire de la Bible, Tome05, P705 .

3 - الشهرستاني، الملل والنحل، ص17.

4 - المرجع نفسه، ص18.

5 - السيد عبد الحسين دستغيب، النبوة والإمامة، ترجمة أحمد القايحي، [د، ب]. دار الثقافة، [د، ت]. ص12.

وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً»<sup>(1)</sup> ولهذا « فالأشخاص الذين تشملهم الآية لهم اللياقة الكاملة لقيادة المجتمع الإسلامي حيث يطهرون الناس والمجتمع من الرذائل والرجس بطهارتهم وفضيلتهم ومن هنا ذهب الشيعة إلى أن العصمة شرط أساسي في الإمام كما هو الحال في النبي لنفس السبب»<sup>(2)</sup>.

الأمر الثاني : عندهم - الإمام - يجب أن يكون معينا من الله تعالى كما عين النبي ﷺ لأن الله أعلم بالسرائر وبالذين طهرهم واصطفاهم<sup>(3)</sup>.

والشيعة يستدلون على هذا التوازي في المرتبة بين النبي والإمام بأدلة نقلية بالأساس، من بينها لما أراد النبي ﷺ الخروج من المدينة ويلتحق بالجيش عين علي بن أبي طالب ﷺ مكانه، لم يسلم من لسان المنافقين وأتباعهم حيث قالوا : بأنه ترك علينا وأبعده عنه ولكن رسول الله ﷺ أظهر فضل الإمام علي ومقامه في حديث فقال: « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي »<sup>(4)</sup>.

وينقل لنا صاحب شرح الياقوت أنه لما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع كان سايرا وقت الظهر، فأمر بالتزول بغدير وجعل الأحمال على شبه المنبر وصعد عليه، وقال ﷺ : « يا أيها الناس ألسنت أولى منكم بأنفسكم؟ » قالوا: بلى يا رسول الله. قال: « فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، ومن كنت نبيه فهذا علي النبي ﷺ أميره، اللهم والي من ولاده، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق مع علي كيفما دار »<sup>(5)</sup>.

كما يستشهدون بنصوص أخرى، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: « يا علي حبك إيمان وبغضك كفر » و« يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا كافر أو منافق » وعندهم أن هذه الروايات مروية أكثر من طرق أبناء العامة ويقصدون بذلك أهل السنة . وذكر آل محمد في الصلوات حال التشهد واجب، خصوصا ما عليه فتوى الشافعي من بطلان الصلاة إذ ترك الصلوات على آل محمد عمدا حال التشهد<sup>(6)</sup>.

بهذه النظرة المتوازية بين الإمام والنبي فلا يوجد فرق عميق بينهما « فالنبي حاكم بالأصل على الناس في

1 - سورة الأحزاب : 33 .

2 - السيد عبد الحسين دستغيث، النبوة و الإمامة، ترجمة أحمد القابنجي، ص13.

3 - المرجع نفسه والصفحة .

4 - رواه مسلم، باب فضائل علي ﷺ، من كتاب فضائل الصحابة ﷺ.

5 - الحلبي، شرح الياقوت للنوحي، نقلا عن: أحمد المشرقي، النبوة في الأديان الكتابية، ص74.

6 - السيد عبد الحسين دستغيث، النبوة و الإمامة، ترجمة أحمد القابنجي، ص196.



ديهم وديانهم مباشرة دون وساطة، أما الإمام فهو الحاكم عليهم بواسطة النبي»<sup>(1)</sup>.

ذكرنا أن النبي في المدلول اللغوي دار حول المعاني التالية: المخبر والمرتفع أو الرفيع والطريق. وهذه المعاني الثلاث للنبي لغة قُبِلت لدى المتكلمين على اختلاف مذاهبهم، حيث كل مذهب يرجح أو مال للمعنى الذي يتفق مع رؤيته للنبوّة مع الاعتراف بالمعاني الأخرى لدى الآخرين<sup>(2)</sup>.

فالنبي عند المعتزلة، يميلون به إلى المعنى الثاني، وأنه لفظ " مأخوذ من النبوة أو النبوة " أي الارتفاع<sup>(3)</sup>، وبهذا فهو يفيد الرفعة<sup>(4)</sup>. وحكى القاضي عن شيخه أبو هاشم عن أبي علي أن معنى المخبر لا يتفق مع النبي واستدل على ذلك برواية أن النبي ﷺ قال له رجل: يا نبي الله. فقال ﷺ: «لست بنبي الله، وإنما أنا نبي الله»<sup>(5)</sup>. وإن كان القاضي في كتابه " شرح الأصول الخمسة " يذكر الرأيين دون أن يرجح إحداها على الآخر<sup>(6)</sup>.

هذا يتبين أن المعتزلة باختيارهم معنى الرفيع قد تبناوا المعنى اللغوي الذي يتواءم مع تصورهم العام للنبوّة بما أنها ارتقاء ورفعة خص بها النبي ﷺ لأنه « لعلمنا بأنها لا تستعمل في كل رفيع من الصالحين من المؤمنين. وإنما هي مستعملة في من يختص بمثل رفعة الأنبياء عليهم السلام، ولا يعقل عند الظاهر منها، إلا ذلك، فالواجب فيها أن تكون منقولة عن عمومها في اللغة إلى هذا الاختصاص »<sup>(7)</sup>. ثم يشرع القاضي في تبين المعنى الذي رآه للنبي بالقرائن العقلية، لترجيح ذلك الرأي والمعنى عليه غيره<sup>(8)</sup>.

وهذا الاختيار لمعنى النبي يوحى بأنهم يفردون للجهد الإنساني مكانا متميزا في نظرهم للنبوّة وذلك اتساقا مع منهجهم الفكري العام الذي يتصدر فيه الإنسان وفعله مكانة عالية. إلا أن ذلك الجهد الإنساني في فهم المعتزلة للنبوّة، لا يفهم منه تجاوز أهمية البعد الإلهي في عملية الوحي أو تجاوز للتدخل الإلهي في عملية النبوّة .

- 1 - السيد عبد الحسين دستغيث، النبوة و الإمامة، ترجمة أحمد القابنجي، (مرجع سابق)، ص 147.
- 2 - أحمد المشرقي، النبوة في الأديان الكتابية، ص 76.
- 3 - القاضي عبد الجبار المعتزلي، المعنى في أبواب العدل والتوحيد، ج 15، ص 14.
- 4 - المرجع نفسه والجزء والصفحة .
- 5 - المرجع نفسه والجزء والصفحة .
- 6 - القاضي عبد الجبار المعتزلي، شرح الأصول الخمسة، الجزائر، موفم للنشر، 1990م، ص 227.
- 7 - المرجع السابق والجزء، ص 15.
- 8 - المرجع نفسه والجزء، ص 16.

وقد أدرج المعتزلة تحت موقفهم ذلك نظريات فرعية مثل: نظرية الصلاح والأصلح ونفي صدور التسبح عن الله وغيرهما وهي آراء تندرج تحت أصل العدل<sup>(1)</sup>.

تجمع المصادر الأشعرية للمعاني المختلفة للفظة النبي أنها تميل أكثر إلى المعنى الذي يظهر فيه الدور الإلهي بالدرجة الأولى، لأنه المدلول اللغوي الذي يتجاوب مع رؤيتهم العامة للنبوة فلفظ النبي فعيل من "النبا": بمعنى الخبر وهذا الاختيار اللغوي يعكس تصور الأشعرية للنبوة باعتبارها هبة واصطفاء الهي<sup>(2)</sup>، والنبي يخبر عن الأمور المغيبة منها وآتيها<sup>(3)</sup>، وهذا الذي يشير إليه الجويني بقوله: «هي قول الله تعالى لمن يصطفيه أنت رسولي»<sup>(4)</sup> وعند البغدادي «هي من أتاه الوحي من الله عز وجل ونزل عليه الملك»<sup>(5)</sup>. إذا هو المخبر عن الله تعالى بكتاب أو الهام أو تنبيه في المنام<sup>(6)</sup>.

وبهذا فالنبوة هي سفارة العبد بين الله وبين خلقته من ذوى العقول. وقيل هي: إزاحة عملل ذوى للعقول فيما تقصر عنه عقولهم من مصالح المعاش والمعاد. ويرى الراغب أن بعض المحققين جمع بينهما فقال: «هي سفارة بين الله وبين ذوي الألباب لإزاحة عمللهم فيما يحتاجون من مصالح الدارين»<sup>(7)</sup>. وهكذا يرتبط المعنى اللغوي للنبي بالمعنى الاصطلاحي (الاصطفاء) ليتبين أن الفعل الحقيقي في النبوة هو فعل الله واختياره، دون تدخل الإنسان فيه، وهذا يظهر مدى اختلاف الأشعرية عن المعتزلة<sup>(8)</sup>.

والنبي عند ابن سينا «هو من له مخيلة قوية يستطيع بما أن يصل إلى العقل الفعال ويتقبل فيضه يقظة أو مناما في جميع الأوقات، فتكون مخيلته كأنها كبريت والعقل الفعال نار فما تكاد هذه المخيلة تصل إلى هذا العقل الفعال حتى يشتعل فيها دفعة ويجلبها إلى جوهره وكأنه المعنى بقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ

1 - أحمد المشرفي، النبوة في الأديان الكتابية، (مرجع سابق)، ص 77.

2 - المرجع نفسه، ص 82.

3 - بسام عبد الوهاب الحايي، المسائل الخلافية بين الأشاعرة والماتريدية، ط 01، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2003م، ص 95.

4 - أبو المعالي الجويني، الإرشاد، تحقيق د. محمد يوسف موسى، وعلى عبد المنعم عبد الحميد، مصر، مكتبة الخانجي، 1950م، ص 350.

5 - عبد القاهر بن طاهر البغدادي، كتاب أصول الدين، ط 01، بيروت، منشورات دار الأفاق الجديدة، 1981م، ص 154.

6 - محمد هشام سلطان، العقيدة والفكر الإسلامي، ط 02 الجزائر، مكتبة رحاب، 1988م، ص 97.

7 - الراغب الأصفهاني، الاعتقادات، ص 119.

8 - أحمد المشرفي، النبوة في الأديان الكتابية، ص 82.

لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ»<sup>(1)</sup>. وعندئذ تدعن للنبي غريزة عالم الخلق الأكبر كما تدعن لروحك عالم الخلق الأصغر فتأتي بمعجزات خارجة عن الحيلة والعادات ولا تصدأ مرآتها عن انتقاش بما في اللوح المحفوظ من الكتاب الذي لا يبطل وذوات الملائكة التي هي الرسل فتبلغ مما عند الله»<sup>(2)</sup>.

والنبي بهذا المعنى عند الفلاسفة هو من اجتمعت فيه ثلاث خصال تميزه عن غيره وهي :

- الإطلاع على المغيبات .

- ظهور الأفعال الخارقة على يديه .

- رؤية الملائكة بصورة محسوسة وسماع كلامهم .

ومن شرط النبي أيضا ومن كمال تعريفه عند الفلاسفة أن يوجد عنده إلى جانب هذه المخيلة قوة عقلية عظيمة تساعدها في الصعود إلى درجة العقل الفعال لأنها لا تستطيع أن تصل إلى ذلك لوحدها .

3- عند ابن ميمون :

أما تعريف النبي عند ابن ميمون فهو يتماشى مع النظرة الكتابية(التوراة)، التي لاتفرق بين النبي الصادق والنبي الكاذب، من حيث وسيلة التنبأ والإخبار، حيث يقول عنه: « كل مخبر بغيب من جهة التكهين والشعور كان ذلك، أو من جهة رؤية صادقة فانه يتسنى أيضا: نبيا ولذلك يسمون أنبياء البعل وأنبياء العشتروت »<sup>(3)</sup>،

وبهذا يتبين أن النبي عنده كان من يتنبأ عن طريق الحلم أو الرؤية الصادقة، أو من كان يدعي النبوة من أنبياء البعل والعشتروت .

خامسا- نبوة المرأة :

1- عند اليهودية :

والنبوة الإسرائيلية لم تكن محصورة أو مقتصرة على الرجال، بل يوجد في تاريخ الإسرائيليين الطويل نساء تنبأن مثل مريم أخت موسى وهارون التي اعتبرت كشاعرة وتتغنى بأصوات مزمار موسى، كذلك من النساء اللاتي منحهن الكتاب المقدس لقب نبيات هن: دبورة « دبورة امرأة نبية زوجة لفيدوث هي قاضية

1 - سورة النور : 35 .

2 - نقلا عن: عبد الفتاح أحمد الفاوى، النبوة بين الفلسفة والتصوف، ط01، القاهرة، مكتبة الزهراء، 1996م، ص08 .

3 - موسى بن ميمون، دلالة الحاترين، ص392 .

إسرائيل في ذلك الوقت»<sup>(1)</sup>، وحنة أم صموئيل «فصلت حنة وقالت، فرح قلبي بالرب، وارتفع قرني بالرب اتسع فمي على أعدائي»<sup>(2)</sup>، وُخلدة امرأة سلوم «فذهب حلقي الكاهن وأحيقام وعكيبور وشافان وعسايا إلى خلدة النبية امرأة سلوم»<sup>(3)</sup>.

وعلى الرغم من ضآلة حجم هذه الأخبار الواردة عنهن، إلا إنها تكشف عن: وجود نوع من المنافسة بين أولئك النبيات وكبار الأنبياء: كموسى وهارون، إذ تضع مريم نفسها في مرتبة واحدة مع موسى. إن بعضهن كدبورة قامت بالجمع بين القضاء والنبوة في وقت واحد، أو كخلدة التي جمعت بين الخدمة في المعبد ككاهنة وبين النبوة<sup>(4)</sup> وليس لدينا أية معرفة عن كيفية تلقيهن الوحي أو زمنه واستمراريته.

2- عند الإسلام:

نبوة النساء وقع فيها خلاف بين علماء الأمة الإسلامية، إلا أن غالبية جمهور العلماء يميلون إلى صفة الذكورية في النبي، وهو ما ذهب إليه الخنفة وغيرهم من أصحاب المذاهب الفقهية، وأهل التحقيق من علماء الكلام<sup>(5)</sup>، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾<sup>(6)</sup>، وأيضا بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾<sup>(7)</sup>، واعتبروا ذلك الوحي هو الهام مثلما همم الله عز وجل النحل<sup>(8)</sup>.

إذا فالنبوة والرسالة لا تكونان لامرأة لأن «واقع الحال الذي دلنا عليه إخبار الله عز وجل عن الرسل والأنبياء الذين بعثهم إلى الناس على مر الزمن، وصفة الكمال التي يجب توفرها للرسل والأنبياء وهي تنافي الأنوثة كما هو معلوم وهذا هو الدليل، ولا يتنافى هذا مع حقيقة إسناد الوحي في القرآن الكريم إلى أم موسى لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾<sup>(9)</sup>، كما لا يتنافى أيضا: إسناد الأمر الهي إلى أم عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي﴾<sup>(10)</sup>. فهو كذلك إلهام وهو قدر مشترك بين

1 - سفر القضاة 04 : 04 .

2 - سفر صموئيل الأول 02 : 01 .

3 - سفر الملوك الثاني 22 : 14 .

4 - عبد الراضي محمد عبد المحسن، المعتقدات الدينية لدى العرب، ص70.

5 - بسام عبد الوهاب الحاي، المسائل الخلافية بين الأشاعرة والماتريدية، ص248.

6 - سورة مريم : 16 .

7 - سورة النحل : 68 .

8 - المرجع السابق والصفحة .

9 - سورة القصص : 06 .

10 - سورة مريم : 23 .

الناس، وهو مجردة لا يعني النبوة ولا يستلزمها»<sup>(1)</sup>.

خلافًا لابن حزم الذي يجزم بعدم صحة حجج المانعين لنبوة النساء، على الرغم من الدليل القرآني الذي يستشهدون به ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(2)</sup>. غير أن ابن حزم لا ينازع أو يخالف جمهور المانعين، كما يتعلق بإرسال امرأة وإنما الكلام عنده يتعلق بنبوة المرأة وليس الرسالة.

ولتوضيح الأمر يبدأ ابن حزم في شرح لفظ النبوة في اللغة، ثم يستشهد على ذلك بنصوص كثيرة من القرآن، كل ذلك رداً على الذين لا يجيزون نبوة النساء، والنبوة في اللغة مأخوذة من الإنباء وهو الخبر والإعلام<sup>(3)</sup>، قائلاً: «فمن أعلمه الله عز وجل بما يكون قبل أن يكون، أو أوحى إليه منبأ بأمر ما فهو نبي بلا شك وليس هذا من باب الإلهام»<sup>(4)</sup>.

ولا يعتبر ابن حزم ذلك الإنباء من باب الظن ولا من باب الكهانة والتي قبرت بحجج رسول الإسلام محمد ﷺ، ولا من باب التنجيم ولا من باب الرؤيا التي لا يعلم صدقها من كذبها، فعنده أن النبوة إعلان من الله عز وجل «يوحى إليه بما يعلمه به، ويكرن عند الموحى به حقيقة خارجة عن الوجوه المذكورة»<sup>(5)</sup>، فالله عز وجل أرسل ملائكة إلى أم إسحاق ييشرها بإسحاق مستشهداً ومدللاً على ذلك بقوله تعالى:

﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَفِشْرَتَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ، قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ، قَالُوا أُنْعِمِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾<sup>(6)</sup>، كما أرسل جبريل ﷺ إلى مريم أم عيسى ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾<sup>(7)</sup>، وعنده آنذاك الخطاب في الآيتين من ملك لا يمكن أن يكون لغير نبي

بوجه من الوجود، ونبوة مريم نبوة صحيحة، «وأن أم موسى لو لم تكن واثقة بنبوة الله لها لكانت يالقاتيسا لولدها في النهر برؤيا تراها، أو بما يقع بنفسها من هواجس في غاية الجنون، فيضحى أن يكون الذي وقع

1 - د. محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى التقنيات الكونية، إعادة ط08، بيروت، دار الفكر، 2002م، ص 2002.

2 - سورة النحل : 43.

3 - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق أحمد السيد سيد أحمد علي، القاهرة، المكتبة التوفيقية، [د، ت]. ج 03، ص 186.

4 - المرجع نفسه والجزء، ص 187.

5 - المرجع نفسه والجزء، ص 188.

6 - سورة هود : 70 - 72.

7 - سورة مريم : 18.

فهو كالوحي الذي ورد على سيدنا إبراهيم في رؤياه لذبح ابنه إسماعيل، فأبراهيم عليه السلام لو لم يكن واتقا من نفسه لصحة النبوة والوحي الواردة عليه لما ذبح ابنه، واعتبر بفعله ذاك فاسقا أو مجنونا، بهذا يعتبر ابن حزم نبوتن صحيحة يقينا<sup>(2)</sup>.

كما يفند رأى المانعين لما يستشهدوا بالآية: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾<sup>(3)</sup>، وليست نبيه، فيوسف كان نبيا فناداه أو خاطبه بالصديق لقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾<sup>(4)</sup>، ويلحق بالنساء النبيات عنده امرأة فرعون للحديث النبوي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَمُلَ من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام»<sup>(5)</sup>، ويرى أن الكمال في الرجال لا يكون إلا لبعض المرسلين عليهم الصلاة والسلام «لأن من دونهم ناقص عنهم بلا شك وكان تخصيصه صلى الله عليه وسلم للكمال لمريم وامرأة فرعون تفضيلا لهما على سائر من أوتيت النبوة من النساء بلا شك، إذ من نقص عن منزلة آخر ولو بدقيقة لم يكمل»<sup>(6)</sup>، وعنده بهذا الخبر أن المرأتين صح كملتهما كاملا لم يتبعهما معه امرأة غيرهن إطلاقا.

كما ذهب قبل ابن حزم إلى ذلك الرأي أبو الحسن الأشعري، إلى أن الذكورة ليست شرطا للنبوة وقد صحت من بعض النساء ووافقه على ذلك بعض الأشاعرة<sup>(7)</sup>.

ولم يتطرق ابن ميمون لنبوة النساء في كتابيه "الدلالة"، و"المعرفة" لأنه ليس له اعتراض على نبوتن، وهذا تماشيا مع النظرة التوراتية.

## سادسا- النبي الصادق والنبي الكاذب :

### 1- عند اليهود:

عرفت الديانة اليهودية ظاهرة النبي الكاذب أكثر من غيرها من الأديان السماوية الأخرى، وهي ظاهرة

1 - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق أحمد السيد سيد أحمد علي، (مرجع سابق)، ج 03، ص 188.

2 - المرجع نفسه والصفحة .

3 - سورة المائدة : 77.

4 - سورة يوسف : 46 .

5 - رواد البخاري، باب الثريد، من كتاب الأظعمة .

6 - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج 03، ص 188.

7 - بسام عبد الوهاب الجابي، المسائل الخلافية بين الأشاعرة والماتريدية، ص 247 .

رافقت قيام حركت النبوة الحقيقية، مما أدى إلى تداخل النبوات الحقيقية بالنبوات الكاذبة<sup>(1)</sup>.

وقد وقف النبي الكاذب في طريق دعوة النبي الحقيقي أو الصادق، مما صعب التمييز بينهما لعدم وجود سلوك معين يفرق بين الطرفين، كما أنه لا توجد مؤسسة أو هيئة دينية ينتمي إليها النبي الكاذب حتى يتاح لنا التمييز بين النبي الحقيقي (الصادق) والنبي الكاذب .

كما أنه لم تكن للأول مؤسسة دينية تجمعهم، على الرغم من التحاق بعض الأنبياء الحقيقيين بالمعبد للخدمة، وكان أكبر خطر هدد دعوة النبي الصادق لدعوته هو إثارة الشكوك بينه وبين الناس وسلوكه حول مصداقية النبي الحقيقي الذي كان عليه أن يزيل الشكوك عن نفسه ودعوته وذلك بالإثبات، وقد كلفه ذلك الأمر كثيراً حيث ضيّع عليه جهداً ضخماً في تبليغ رسالته إلى شعبه، ولم يكن الارتباط بالمعبد أو البلاط المقياس أو المعيار في صدق النبي أو كذبه، بل كان أحياناً خطراً على الأول، والمعيار الذي يميز بينهما من خلال علاقة النبي بالإله يهوه<sup>(2)</sup>.

وتدور المعايير التي طرحها العهد القديم للفرقة بين النبي الحقيقي (الصادق) والنبي الكاذب كالتالي :

#### أ- المعيار الأخلاقي والسلوكي :

احتوى العهد القديم على عدة مواضع يُحيل فيها الأنبياء الصادقين إلى الصفات الأخلاقية لمخالفيهم من الأنبياء الكذبة، مما يوحي بإمكانية أن تُعين المسألة الأخلاقية في تحديد مدعى النبوة وكشف حقيقتهم .

ويلاحظ أن النقد النبوي للأنبياء الكذبة لم يستهدف كامل أخطائهم الأخلاقية، بل يستهدف بعض الأخلاقيات التي ترتبط بالنشاط والحركة النبوية. ومن أمثلة ذلك : الرشوة، جاء في ميخا: « هكذا قال الرب على الأنبياء، الذين يضلون شعبي الذين ينهشون بأسنانتهم وينادون سلام، والذي لا يجعل في أفواههم شيئاً يفتحون عليه حرباً، لذلك تكون لكم ليلة بلا رؤيا، ظلام لكم بدون عرافة، وتغيب الشمس عن الأنبياء ويظلم عليهم النهار»<sup>(3)</sup>.

وتكرر مثل ذلك المبحوم مرة أخرى في النبوات اللاحقة، إذ وجد حزقيال نفسه في مواجهة بعض المنتبآت: « وأنت يا ابن الإنسان: اجعل وجهك إلى بنات شعبك اللواتي يتنبأن من عند أنفسهن وتنبأ عليهن

1 - أحمد المشرفي، النبوة في الأديان الكتابية، (مرجع سابق)، ص 23 .

2 - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية، ص 144.

3 - سفر ميخا 03 : 05 - 06 .

وقل: هكذا قال السيد الرب: ويل اللواتي يخطن شرائط لكل مرفق يد، ويصنعن مناديل لرأس كل قامة لاصطياد النفوس فتصطدن نفوس شعبي وتحيين نفوسكن، وتدنسني عند شعبي لبضع حفنات شعير وكسر خبز، حتى تمتن نفوسا لا تموت وتحيين نفوسا لا تحيا بكذبكن على شعبي السامع للكذب»<sup>(1)</sup>. كما أن الرشوة تدفع إلى الغش والتحريف في الكلمات النبوية لأجل المنفعة الذاتية، كذلك فإن السكر يؤدي إلى العجز والتقصير وعدم القدرة على القيام بأعباء النبوة. وفي ذلك يقول إشعياء: « هؤلاء أيضا: ضلوا بالخمير وتاهوا بالمسكر: الكاهن والنبي ضلا بالمسكر وغرقا في الخمر، تاهوا من المسكر وضلا في الرؤيا، وتونخا في اتخاذ القرار كل الموائد امتلأت من القيء القذر فلم يبقي مكان»<sup>(2)</sup>.

كما كان الفسق والفجور منتشرا بين الأنبياء الكذبة، لهذا يوجد في كتاب إرميا العديد من المفردات المتعلقة بالحكم على الأخلاق. إلا أن إرميا لا يتهم خصومه شخصيا، لكنه يستعمل ألفاظا مجازية للتعبير عن مخالفة - النبي الكاذب أو مدعى النبوة - للرب<sup>(3)</sup>. فاللفظ كافران في سفر إرميا: «لأن النبي والكاهن كافران، وفي بيتي وجدت شرهما»<sup>(4)</sup>.

أما النص الثاني الذي يكرس مصطلح الفسق في كتاب إرميا: « ففي أنبياء السامرة رأيت الغباوة: تنبأوا بالبعل وأضلوا شعبي إسرائيل، وفي أنبياء أورشليم رأيت ما يقشعر منه، الفسق والسلوك في الكذب، شددوا أيدي فعلة الشر. لئلا يرجعوا كل واحد عن سوئه»<sup>(5)</sup>.

ومما يزيد الأمر وضوحا ما جاء في إرميا من فضح لمسلك اثنين من أذعياء النبوة وهما صدقيا وآخاب الذين حرقهما ملك بابل لأتهما « يقول الرب القدير إله إسرائيل عن آخاب بن قولايا وعن صدقيا بن معسيا الذين يتنبآن لكم باسمي زورا، ها أنا أسلمهما ليد نبوخذ نصر ملك بابل فليقتلها علي مرأى منكم»<sup>(6)</sup>.

1 - سفر حرفيا 13 : 17 - 19.

2 - سفر إشعياء 28 : 07 - 08 .

3 - د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، المعتقدات الدينية لدى العرب، ص 76.

4 - سفر إرميا 23 : 11.

5 - سفر إرميا 23 : 15.

6 - سفر إرميا 29 : 21 . علينا عدم الخلط بين هذين النبيين الكاذبين آخاب وصدقيا. وبين الملكين الذين لهما نفس الاسمين،

حيث أسماء عائلتهما تميز بينهما. « إذهب وخاطب صدقيا ملك يهودا » سفر إرميا 02:34. « وملك آخاب بن عمري

على إسرائيل... » سفر الملوك الأول 16 : 29 .



يقودنا هذا - في النهاية - إلى أن النبي إرميا وغيره من الأنبياء الحقيقيين لا ينتقدون الأنبياء الكذبة بسبب أخطائهم، لكن هذه الأخطاء الأخلاقية تكون مدخلا للطعن إذا ما تزامنت مع الردة والشرك<sup>(1)</sup>.

أي أن أنبياء العهد القديم لا يرون علاقة مباشرة بين الانحطاط الأخلاقي وبين الأهلية في حمل أعباء الرسالة والنبوة وتبليغها لشعب إسرائيل وتلقي الوحي، حيث لم يناقش ويجادل أحدهم في الأمثلة السابقة في شرعية نبوة من اقتصروا على إثما أخلاقيا .

لهذا لا نجد التوراة وأسفار العهد القديم حياء في نسب أعظم الانحرافات الأخلاقية - التي يترفع عنها حتى عامة الناس - إلى كبار الأنبياء وأعظم قيادات بني إسرائيل ممن يلقبون بالآباء أو الملوك . حيث تنسب التوراة إلى نوح أنه سكر وغرق في سكرة حتى تعرى وظهرت سواته « وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه....، وسترا عورة أبيهما ووجههما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما »<sup>(2)</sup>.

وكذلك لوط تُنسب له جريمة شرب الخمر حتى الثمالة، ثم الزنى بابنتيه وإنجاب حفيدين منهما أصبح الأول أبا المؤابيين، والثاني أبا لبني عمون: « وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابتناه معه. وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه. فنحسب من أبانا نسلا. فسقت أباهما خمرا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي .. فسقت أباهما خمرا في تلك الليلة أيضا، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فجلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب، وهو أبو المؤابيين إلى اليوم، والصغيرة أيضا: ولدت ابنا ودعت اسمه ابن عمي، وهو أبو بني عمون إلى اليوم »<sup>(3)</sup>.

ويعقوب (إسرائيل) تنسب له وقائع الغش، والاحتيال، والخداع « وفي الصباح إذا هي ليثة. فقال للابان ما هذا الذي صنعت بي أليس براحيل خدمت عندك. فلماذا خدعتني »<sup>(4)</sup>، وموسى النبي نموذج النبوة المثالية في

1 - د. عبد الراضي محمد عبد الحسن، المعتقدات الدينية لدى الغرب. (مراجع سابق)، ص 78.

2 - سفر التكوين 09 : 20 - 23 .

3 - سفر التكوين 19 : 20 - 31 .

4 - سفر التكوين 29 : 25. بل تلك المخالفات تصادم ما اصطلح عليه من معايير النبوة في الفكر اليهودي . 20 : 31 - 21 .

و إشعيا 22 : 43 - 24 . وميخا 02 : 01 - 08 .

اليهودية، فيأمر بني إسرائيل سلب المصريين ونهب متاعهم قبل الخروج من مصر « وأعطي نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين، فيكون حينها تمضون أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فسلبون المصريين »<sup>(1)</sup>.

وهوشع النبي يتزوج من زانية، وسكت على خيانتها المستمرة حتى عندما فارقت يهودا فإذ عاد يفيضها إلى بيته مرة أخرى « أول ما كلم الرب هوشع قال الرب لهوشع : اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت تاركة الرب »<sup>(2)</sup>.

على الرغم من أن سفر التثنية أوجب رجم المرأة التي يشك فيها زوجها وتثبت خيانتها بعد ذلك « يخرجون الفتاة إلى باب بيت أبيها ويرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت لأنها عملت قباحة في إسرائيل بزناها في بيت أبيها، فترع الشر من وسطك »<sup>(3)</sup>. وغني عن البيان أن المخالفات السابقة: الكذب، السرقة، الزنى، تتعارض مع الوصايا العشر والتي هي أسس الديانة اليهودية<sup>(4)</sup>.

حيث يلعب المعيار الأخلاقي دورا أساسيا في تمييز النبي الصادق عند ابن ميمون الذي يقول: « وبقي أن تعلم هل مدعى ذلك هو الكامل الذي أوحى إليه بها. أو هو شخص ادعى تلك الأقاويل وانتحلها ووجه امتحان ذلك هو اعتبار كمال ذلك الشخص وتعقب أفعاله وتأمل سيرته، وأكبر علامات اطراح اللذات البدنية والتهاون بها، فإن هذا أول درجات أهل العلم، فناهيك الأنبياء وبخاصة الحاسة التي هي عار علينا كما ذكر أرسطو ولا سيما قدارة النكاح منها، ولذلك فضح الله بها كل مدع لتبيين الحق للمحققين، ولا يضلوا ولا يغلطوا ألا ترى صدقيا بن معسيا وآخاب بن قولاء كيف ادعيا النبوة وتبعهما الناس وأتيا بأقاويل وحي جاءت لغيرهما، وأنهما في خساسة لذة الجماع حتى زنيا بنساء أصحابهما وتباعهما حتى أشهرهما الله كما فضح غيرهما فاحرقهما ملك بابل كما قال إرميا »<sup>(5)</sup>.

(ب)- التحدث باسم الإله يهوه:

النبي الحقيقي يتكلم باسم الرب والكاذب يتكلم برؤيا قلبه فهو لا تربطه رابطة، يقول إرميا: « هكذا

1 - سفر الخروج 03 : 21 - 22 .

2 - سفر هوشع 01 : 02 .

3 - سفر التثنية 22 : 20 - 21 .

4 - الوصايا العشر في سفر الخروج 20 : 02 - 17، سفر التثنية 05 : 06 - 21 .

5 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 417 - 418 .

قال رب الجنود لا تسمعوا كلام الأنبياء الذين يتبأون لكم فإنهم يجعلونكم باطلا. يتكلمون برؤيا قلبهم لا عن فم الرب»<sup>(1)</sup>. وهذا يعني أن أولئك الأنبياء لم يلقوا وحيا، وإنما يتحدثون بلسان التجربة لابلسان الرب . ويواصل إرميا حديثه: «لم أرسل الأنبياء بل هم حروا. لم أتكلم معهم بل هم تنبأوا قد سمعت ما قالته الأنبياء الذين تنبأوا باسمي بالكذب قائلين حلمت، حلمت .... هم أنبياء خداع قلبهم ... النبي الذي معه حلم فليقتضي حلما والذي معه كلمتي فليتكلم بكلمتي بالحق ... لذلك هاأنذا على الأنبياء يقول الرب الذين يسرقون كلمتي بعضهم من بعض ... وأنا لم أرسلهم ولا أمرتهم...»<sup>(2)</sup> .

وقد عرف سفر إرميا « ظاهرة الأنبياء المبشرين باسم معبودات أخرى على وجه التحديد أنبياء البعل، لكنه يعالجها في إطار استحضار الماضي، والمقارنة مع أنبياء أورشليم الذين يبدون منتسبين إلى يهوه، ولكنهم في الحقيقة قد كفروا به »<sup>(3)</sup> حيث يعرض « ففي أنبياء السامرة رأيت الغباوة تنبأوا بالبعل وأضلوا شعبي إسرائيل، وفي أنبياء أورشليم رأيت ما يقشع منه : الفسق والسلوك في الكذب، شددوا أيدي فعلة الشر لئلا يرجعوا كل واحد عن سوته فصاروا كلهم كسدوم وصار سكانها كعمورة »<sup>(4)</sup> .

وتتكرر معالجات سفر إرميا لظاهرة التنبؤ بالكذب والاعتقاد في الإله بعل، دون يهوه « الكهنة لم يقولوا: أين الرب ؟ وأصحاب الشريعة لم يعرفوني، والرعاة عصوني والأنبياء تنبأوا بالبعل وساؤوا وراءها لا فائدة فيه »<sup>(5)</sup> .

وتحذيرات إرميا وأحكامه على أنبياء زمانه وعصره لمشاهرتهم أنبياء البعل الذين كفروا بيهوه، مما جعل رسالتهم تخرق الوصية الأولى من الوصايا العشر، وتضعهم ضمن الأنبياء الكذبة<sup>(6)</sup> .

يكشف سفر التثنية عن مواجهات حصلت بين أنبياء يهوه وأنبياء المعبودات الأخرى، مما لزم إلى حسم ذلك الصراع: « إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة، ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلًا: لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعبدتها، فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم.

1 - سفر إرميا 23 : 16 .

2 - سفر إرميا 23 : 21 - 32 .

3 - عبد الراضي محمد عبد المحسن، المعتقدات الدينية لدى الغرب، ص 83 .

4 - سفر إرميا 13 : 13 - 14 .

5 - سفر إرميا 02 : 08 .

6 - المرجع السابق، ص 84 .

لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم وراء الرب إلهكم تسرون، وإياه تتقون ووصاياه تحفظون، وصوته تسمعون وإياه تعبدون وبه تلتصقون، وذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم يقتل، لأنه تكلم بالزيف من وراء الرب إلهكم، الذي أخرجكم من أرض مصر...»<sup>(1)</sup>. ويقول: « إذا وجد في وسطك في إحدى مدنك التي يعطيك الرب إلهك إياها، رجل أو امرأة صنع الشر في عيني الرب إلهك، متعديا عهده، ومضى فعبد آلهة أخرى وسجد لها أو للشمس أو القمر أو لسائر قسوات السماء مما لم أمر به وأرجمه بالحجارة فيموت »<sup>(2)</sup>.

وهذا يقودنا إلى أن سفر التثنية لا يعرف قضية معايير النبوة. إلا أنه يعلن وجوب قتل كل كافر بيهوه سواء أكان نبيا كاذبا ارتكب ذاك الذنب، أم واحدا من عامة الناس<sup>(3)</sup>.

### (ج) - التباين في نقل الخبر:

فالتباين الذي يأتي بأخبار غير مفرحة أو سارة غالبا ما يكون عند معظم الناس أكثر صدقا من الذي ينقل أو يخبرهم بأنباء مفرحة يراوغ أو يوافق بها حاكما أو ملكا أو يكذب بها عليه<sup>(4)</sup>.

وتجربة إرميا النبي لأكثر دليل على ذلك التعاون بين النبي الحقيقي والنبي الكاذب، وقد كان حنانيا من بين الأنبياء الكذبة، فتنبأ بتدمير ملك نبوخذ نصر<sup>(5)</sup> بينما إرميا كان ينصح بالاستسلام لنبوخذ نصر ويدعو اليهود المسبيين إلى العيش في سلام في أرض بابل قائلا: « ابنوا بيوتا واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها، خذوا نساء ولدوا بنين وبنات وخذوا لبيكن نساء وأعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات وأكثروا هناك

1 - سفر التثنية 13 : 01 - 05 .

2 - سفر التثنية 17 : 02 - 05 .

3 - عبد الرازي محمد عبد المحسن، المعتقدات الدينية لدى الغرب، ص 84 .

4 - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية، ص 145 .

5 - هو ابن نبولامير وقيل نبوبولا سار له ابن يدعى مردوخ الشريرة والحفيد بنشامر، وقد أسس نبوخذ نصر الإمبراطورية البابلية الجديدة سنة (605 ق.م) وهي التي أصبح فيها منكا وكان قائدا عالمي، حيث كسب معركة كركميش التي سحق فيها أثور. وقد طلب من الشعوب التي يغزوها معاونته مقابل تركهم يعبدون آلهتهم، فاستول على أرضهم وسطا على ثرواتهم وتحكم في حياتهم وسمح لهم بعبادة أصنامهم، وقد اشترك هو أحيانا في عبادة أصنامهم، وقد اشتهر نبوخذ نصر بلقب (مقيم المدن) وقد وصفه الكتاب المقدس أحد الحكام الأجانب الذين استخدمهم الله لتحقيق مقاصدهم، وقد اعتر بنفسه وقوة إمبراطوريته مما أدى به إلى أن يعيش سبع سنوات فاقت عقله، قبل أن يعيده الله إلى العرش وقد عاصره الأنبياء: إرميا، حزقيال، دانيال والملكين يهوياقيم، يهوياكين. بروس بارتون وآخرين، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 1691 .

وقد وردت قصة نبوخذ نصر في سفر الملوك الثاني : 24 - 25. وسفر أخبار الأيام الثانية 36. وسفر إرميا : 21 - 52.

وسفر دانيال : 01 - 04.

ولا تقلوا، واطلبوا سلام المدينة التي سبتكم إليها وصلوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام، لأنه هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل، ولا تغشكم أنبياءكم الذين في وسطكم وعرفاؤكم ولا تسمعوا لأحلامكم التي تتحلّمونها، لأنهم إنما يتنبأون لكم باسمي بالكذب، أنا لم أرسلهم يقول الرب»<sup>(1)</sup>.

كما يزيد إرميا في وضع قاعدة أو معيار آخر للفصل بين النبي الحقيقي والنبي الكاذب بقوله: «إن الأنبياء الذين كانوا قبلي وقبلك (حننيا) منذ القدم وتنبأوا على أرض كثيرة وعلى ممالك عظيمة بالحرب والشر والوباء، النبي الذي تنبأ بالسلام فعند حصول كلمة النبي عرف ذلك النبي أن الرب قد أرسله حقاً»<sup>(2)</sup>.

وإرميا لما تحدّث مع حننيا حدثه بالأنبياء القدامى الذين تنبأوا لهم بالحرب والدمار والأمراض، أما هو لا يمكنه أن يدعو ويتنبأ بذلك، وإنما بالسلام ليتحقق لليهود الخلاص من المسيبين، وهو تنبؤ تاريخي كان له الخط الأوفر من الصحة في مستقبل أحداث السبي البابلي. فخلاص اليهود إما أن يتم من خلال التعايش مع البابليين في سلام، كما يظهر من النص السابق أو أن يتم خلاصهم من خلال تدخل قوة عظيمة أخرى، تضاهي قوة البابليين، وهذا هو الذي حدث وذلك بظهور القوة الفارسية التي غيرت موازين القوى في الشرق الأدنى القديم وأتت سيطرة البابليين على العالم. مما كان فتحاً كبيراً على المسيبين.<sup>(3)</sup> «لأنه هكذا قال الرب إني عند تمام سبعين سنة لبابل أتعهدكم وأقيم لكم كلامي الصالح يردكم إلى هذا الموضع لأنني عرفت الأفكار التي أنا مفتكر بها عنكم يقول الرب أفكار سلام لا شر لأعطيكم آخرة ورجاء، فتدعونني وتذهبون وتصلّون إلي فاسمع لكم وتطلبونني فتجدونني إذ تطلبونني بكل قلبكم، فأوجد لكم يقول الرب وأرُدُّ سبيكم وأجمعكم من كل الأمم ومن كل المواضع التي طردتكم إليها يقول الرب وأردكم إلى الموضع الذي سيبتكم منه»<sup>(4)</sup>.

وتظهر أكثر تلك القاعدة - التي وضعها إرميا - بوضوح في سفر التثنية: «وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب، فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه»<sup>(5)</sup>.

1 - سفر إرميا 29 : 05 - 09 .

2 - سفر إرميا 28 : 08 - 09 .

3 - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ النبوة الإسرائيلية، ص 63 .

4 - سفر إرميا، 29 : 10 - 14 .

5 - سفر التثنية 18 : 21 - 23 .

إلى جانب المعايير التي أعطها إرميا وغيره، يعطينا سفر ميخا دلائل أخرى مميزة للنبي الحقيقي من النبي الكاذب أو المزيف أهمها :

## (د) - قوة روح الله الدافعة :

حيث تلك القوة تدفعه بقوة إلى مزاولة نشاطه رغم كل الأخطار» لكنني أنا ملآن قوة روح الرب وحقا وبأسا لأخبر يعقوب بذنبه وإسرائيل بخطيته»<sup>(1)</sup> .

يتضح من الإشارات السابقة من إرميا وميخا أن مجموعات الأنبياء العاملين في خدمة الحكام أو العاملين في المعبد كونوا مجموعة لا بأس بها في مجاهدة الأنبياء، مكنتهم من اضطهاد الأنبياء الحقيقيين، وقد زاد ذلك من معاناة الأنبياء الذين كان عليهم أن يدافعوا عن أنفسهم، ويقدموا الحجج والبراهين على صدق دعواتهم وعلى كذب الأنبياء المزيفين، حيث أعطونا من خلال دفاعهم ذلك بعض العلامات المميزة للنبي الحقيقي على النبي الكاذب<sup>(2)</sup> .

وسفر التثنية حافل بالعلامات التي تميز النبي الصادق على النبي الكاذب<sup>(3)</sup>، ونبوات النبي الحقيقي تتحقق دائما، ولا يمكن أن تناقض كلماته إعلانا سابقا، وقد كانت نبوات إرميا بدأت تتحقق من موت حنانيا إلى الغزوات البابلية، إلا أن الناس كانوا يفضلون الاستماع والإصغاء للكاذب عن الإصغاء للحق المر<sup>(4)</sup> .

ويذكر الكتاب المقدس (التوراة) وجود نيات كاذبات إلى جانب الحقيقيات، وحذر منهن « وأنت يا ابن آدم فاجعل وجهك ضد بنات شعبك اللواتي يتبنأن من تلقاء ذواتهن وتنبأ عليهن»<sup>(5)</sup> . مثل نُوعَدِيه» أذكر يا إلهي طويلا وسنبلط حسب أعمالهما هذه ونوعدية النبوة وباقي الأنبياء الذين يخيفونني»<sup>(6)</sup> .

## 2- عند المسلمين :

أما في الإسلام فمصادره الدينية تشير إلى نشوء حركة كبيرة من ادعاء النبوة بدأت في حياة النبي ﷺ بعد بعثه واستمرت من بعده .

1 - سفر ميخا 03 : 08 .

2 - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ النبوة الإسرائيلي، ص 63 .

3 - راجع سفر التثنية 13، 18:20-32

4 - بروس بارتون وآخرين، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 1526.

5 - سفر حزقيال 13 : 17 .

6 - سفر نحemia 06 : 14 .

وفي مقدمة تلك المصادر الأحاديث النبوية، مما يدل على أن تلك الحركة شغلت النبي ﷺ، ووقفت حاجزا في طريق الدعوة الإسلامية .

وورد في الجامع الصحيح البخاري من طرق متعددة عن ابن عباس ؓ قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: « إن جعل لي محمد من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة وأصحابه فقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتها ولن تعدوا أمر الله فيك ولن أدبرت ليغفر لك الله وإني لأراك الذي أريت فيه ما أريت وهذا ثابت يُجيبك عني ثم انصرف عنه. قال ابن عباس: فسألت عن قول رسول الله ﷺ إنك أرى الذي أريت فيه ما أريت فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما ». « وفي رواية: فكبر علي. وفي أخرى: « ففطعتهما فذهبا فأوحى إلي في المنام أن انفخهما، فنفختهما فطارا » وفي رواية: « فنفختهما فذهبا فأولتهما كذايين يخرجان بعدي » وفي رواية: « أنا بينهما أحدهما العنسي والأخر مسيلمة »<sup>(1)</sup>، وفي حديث آخر من طرق متعددة وبعبارات متقاربة، عن الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: إلى جنب المنبر فقال: « الفتنة ها هنا، الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان أو قال قرن الشمس » (الشرق: شرق الجزيرة)<sup>(2)</sup>.

هذه الأحاديث وغيرها في كتب السنن تبين أن هناك خطر حقيقي على الدعوة المحمدية من شرق الجزيرة وجنوبها، من حركة مسيلمة الكذاب الحنفي، والأسود العنسي، ثم قامت على إثرها حركات أخرى في الشمال الشرقي من الجزيرة وفي وسطها: سجاح التميمية وطلحة الأسدي<sup>(3)</sup>.

أما عن مسيلمة فقرآنه المزعوم، يبدو ومن النماذج التي تحتفظ بها لنا مصادرنا، أنه كان من نمط سجع الكهان يحاول أن يقلد بعض سور القرآن، تذكر المصادر « أن أبا بكر طلب من وفد بني حنيفة الذي قدم إليه بعد انضمامهم أن يقرؤوا عليه شيء من قرآن مسيلمة فقالوا: « كان يقول: يا ضفدع بنت الضفدعين، نقى لكم تنقين، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين، رأسك في الماء وذنبك في الطين، لنا نصف الأرض

1 - رواد البخاري، باب وفد بني حنيفة، وقصة الأسود العنسي . ومسلم، باب تأويل الرؤيا، من كتاب الرؤيا.

2 - رواد البخاري. باب قول النبي ﷺ الفتنة من قبل المشرق، من كتاب الفتن. ومسلم، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان، من كتاب الفتن وأشراف الساعة .

3 - محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، ط04، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2000م. ص202 .

ولقريش نصفها، ولكن قريشا قوما يعتدون» وقرؤوا أيضا: قوله: « والمبذرات زرعاً، والمحاصدات حصداً، والدارسات قمحا، والطاحنات طحنا، والخابزات خبزاً والتاردات ثرداً، واللامقات لمقا، إهالة وسمناً، لقد فضلتكم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، رفيقكم فامنعوه والمعتز فأووه، والباغي فناووه» وأيضاً: « والفيل وما أدراك ما الفيل له زلوم طويل» وأيضاً: « واللبل الدامس، والذئب الهامس، ما قطعت أسد من رطب ولا يابس.»<sup>(1)</sup>.

وأما الأسود العنسي وهو من قبيلة عبس التي ينتمي إليها عمار بن ياسر الصحابي المعروف، وهي من فروع قبيلة مذحج اليمنية التي كانت تسكن شمال وسط اليمن، حيث تبين مصادرنا على أن عنصر الكهانة بارز في شخصيته: «كان الأسود كاهنا شعباذا، وكان يريهم الأعاجيب، وبسبي قلوب من سمع منطقته. وكان أول ما خرج إن خرج من كهف خبان، وهي كانت داره وبها ولد ونشأ (يقع قريبا من نجران إلى الجنوب) وكان قد كتب إلى النبي يخبره بقيامه واستيلائه على صنعاء»<sup>(2)</sup>.

وكان يسمي نفسه (رحمان اليمن) مثلما كان مسيلمة يدعو نفسه (رحمان اليمامة) وكان يدعى أن ملكين يأتيانه بالوحي، أحد سحيق والآخر شفيق، وتذكر المصادر بعض السجعات التالية « والمائسات ميسا، والدارسات درسا، يحجون جمعا وفرادى، على قلائص بيض وصر»<sup>(3)</sup>.

ولما تنبأت سجاح التميمية اتجهت إلى اليمامة وقالت لهم: « عليكم باليمامة ودقوا دقيق الحمامة، فإنها غزوة صرامة، لا يلحقكم بعدها سلامة، فبلغ ذلك مسيلمة فخاف إن هو اشتغل بها أن يغلب عليه جيش المسلمين، فطلب لقاءها. وقال لها: لنا نصف الأرض وكان لقرش نصفها لو عدلت، وقد رد الله عليك النصف الذي ردت قريش فحباك به، فقالت: لا يرد النصف إلا من حنف، فاحمل النصف إلى خيل ترها كالسيف، فقال مسيلمة: سمع الله لمن سمع، وأطعمه بالخير إذا طمع، ولا زال أمره في كل سر يجتمع، راكم ربكم فحياكم، ومن وحشه خلاكم، ويوم دينه نجاكم، فأحياكم علينا من صلوات معشر الأبرار، لا أشقياء ولا فجار، يقومون الليل ويصومون النهار، لربكم الكبار، رب الغيوم والأمطار» ويحكى أن مسيلمة سألها عن أول لقاء بينهما: «(ما أوحى إليك؟). فقالت: هل تكون النساء يتدنن؟ ولكن أنت قبل

1 - ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، [د، ت]، ج 06، ص 326.

2 - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دار القاموس الحديث، [د، ت]، ج 02، ص 224-225.

3 - أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، عقدة ختم النبوة، نقلا عن: محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، ص 205.



ما أوحى إليك؟ فقال: أوحى إلي ألم ترى إلى ربك كيف فعل بالجبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفان وحشي، فقالت وماذا أيضا؟ قال: أوحى إلي إن الله خلق النساء أفواجا، وجعل الرجال لمن أزواجها، فنولج فيهن قعسا إيلاجا، ثم نخرجها إذا نشاء إخراجا، فينتجن لنا سحالا إنتاجا. قالت: أشهد أنك نسي. قال: هل لك أن أتزوجك فأكل بقومي وقومك العرب. قالت: نعم» وتقول الرواية إنه تزوجها وأقامت عنده ثلاثة أيام ثم عادت إلى أهلها فسألوها عن الصداق الذي قدم لها فقالت لهم: « لا شيء». فقالوا: ارجعي، فقبيح بمثلك أن ترجعي بغير صداق. فرجعت وطلبت صداقا فأمر مؤذنها أن يؤذن في الناس إن مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عليكم صلاتين مما آتاكم به محمد: صلاة العشاء الآخر، وصلاة الفجر». (1)

أما سجاعات طليحة، لم تكن بعيدة عن سجاعات مسيلمة، حيث كان يقول: «والحمام واليمام، والمرد الصوام، قد ضمن قبلكم بأعوام، ليلغن ملكنا العراق والشام» وأنه قال لأصحابه وهم يستعدون لمواجهة جيش المسلمين: «أمرت أن تصنعوا وحى ذات عرى، يرمي الله بها من رمى، يهوى عليهما من هوى» (2).

وكان يدعي هو الآخر أن جبريل يأتيه بالوحي وفي خبر آخر أنه بعث ابن أخيه إلى النبي ﷺ يدعوه إلى المودعة ويخبره خبر، وأن الذي يأتيه بالوحي هو ذو النون (3). وكان « يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول: إن الله لا يصنع بتعفر وجوهكم وتقبح أديباركم شيئا. أذكروا الله، أعبدوه قياما » (4).

كما كان من ادعاء النبوة، ذو التاج "عمان"، بل وصل الأمر أن بعض ضعفاء الزهاد أن استغراه الشيطان بأن أراه ما يشبه الكرامة حتى ادعى النبوة « فروى عن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي قال: حدثنا محمد بن المبارك حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمان بن حسان. قال: كان الحارث الكذاب من أهل دمشق وكان مولى لأبي الجلاس وكان له أب بالغوطة تعرض له إبليس وكان متعبدا زاهدا لو لبس جبة من ذهب لرأيت عليه زهادة وكان إذا أخذ في التحميد لم يصنع السامعون إلى أحسن كلامه قال: فكتب إلى

1- ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (مرجع سابق)، ج 02، ص 270 - 271.

2- المرجع نفسه والجزء، ص 264.

3- المرجع نفسه والجزء، ص 232.

4- أبو الحسن على بن محمد بن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، دار الفكر، 1978م، ج 02، ص 225.

أبيه يا أبتاه أعجل علي فإني قد رأيت أشياء أتخوف منها أن تكون من الشياطين قال: فزاده أبوه غيا وكتب إليه، يا بني أقبل على ما أمرت به إن الله يقول: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ، تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾<sup>(1)</sup> ولست بأفأك ولا أثيم فامض بما أمرت به، وكان يجيء إلى أهل المساجد رجلا رجلا، فيذكر لهم أمره، ويأخذ عليهم العهود والمواثيق إن هو رأى يرضى قبل ولا كتم عليه: وكان يريهن الأعاجيب كان يأتي إلى رخامة المسجد فينقرها بيده فتسبح، وكان يطعمهم فأكهة الصيف في الشتاء فيقول: اخرجوا حتى أريكم الملائكة فيخرجهم إلى دير المران فيريهم رجالا على خيل، فتبعه بشر كثير وفششي الأمر وكثر أصحابه حتى وصل خبره إلى القاسم بن مخيرة، فقال له: إني نبي.....»<sup>(2)</sup>.

كما يشير النبي ﷺ أن الحركة النبوية الكاذبة مستمرة، بل يربط قيام الساعة بظهور تلك الحركة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لا تقوم الساعة حتى تقتل فنتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يُهَمَّ رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به وحتى يتناول الناس في البنيان وحتى يمر الرجل بقر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس يعني آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا، ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بدين لقمته فلا يطعمه ولا تقوم الساعة وهو يُلِيط حوضه فلا يستقي فيه، ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها»<sup>(3)</sup>.

والأمر الذي نستخلصه من المصادر المختلفة حول حركة نبوات الكاذبة في صدر الإسلام مايلي:

- ما يلفت النظر هو أن هؤلاء المتنبئين كانوا أقرب إلى الكهان، حيث كان لجميعهم سجع شبيه بسجع الكهان مثل الأسود العنسي .

- إن دعوة أولئك كانت تقوم على تقليد محمد ﷺ شكلا ومضمونا مما جعل دعاويهم أشبه ما تكون (الانحراف) داخل الدعوة المحمدية منها بـ(الخروج) عنها. ذلك لأنهم لم يعودوا إلى عبادة الأصنام ولا قاموا

1 - سورة الشعراء : 220-221 .

2 - جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي، تليس إبليس، ط01. بيروت، دار الفكر، 2001م، ص334 .

3 - بروة البخاري، من كتاب الفتن، باب علامة النبوة في الإسلام، من كتاب بدء الخلق . ومسلم، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، من كتاب الفتن وأشراف الساعة .

بالترويج لعقائد أخرى مثل اليهودية أو المسيحية أو المجوسية أو المانوية بل لقد بقوا محتفظين بمضمون الرسالة (التوحيد) فكانوا يتحدثون عن الله الواحد الأحد، وعن جبريل كناقل للوحي .

- والتغيير الذي أحدثته تلك الدعوات الباطلة كان على مستوى "الشريعة" فأباحوا الزنى وأنقصوا من عدد الصلوات أو إلغاء السجود أو التخفيف من الصيام .

- إن تلك النبوات قد اعترفت كلها بنبوة محمد ﷺ ولم تكن بديلا دينيا عنه بل سعت إلى ما قاسمتهم الزعامة والنفوذ<sup>(1)</sup> .

- إن أصحابها لم يكن لهم شعور قوي بالحقيقة كما هو الحال عند الأنبياء الحقيقيين لأنهم لم يقوموا من أجل الإصلاح الديني والاجتماعي والذي يحتاج إليه البشر، بل كانت أقوالهم طافحة بمدح أنفسهم والغلو في إطرائها، والتي يراد بها إخضاع العوام لهم واستعبادهم إياهم<sup>(2)</sup> .

- إن أديعاء النبوة لم يكونوا فقط في صدر الإسلام بل هم مستمرين إلى أن تقوم الساعة، ومما يلفت إليه النظر أن هؤلاء أحيانا يكونون من المسلمين فيغويهم الشيطان بضعفهم الإيماني وقلة باعهم الشرعي .

هذا من حيث الفرق أما من ناحية الموقف من أديعاء النبوة في كلتا الديانتين أو الشريعتين فهو متباين ففي اليهودية أن النبي الكاذب تلحق به أشد العقوبة وهي القتل « وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي »<sup>(3)</sup> .

أما حكم مُدعى النبوة في شريعة الإسلام أجمع جمهور العلماء على تكفيره سوى كان قبل الإسلام كزرادشت وماني، أو بعده كمسيلمة والأسود بن يزيد العنسي ومن كان بعدهم من المنتهين<sup>(4)</sup> .

### 3- عند ابن ميمون :

من خلال تعريفه السابق للنبي يتبين أن ابن ميمون يرى أن هناك أنبياء كذبة تنبؤوا بالكذب عن طريق الشعوذة واتصلهم بالآلهة بعل وعشتروت، وآخرين تنبؤوا في الحلم والرؤيا، والكل يطلق عليهم بالأنبياء، فهو لا يفرق بينهم من حيث التسمية لكن لكل وسيلته في التنبؤ، فأحدهما يصدق في نبوته، وهم الذين يتنبؤون بالرؤيا الصادقة، وآخرين ليس لهم رؤيا صادقة وإنما عن طريق التكهن والاتصال بالبعل

1 - محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، (مرجع سابق)، ص 206 .

2 - محمد رشيد رضا، الوحي الحمدي، الجزائر، دار الكتب، [د، ت]، ص 48 .

3 - سفر التثنية 18: 20 . وسفر ملوك الأول 13 : 17 و 22 : 22 .

4 - عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق، القاهرة، المكتبة التوفيقية، [د، ت]، ص 279 .

والعشوت. وهؤلاء لا يصدقون لأن أفعالهم تنافي صفات النبي الصادق والحقيقي ولهذا قامت ضدهم حرب شعواء من طرف الأنبياء الصادقين . وهو بهذا لا يخالف ما تعتقده التوراة من ضرورة محاربة مدعي النبوة أينما كانوا حفاظا على الشريعة وعدم تلاعبهم بمشاعر الناس خدمة لمصالحهم الدنيوية .

### سابعاً- مفهوم الرسول :

#### 1- عند اليهود :

كلمة الرسول غير شائعة في المصادر والمراجع اليهودية، لكن نصوص العهد القديم تستخدم فعلاً "أرسل" للتعبير عن تكليف الله يهود أحد الأشخاص بمهام النبوة، يقول الإله يهود إلى موسى: « فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون »<sup>(1)</sup>، وفي موضع آخر يقول: « هكذا تقول لبني إسرائيل يهود إله آبائكم وإله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم »<sup>(2)</sup>.

وتكرر الفعل ذاته (أرسل) مع بقية أنبياء بني إسرائيل « ثم سمعت صوت، السيد قائلاً من أرسل ومن يذهب من أجلنا : فقلت هاأنذا أرسلني »<sup>(3)</sup>، وفي موضع آخر « ثم جاء إرميا من توفة التي أرسله الرب إلينا ليتنبأ ووقف في دار بيت الرب وقال لكل الشعب »<sup>(4)</sup>، وفي موضع آخر « وقال لي الرب أنا مرسلتك إلى بني إسرائيل إني أمة متمردة قد تمردت علي »<sup>(5)</sup>. كما توجد في الأسفار أفعال أخرى تفيد معنى الإرسال والتكليف، مثل : ذهب (في صيغة الأمر)، مثل : قول يهود لإشعيا: « فقال اذهب وقل لهذا الشعب استمعوا سمعاً »<sup>(6)</sup>. وقوله للنبي يونان : « قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة »<sup>(7)</sup>.

ويطلق قاموس الكتاب المقدس الرسول على « أي شخص يرسل في مهمة »<sup>(8)</sup>. « فأخذ فد بقرة وقطعه وأرسل إلى كل تخوم إسرائيل بيد الرسل قائلاً : من لا يخرج وراء شاول ووراء صموئيل »<sup>(9)</sup>. « فتأمل

1 - سفر الخروج 3 : 10.

2 - سفر الخروج 3 : 15.

3 - سفر إشعيا 6 : 08.

4 - سفر إرميا 19 : 14.

5 - سفر حزقيال 2 : 03.

6 - سفر إشعيا 6 : 09.

7 - سفر يونان 1 : 02.

8 - بطرس عبد الملك وآخرين، قاموس الكتاب المقدس، ط13، القاهرة، دار مكتبة العائلة، 2000م، ص403.

9 - سفر صموئيل الأول 11 : 08.

له شيوخ: يا بيش اتركنا سبعة أيام فترسل رسلا إلى جميع تخوم إسرائيل فإن لم يوجد من يخلصنا نخرج إليك، فجاء الرسل شاوول وتكلموا بهذا الكلام في آذان الشعب، فرفع كل الشعب أصواتهم وبكوا»<sup>(1)</sup>.  
من ذلك يتبين أن الرسول أو(المرسل) في العهد القديم، هو المبعوث من الإله "يهوه" والمكلف برسالة ذات مصدر إلهي<sup>(2)</sup>. ومن هذا يتبين أن الرسول هو النبي في اليهودية .

## 2- عند المسلمين :

أما الرسول في المصادر اللغوية العربية يكون على معنيين، الأول : المتابع، أخذ من قولهم: «جاءت الإبل رسلا أي متتابعة»<sup>(3)</sup>، والمعنى الآخر أصله من الرسل « الانبعاث على التؤدة، ومنه الرسول، المنبعث»<sup>(4)</sup>.  
وتارة « يتصور منه الرفق، فقيل : على رسلك، إذا أمرته بالرفق، وتارة الرسول يطلق على القول المتحصل، كقول الشاعر: ألا أبلغ أبا حفص رسولا»<sup>(5)</sup>.

ورسل الله تارة يراد بها الملائكة كقوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا لَوْطُ إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾<sup>(6)</sup> و﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾<sup>(7)</sup>. وأحيانا تحمل الرسل على الملائكة والإنس قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾<sup>(8)</sup>، وأيضا قوله تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾<sup>(9)</sup>. وتارة أخرى، الأنبياء، لقوله تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾<sup>(10)</sup>، وأيضا ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾<sup>(11)</sup>.

أما الرسول في الاصطلاح مرتبط عند علماء العقيدة وغيرهم بالمعنى اللغوي فهو: « إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام»<sup>(12)</sup>، ومنه فالرسالة هي « قول الله تعالى لمن اصطفاه: أرسلتك أو بعثتك فبلغ عني،

1 - سفر سموئيل الأول 11 : 03 - 04 .

2 - أحمد المشرقي، النبوة في الأديان الكتابية، ص13.

3 - ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص302 .

4 - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعه محمد خليل عيناوي، ص201 .

5 - المرجع نفسه والصفحة .

6 - سورة هود : 80 .

7 - سورة التكويد : 19 .

8 - سورة المؤمنون : 52 .

9 - سورة الأنعام : 49 .

10 - سورة آل عمران : 144 .

11 - سورة المائدة : 69 .

12 - الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ط01، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983م، ص110. ينظر: القاضي عبد

الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص227. وينظر أيضا: المعجم الوسيط، ط02، القاهرة، دار المعارف، 1973م، ج1، ص0.

وقيل هي: سفارة بين الله وبين ذوي الألباب من خلقته. وهي أفضل من النبوة، لأنها تنمّر هداية الأمة، لأن النبوة قاصرة على النبي كالعلم والعبادة»<sup>(1)</sup>، وهناك من يرى أفضلية النبوة على الرسالة<sup>(2)</sup>، وهذا الذي ذهب إليه العز بن عبد السلام<sup>(3)</sup>.

ومفهوم الرسول عند الفلاسفة لا يخرج عن هذا المفهوم الذي وضعوه للنبي، ولذلك فإن ابن سينا يقول عنه: « هو المبلغ ما استفاد من الإفاضة المسماة وحيا على عبارة استصوبت ليحصل بآرائه صلاح العالم الحسي والعالم العقلي بالعلم»<sup>(4)</sup>.

وبسبب هذا الاختلاف بين النبي والرسول في التعريف، انقسم علماء المسلمين إلى قسمين :  
القسم الأول : ذهب أصحابه إلى أن النبي والرسول مترادفان في المعنى<sup>(5)</sup>.

والقسم الثاني : يفرق بين النبي والرسول، حيث يرى أن معنى الأخير أخص من معنى النبي، وأصحاب هذا الرأي اختلفوا في وجه التخصيص على وجوده: « فقيل: « الرسول هو الذي تزل عليه الملائكة بالوحي، والنبي هو الذي يوحى إليه في نومه». وقيل: أن الرسول هو المبعوث إلى أمة، والنبي هو المحدث الذي لا يبعث إلى أمة ». قيل : أن الرسول هو المبتدي بوضع الشرائع والأحكام، والنبي هو الذي ينفذ شريعة غيره ». «<sup>(6)</sup>. وقيل: « أنه مختص بكتاب»<sup>(7)</sup>. وقيل: « مختص بالتبليغ»<sup>(8)</sup>.

ومن هذا نصل إلى أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسول، وأصحاب هذا الرأي يستدلون على ذلك بعدة نصوص من القرآن الكريم، ومن بينها قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا

= ص344. وينظر أيضا: ابن تيمية، النبوات، تحقيق محمد عبد الوهاب عوض، ط01، بيروت، دار الكتاب العربي، 1985م، ص281. وينظر أيضا: أبو عبد الله السنوسي، شرح أم البراهين، تحقيق وتعليق مصطفى محمد الغماري. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989م، ص57.

- 1 - محمد بن يوسف الصالحى الشامي. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق مصطفى عبد الواحد. القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، 1990م، ج02، ص370.
- 2 - محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص183.
- 3 - المرجع السابق والجزء والصفحة.
- 4 - نقلا عن: عبد الفتاح أحمد الفاوى. النبوة بين الفلسفة والتصوف، ص09.
- 5 - القاضي عبد الجبار. شرح الأصول الخمسة، ص228.
- 6 - الماوردي، أعلام النبوة، ط01. بيروت، دار الكتاب العربي، 1987م، ص70.
- 7 - الجرحاني. التعريفات، ص21.
- 8 - التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، ص256.

تَمَنَّى أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾

ومن المتكلمين من يقيم التفرقة على خصائص كل من النبي والرسول لا على وظيفتهما، فيرى أن الرسول ما كان وحيه عن طريق جبريل. والنبي ما كان وحيه عن طريق الإلهام أو المنام أو ملك آخر غير جبريل عليه السلام، لأن هذا الأخير يختص بالرسول لا بالنبي <sup>(2)</sup>.

وقد يفرق بعضهم بين النبي والرسول في الوحي عن طريق الملك، والفرق بين الوحيين برؤية الملك وعدمها. فالنبي هو الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك. والرسول هو الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك. نلاحظ أنه اتحد طريق الوحي عند النبي والرسول واختلفت درجة وضوحه. فهي في الرسول أقوى لأنها تخضع إلى سماع الملك ورؤيته.

فالتفرقة بينهما في طريق الوحي أو درجته ووضوحه لا في وظيفة كل منهما، لأن النبي يجب عليه دعوة الناس إلى الإسلام كالرسول تماما.

ومن المتكلمين من فرق بينهما بالمعجزة، فرأى أن المعجزة خاصة بالرسول دون النبي. كما أن هناك من لم يشترط في الرسول شريعة جديدة بدليل أن يوسف عليه السلام كان رسولا وهو على ملة إبراهيم وداود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة، ولم يكن لهما كتاب جديد <sup>(3)</sup>. مما تقدم نرى أن التفرقة بين النبي والرسول عند المتكلمين اتخذت أشكالا عدة.

والفلاسفة لم يتعرض بعضهم للفرق بين النبي والرسول، لكننا نجد الفارابي له رأي في ذلك، عندما قال: «قيل الفرق بين الرسول والنبي أن الرسول الشارع، والنبي الحافظ شريعة غيره» <sup>(4)</sup>.

وإن كنا نرى أنه لا يميل إلى التفرقة بين مدلول الكلمتين بدليل عبارته السابقة، لأنه يورد هذه التفرقة بصيغة التعريض "قيل" على أنها رأي غيره.

### 3- عند ابن ميمون :

ولم يتعرض ابن ميمون إلى الرسول في كتابيه " دلالة الحائرين " و " مشنه التوراة " وهذا تماشيا مع النظرة التوراتية التي لم تتطرق لمفهوم الرسول وبقي الأمر غامضا حيث لم يشر إليه صراحة أو تلويحا وإنما

1 - سورة الحج : 50 .

2 - نقلا عن: عبد الفتاح أحمد الفاوى، النبوة بين الفلسفة والتصوف، ص13 .

3 - ابن تيمية، النبوات، ص282 .

4 - نقلا عن: المرجع السابق، ص09 .

كان كل تركيزها على حقيقة النبوة وحدها ووظيفتها، والفرق بينها وبين العرافة أو الكهانة ، وقد بين أن من معاني الرسول الملك وهذا الذي يتماشى مع إحدى المعاني في القرآن، وفيه يقول: «فكل من ينفذ أمرا فهو ملك»<sup>(1)</sup>، استنادا إلى الجملة التوراتية « وأرسل ملاكا وأخرجنا من مصر»<sup>(2)</sup>.

وقد أشار ابن ميمون إلى النبي المرسل، من خلال تعرضه للنبي الذي يعثه الله للناس ويخاطبهم بأمره ونهي، وبين النبي غير المبعوث، والذي إذا خاطبهم خاطبهم على جهة الوعظ والإرشاد وليس بحكم النبوة وتوجيهاتها، وبيان ذلك عنده « بحسب ما نصت عليه الكتب النبوية، وجاء في الآثار هو أن كل من تقدم سيدنا من الأنبياء : مثل الآباء وسام وعبر ونوح ومتو شالم وأخنوخ، لم يقل أحد منهم قط لصنف من الناس أن الله أرسلني وأمرني أن أقول لكم كذا وكذا، وقد نهاكم عن فعل كذا، وأمركم بفعل كذا هذا شيء لا نص للتوراة شاهدة به، ولا خير صحيح أتى به »<sup>(3)</sup>.

ونستشف من تلك الفقرة أن الرسول (النبي المبعوث) هو الأمر والناهي بأمر ونهي الله. هو موسى عليه السلام فقط، أما بقية الأنبياء قبله وبعده ليس لهم أن يأمر أو ينهوا، وحتى إذا تحدثوا مع قوم بصيغة الأمر والنهي، ليس من جهة النبوة وإنما من جهة الوعظ والإرشاد وتقديم النصيحة. ويستشهد على ذلك بإبراهيم « لما جمع الناس ودعاهم لعبادة إله واحد، وأنه الذي له الكون وما فيه، كان ذلك على جهة التعليم والإرشاد إلى حق أدركه بأدلة عقلية، ولم يقل إبراهيم يوما أن الله بعثه إليهم، وأمره، ونهاده، وحتى لما أمره الله بالختان هو وبنوه وذووه، ختنهم ولم يدع الناس بذلك بصورة الدعوة النبوية، وكذلك الأمر في إسحاق ويعقوب، وعلى تلك الصورة كانوا يدعون الناس»<sup>(4)</sup>.

كما بين ابن ميمون الفرق بين موسى كليم الله وجهها بوجه، والذي أمره بأن يبلغ بني إسرائيل الوصايا العشرة وبين سائر الأنبياء الذين يدعون بني إسرائيل إلى اتباع شريعة موسى والوصايا العشرة وعدم الخروج عنها وهذا عنده أن بقية الأنبياء ليسوا من أولي الأمر والنهي أو أصحاب شرائع، حيث يصرح أن: «كل نبي منا تأخر بعد سيدنا موسى، فقد علمت نص قستهم كلها وكوتهم بمثلة الوعظ للناس داعين لشريعة

1 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين. (مصدر سابق)، ص 286 .

2 - سفر العدد 20 : 16 .

3 - المصدر السابق، ص 412 .

4 - المصدر نفسه، ص 412 - 413 .



موسى، يتواعدون الراغب عنها، ويعدون من استقام في تبعها»<sup>(1)</sup>.

بهذا نصل إلى رأي ابن ميمون في الفرق بين النبي والرسول كموسى عليه السلام، والأنبياء الآخرين ونظرتهم تتطابق مع النظرة الإسلامية في الفرق بينهما في جانب من الجوانب التي ذكرناها سابقا، حيث أن الرسول أحيانا تكون له شريعة ويؤيد بكتاب، والنبي ليس له شريعة أو كتاب أيد به، وإنما هو مقرر شريعة رسول سبقه، وداعي قومه التمسك بها .

ثامنا - مفهوم الكاهن :

1 - عند اليهود :

أجمع الباحثون على أن كلمة כהן (كوهن) أي كاهن، من أصل سامي، وتحديدًا من أصول عربية قديمة<sup>(2)</sup>.

ويرى بعض الباحثين أن كلمة כהן (كوهن) شبيهة في المعنى باللفظ اليمني "كرب" المساوي للأصل العبري קרב بمعنى "يقرب" فهذه العلاقة توضح إلى حد كبير المعنى الحالي للكلمة<sup>(3)</sup>، وتعني لفظة כהן في المصطلح اللغوي الكتابي، الشخص الذي يقرب للحضرة الإلهية «وليتقدس أيضا الكهنة الذين يقتربون إلى الرب لئلا يبطش بهم»<sup>(4)</sup>، وغالبا ما كان أولئك المقربون للحضرة الإلهية من زمن موسى عليه السلام هم من نسل هارون، أي من سبط لاوي<sup>(5)</sup>.

والتسمية في الكهنة كانت تنسب في كثير من الأحيان إلى العامل الرئيسي لهم، فكهنة اليمين كان الواحد منهم يسمى "كرب" أي المقرب ومنها جاء اسم "معد يكرب"<sup>(6)</sup>، والكاهن غير اليهودي يطلق عليه اليهود اسم כהן (كومير)، وفي العبرية الحديثة כהן (كومار)<sup>(7)</sup>.

وفي العهد القديم جاءت الكلمة على صيغة الجمع כהנים « ولاشئ كهنة الأصنام الذين جعلهم ملوك يهوذا ليوقدوا على المرتفعات في مدن يهوذا وما يحيط بأورشليم والذين يوقدون للبعل للشمس والقمر

1 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، (مصدر سابق)، ص 413.

2 - Encyclopédie des Religions, 2<sup>eme</sup> Paris. Bayard, éditions, thèmes I, 1997, P292

3 - محمود أحمد المراغي، إشعياء نبي بني إسرائيل، ص 67.

4 - سفر الخروج 19: 22.

5 - Vocabulaire de Théologie Biblique, 1<sup>er</sup> éd, Paris, Les Éditions, du Cerf, 2005, P1154.

6 - محمود أحمد المراغي، إشعياء نبي بني إسرائيل، ص 67.

7 - المرجع نفسه، ص 68.

والمنازل ولكل أجناد السماء»<sup>(1)</sup>، وعبارة "كهنة الأصنام" هي ترجمة للفظة כהנים، من ترجمة العربية البروتستانتية وذلك للدلالة على أنبياء الوثنية، وقد وردت في صيغة الجمع السابقة في فقرة واحدة مع كلمة כהנים "كهنة" في العهد القديم «وأمد يدي على يهوذا وعلى كل سكان أورشليم وأقطع من هذا المكان بقية البعل اسم الكماريم مع الكهنة»<sup>(2)</sup>.

ووردت الكلمتان "كماريم والكهنة" في موضع واحد دليل على أن هناك فرقا بين النوعين من الكهنة، إلا أن الكلمة الأولى في الترجمة العربية البروتستانتية وحتى الإنجليزية كانت "كهنة" ولم تكتب بنفها العبري في سفر هوشع<sup>(3)</sup> «على عجول بيت آون يخاف سكان السامرة إن شعبه ينوح عليه وكهنته عليه يرتعدون على مجده لأنه انتفى عنه»<sup>(4)</sup>.

أما الكاهن من الجانب الاصطلاحي أو في التعريف الكتابي التوراتي وهو «الشخص المخصص لتقديم الذبائح»<sup>(5)</sup>، وكان أي شخص قبل الشريعة الموسوية يقدم الذبائح «وقدم هايل أيضا من أبكار غنمه ومن سماتها، فنظر الرب إلى هايل وقربانه»<sup>(6)</sup>.

وقد كانت الكهانة موجودة في الشعوب المتحضرة التي تحيط بإسرائيل أو البعيدة عنها<sup>(7)</sup>، وغالبا من يتولى وظيفة الكهانة ملك، ويساعده على ذلك طغمة كهنوتية خاضعة لنظام رئاسي، وعادة ما تكون

1 - سفر الملوك الثاني 23 : 05، وسفر هوشع 10 : 05 .

2 - سفر صغيا 01 : 04 .

3 - محمود أحمد المراغي، إشعياء نبي بني إسرائيل، صص 68 - 69 .

4 - سفر هوشع 10 : 05 .

5 - بطرس عبد الملك وآخرين، قاموس الكتاب المقدس، ص 791 .

6 - سفر التكوين 04 : 04 .

7 - فكرة الكهانة كانت في فارس، ويتبين ذلك من أمر ملك الفرس، الذي اختار من سقوط الأصنام في مشارق الأرض ومغاربها، فاستحجبه كهنته، فأخبروه أنه حصل مولد عظيم في الأرض، فبعثهم إلى الشام ليستينوا الأمر. والمولود هو عيسى المسيح. ابن كثير، قصص الأنبياء، تحقيق محمد محمود وأحمد عبد الفتاح تمام وغيرهما، ط 01، القاهرة، دار العمود، 2002م، ص 204 كما كان الكاهن في مصر القديمة يقوم بوظيفة الطقوس الجنائزية الذي يجسد آتوبيس، وكان الكهنة يعينهم الملك بداية بيسمون "خدام الآلهة" وكان من وظائفهم إدارة الأملاك الفخمة التي تملكها التعاويذ والعرافون داخل المعبد وخارجه. جفر بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ط 02، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1996م، صص 52-53. كما لليونان أمطا من الكهانة وأكثرها شيوعا المتعلقة بالقران، وهي أهم من أي عمل، وعندما تذبح الضحية تفحص أحشاؤها، وإذا ظهر شيء غير طبيعي في أعضائها اعتبر نذير شوم، وهذا الأمر ينطبق حتى على القرابين النباتية التي تحرق، وعنده أي حادث خاص في وهج الشعلة النارية، وفرقة القران وشكل النار المنهية بمثابة نذير شوم . J.N.Dumont, Révélation et Traditions, P259 .

وراثية، ولا يوجد شيء من هذا القبيل عند آباء العهد القديم، لأنه في ذاك الوقت لا يوجد هيكل ولا كهانة مخصوصة لإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، حيث كان أولئك يبنون المذابح في كنعان<sup>(1)</sup>. وقد كان الآباء<sup>(2)</sup> يتولون الكهنوت العائلي الذي كان يمارس عادة في الشعوب القديمة، « وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض فبني هناك مذبح للرب الذي ظهر له، ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته، وله بيت إيل من المغرب وعاي من المشرق، فبني هناك مذبحاً للرب ودعا باسم الرب»<sup>(3)</sup>، ويقدمون الذبائح « فارتحل إسرائيل وكل ما كان له وأتى إلى بئر سبع وذبح ذبائح لإله أبيه إسحاق»<sup>(4)</sup>.

وكانت وظيفة الكاهن قبل أيام موسى يقوم بها رب الأسرة أو رئيس القبيلة، ولم تكن لقبيلة لاوي. وظيفة مقدسة قبل بعثة موسى والذي كان هو نفسه لاوي<sup>(5)</sup>. حيث نجد ذلك في سفر أيوب « وكان لما دارت أيام الولاية أن أيوب أرسل فقدسهم وبكر في الغد وأصعد محرقات على عددهم كلهم، لأن أيوب قال ربما أخطأ بني وجدفوا على الله في قلوبهم، هكذا كان يفعل كل الأيام»<sup>(6)</sup>.

لكن لما بعث موسى إلى بني إسرائيل أمر كل رئيس عائلة أن يذبح خروف الفصح، ولما شرع النظام الجديد على الكهنوتية، انحصرت رتبة الكهانة في عائلة هارون، ومن ذلك الوقت حظر ممارسة الكهنوت في إسرائيل إلا في السلالة اللاوية، وكان كل ذكر من ذرية هارون كاهناً يشترط ألا يكون به أي عيب أو تشويه جسدي<sup>(7)</sup>. « وقاوموا عزيا الملك وقالوا له ليس لك يا عزيا أن توقد للرب بل للكهنة بني هارون

= كما عرفت الكهانة في روما، حيث كان كبير الكهان المسؤول الأول في تحديد الأعياد كل عام، والأيام التي كانت تقع فيها جلسات المحكمة. حسن الصبحي بكري، الإغريق والرومان والشرق الإغريقي والروماني، ط01، الرياض دار الكتب عالم الكتب، 1985م، ص166.

### 1 - Vocabulaire de Théologie Biblique, P1151 .

2 - يقصد بالآباء الشخصيات التي سبقت موسى عليه السلام في التراث اليهودي القديم ومن أشهرهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وكذلك أبناء يعقوب المكونين لقبائل بني إسرائيل، ويذهب بعض اليهود إلى ضم آدم ونوح إلى دائرة الآباء، وذلك لتبرير الروايات التوراتية الخاصة بهما في سفر التكوين، بالإضافة إلى تأكيد بداية سلسلة نسلهم مع بداية الخليقة، ومع ذلك فالتراث اليهودي لا يركز على الآباء إلا على إبراهيم وإسحاق عليهم السلام، ثم أبناء يعقوب عليهم السلام، وبعض الباحثين ينهي سلسلة الآباء بموسى عليه السلام، بينما آخرون يعتبرونه بداية لمرحلة مغايرة لمرحلة الآباء. د.محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية، ص193.

3 - سفر التكوين 12 : 07 - 08، و 13 : 18، و 26 : 25 .

4 - سفر التكوين 46 : 01 .

5 - فاضل سيداروس وآخرين، معجم اللاهوت الكتابي، ط02، بيروت، دار المشرق، 1988م، ص697 .

6 - سفر أيوب 01 : 05 .

7 - بطرس عبد الملك وآخرين، قاموس الكتاب المقدس، ص791.

المقدسين...»<sup>(1)</sup> وعلى الرغم من ذلك بقي الكهنوت العائلي مستمرا بجانب الكهنوت اللاوي<sup>(2)</sup>.

كما كانت من واجباتهم الذبائح اليومية، والأسبوعية، والشهرية والسنوية، وعدا ذلك فإلهم كانوا يخدمون في الاحتفالات والتطهير ويعتنون بالآنية المقدسة، والنار المقدسة، والمنارة الذهبية والأثاث المقدس، وكانوا يطلقون الصوت في الأبواق المقدسة، ويحملون تابوت العهد ويقضون في دعاوى الغيرة، ويقصدون المال للاقتداء وينظرون في شأن البرص<sup>(3)</sup>.

وكان الكهنة يعيشون من تبرعات وهبات المخلصين ومدخول الضرائب الفلاحية، وما زال الكهنة إلى يومنا هذا مقيدين ببعض الالتزامات التي كانت في عصر المعبد، حيث لم يكن بإمكانهم الزواج، لا مضفة، إلا البكر، ولا يجب أن يكون لهم اتصال بجنّة، وإلا عوقبوا لكن يجوز لهم ذلك إذا كانت الجنّة قريبة لهم. وإذا وجدوا صدقة في بيت حدثت فيه وفاة، فإن عليهم مغادرة البيت لأنه لا يمكنهم البقاء بجانب الميت تحت سقف واحد كما يتم حجز منطقة خاصة للكهنة في المقابر اليهودية حتى يجنبوا أهلهم الذين يأتيون لزيارتهم<sup>(4)</sup>.

وقد سبقت الكهانة من حيث الوجود الزمني النبوة، فاكسبت سلطات دينية موسعة نالت بها مكاسب اقتصادية واجتماعية، أحيانا تعدت مكاسبها المؤسسة الحاكمة من ملوك، وقد وقفت الكهانة موقفا عدائيا من النبوة والأنبياء، وذلك لتعارض أهداف وطرق النبوة والأنبياء<sup>(5)</sup>.

واستمرت الكهانة في المجتمع اليهودي وظلت تتطور بتطوره حتى تحولت إلى مؤسسة دينية ضخمة وقوية تسمى السنهدرين<sup>(6)</sup>، يرأسها الكاهن الأكبر<sup>(7)</sup>.

## 2- عند العرب والمسلمين :

وفي العربية: أن الكهانة من كهن، يكهن ويكهن تكهينا، وتكهنا، ومن قضى له بالغيب، ورجل كاهن

1 - سفر أخبار الأيام الثانية 26 : 18.

2 - Vocabulaire de théologie Biblique, P1153

3 - بطرس عبد المنك وغيره، قاموس الكتاب المقدس، ص791.

4 - Alan Unterman, Dictionnaire du judaïsme, P236 .

5 - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ النبوة الإسرائيلية، ص54 .

6 - السنهدرين هو مجلس يهودي من الكهنة يتألف من سبعين عضوا وهو يمارس سلطات مزدوجة قضائية ودينية في الوقت نفسه وله تأثير كبير على المجتمع اليهودي. Alan Unterman, Dictionnaire du judaïsme, P258 .

7 - أحمد المشرفي، النبوة في الأديان الكتابية، ص18.

من قوم كهنة وكهان، « الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدّعي الأسرار »<sup>(1)</sup> .

وهناك من يرى أن الكهانة هي: « الإخبار بالأمور والأشياء الماضية والحفية من جهة الظن »<sup>(2)</sup>، عكس العرافة. والعرب كانت تعتقد في الشكهن القدرة على حل معضلاتهم وقضاياهم، سواء ما تعلق منها بالخصومات أو الأمراض أو التنبؤ بالمستقبل، فهو عندهم العالم والفيلسوف والطبيب ورجل الدين مثله مثلما للكاهن في الأمم الأخرى<sup>(3)</sup> .

والكهانة عند العرب من العلوم الدخيلة عنهم، قدمت إليهم من بعض الأمم المجاورة لهم، ويغلب على بعض الباحثين أنها جاءت من الكندان حملوها إليهم مع علم النجوم، ويؤيد ذلك أن كاهن يسمى في العربية أيضا "حازي" أو "حزاء" وهو لفظ كلداني<sup>(4)</sup> .

ويرى حاجي خليفة أن المراد من الكهانة « مناسبة الأرواح البشرية مع الأرواح المجردة أي الجن والشياطين والاستعلام بهم عن الأحوال الجزئية الحادثة في علم الكون والفساد المخصوصة بالمستقبل »<sup>(5)</sup>. والكهنة أنواع يتبين ذلك من خلال تفصيل بعض العلماء فيها :

أ- فابن حجر يقول: « منها ما يتلقونه من الجن، فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضا إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذي يليه، إلى أن يتلقاه من يلقىه في آذان الكاهن فيزيد فيه... وثانيا من يخبر الجنى به من يواليه لمن غاب على غيره ممن لا يطلع عليه الإنسان غالبا... .. وثالثا ما يستند إلى ظن وتخمين وحس وهذا قد جعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه... ورابعها ما يستند إلى التجربة والعادة فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك »<sup>(6)</sup> .

إذا فالكهانة حسبه أربعة وهي:

- تلقى الخبر الغيبي من الجن .

- إخبار الجن عن الغيب لمن واه من الإنسان .

1 - ابن منظور، لسان العرب، (مرجع سابق)، ج17، صص 243 - 244. ينظر: الجرجاني، التعريفات. ص 183.

2 - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني، ص 444 .

3 - جورجى زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ص 321 .

4 - المرجع نفسه، ص 322 .

5 - حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الفكر، 1982م، ج 02، ص 1024.

6 - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط 02، بيروت، دارالكتب، 1988م، ج 10، ص 266 .

- معرفة الغيب بحكم التجربة والعادة .

- معرفة الغيب المستندة على الظن والتخمين .

ب - أما القاضي عياض عنده « فالكهانة في العرب ثلاثة أضرب : أحدها يكون للإنسان ولي من الجن يخره بما يسترقه من السمع من السماء، وهذا القسم بطل ببعثة نبينا ﷺ، والثاني أن يخره بما طرأ أو يكون في أقطار الأرض وما خفي عنه مما قرب أو بعد وهذا لا يعد وجوده... والثالث المنجمون وهذا الضرب يخلق الله فيه لبعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه أغلب ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عراف...»<sup>(1)</sup> .

من هذا يتبين أن الكهانة عند القاضي ثلاثة وهي :

- أن يكون للإنسان رأي من الجن بما يسترق من السمع .

- أن يخره بما يطرأ في أقطار الأرض، وما خفي وقرب .

- المنجمون وهم قد يتعاونون مع العرافين .

وبالمقارنة بين تقاسمي الشيخين نجد أن الكهانة على ثلاثة أنواع :

- نوع يتم بالاتصال بالجن .

- ونوع يرجع فيه إلى قدرة يدعيها الكاهن فتكشف له بمقتضاها مستور الغيب .

- ونوع آخر هو التنجيم بعينه .

وهذه يجمع بينها دعوى الاطلاع على الغيب، ولهذا قال أحدهم: « الكهانة ادعاء علم الغيب »<sup>(2)</sup> .

وقد كانت الكهانة عند العرب - خاصة عرب اليمن - وكان من بينهم سطوح وشق ومن الكهنة

كذلك خنافر بن التوأم الحميري وسواد بن قارب الدوسي، أما الكاهنات من النساء فكثيرات منهن طريفة

كاهنة اليمن، وهي أقدمهن، وإليها ينسبون الإنذار بخراب سد مأرب وإتيان سيل العرم، وزيراء بين الشجر

وحضرموت، وسلمى الحمدانية الحميرية وعفراء الحميرية، وغيرهن كثيرات، وما زالت الكهانة في العرب

حتى انتهت بمجيء الإسلام<sup>(3)</sup> .

1 - محمد بن علي الشوكاني، نيل الأوطار، ط01، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2003م، ج04، صص 245 - 246 .

2 - أحمد أبو العباس، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق محي الدين مستو ويوسف نديوي وأحمد السيد، وغيرهما،

نقلا عن: الياس بلكا، النظرية الإسلامية في الكهانة، ط01، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2003م، صص 126 .

3 - جورجى زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، صص 324 .

ومن الكهنة الذين عاشوا فترتين - الجاهلية والإسلام - وذكر في عدة أحاديث وكلها في درجة كبيرة من الصحة. فعن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبي بن كعب قبل ابن صياد، فحدث به في نخل فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل طفق يتقي بجدوع النخل وابن صياد في قطيفة له فيها رمرمة، فرأت أم ابن صياد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا صاف، هذا محمد، فوثب ابن صياد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو تركته بين» (1).

### تاسعا- بين النبي والكاهن :

بينهما عداوة، النبي يجيء بدعوة تنهي عمل الكهانة وتبطلها، وتبين ظللها، والكاهن يريد الاستمرار في عمله بين الناس، حيث يرجعون إليه في كل قضاياهم ويستشيرونه، والعداوة بينهما ظاهرة، لأن كل منهما يدعي الاتصال بالسماء، فالنبي ينبذ الكاهن ويحذر الناس منه، لأنه يعرف كذبه، والكاهن يعادي النبي لأنه يتصور أن دعوة النبي سوف تقضي على الكهانة وتفسد تأثيرها على الناس (2).

كما أن القرآن ذكر حال الكهنة واتصالهم بعالم الجن واتفاقهم على عداوة أنبياء الله وأوليائه فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (3). كما أن قريش حاولت أن تصور دعوة النبي صلى الله عليه وسلم على أنها دعوة كاهن يدعي أنه متصل بالسماء، والغرض من ذلك نزع كل خصوصية لدعوته، وذلك بردها إلى الكهانة، أي إلى شيء معروف عندها وعند سائر العرب، حيث قال ابن إسحاق: «إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم، فقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيا واحدا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قولكم بعضه بعضا. قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقل به. قال: بل أنتم فقولوا أسمع، قالوا: نقول: كاهن، قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزممة الكاهن ولا سجع، قالوا: فنقول: مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناهم فما هو بخلقه ولا تخالجه ولا وسوسته، قالوا: فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهجزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما

1 - رواد البحاري، باب ما يجوز من الاحتيال والحذر مع من يخشى معرفته، من باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وانبوية وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله . وباب قول الرجل للرجل اخسا، من كتاب الأدب .

2 - الياس بلكا، النظرية الإسلامية في الكهانة، ص 208 .

3 - سورة الأنعام : 113 .

هو بشاعر. قالوا: فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا الساحر وسحره، فما هو بنفثهم ولا عقدهم، قالوا: فما تقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا هو ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتنفرق عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل الناس - حين قدموا الموسم - لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا له أمره، فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من قوله: ﴿ ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً وَبَنِينَ شُهُوداً وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمَهِيداً ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً ﴾ (1) « (2)، كما ذكرهم القرآن الكريم: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ، وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (3).

ولقد قالت امرأة أبي لهب لما تخلف النبي الكريم عن قيام ليلتين لمرض ألم به: « يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره منذ ليلتين أو ثلاثة » (4).

وكان الكهنة في كلامهم سجع وغلب عليهم ذلك وغرّفوا به عند عامة الناس، مارواه مالك والشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في امرأتين من هذيل اقتلتا، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فأصابت بطنها وهي حامل فقتلت ولدها الذي في بطنها فاحتصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ففرض أن دية ما في بطنها غرة عبد أو أمة، فقال ولي المرأة التي غرمت: كيف أغرم يا رسول الله من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، فمثل ذلك بطل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « إنما هذا من إخوان الكهان » (5)، وسجع الكهان له فوائد عدة: «حيث يحيط بنوآتهم بهالة من العظمة والخفاء فتكون أنفد وللكلمات أثرها السحري في النفوس» (6)،

1 - سورة المدثر: 11 - 16.

2 - أبو محمد عبد الملك بن هشام، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، راجعه وعلق عليه محمد محي الدين عبد الحميد، [د، ب]، دار الفكر [د، ت]، ج 01، ص 283 - 284. لقد أخرج الكثير من الحفاظ ذلك الخبر أو ما يشابهه، منهم: أبو نعيم في الدلائل وأخرجه الحاكم في المستدرک في كتاب التفسير، قصة قرية من هذه عن الوليد بن المغيرة. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه، وحديث الحاكم أخرجه أيضاً البيهقي في الدلائل، وأبو نعيم في حلية الأولياء.

3 - سورة الحاقة: 41 - 42.

4 - رواه البخاري، باب سورة الضحى، من كتاب التفسير.

5 - رواه البخاري، باب الكهانة، من كتاب الطب، ورواه مسلم، في كتب القسمة.

6 - الياس بلكا، النظرية الإسلامية في الكهانة، ص 213.



ولذلك قال النبي ﷺ للرجلين اللذين قدما إليه من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما « إن من البيان لسحرا، أو إن بعض البيان لسحر »<sup>(1)</sup>، والسجع هو « كلمات مجملة تحمل تعددا في التفسير وتنوعا في التأويل، بحيث يسهل التخلص من الخطأ وتخوير النبوءة متى اقتضى الأمر ذلك »<sup>(2)</sup>.

### عاشرا- الفرق بين النبوة والكهانة :

من هنا نصل إلى الفروق التي تكون بين عمل هيتين النبوة والكهانة :

#### 1- عند المسلمين :

أ - يقول سيد قطب : « وما يليق هذا القرآن بالشياطين وهو يدعو إلى الهدى والصلاح والإيمان، والشياطين تدعو إلى الضلال والفساد والكفر وما هم بمستطيعين أن يأتوا به، فهم معزولون عن سماع الوحي به من الله، وليس هذا بميسور للشياطين »<sup>(3)</sup>.

ولهذا فالله عز وجل لما نفى أن يكون الوحي مما نزلت به الشياطين، فقال: ﴿ وَمَا تَنْزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتِطِيعُونَ، إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴾<sup>(4)</sup>، ثم عاد فقال: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ، تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ، يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾<sup>(5)</sup>.

قال النسفي: « ﴿ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴾<sup>(6)</sup> مرتكب للآثام، وهم الكهنة والمتنبئة كسطيح وطلحة ومسلمة، ومحمد ﷺ يشتم الأفاكين ويذمهم، فكيف تنزل الشياطين عليه؟ »<sup>(7)</sup>. وقال القرطبي في سورة الحاقة ﴿ وَلَا يَقُولِ كَاهِنٌ ﴾<sup>(8)</sup>: « لأنه ورد بسبب الشياطين وشتمهم فلا يتلون شيئا على من سبهم »<sup>(9)</sup>. وذكر الرازي أن الوحي لو كان من تنزل الشياطين لكان الكفار أولى به، إذا كيف ينزل على من يسب الشياطين

1 - رواه البخاري، باب البيان سحرا، من كتاب الطب، وفي باب الخطبة، من كتاب النكاح، ورواه مسلم في كتاب الجمعة .

2 - الياس بلكا، النظرية الإسلامية في الكهانة، ص 214 .

3 - سيد قطب، في ظلال القرآن، ط 15، بيروت، القاهرة، دار الشروق، 1988م، ج 05، ص 2619 .

4 - سورة الشعراء : 210 - 211 .

5 - سورة الشعراء : 220 - 222 .

6 - سورة الشعراء : 221 .

7 - عبد الله بن أحمد أبو البركات النسفي، مدارك التريل وحقائق التأويل، دار إحياء الكتب العربية، [د، ت]، ج 03، ص 199 .

8 - سورة الحاقة : 42 .

9 - أبو عبد الله محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد الحليم النردوني، ط 02، القاهرة، دار الكتب المصرية،

1954م، ج 18، ص 275 .

و يلعنهم<sup>(1)</sup> .

ب — النبي لا يأخذ على دعوته أجرا، ولا يتكلف الوحي، فهو يتزل عليه دون جهد منه بخلاف الكاهن<sup>(2)</sup>، لقوله تعالى ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾<sup>(3)</sup>، وقد نهي النبي ﷺ عن حلوان الكاذب وهو « ما يعطاه الرجل على كهانته، قال في النهاية الحلوان مصدر كالغفران ونونه زائدة وأصله من الحلوة »<sup>(4)</sup>.

ج — النبي ﷺ لا يجيب من عنده متى سئل، لأنه مرتبط بالوحي، خلاف للكاهن يجيب عن أي سؤال، ولهذا فسر القرطبي قوله تعالى: ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ﴾<sup>(5)</sup> «تبتدع القول، وتخبر بما في غد من غير وحي»<sup>(6)</sup>.

د — دعوة الأنبياء هدفها إصلاح يشمل حياة الإنسان في جميع أبعادها، خلافا للكهانة يقتصر إخبارهم على أمور محددة من المغيبات، وعادة لا يصيرون في أكثرها، يقول الطاهر بن عاشور: «ومعانيه ليست من معاني الكهانة الرامية إلى الإخبار عما يحدث لبعض الناس من أحداث، أو ما يلزم بقوم من مصائب متوقعة ليحذروها، فلذلك كان المخاطبون بالآية منتفيا عنهم التذکر والتدبر، وإذا يطل هذا وذاك بطل مدعاهم، فحق أنه تنزيل من رب العالمين كما ادعاه الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام»<sup>(7)</sup>.

هـ — النبي رجل صادق، فكلامه وسلوكه صدق، ولذلك قال هرقل إمبراطور الروم: «عرفت أنه لم يكن يدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله»<sup>(8)</sup>، بينما الكاهن يعرف بالكذب والتخليط، لأنه وضع نفسه في موضع المطلع على الغيب، ولما كان الناس يسألونه في كل كبيرة وصغيرة، فإنه يضطر إلى الكذب<sup>(9)</sup>.

1 - محمد فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، بيروت، دار الفكر، 1993م، ج 24، ص 172-173.

2 - إلياس بلكا، النظرية الإسلامية في الكهانة، ص 215.

3 - سورة ص: 84.

4 - محمد بن علان الصديقي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، بيروت، دار الفكر، [د، ت]، ج 04، ص 516.

5 - سورة الطور: 27.

6 - أبو عبد الله محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 17، ص 71.

7 - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير من التفسير، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، [د، ت]، ج 29، ص 143.

8 - هذا جزء من كلام هرقل في الحديث الطويل وقد ذكر البخاري هذا الحديث تماما من كتاب بدء الوحي، ومن كتاب الجهاد،

ومن كتاب التفسير. سورة آل عمران، ورواه مسلم أيضا: باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، في كتاب الجهاد والسير.

9 - إلياس بلكا، النظرية الإسلامية في الكهانة، ص 217.

ولهذا قال الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴾<sup>(1)</sup>، «والمراد أنهم كانوا يقيسون حال النبي ﷺ على حال سائر الكهنة فكأنه قيل لهم: إن كان الأمر على ما ذكرتم فكما أن الغالب على سائر الكهنة الكذب، فيجب أن يكون حال الرسول ﷺ كذلك أيضا، فلما لم يظهر في أخبار الرسول ﷺ عن المغيبات إلا الصدق علمنا أن حاله بخلاف حال الكهنة»<sup>(2)</sup>.

## 2- عند ابن ميمون :

وقد تناول ابن ميمون أيضا الفرق بين النبي والكاهن في كتابه "مشنه التوراة" الجزء الأول حيث يرى :

أ- أن النبي يستطيع التكهن في القريب العاجل بالأحداث، والكهنة لا يستطيعون ذلك .

ب- الأنبياء تتحقق تكهناتهم أما الكهنة لا تتحقق إلا في جزء بسيط وأحيانا حتى ذاك الجزء لا يتحقق<sup>(3)</sup>

ويستشهد على ذلك بفترة سفر صموئيل الثاني<sup>(4)</sup> .

وبهذا يتبين أن الفروق التي وضعها ابن ميمون تخالف الفروق التي ذكرناها سابقا عن علماء المسلمين .

الإسلامية  
القادر للعلوم

1 - سورة الشعراء : 220 .

2 - محمد فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج24، ص175.

3 - Moïse Maïmonide, le livre de connaissance, 3<sup>eme</sup> édition, paris, quadrige, 2004, PP103 -104 .

4 - سفر صموئيل الثاني 10 : 10.

## الفصل الرابع

### النبوة بين المنكرين والمثبتين

تمهيد .

أولا - إمكانية اتصال الإنسان بالسماء .

ثانيا - إمكان النبوة .

ثالثا - وجوب النبوة .

رابعا - الشك في النبوة وإنكارها .

خامسا - شبهات المشككين والمنكرين والرد عليها .

سادسا - الدلالة على صدق النبي .

سابعا - صفات النبي بين المسلمين وابن ميمون .

ثامنا - مفهوم المعجزة .

تاسعا - إمكان المعجزة .

عاشرا - شروطها .

حادي عشر - أصناف المعجزات .

ثاني عشر - بين النبوة والعبقرية .

تعد قضية إثبات النبوة والبرهنة على صدق ما جاءت به من أوجب الواجبات وأولى الأولويات - لأنها تمثل عمق الرسالة والوحي - ومن أشد التحديات في مواجهة إنكار المخالفين والمكذبين لصحة المعتقدات والشرائع السماوية، ويقتضي إثبات النبوة الاعتماد على ما يؤيد صحتها من علامات وآيات .

وقد اصطلح على تسمية تلك العلامات والآيات المستلزمة لصدق الأنبياء بالمعجزات، وتدل هذه المعجزات عند ثبوتها على صدق مدعي النبوة وما جاء به من الأوامر والنواهي والأخبار والعقائد .

وكان الأنبياء جميعهم مع أقوامهم عند بداية دعوتهم يكذبون، ويسفهون، إلا أن ذلك كثيرا ما يزول، لما يأتيهم النبي - عليه الصلاة والسلام- على صدق دعوته بمعجزات أيد بها .

وقد لجأ موسى عليه السلام إلى هذا الدليل - ومن قبله ومن بعده - لما كذبه فرعون في دعواه أنه مرسل من رب العالمين وتهدده<sup>(1)</sup>، وهذا النوع من الاستدلال يقوم على إفهام الناس أن الشخص الذي يتحدثهم لا يمثل نفسه، ولكن يمثل رب الأرض والسماء، فهو «يعمل بقوته المطلقة لا بقوة البشر المحدودة»<sup>(2)</sup>، وهذا الاستدلال يتوافق ويثبت عادة الذين عايشوا الفترة التي وجد فيها الأنبياء .

والنبوة من حيث هي يستطيع الإنسان إثباتها ولا يمكن للعقل البشري نفيها، أو يضع عليها علامة استفهام، لأنه لدينا دون شك أشياء كثيرة من حولنا تلعب دورا خطيرا وكبيرا في عالمنا، وتعجز أعضاء حواسنا عن إدراكها أو سماعها أو الإحساس بها وهي مع ذلك حقائق ووقائع لا نستطيع إنكارها، وذلك بفضل ما قدمه الجهد العلمي من اختراعات وأجهزة لاقطة تيسر علينا فهم ظاهرة النبوة، ومن هذه الأجهزة ما ينقل إلينا الكلام والصورة والصوت من مسافات بعيدة رغم ما بيننا وبين مصدرها من جبال وحواجز، كأجهزة التلفزيون والراديو ومنها ما يلتقط أخبار الفيضانات والزلازل وغيرها من الكوارث الطبيعية قبل حدوثها .

وهناك حيوانات ذوات حواس خاصة لا يملك مثلها الإنسان فالكلب اختص بحاسة الشم الغريبة، وهو يستخدم اليوم في الكشف عن المحرمين ويميز المحرم من بين آلاف الناس ويقبض عليه .

1 - قال: ﴿ لَمَنِ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْحُونِينَ، قَالَ أَوْلَوْ جُنُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ، قَالَ فَاتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ، وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ ﴾ سورة الشعراء : 28 - 32 .

2 - محمد الغزالي، عقيدة المسلم، ط10، دمشق، دار القلم، 1999م، ص190.

وهذه الأمثلة غيضة من فيض، فإذا كانت الحيوانات وحتى الحشرات لديها هذا الأمر، وتؤدي به دورا كبيرا في عالمنا وهي ليست من عالم الكائن العاقل والمفكر، فلا غرابة بعده في ادعاء شخص أنه يوحى إليه، ويتلقى تعاليم ربه مباشرة، أو بواسطة. أو يسمع كلامه دون الناس .

أليس هذا يدل على أن النبوة ظاهرة كونية في عالم الإنسان مشخصة في ذات النبي -عنه الصلاة والسلام- يمكن إثباتها وحدوثها في هذا العالم .

إذا « فالإيمان بالأنبياء هو فرع الإيمان بالله تعالى، وإثبات النبوة تابع لإثبات الألوهية، لأن قضية الألوهية هي القضية العامة التي تندرج تحتها قضية النبوة وغيرها من القضايا الغيبية »<sup>(1)</sup> .

أولا- إمكانية اتصال الإنسان بالسماء :

إن الإنسان كائن مركب من عدة عناصر: المادة ونعير عنها بالبدن أو الجسم، والروح ونعير عنها بالنفس، والعقل وهو مصدر الأفعال والفكر .

فالمادة هي عبارة عن مجمع مكون من اللحم والعظم والدم، وهي تشكل هيكلًا للإنسان، ووظيفته أنه وسيلة مدفوعة من شهوات النفس أو من رجحان العقل والفكر، أما الروح وهي النفس ومصدرها السماء أو الذي صنعها وبثها في الجسم، وهناك العقل وهو الوسيط بين حركة البدن ومطالب النفس، وهناك من يرى أن العقل هو وليد الروح، وبهذا فهو غير مستقل، ومنه نستنتج أنه إذا ما طهرت وزكت الروح أو النفس ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾<sup>(2)</sup>. كذلك سمي العقل واستطاع - بصفاء النفس - الاتصال بالعوالم العلوية ومعرفة بعض المغيبات عنا ومحاورتها .

ونجد ابن خلدون في مقدمته يفصل القول في مراتب الكائنات في عالم الوجود، بعضها فوق بعض: الجماد، فالنبات، فالحيوان، فالإنسان، فالملائكة، وأن كل كائن بإمكانه أن يتصل بالذي يعنود على الرغم من الاختلاف البين بين الكائنات شكلا وعقلا ونفسا، وهذا ليصل بأن الإنسان بإمكانه الاتصال بالسماء ويتلقى منها الذي تريده منه . فيقول : «... ثم إننا نجد في العوالم على اختلافها آثارا متنوعة : ففني عالم الحس آثار من حركات الأفلاك والعناصر، وفي عالم التكوين آثار من حركة انمو والإدراك، وتمشهد كلها بأن لها مؤثرا مابيننا للأجسام، فهو روحاني ويتصل بالمكونات لوجود اتصال هذا العالم في وجودها، وذلك

1 - عبد الفتاح أحمد الفاوي، النبوة بين الفلسفة والتصوف، (مرجع سابق)، ص18 .

2 - سورة الشمس : 09 .

هو النفس المدركة والمحركة، ولا بد فوقها من وجود آخر يعطيها قوى الإدراك والحركة يتصل بها أيضا، ويكون ذاته إدراكا صرفا وتعقلا محضا، وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك أن يكون للنفس استعداد للانسلاخ من البشرية إلى الملكية لتصير بالفعل من جنس الملائكة وقتا من الأوقات في لحظة من اللحظات، وذلك بعد أن تكمل ذاتها الروحانية بالفعل ويكون لها اتصال بالأفق الذي بعدها، فلها بالاتصال جهتان علوية وسفلية : فهي متصلة باليد من أسفل منها ومكتسبة به المدارك الحسية التي تستعد بها للحصول على التعقل بالفعل، ومتصلة بالجهة من الأعلى منها بأفق الملائكة ومكتسبة به المدارك العلمية والغيبية، ثم إن هذه النفس الإنسانية غائبة عن العيان وآثارها ظاهرة في البدن، فإن جميع أجزائه مجتمعة ومتفرقة آلات للنفس وقواها، أما الفاعلية فالبطش باليد والمشى بالرجل والكلام باللسان والحركة الكلية بالبدن متدافعا، أما المدركة وإن كانت قوى الإدراك مرتبة ومرتقية إلى القوى العليا منها، ومن المفكرة التي تعبر عنها بالناطقة فقوى الحس الظاهرة بآلاته من السمع والبصر وسائرهما يرتقي إلى الباطن، وأوله الحس المشترك، وهو قوة تدرك المحسوسات مبصرة ومسموعة وملموسة في حالة واحدة، وبذلك فارقت قوة الحس الظاهرة المحسوسات لا تزدهم عليها في الوقت الواحد ثم يؤديه الحس المشترك إلى الخيال، وهي قوة تمثل الشيء المحسوس في النفس كما هو مجرد عن المواد الخارجة فقط وآلات هاتين القوتين في تصريفهما البطن الأول من الدماغ مقدمة للأولى ومؤخرة للثانية، ثم يرتقي الخيال إلى الواهمة والحافظة، فالواهمة لإدراك المعاني المتعلقة بالشخصيات كعداوة زيد وصدقة عمر وحنان الأب واقتراس الذئب، والحافظة لإيداع المدركات كلها متخيلة وهي لها كالحزينة تحفظها لوقت الحاجة إليها، وآلات هاتين القوتين في تصريفهما البطن المؤخر من الدماغ أوله للأولى ومؤخره للأخرى، ثم ترتقي جميعا إلى قوة الفكر وآلته البطن الأوسط من الدماغ، وهي القوة التي تقع بها حركة الرؤيا والتوجه نحو التعقل، فتحرك النفس بها دائما لما ركب فيها من التروع للتخلص من درك القوة والاستعداد الذي للبشرية وتخرج للفعل لتعقلها متشبهة بالملا الأعلى الروحاني، وتصير في أول مراتب الروحانيات في إدراكها بغير الآلات الجسمانية، فهي متحركة دائما ومتوجهة نحو ذلك وقد تنسلخ بالكلية من البشرية وروحانيتها إلى الملكية من الأفق الأعلى من غير اكتساب، بل بما جعل الله فيها من الجبلية والفطرة الأولى في ذلك»<sup>(1)</sup>، وبهذا الغرض يؤكد ابن خلدون إمكانية النبوة، ودليله اتصال السماء بالأرض بواسطة مخلوق أرضي أساس خلق الكون وهو الإنسان .

إن لم تكن النبوة واجبة أو مستحيلة فهي ممكنة، « فإن القول بوجوبها وضرورتها لا يحتاج إلى إثبات والقول باستحالتها في حاجة إلى أدلة تنفيها، أما القول بإمكانها فهو في حاجة إلى إثبات، ووقوعها بالفعل دليل على إمكانها، وكأن وقوع الأمر بالفعل أكبر دليل على إمكانه، ولا يثبت إمكان النبوة أولا ثم وقوعها ثانيا خلافا لما هو معروف من أسبقية الفكر على الواقع، والمبدأ على الحادثة، ولكن يثبت إمكان النبوة بعد وقوعها، أي بأسبقية الواقع على الفكر، ويثبت الإمكان من الوقوع ولا يثبت الوقوع من الإمكان»<sup>(1)</sup>.

وما دامت الرسالة واقعة فالنبوة ممكنة الوقوع، ومن ثم كان إنكار النبوة أو القول باستحالتها إنكارا للواقع وهذا للضرورة، وحجتنا في ذلك إثبات نبوة محمد ﷺ، فإن الدال على الوقوع دال على الإمكان<sup>(2)</sup>.

ونفرض جدلا أن أحدا لم يسلم بوقوعها وأنكر حدوثها بالفعل، فماذا نفعل معه؟ هنا نرجع به إلى القرائن الحسية والمشاهد الواقعية، وأولها الكتاب المنزل المدون للعقائد والقصص الغابرة، ولاشتماله على نظم المجتمع ودعوته لمكارم الأخلاق وضبط سلوكات الناس التي تؤدي عادة إلى التقارب والأمن والاستقرار، وردع الناس، والدليل الآخر لإثبات النبوة وإمكانها عن طريق نظريتي الصلاح واللفظ، فالنبوة بما صالح العباد، وهي تفضل ولطف وذلك إثبات للنبوة بالعودة إلى الحسن والقيح العقليين، والعقل الغائي كأحد مظاهر العدل، وتثبت النبوة بدليل نظري خالص مستنبط من التوحيد أي وجود الله وصفاته خاصة الكلام والقدرة، فالله عز وجل متكلم وقادر وبالتالي تكون النبوة من كلامه، والبعثة دليل على قدرته<sup>(3)</sup>، والدليل الآخر الذي قال به صاحب الإنصاف: « ما دام أنه تعالى مالك الملك يفعل بعباده ما يشاء فليس في إرسال الرسل استحالة ولا خروج عن حقائق العقول»<sup>(4)</sup>.

وقد تثبت النبوة بأنها « تعطي التفصيلات بعد ما يعطي العقل العموميات والمبادئ وفي هذه الحالة يكون العقل فوق النبوة، وهي - النبوة - تابعة له، وقد يقول قائل أن النبوة تعطي العموميات والعقل يجتهد في استنتاج التفصيلات، وهذا الأمر أقرب إلى صلة النبوة بالعقل، أما الأحداث والمجريات فهي من العلم الطبيعي وليست من الوحي، ولا يمكن أن تتوقف العنوم الطبيعية والتجريبية على السمع، فإذا كانت

1 - د. حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة، القاهرة. مكتبة مدبولي، [د.ت.]، ج. 04، ص 57.

2 - المرجع نفسه والجزء، ص 58.

3 - المرجع نفسه والجزء، ص 59.

4 - أنساق لاني، الإنصاف، تحقيق وتعليق محمد زاهد بن الحسن الكورني، ط. 03، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1993 م، ص 61.



التجربة ليست يقينية لتغيرها حسب الأفراد، فإنها مطردة من فرد إلى آخر، ومن مكان إلى آخر، ومن زمان إلى آخر، كما أن العقل ليس هو العقل الصوري المجرد، بل هو العقل الشامل للطبيعة والتاريخ وبحرى العادات وشهادة الحس والوجدان، أي كل ما لدى الإنسان من بديهيات حسية أو عقلية أو وجدانية أو إنسانية عامة تؤيدها تجارب العصور وخبرات الشعوب، أما المعارف النظرية الأخرى مثل معرفة الله وصفاته فالعقل قادر على الوصول إليها بعد أن أصبحت من مكتسبات التوحيد، أما أمور المعاد مثل الوعد والوعيد وكل ما يتعلق بالغيبيات فلا تثبت إلا بعد ثبوت النبوة، لأن طريق العلم إليها الروايات والأخبار»<sup>(1)</sup>.

كما تثبت النبوة عملا بإثبات حاجة الإنسان إلى التعاون وبالتالي إلى الرئاسة، وهو ما ذهب إليه الشيخ محمد عبده في رسالته، حيث يقول: «فماذا نؤمل من عقولنا وأفكارنا في العلم بما في عالم الغيب؟ هل فيما بين أيدينا من الشاهد معالم فتتدي بها إلى الغائب؟ وهل في طرق الفكر ما يوصل كل أحد إلى معرفة ما قدر له في حياة يشعر بها؟ وبأن لا مندوحة على القدوم عليها، ولكن لم يوهب من القوة ما ينفذ إلى تفصيل ما أعد له فيها، والشؤون التي لا بد أن يكون عليها، بعد مفارقة ما هو فيه، أو إلى معرفة بيد من يكون تصريف تلك الشؤون؟ هل في أساليب النظر ما يأخذ بك إلى اليقين... أفليس من حكمة الصانع الحكيم، الذي أقام أمر الإنسان على قاعدة الإرشاد والتعليم، الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، علمه الكلام للتفاهم والكتابة للتواصل، أن يجعل من مرتب الأنفس البشرية مرتبة يعد لها بمحض فضله بعض من يصطنعه من خلقه؟، وهو أعلم حيث يجعل رسالته؟ يميزهم بالفطر السليمة، ويبلغ بأرواح من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بأنوار علمه، والأمانة على مكنون سره، مما لو انكشف لغيره انكشافه لهم لفاضت له نفسه، أو ذهبت بعقله جلالته وعظمته، فيشرفون على الغيب بإذنه، ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه ..»<sup>(2)</sup>.

ويذهب صاحب الإرشاد أن الدليل على جواز إرسال الرسل والأنبياء «أن ذلك ليس من المستحيلات التي يمتنع وقوعها لأعيانها، كاجتماع الضدين، وانقلاب الأجناس ونحوها، إذ ليس في أن يأمر الرب تعالى عبدا بأن يشرع الأحكام ما يمتنع من جهة التحسين والتقيح .

فإذا ثبت ذلك قلنا: بعده مسلكان، أحدهما أن ننفي أصل التقيح والتحسين عقلا، فلا يسقى بعده إلا

1 - د.حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة، (مرجع سابق)، ج4، ص60 .

2 - محمد عبده، رسالة التوحيد، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1988م، ص76 - 77.

المقطع بالجواز، والثاني أن نسلم التقيح جدلا، ونقول: الإرسال مما يتقبح لعينه بخلاف الظلم والضرر المحض، ولا يتلقى قبحه بأمر يتعلق بغيره: فإنه لا يمتنع أن يقع في المعلوم كون الانبعاث لطفًا، يؤمن عنده العقلاء، ويلتزمون قضايا العقول، ولولاه لحدوا وعندوا، فهذا قاطع في إثبات جواز النبوات»<sup>(1)</sup>.

والقول بجواز النبوة ذهب إليه الأشاعرة، وقد استدلوا عليها بعدة أدلة منها التي ذكرناها وأخرى لم نذكرها، ويمكن القول بأن النبوة كانت ضرورة قبل آخر مرحلة فيها، قبل أن يكمل الوعي والتصور الإنساني للكون والحياة وقَلَّ تفكيراً وإرادة، ثم أصبحت ممكنة لحظة وقوع الوحي وإنزاله الشرائع على نبيه محمد ﷺ، وهي الآن مستحيلة بعد اكتمال الوحي وختم النبوة واستقلال الفكر الإنساني.

خلافًا لابن حزم الذي يرى أن النبوة قبل البعثة ممكنة، أما بعدها فهي داخلية في باب الوجوب، أما بعد بعثة النبي ﷺ وموته فهي منتفية<sup>(2)</sup>.

أما الأدلة الأخرى التي تثبت بها النبوة، هي المعجزة التي يؤيد الله بها رسوله ليتحدى بها قومه ويعجزوا عن تكذيبه أو معاندته وتحديه، وهي دليل صدق النبي أو الرسول.

### ثالثا - وجوب النبوة :

يقول حسن حنفي: «النبوة واجبة على أسس ثلاث: فهي واجبة أولا نظرا للواجبات العقلية، مثل الصلاح واللطف والعوض والاستحقاق وطبقا للحسن والقبح العقليين، ووجوبها ضروري بناء على الضرورات العقلية، وهي واجبة ثانيا لأنها أصلح للعباد وبناء على نظرية الصلاح والأصلح، فالإنسان في حاجة إلى الدخول في معاملاته وإلى علم ما سيحصل به الانقياد والعون، والحاجة إلى الشرائع والقوانين والنسب، وهي واجبة ثالثا نظرا لأنها لطف من الله طبقا لنظرية اللطف والألطف، ولما كان العقل لا يستقل بالتعريفات التشريعية كان لطفًا من الله وكرما منه أن يتم نعمته على الإنسان وهو أشرف المخلوقات، ومن ثم فالنبوة تعبير عن كرم الله ولطفه بعباده، النبوة إذا واجبة على الواجبات العقلية ونظريتي الصلاح واللطف»<sup>(3)</sup>.

والنبوة ظاهرة قامت لها عدة مدارس واتجاهات فكرية لإثباتها، إما إمكانا أو وجوبا، وعادة ما كان

1 - الحويني، الإرشاد، (مراجع سابق)، ص 306 - 307.

2 - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج 01، ص 88 - 89.

3 - حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة، ج 04، ص 28 - 29.

وعند أصحاب الوجوب تكون الصعوبة حينئذ في كيفية الجمع بين الحسن والقبح العقليين وإمكان العقل على إدراكهما كصفات موضوعية في الأفعال، وفي الوقت ذاته احتياجه إلى النبوة كعون له على التكليف فما دامت التكاليف واجبة عقلا فلم نحتاج إلى وجوب ثاب بالنبوة، بل إن الصلاح، والأصلح، واللطف، والألطف، والعوض عن الآلام، والاستحقاق، كل ذلك من الواجبات العقلية، وبالتالي لا تكون أساسا لوجوب النبوة .

فإذا كان التكليف عقليا واستحقاق الثواب والعقاب عقليين، والتنبيه أمورا عقلية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد الأصول العقلية الخمسة لدى المعتزلة، فكيف تجب النبوة بناء على هذا الوجوب العقلي المكتفي بذاته<sup>(2)</sup> .

وبهذا يكون الوجوب اثنين: وجوب عقلي ضروري، ووجوب شرعي إضافي لا حكم له، وليست النبوة إذن من الواجبات العقلية إلا بناء على الصلاح واللطف وعلى أساس أنهما واجبان عقليان، فإذا ما حكم العقل أن النبوة بها صلاح العباد ولطف من الله لم تكن واجبة على هذا الأساس كحكم عقلي بالصلاح واللطف، وليس كحاجة وعون ومدد نتيجة لقصور العقل وحاجته إلى الوصاية والهداية<sup>(3)</sup> .

وهل تجب النبوة لحاجة الإنسان إلى التجريب، وكأن الإنسان قاصر على استخدام الحواس، والاعتماد على المحسوسات، والمشاهدات، والمجربات، وقد برع القدماء في العلوم التجريبية في الطبيعة والكيمياء والطب وغيرها من العلوم، ولم يكتفوا بالطب النبوي، وقننوا المبادئ العامة للطب التجريبي، ونقدوا المنطق الصوري ووضعوا قواعد المنهج التجريبي، والعلم التجريبي علم إنساني يهدف إلى الكشف عن قوانين

1 - ويشار إلى المعتزلة مع البراهمة بأهم أنصار القول باستحالتها، كما قال البعض منهم : « بإمكانها اشتراكا مع الأشاعرة على الرغم من اختلاف دوافع الإمكان طبقا للحاجة، حاجة العوام والخواص، كما هو الحال عند المعتزلة، أو الإمكان نفيا للواجبات العقلية كما هو الحال عند الأشاعرة، ويتبين من هذا النوع في مواقف المعتزلة في الموضوعات التي يذكرها القاضي عبد الجبار، عند الكلام في جواز بعثة الأنبياء التي تشمل: [1] - البراهمة وبيان موافقة البعثة للعقل وأدلته وزوال المخالفة بينهما (2) - وجوب البعثة وما تجب؟ هل في البعثة ما يحسن ولا يجب؟ هل يقع الوجوب في ذلك معينا أو مخيرا؟ هل هي غير مستحقة للمبعوث؟ هل الفرد يعود عليه أو على المبعوث إليه أو عليهما معا؟ ما يجوز أن يتحملة من الرسالة وما لا يجوز؟ هل يتحمل ما يكون تأكيدا أو لا بد من شريعة». القاضي عبد الجبار ي، المغني في أبواب العدل والتوحيد، (مرجع سابق)، ج15، ص07 .

2 - حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة، ج04، ص29 .

3 - المرجع نفسه والجزء، ص30 .

الطبيعة من أجل السيطرة عليها وتسخيرها لصالح الإنسان، مثل العلم العقلي وما فائدته إذا كانت النبوة تغني عنه؟.

والمعروف تاريخياً أن العلوم النبوية كانت أقرب إلى العلوم الصوفية الإشرافية منها إلى العلوم العقلية التحريية، لأن النبوة لا تتضمن مبادئ علم الفلك، وإن كانت توجه الفكر نحو الطبيعة بالتأمل في الكون والنظر في الأهلة لمعرفة المواقيت وتحديد الشهور، حتى أتى العقل والتحريب ليضع قواعد علم الفلك وأصوله.

إن الصناعات والعلوم التحريية من اكتشاف الإنسان وإبداعه، لذلك كانت الطبيعيات سابقة على الإلهيات في علوم الحكمة، كما كان المنطق سابقاً على علم الطبيعيات، فالعقل والتحريب سابقان على النبوة بل والطريق إليهما، كما أن العقل والطبيعة سابقان على النظر إلى الله والطريق إليه<sup>(1)</sup>، وهو المسلك الأول في بيان الحاجة إلى النبوة والرسالة .

أما المسلك الثاني: وقد ذكره الأستاذ محمد عبده في رسالته، ويؤخذ من طبيعة الإنسان نفسه، فهو مجبول على أن يعيش في جماعة وإن تعددت الجماعات، واختلفت في اللون واللغة والمعتقد، على أن يكون لكل واحد من الجماعة عمل يعود على المجموع في بقائه، وقد أودع في كل شخص من أفرادها شعور ما بالحاجة إلى سائر أفراد الجماعة، وتاريخ وجود الإنسان شاهد على أنه لا يستغني عن غيره من بني جنسه .

والإنسان كلما كثرت مطالبه وشهوات النفس ازدادت به الحاجة إلى يد العون فتشتد الحاجة، وعلى أثرها تزداد العلاقة من الأهل إلى العشيرة، ثم إلى الأمة وإلى النوع الإنساني بأسره، والأيام شاهدة على أن قوة الصلة وشدتها نابعة من الحاجة .

وهذه الحاجة لها روابط ميزتها عما سواها: حاجة في البقاء، وحاجة في التمتع بمزايا الحياة، وحاجة في جلب الرغبات ودفع المكروه من كل نوع .

كما أن الإنسان ليس ممن يلهم ولا يتعلم، ولا ممن يشعر ولا يتفكر بل إن كماله وحرية في إطلاق مداركه عن القيد، ومطالبه عن النهايات، وتسليمه على صغره إلى العالم الأكبر على جلالته وعظمه، ينازعه ويصارعه بعوامله وهي غير محصورة، حتى يأخذ منه منافسه وهي غير محدودة، وإبداعه من قوى الإدراك والعمل ما يعينها على المغالبة فلا تتوقف شهواته إلى غاية ولا تتوقف مخاوفه عند نهاية .

أضف إلى ما سبق من نزعات الفكر ونزعات الأهواء شعورا هو ألصق بالغريزة البشرية وأشد لزوما لها، وكل إنسان مهما علا فكره، وقوى عقله، أو ضعفت فطنته، وانحطت فطرته يجد من نفسه أنه مغلوب لقوة أرفع من قوته، وأنه محكوم بإرادة تصرف ما هو فيه من العوالم في وجوه ربما لا تعرفها معرفة العارفين ولا تتطرق إليها إرادة المختارين .

«كل نفس تشعر أنها مسبوقة لمعرفة تلك القوة العظمى فتطلبها من حسها تارة ومن عقلها تارة أخرى ولا سبيل لها إلا الطريق التي حددت لنوعها وهي طريقة النظر، فذهب كل في طلبها وراء رائد الفكر، فمنه من تأولها لبعض الحيوانات لكثرة نفعها أو شدة ضررها، ومنه من تمثلت له في بعض الكواكب لظهور أثرها ومنهم تبذرت له آثار قوى مختلفة في أنواع متفرقة تتماثل في أفراد كل نوع، وتتخالف بتخالف الأنواع فجعل لكل نوع إلها .

وكلما رقى الوجدان ولطفت الأذهان ونفذت البصائر ارتفع الفكر وظهرت النتائج، فوصل من بلغ به علمه بعض المنازل من ذلك إلى معرفة هذه القدرة الباهرة، واهتدى إلى أنها قدرة واجب الوجود غير أن أسرار الجيروت ما غمض عليه فلم يسلم من الخبط فيه، ثم لم تكن له من الميزة القائمة في قومه ويحملة على الاهتداء بهديه فبقي الخلاف ذاتعا والرشد ضائعا .

والإنسان قد فطر على أن يعيش في جملة أنواع من المجتمعات، ولم يعط مع تلك الفطرة ما منحه النمل، وبعض أفراد النمل مثلا من الإلهام الهادي إلى ما يلزم لذلك، وإنما ترك إلى فكره يتصرف به على نحو سابق، كما فطر على الشعور القاهر الذي نشأ في نفسه بالرغم عنها إلى معرفته وتركه على متاهات النظر والبحث فهو يصعد بقوة عقله إلى أعلى مراتب الملكوت، ثم يصغر ويتضاءل وينحط إلى أدنى درك من الاستكانة والخضوع حتى عرض متى عرض له أمر ما لم يعرف سببه، ولم يدرك منشأه وسبب الضعف أخذ بيده إلى شرف سعادته فأقام له من بين أفرادهم مرشدين هادين، وميزهم من بينهم بخصائص في أنفسهم لا يشاركون فيها سواهم، وأيد ذلك زيادة في الإقناع بآيات باهرات تملك النفوس وتأخذ الطريق على سواك العقول، يعلمونهم ما شاء الله أن يصلح به معاشهم ومعادهم وما أراد أن يعلموه من شؤون ذاته وكمال صفاته، وأولئك هم الأنبياء والمرسلون فبعثهم - صلوات الله عليهم - من متمسات وجود الإنسان في هذا الكون، ومن أهم حاجاته في بقائه ومرتله من النوع منزلة العقل من الشخص»<sup>(1)</sup> .

بالإضافة إلى الضرورات السابقة هناك ضرورات أخرى من بينها العبادات، وهي الدافع الأول على ضرورة البعثة، والتي لا يستطيع العقل أو الواقع الوصول إليها، وهل وضع العقل في مقابل العبادة يجعل العبادة لا عقلية غير مفهومة وغير معللة بحكمة، مع أن العلة أساس التشريع يمكن إدراكها بالعقل والتحريب، ولا توجد عبادة واحدة وكل ملة تعبد بشعائرها وترى فيها أنسب تعبير عن إيمانها وعقائدها، وإذا كان العمل عبادة فإن العقل قادر على أن يصل إليه دون إشكال<sup>(1)</sup>.

وإن كان ابن حزم له موقف مغاير من وجوب النبوة حيث يرفض ذلك ويعلل: «ولسنا نحتاج إلى تكلف ذكر قول من قال من المسلمين أن مجيء الرسل من باب الواجب، واعتلاهم في ذلك بوجوب الإنذار في الحكمة، إذ ليس هذا القول صحيحا، وإنما قولنا الذي بيناه أنه لا يفعل شيئا لعله، وإن كل ما فعله فهو عمل وحكمة أي شيء كان»<sup>(2)</sup>.

رابعاً- الشك في النبوة وإنكارها :

1- قبل الإسلام :

الشك في النبوة لم يكن أمرا حدثا بسبب بعثة النبي محمد ﷺ فقط وإنما هو أمر عام في جميع الأنبياء قبل محمد ﷺ، وكان بداية الذين كذبوا هو نوح عليه السلام<sup>(3)</sup>، وقد بعثه الله إلى قومه لما كثر وعظم فيهم الكفر والضلال، فجحذوا نبوته وأتموه بالضلال والكذب ومسّ الجان وغيرها من أوصاف التحقير والإهانة قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(4)</sup>. وأيضاً ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾<sup>(5)</sup>.

1 - حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة، (مرجع سابق)، ج4، ص36.

2 - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص89.

3 - وقد ورد اسم نوح في ثلاثة وأربعين موضعا في القرآن الكريم وذلك في السور التالية: آل عمران، والأنعام، والأعراف، والتوبة، ويونس، وهود، وإبراهيم، والإسراء، ومريم، والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والفرقان، والشعراء، والعنكبوت، والأحزاب، والصفات، وص، وغافر، والشورى، وق، والذاريات، والنجم، والقمر، والحديد، والتحريم، ونوح.

4 - سورة الأعراف : 58 - 59.

5 - سورة المؤمنون : 23 - 25.

ويتكرر المشهد مع هود عليه السلام<sup>(1)</sup> حيث أعرض عنه قومه ووصفوه بالسفاهة والكذب، قال تعالى: ﴿وَأَلِيَّ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ آلِهَ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ، قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَادِبِينَ﴾<sup>(2)</sup>.

ونفس الأمر مع النبي صالح عليه السلام، حيث جحدوا نبوته وعصوا أمره متحدثين إرادة الله عز وجل فقال تعالى فيهم: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنْ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

وكذبت إبراهيم عليه السلام<sup>(4)</sup> حيث تنكر له قومه وهددوه بالقتل والحرق ورموه بالتلاعب بالهتهم قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(5)</sup>. وأيضاً ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينِ﴾<sup>(6)</sup>.

وتستمر سنة الله في الأنبياء والرسل فلا يكون لأقوامهم وسيلة يواجهوا بها الحق غير النكران والتكذيب، وها هو سيدنا شعيب عليه السلام<sup>(7)</sup> يمتحن في دعوته فيكذبه قومه قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَدْعُوا بِهِمُوعًا قَالُوا لَنْ نَبْرَأَ لَكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِيهَا حَرْبًا كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّبُوا بِهَا كَذِبًا وَكَانُوا كَافِرِينَ﴾<sup>(8)</sup>.

وكذلك الأمر مع موسى عليه السلام لما بعثه الله إلى فرعون لينير له طريق الهداية ويرده عن غيئه، حيث أقام موسى عليه السلام بالجنون عند ما وقف أمامه يدعوه إلى رب العالمين قائلاً لمن حوله: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ، قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ، قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾<sup>(9)</sup>.

كما أقاموا موسى عليه السلام بالكذب والسحر ﴿وَلَقَدْ آرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُنْهًا فَكَذَّبَ وَتَوَّابٍ، قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ

1 - ذكر هود في القرآن سبع مرات، في سورة: الأعراف، وهود، والشعراء .

2 - سورة الأعراف : 64 - 65 .

3 - سورة الأعراف : 74 - 75 .

4 - ذكر اسم إبراهيم في كتاب الله في السور التالية: البقرة، آل عمران، النساء، الأنعام، التوبة، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، النحل، مريم، الأنبياء، الحج، الشعراء، العنكبوت، الأحزاب، الصافات، ص: الشورى، الزخرف، الذاريات، النجم، الحديد، المنتحة، الأعلى .

5 - سورة العنكبوت : 23 .

6 - سورة الأنبياء : 55 .

7 - ذكر اسم شعيب في كتاب الله في السور التالية: الأعراف، هود، الشعراء، العنكبوت .

8 - سورة الأعراف : 91 .

9 - سورة الشعراء : 24 - 26 .

أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى، فَلَنَاتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا<sup>(1)</sup>. وعادة أن القادة الكافرين يتهمون الأنبياء والرسل بالكاذب ليردوا قومهم عن الحق الذي قد يصل إلى عقولهم وسمعهم عن طريق الآيات الباهرة التي لا يستطيعون الوقوف أمامها أو ردها فيرزعوا فيهم الشك لتكون عقولهم وقلوبهم مهياة للرفض والإنكار وهو ما قاله للناس الذين جاؤوا لمشاهدة التحدي حيث قال تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴾<sup>(2)</sup>.

هذه أحوال الأنبياء والرسل قبل النبي ﷺ، فلم يكن أحدهم بمنأى عن الافتراء والتكذيب، وهذه سنة الله في الدعوات .

## 2- في صدر الإسلام وبعده :

الشك في النبوة وإنكارها بدأ في حقيقته داخل مكة منذ ظهور النبي ﷺ بدعوته، وقد اتخذ الإنكار صوراً متعددة وكان أبرزها وأكثرها ترديداً تلك الافتراءات عن مصدر الرسالة، وعن شخصية الرسول ﷺ . وكانت الافتراءات تتعدد تفسيراتها وتنوع: فتارة هو أضغاث أحلام، وتارة هو قول شاعر، وتارة قول كاهن، وتارة قول شيطان، وتارة قول البشر، وتارة أساطير الأولين، وتارة إفك افتراه وأعانه عليه آخرون، ومن ثم تتعدد أوصاف الرسول ﷺ وتنوع، بأنه شاعر أو كاهن أو ساحر أو مجنون .

وكل تلك الأوصاف والتفسيرات أوردتها القرآن الكريم في آيات عديدة : كقوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَاتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْآوَّلُونَ ﴾<sup>(3)</sup>. وأيضاً ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ تَتْرَبِيلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(4)</sup>. وقوله ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾<sup>(5)</sup>. وقال ﴿ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾<sup>(6)</sup>.

1 - سورة طه : 55 - 57 .

2 - سورة طه : 62 . وهكذا يتكرر الاتهام بالسحر والكذب لموسى كلما أعلن دعوته لفرعون وقومه ونجد هذا الأمر في سورة الأعراف ويونس والإسراء والنمل والقصص وغافر والزخرف والقمر والنازعات .

3 - سورة الأنبياء : 05 .

4 - سورة الحاقة : 40 - 43 .

5 - سورة التكويز : 25 .

6 - سورة المدثر : 24 - 25 .



وقال ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾<sup>(1)</sup>. وقال ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا، وَقَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾<sup>(2)</sup>.

وكثيرا ما ردد أهلها حملتهم التهكمية المشهورة هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء! واستبعدوا عليه كل البعد الاتصال بالعالم العلوي (الإلهي)، لأنهم يرونه بشرا مثلهم يأكل ويشرب ويمشي في الطرقات والأسواق<sup>(3)</sup>، غير أن معجزاته مبرهنهم، وفصاحته أفحمتهم وهم أهل القول والفصاحة، ولم يجدوا من وسيلة لإدخال الشك في عقول الناس إلا باهامه تارة بالسحر والشعوذة، وأخرى بالكهانة والتنجيم، ولم يكن للنبي ﷺ من جواب لهذا التهكم إلا أن يقول: ﴿ قُلْ أَنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾<sup>(4)</sup>.

وسنرى أثناء دراستنا أن كل هذه الافتراءات يردها المستشرقون- بصورة أو أخرى- خلال القرون الوسطى والحديثة، وهذا منذ نشأة الإستشراق حتى اليوم .

والزعم أن القرآن من قول البشر يجمعون عليه خلال العصور، لأنهم يجمعون على إنكار الوحي من الله، ويزعمون أنه من تأليف محمد ﷺ، ثم يختلفون في المصدر الرئيسي الذي استمد منه القرآن، وتتردد مزاعمهم بين نسبه إلى وحي الخيال، أو وحي الشيطان، أو وحي البيئة العربية، أو عالم اللاوعي، أو الاستمداد من أساطير الأولين، أو من تعاليم الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى<sup>(5)</sup>.

والافتراء على النبي ﷺ بالجنون يتردد عند الكثيرين منهم في صور شتى منها إصابته ﷺ بالصرع، أو الهستيريا، أو هما معا، أو الهوس، أو التوبات الانفعالية، أو التشابه مع شخصيات تاريخية شاذة وأبطال كان لهم تأثير واسع على الجماهير أمثال نابليون<sup>(6)</sup>.

وقد بين لنا القرآن الكريم أن افتراءات المشركين على الرسول ﷺ ليست شيئا فريدا في تاريخ الرسالات: ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ، أَنْتَوَصَّوْا بِهِ بِلْ هُمْ قَوْمٌ

1 - سورة الحجر : 06 .

2 - سورة الفرقان : 04 - 05 .

3 - ﴿ وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مِلْكًا فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا، أَوْ يُنزلُ إِلَيْنَا كِتَابًا أَوْ نَكُونُ لَهُ حِجَّةً يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ . سورة الفرقان: 07 - 08 .

4 - سورة الكهف: 105 .

5 - أحمد عبد الحميد غراب: الإستشراق، لندن، المنتدى الإسلامي، [د، ت]، ص 13 .

6 - المرجع نفسه والصفحة .

والافتراءات تشابهت في جوهرها تشابها واضحا في كل العصور، لأن النفوس التي صدرت منها نفوس متشابهة، تتصف بالجحود والطغيان والاستكبار، ولهذا نجد المتأخرين منهم يرددون ما قاله المتقدمون: **«كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ»**<sup>(2)</sup>.

ولما انتقل النبي ﷺ إلى المدينة وأسس هناك دولة الإسلام لم يسلم من إيذاء المشركين بل ازداد قوة وعنفاء لأن العداء تحول إلى مكر وخداع وذلك بانضمام قوة المنافقين واليهود إلى قوة المشركين، حيث عمدت الأولى للتظاهر بالإسلام، وكان خطرهما على الدعوة والمسلمين أخطر من المشركين واليهود، لأنهم كانوا مندسين في صفوف المسلمين بسبب تظاهرهم بالإسلام والعمل بأركانه، وكان من أخطر مؤامراتهم على شخص النبي ﷺ هي رمي السيدة عائشة أم المؤمنين بالزنى مع الصحابي الجليل صفوان بن المعطل السلمي لما كانا راجعين من غزوة بني المصطلق مع رسول الله وقد تأخرا عن القافلة للأسباب التي ذكرتها كتب الصحاح والسير فلما رأهما عبد الله بن أبي بن سلول قادمين لوحدهما إلى المدينة اغتتم هذا الموقف ليضرب شرف وطهارة بيت النبوة، لظنهم أنه بهذا العمل يقضوا على الإسلام من منبعه وذلك بتدنيس بيت النبوة، لعلمهم أن تعلق المسلمين ببيت النبوة راجع إلى طهارة وعفة أهله، وأن الشرك انهزم في كل الميادين فما بقي لهم إلا هذا الميدان فليطرقوا أبوابه، وهو ما يشير إليه أبو الأعلى المودودي بقوله: «فإنهم وإن جاؤوا على زعمهم، بحملة شعواء على نظام الجماعة وشخص الرسول ﷺ وأهل بيته، ولكنها ما حاقت إلا بهم وما سببت للمسلمين إلا خيرا. فالمنافقون ما كانوا أثاروا هذه الفتنة وأشعلوا جذوقها إلا لأن يهزموا المسلمين في ميدان تفوقهم، ميدان الأخلاق الذي كانوا لسبقهم فيها يهزمون أعداءهم في ميادين الحياة»<sup>(3)</sup>.

والحقيقة أن هدف هذه المؤامرة لم يكن عائشة في شخصها وإنما هدفهم هو الرسول لأن معركتهم معه وليس مع سائر الناس، هذا موقف المشركين والمنافقين .

أما أهل الكتاب فإنهم كانوا يشككون المسلمين في دينهم، وذلك بإثارة الشبهات حول القرآن وحول الرسول ﷺ، على الرغم أن التوراة بشرت بنبوة محمد ﷺ « وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله

1 - سورة الذاريات : 52- 53 .

2 - سورة البقرة : 117 .

3 - أبو الأعلى المودودي، تفسير سورة النور، الجزائر، دار الشهاب للطباعة والنشر، [د، ت]، ص 123 .

بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلاًلاً من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن عيونه نار شريعة لهم»<sup>(1)</sup>، ومعنى جاء الرب من "سيناء"، إنزاله التوراة على موسى بـ "طور سيناء"، ومعنى إشراقه من "سعير"، إنزاله الإنجيل على المسيح، وكان المسيح من "سعير"، أو "ساعير"، وهي أرض الخليل من قرية منها تدعى "ناصره" وباسمها سمي أتباعه نصارى، ومعنى تلاًلاً من جبل فاران، إنزاله القرآن على محمد ﷺ، وجبال فاران هي جبال مكة بلا خلاف بين علماء المسلمين وأهل الكتاب<sup>(2)</sup>، ومما يؤيد البشارة بالنبي ﷺ ما ورد في سفر حبقوق قوله: «الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران»<sup>(3)</sup>، وكان من وسائل أهل الكتاب (اليهود) تشكيك المسلمين بتناقض القرآن (وهي فرية يرددها المستشرقون كذلك). فقال اليهود: أترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه، ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم ويرجع عنه غداً. ما هذا إلا كلام محمد يقول من تلقاء نفسه، وهو يناقض بعضه بعضاً. فأنزل تعالى ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزَلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(4)</sup>.

كما بشرت به الأناجيل ففي إنجيل يوحنا «ومتى جاء المعز الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي، وتشهدون أتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء»<sup>(5)</sup>، وفي موضع آخر من إنجيل يوحنا «لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعز. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذلك بيكّت العالم على خطيئة وعلى برٍّ وعلى دينونة»<sup>(6)</sup>.

وبعد انتشار الإسلام وأصبحت له دولة مهابة الجانب، ذابت الصيحات المشككة في نبوة محمد ﷺ لاقتناع الناس بنبوته ودعوته، نظر القوة الحجة والغلبة، وسلم الناس بدعوة الإسلام، غير أن الإذعان الفطري لم يدم ضويلاً، فقد امتزج المسلمون بعناصر أجنبية مختلفة المشارب والأديان، زرعت فيهم كثيراً من سمومها ولم تدع أصلاً من أصول الإسلام إلا وضعت موضع النقد والتشكيك والتضليل، وبسبب سيطرة المسلمين وعلو شأنهم واتساع رقعتهم وغلبة دينهم وذوبان أديانهم المحرفة أو الوثنية، أخذت تلك العناصر تحارب

1 - سفر انتنبية 33 : 01 - 02 .

2 - الشوكاني، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، ص 27 .

3 - سفر حبقوق 03 : 03 .

4 - سورة النحل : 101 .

5 - سفر يوحنا 15 : 26 .

6 - سفر يوحنا 16 : 07 - 08 .

الإسلام بشقّ الوسائل لتأثر لنفسها ودينها وتسترد نفوذها وسلطانها . فالمزدكية<sup>(1)</sup>، والمانوية<sup>(2)</sup> وأنصارهم من زنادقة العرب بدأوا في القرن الثاني للهجرة يثون دعوة الثانوية، لهدم فكرة التوحيد التي قام عليها الإسلام ومن قبله الشرائع السماوية، وكلنا يعلم خير بشار بن برد وصالح بن عبد القدوس الثناوين الذين كانت لهما مجالس خاصة تذاع فيها الآراء المزدكية والمنية<sup>(3)</sup>، وغيرهم من البراهمة<sup>(4)</sup>، الذين ينادون بتناسخ الأرواح وإنكار النبوة والأنبياء، ولا يرون حاجة البشر إليهم، وقد تناول اليهود على مصادر ومراجع المسلمين من كتب التفسير، والأحاديث، ومألوها بالإسرائيليات، فقالوا بالرجعة والتشبيه وخلق القرآن كما قالوا من قبل بخلق التوراة<sup>(5)</sup> .

وازدادت المهجمة على المسلمين بتشكيكهم في عقائدهم واشتغل المسلمون بما هو فوق عرفهم ومألوفهم، وذهبوا إلى إنكار أبدية عذاب النار وقال الجهم بن صفوان، إن الجنة والنار يفنيان ويفنى أهلها<sup>(6)</sup> .

وقد قيض الله عز وجل المعتزلة وغيرهم من مفكري الإسلام لأولئك الضالين، ليقفوا لهم كل مرصد ويجادلوهم بالحجة والبرهان وأبلى أبو المذيل العلاف، وناظر الوثنية في البصرة وهدى بعضهم إلى الإسلام، كما كان النظام من أحذق المجادلين وله سبق في مناقشة الزنادقة والدهريين، ثم جاء من بعده تلميذه

1 - وهم «أصحاب مزدك وقد ظهر أيام قباز والد أنو شروان ودعا قباز إلى مذهبه، واطلع أنو شر وان على افتراءه فطلبه فوجده فقتله. والمزدكية كقول كثير من المانوية في الكونين والأصلين إلا أن مزدك كان يقول: إن النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تقفل على الخبيط والاتفاق، والنور عالم حساس والظلام جاهل وأعمى. وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال، ومذهبه في الأصول والأركان أما ثلاثة: الماء، والأرض، والنار، ولما اختلطت حدث مدير الخير ومدير الشر، فما كان من صفوها فهو مدير الخير وما كان من كدرها فهو مدير الشر». الشهرستاني، الملل والنحل، (مرجع سابق)، ص 201 - 202 . ينظر: عبد القادر صالح، العقائد والأديان، ص 255 - 256 .

2 - أصحاب ماني بن فانك الحكيم الذي ظهر في زمان سابور بن أرد شين، وقتله يهرام بن هرمز بن سابور، وذلك بعد عيسى بن مريم عليهما السلام أحدث دينا بين الجوسية والنصرانية، وكان يقول بنووة عيسى عليه السلام ولا يقول بنووة موسى عليه السلام. ويعتقد أن من بعث الله تعالى بالعلم والحكمة آدم أبو البشر ثم بعث شيثا بعده، ثم نوحا بعده ثم إبراهيم بعده عليهم الصلاة والسلام، ثم بعث بالبددة إلى أرض الهند وزرادشت إلى أرض فارس، وبولس بعد المسيح إليها ثم يأتي خاتم الأنبياء إلى أرض العرب . المرجع نفسه، ص 198 - 201 .

3 - أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط 10، بيروت، دار الكتاب العربي، [د، ت]، ج 01، ص 155 - 156 .

4 - وهم قبيلة بالهند فيهم أشرف أهل الهند، يقولون أنهم من ولد برهمي ملك من ملوكهم قديما، ولهم علامة ينفردون بها وهي خيوط ملونة بخمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف، وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا إلا أنهم أنكروا النبوات . ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج 01، ص 88 . ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ص 403 . ينظر أيضا: عبد القادر صالح، العقائد والأديان، ص 74 .

5 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 162 .

6 - عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 161 .

الجاحظ فسار على سنته، وفي كتاب الاستبصار للخياط<sup>(1)</sup> تفاصيل كثيرة عن الملاحم الكلامية والمعارك الجدلية<sup>(2)</sup>. وأخذت طائفة من الإسماعيلية على عاتقها رد شبهة منكري النبوة والأنبياء ومعجزاتهم<sup>(3)</sup>.

ومن الشخصيات التي وقفت في التشكيك في النبوة والأنبياء، وكان لها أثر كبير وخطير بعد ذلك وهما ابن الراوندي<sup>(4)</sup>، وقد عدّه المرتضى بين طبقات المعتزلة الثامنة، وقد تحامل على المعتزلة وعلى الإسلام وتعاليمه المختلفة حملة عنيفة ولازم الملحدّين واتصل بهم اتصالاً وثيقاً<sup>(5)</sup>، ويظهر أنه أضحى دسيّسة ضد المسلمين يدبر لهم المكائد، ويستأجر للطعن عليهم، وينشر فيهم عناصر الزيف والإلحاد<sup>(6)</sup>، وألف عدة كتب في إبطال التوحيد، وجمد الرسالة، وشمم الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - والأئمة الهادين، فمنها كتاب "فضيحة المعتزلة" في الرد على كتاب "فضيلة المعتزلة" الذي وضعه الجاحظ من قبل، وكتاب "الدامغ" يعارض به القرآن، وكتاب "الفرند" في الطعن في النبي ﷺ<sup>(7)</sup>، وكتاب يعرف "بالتاج" أبطل فيه حدث الأجسام ونفاه وزعم أنه ليس في الأثر، دلالة على مؤثر ولا في الفعل دلالة على فاعل، وأن العالم بما فيه وقمره وجميع نجومه قد تم لم يزل لا صانع له ولا مدبر ولا محدث له ولا خالق، وكتاب يعرف "بالتعديل والتجويز" زعم فيه أنه من أمراض عبّيده وأسقمهم، فليس بحكيم فيما فعل بهم ولا ناظر لهم ولا رحيم بهم، ومنه "كتاب الإمامة" يطعن فيه على المهاجرين والأنصار، ويزعم أن النبي ﷺ استخلف عليهم رجلاً بعينه واسمه ونسبه، وأمرهم أن يقدموا ولا يتقدموا عليه وأن يطيعوه ولا يعصوه، فأجمعوا جميعاً إلا نفرًا يسيراً وكانوا خمسة أو ستة، على أن أزالوا ذلك الرجل عن الموضع الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ وأقاموا غيره،

- 1 - وأصبحت للخياط فرقة تدعى باسمه الخياطية وهو أبي الحسن بن عبد الرحيم بن محمد بن عمرو الخياط، أستاذ أبي القاسم بن محمد الكعبي وهما من معتزلة بغداد على مذهب واحد، إلا أن الخياط غالى في إثبات المدوم شيئاً وقال الشيء ما يعلم ويخبر عنه، والجوهر جوهر في العدم والغرض غرض في العدم، وقال في نفي الصفات عن البارئ مثل ما قاله أصحابه، وكذا القول في القدر والسمع والعقل .... الشهرستاني، الملل والنحل، (مراجع سابق)، ص 61 - 62. ينظر: عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 133 - 134. ينظر أيضاً: عبد القادر صالح، العقائد والأديان، ص 12.
- 2 - أبو الحسن الخياط، الانتصار، تحقيق نيرج، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1957م، ص 15 - 84.
- 3 - إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ط 02، القاهرة، ميمكو للطباعة والنشر، [د، ت]، ج 01، ص 80.
- 4 - أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي من أهل مرو سكن بغداد، وكان من متكلمي المعتزلة ثم فارقهم ورد عليهم ومات سنة 298 هـ). عبد القادر صالح، العقائد والأديان، ط 01، بيروت، دار المعرفة، 2003م، ص 156.
- 5 - ابن خنكان، وفيات الأعيان، ج 01، ص 94.
- 6 - إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج 01، ص 80.
- 7 - المرجع نفسه والجزء والصفحة.

ومن كتبه " الزمردة " ذكر فيه آيات الأنبياء عليهم السلام، كآيات إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ، فظعن فيها وزعم أنها مخاريق، وأن الذين جاؤوا بها سحرة ومحرفون، وأن القرآن من كلام غير حكيم وأن فيه تناقضا وخطأ وكلاما يستحيل، وجعل فيه بابا ترجمه " على المحمدية خاصة " يريد أمة محمد ﷺ (1).

وهو من أهم كتبه ويظهر فيه حماقاته الفكرية، وقد ضمنه إنكار الرسل وإبطال رسالتها وهذا الكتاب يعطينا فكرة عن مسألة النبوة، وكيف كانت تثار في ذاك العهد، وبقي مجهولا إلى زمن بعيد، ويرجع الفضل في التعريف به إلى المستشرق كراوس الذي اهتدى إليه في مخطوطة من المخطوطات الإسماعيلية الموجودة بالهند، وهذه المخطوطة ليست إلا جزءا من "المجالس المؤيدية" المنسوبة إلى المؤيد في الدين هبة الله بن أبي عمران الشيرازي، داعي الدعوة الإسماعيلية أيام الخليفة الفاطمي المنتصر بالله .

وفي المجلس السابع عشر من ائمة الخامسة إلى المجلس الثاني والعشرين، يعرض المحاضر أقوال ابن الراوندي في الطعن على النبوة ويعقب عليها بالنقد والرد، وهذه المجالس الستة هي التي نشرها كراوس وترجمها إلى الألمانية، وعلق عليها تعليقا إضافيا يدل على إطلاعه الواسع وبخه العميق، فهي لا تحوي كتاب "الزمردة" في مجموعه، بل فقرات منه تولى الإسماعيلية مناقشتها وإظهار ما فيها من خطأ ومغالطة، وقد صيغت هذه المناقشة في قالب مشوق جذاب .

ومن مكر ودهاء ابن الراوندي نجده يقف موقفا بعيدا عن التحيز، وهذا ليستميل إليه كل من يقرأ له، فلا يتعرض للنبوة بالإنكار أو النفي، بل يناقشها مناقشة حرة طليقة حيث يأتي على أقوال المثبتين والمنكرين، ويقول كراوس: «كم نأسف لأن صاحب المجالس المؤيدية أهمل جانب الإثبات في هذه القضية، على أن هناك ظاهرة أخرى تؤيد ما ذهب إليه ابن الراوندي من مكر ودهاء، حيث يعلن في أول بحثه أنه لا يعلم شيئا سوى أنه يردد أقوال جرت على ألسنة البراهمة في رد النبوات» (2).

والشخصية الثانية هي أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (3)، ولم يكن الرازي طبيبا وكيميائيا فحسب بل كان فيلسوفا، وكان حريصا على الحرص على أن يلقب كذلك، ولما أحس أن بعض معاصريه ينكرون عليه

1 - أبو الحسن الخياط، الانتصار، (مراجع سابق)، ص ص 11-12.

2- Kraus, Rivista. نقلا عن: إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج 01، ص 81 .

3 - هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي برع في الطب وأحد المشهورين في علم المنطق والهندسة وغيرها في علوم الفلسفة، كان تعلم الفلسفة وألف كتبا كثيرة أكثرها في الطب، كما كتب في المعارف الطبيعية والإلهية وقد توغل في العلم الإلهي وما فهم غرضه، فاضطرب رأبه وأخذ بآراء سخيفة، رد على الجاحظ في نقض الطب، وغيرها من الكتب الكثيرة والمتنوعة وتوفي =

ذلك، سارع إلى الرد عليهم، وبين في رسالة خاصة مميزات الفيلسوف العلمية والعملية محاولاً أن يطبقها على نفسه<sup>(1)</sup>.

لئن كان الرازي فيلسوفاً وأخذ من الفلسفة الإغريقية مثلما أخذ أقرانه من فلاسفة الإسلام، إلا أنه يفتقر عنهم في نواح كثيرة فهو يهاجم أولاً أستاذهم وزعيمهم أرسطو، ويخرج عن كثير من نظرياته الطبيعية والميتافيزيقية، ويبالغ ثانياً على العكس منهم في التعلق بأهداب الآراء المزدكية والمانوية، والمعتقدات الهندية وينكر أخيراً كل الإنكار محاولتهم التوفيق بين الفلسفة والدين، ويرى أن الفلسفة هي السبيل الوحيد لإصلاح الفرد والمجتمع، وأن الأديان مدعاة للتنافس والتطاحن والحروب المتتالية، وقد كتب كتابين عددهما البيروني من الكفریات وهما "مخاريق الأنبياء أو حيل المتنبئين" و"نقض الأديان أو في النبوات"<sup>(2)</sup>.

والكتاب الثاني وصلنا عن طريق غير مباشر في "كتاب أعلام النبوة"، لأبي حاتم الرازي (ت 330 هـ) وأبو حاتم من أكبر دعاة الإسماعيلية، من الذين أبلوا بلاء حسناً في الرد على الرازي ومن تحامل على النبوة والدين وكان معاصراً للرازي ودارت بينهما مناقشات حادة، حضرها بعض العلماء والرؤساء والسياسيين. وكتاب "أعلام النبوة" يقفنا على الاعتراضات الرئيسية التي وجهها الرازي إلى النبوة وأثرها الاجتماعي، وهذه الاعتراضات في مجملها تقترب بعض الشيء من الاعتراضات التي أثارها ابن الراوندي من قبل، وكأن تعاليماً هندية ومانوية اختفت وراء حملتها، ونحن نعلم من جهة أخرى أن الرازي يقول بالتناسخ الذي عرفت به السمنية من الهنود، ويتشيع للمانوية الذين كانوا يدسون في غير ملل للإسلام ومبادئه، ولا يبعد أن يكون قد وقف على نقد الإغريق للديانات على اختلافها، وسواء أكان الرازي متأثراً بعوامل أجنبية أم معبراً عن آرائه الشخصية، فإنه يصرح بأن الأنبياء لا حق لهم في أن يدعوا لأنفسهم ميزة خاصة، عقلية كانت أو روحية فإن الناس كلهم سواسية، وعدل الله يقضي بالألأ يمتاز واحد على آخر<sup>(3)</sup>.

وكان يقول: «قول الثانوية وأن البارئ خالق الخيرات، وإبليس خالق الشرور وعنده أن القلم خمسة: البارئ، والزمان، والخلاء، والهيولى، وإبليس. وعنده أن العالم محدث فقيل له: فما العلة في إحدائه؟ فقال: إن النفس اشتتهت أن تحبل في هذا العالم، وحركتها الشهوة لذلك ولم تعلم ما يلحقها من الوبال إذا حبلت

= قريبا من (سنة عشرين و ثلاثمائة). التفتي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (مرجع سابق)، ص 178.

1 - الرازي، السيرة الفلسفية. نقلا عن: إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج 01، ص 84.

2 - البيروني، رسالة في فهرسة كتب محمد ابن زكريا. نقلا عن: المرجع نفسه والجزء، ص 85.

3 - المرجع نفسه والجزء، ص 86 - 87.

فيه، فاضطربت وحركت الهيولى حركات مشوشة مضطربة على غير نظام، وعجزت عما أرادت فأغفلنا البريء على إحداث هذا العالم، وحملها على النظام والاعتدال، وعلم أنها إذا ذاقت وبال ما اكتسبت عادت إلى عالمها وسكن اضطرابها، وزالت شهواتها واستراحت فأحدثت هذا العالم بمعاونة البريء لها»<sup>(1)</sup>.

ولم يسكت المسلمون على تهجم الرازي وابن الراوندي من قبله على الأديان والنبوات، فقام عنماء للرد على اختلاف مذاهبهم الفكرية فأبو علي الجبائي الكبير (ت 303 هـ)، وابنه أبو هاشم (ت 324 هـ) واخياط في كتابه "الانتصار" وكله ردود على ابن الراوندي، وأبو الحسن الأشعري (ت 324 هـ) ومحمد بن الهيثم الفلكي والرياضي (ت 430 هـ)، إلا أن الإسماعيلية بوجه خاص بذلت جهدا صادقا، ومعظم الردود على منكري النبوة إنما وصلت عن طريقهم، وليس هذا بالغريب لأن الإسماعيلية في تعاليمها الدينية ومبادئها السياسية تقوم على النبوة وتعتمد عليها<sup>(2)</sup>.

ولم يكن فقط أولئك الذين قاموا بالدفاع عن حوض النبوة، بل هناك فلاسفة شاركوا معاصريهم في الرد على الزندقيين - ابن الراوندي والرازي - ومن بينهم الفارابي (ت 339 هـ)، الذي عاصرهما، ويروي لنا المؤرخون أنه كتب ردين أحدهما على ابن الراوندي، والآخر على الرازي إلا أنهما لم يصلنا إلينا<sup>(3)</sup>، إلا أن ابن أبي أصيبعة يذكر أن الفارابي كتب كتابا في الرد على ابن الراوندي في آداب الجدل، والقفطي يعد هذا كتابين أحدهما في آداب الجدل والآخر على ابن الراوندي<sup>(4)</sup>، وعد البعض أن أول من ناظر ابن الراوندي هو الفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندي<sup>(5)</sup> (ت 260 هـ) ويذكر ابن أبي أصيبعة له كتابا عنوانه "كلام له مع ابن الراوندي في التوحيد"<sup>(6)</sup>.

ولم يظل الفلاسفة الحديث في الرد على منكري النبوة اكتفاء منهم بأدلة الإثبات التي أوردوها، لاقتناع

1 - ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ط 01، بيروت، دار الفكر، 2003م، ج 02، ص 555.

2 - إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ص 88 - 89.

3 - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 608.

4 - القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 183.

5 - الكندي هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي فيلسوف العرب وأول فلاسفة الإسلام واشتهر بالبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية، له تصانيف كثيرة من بينها كتاب "في الرد على الثانوية"، كتاب "نقض مسائل الملحديين"، كتاب "تنبيه الرسل عليهم السلام". المرجع نفسه، ص 240 - 247. ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 285 - 293.

6 - المرجع السابق، ص 292.



هؤلاء، إذ تنطوي هذه الأدلة مع تقريرها مبدأ النبوة على الرد على شبهة الملحدين ضمنا، وهذه سمة غالبية في كتابات الفلاسفة عموما يختلفون فيها عن علماء الكلام، فبينما يهتم علماء الكلام كثيرا بإيراد شبه الخصوم وأدلتهم ويعمدون إلى نقضها، بل ربما يستطردون في ذلك فيفزعون من عند أنفسهم بتفريعات جانبية طويلة، ويوردون احترازات كثيرة يتوهمون أو يتوقعون منها أنها تثير شبهة ومعارضة، وينزعمون أنفسهم الرد عليها وإبطالها حتى أضحي كلامهم في نقض آراء الخصوم، أخصب من كلامهم في تقرير عقائدهم وإثباتها، بينما يهتم علماء الكلام بذلك، فنجد الفلاسفة على العكس منهم، عندما يعنون بتقرير مبادئهم وعقائدهم مضمينين التقرير أو الإثبات، ما عساه أن يتعلق به الخصم من اعتراض أو شبهة، لأن إقناع الخصم عندهم عن طريق الإثبات والتقرير أفضل من إقناعه عن طريق إيراد الشبهة والرد عليها، لأن الحديث فيها كثيرا ما ينقلب إلى نوع من السفسطة والقول العقيم، على أن من لم يقتنع بأدلة الإثبات لم يجد عنده رد شبهة أو إبطال اعتراض، إذ أن هذه الشبهة أو الاعتراض كثيرا ما تكون وهمية أكثر منها حقيقية، وكثيرا أيضا ما يقصد بإيرادها التعنت والإلزام لا اقتفاء الحقيقة والوصول إليها، ولذلك كان الانصراف عنها إلى الإثبات أولى وأفضل .

وثمة أمر آخر يجعل الاشتغال بالإثبات أفضل من الاشتغال بإبطال الشبهة والاعتراض، وهو أنه كثيرا ما يعي الإنسان تقرير الشبهة، ولا يعي الرد عليها لسبب أو لآخر فتفوت الفائدة ويبطل الغرض<sup>(1)</sup> . غير أن الفارابي لم يكن في رده على الملحدين بردود سلبية، لا يمنحها أسلحة نستعين بها على هجمات المستقبل، ولهذا أجهد نفسه في أن يقيم رده على دعائم عقلية ويفسر تفسيراً علمياً، وهذا ما سنبينه في الصفحات المقبلة .

وكان من الذين أثبتوا جدارتهم في الذود عن صرح النبوة ابن حزم الأندلسي (ت 465 هـ)، حيث أفرد لها في الجزء الأول عدة صفحات لإثباتها ودحض شبه المنكرين لها .

### 3- في القرون الوسطى وعصر التنوير :

كان موقف الغرب من الإسلام في تلك الفترة موقفاً ينطوي على بعض الإعجاب المتزج بالشعور بالهبة أمام قوة الإسلام وحضارته، إلا أن الخوف كان هو السائد والمسيطر على نفوسهم .

حيث كان الغرب ينظر إلى الإسلام على أنه يمثل خطراً حقيقياً على عقيدتهم وحضارتهم وقيمهم

فمنذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) كانت قوة الإسلام المتكاملة (سياسيا وحربيا وثقافيا وروحيا) في نمو مطرد وانتشار مستمر، وخلال القرون الثلاثة الأولى شملت الفتوحات الإسلامية بلادا كثيرة، ومناطق شاسعة، ذات أهمية حيوية، كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية المسيحية، ومنها الشام ومصر والمغرب وأسبانيا (الأندلس) وصقلية وبعض أجزاء فرنسا .

وامتد الزحف الإسلامي تدريجيا إلى شبه القارة الهندية وإندونيسيا والصين في آسيا بالإضافة إلى امتداده إلى أفريقيا .

ولم تكن الفتوحات الإسلامية مجرد فتوحات حربية، بل كانت في كثير من جوانبها فتوحات حضارية وعقائدية فقد دخل كثير من الناس، وكثير من المسيحيين أنفسهم في الإسلام وفقدت المسيحية أعداد كبيرة من أتباعها الذين اختاروا الدخول في الإسلام، وبخاصة في البلاد التي كانت خاضعة للإمبراطورية الرومانية. وتضافر الخوف على الإسلام مع الجهل به والحقد عليه في تكوين صورة مشوهة عنه في أوروبا في القرون الوسطى، واستمرت هذه الصورة في جوهرها حتى العصر الحاضر، بل بقيت هي الصورة السائدة في الدراسات الإستشراقية وفي وسائل الإعلام حتى اليوم .

ويشير المستشرق مونتغمري وات إلى أن أهم العناصر التي كونت الصورة المشوهة هي:

- أن العقيدة الإسلامية تحتوي على انحرافات (عن العقيدة المسيحية) وأن الإسلام دين عنف، وأنه انتشر بالسيف .

- وأنه دين يدعو إلى الانغماس في الشهوات، وخاصة الشهوات الجنسية .

- وأن في شخصية محمد ﷺ ضعفا أخلاقيا (بالنسبة إلى النساء، وهي إشارة إلى فرية الشهنوية) .

- وأن محمد ﷺ مؤلف دين زائف .

ولهذه الأسباب يجب أن يعتبر محمد ﷺ أداة في يد الشيطان، بل إن المسيحيين في القرون الوسطى كانوا يحرفون اسمه ﷺ (عمدا) فيدعونه (ماهوند MAHOUND)<sup>(1)</sup> أي الشيطان، وكانت هذه الصورة المشوهة عن الإسلام هي بداية الإستشراق .

1 - مونتغمري وات، الإسلام والمسيحية اليوم، إسهام في الحوار. نقلا عن: أحمد عبد الحميد غراب، الإستشراق، لندن، انتدى الإسلامي، [د، ت]، ص 25 .

وكان من الواضح أن نشر هذه الصورة المشوهة عن الإسلام أهداف من أهمها هدفان:

الهدف الأول: الحيلولة دون انتشار الإسلام بين الأوربيين، كما انتشر بين غيرهم من الشعوب .

الهدف الثاني: وهو الأهم، تشكيك المسلمين أنفسهم في دينهم، ومحاولة ردهم عنه، بواسطة التنصير<sup>(1)</sup> .

إن رواد المستشرقين من الكتاب المسيحيين الغربيين في القرون الوسطى وعصر النهضة يجمعون على

وصف الرسول ﷺ بالكذب، وادعاء الوحي، وأنه مبتدع للإسلام، ومؤلف للقرآن، ومن ثم ينسبون إليه

الإسلام فيقولون: «المحمدية»، كما ينسبون المسيحية للمسيح ﷺ .

وهذه الفرية تفرعت عنها افتراءات أخرى عديدة وقبيحة: منها وصفه ﷺ بالساحر والشهواني والسداعي

إلى الإباحية والغادر والعنيف وناشر الإسلام بالسيف، وأن الإسلام نفسه نوع من الهرطقة(البدعة) .

وينقل أحد الكتاب الغربيين صورة محمد ﷺ في مخيلة المغرضين من أبناء ملته فيقول سذرن: « فيما يتعلق

ب حياة محمد كان لدى الكتاب الغربيين(في القرون الوسطى) قليل من الحقائق نقلوها عن الكتاب البيزنطيين،

وهي تدور حول زواجه بأرملة ثرية، وعن نوبات صرعه، وخلفيته النصرانية. وهكذا شيد صرح هائل فوق

أساس واد لا يمكن ربطه بأي تسلسل تاريخي. وعندما سئل الكتاب اللاتين في بداية الأمر: أي نوع من

الرجال كان محمد؟ ولماذا كان ناجحاً؟ أجابوا: بأنه كان ساحراً هدم الكنيسة في أفريقيا بالسكر والمكسر،

وثبت نجاحه بإباحة الاختلاط الجنسي...»<sup>(2)</sup>.

كما نجد رجلاً من كبار رجال الدين والفكر المسيحي في القرون الوسطى، وهو القديس توما الإكويني

(1226م-1274م)، يصف الإسلام بأنه دين زائف وهرطقة، وأنه يحتوي على الشهوانية، وأن نبوة

محمد ﷺ لم تؤيد بالمعجزات<sup>(3)</sup>.

كما نجد شاعراً مسيحياً مشهوراً وهو دانتي(1265م-1321م) يمثل التعصب المسيحي الحاقداً على

الإسلام وعلى رسوله ﷺ. ففي " الكوميديا الإلهية " يضع الرسول الكريم ﷺ في أعماق الجحيم، ويصوره في

صورة بلغت من القبح والحقد والثوم درجة يعف القلم واللسان لأي إنسان - كرمه الله بالإنسانية - عن

1 - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (مرجع سابق)، ج1، ص88 . ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ص403.

ينظر أيضاً: عبد القادر صالح، العقائد والأديان، ص74 .

2 - سذرن، وجهات النظر الغربية عن الإسلام في القرون الوسطى. نقلا عن: أحمد عبد الحميد غراب، الإستشراق، ص29 .

3 - مونتغمري وات، تأثير الإسلام في أوروبا في العصر الوسيط. نقلا عن: المرجع نفسه، ص30 .

وفي سنة (1697م) نشر في فرنسا معجم تاريخي إستشراقي ضخم بعنوان (المكتبة الشرقية Bibliotheque Orientale)، كان يعد من أشهر المراجع الأوربية عن الشرق وتاريخه حتى القرن التاسع عشر، وما يزال يحظى بالإعجاب والثناء من المستشرقين المعاصرين حتى اليوم.

والمعجم يقسم التاريخ البشري إلى قسمين:

أ- قسم مقدس: يضم تاريخ اليهود والنصارى .

ب- قسم غير مقدس: يضم تاريخ المسلمين .

وتحت اسم محمد ﷺ يقول المعجم: « هذا هو الأفاك المشهور محمد، مؤسس المراطقة التي سميت ديننا، والتي ندعوها (المحمدية).... إن مفسري القرآن، وعلماء المسلمين في الشريعة الإسلامية أو المحمدية، قد أضفوا على هذا النبي الكاذب كل صفات الثناء التي أضفاها المراطقة (المسيحيون) على المسيح، بينما جردود من صفات الألوهية<sup>(2)</sup> .

وفي القرن السابع عشر ظهر أيضا كتاب واسع الشهرة في الغرب، وهو من تأليف همفري بريدو عن حياة محمد ﷺ وجعل عنوانه الفرعي: الطبيعة الحقيقية للدجل<sup>(3)</sup> .

#### 4- في العصر الحديث :

إن التشكيك في النبوة كان قديما واستمر إلى عصرنا الحاضر (الحديث)، وكان يسير في مسارين: المسار الأول: هو إنكار الدين ومن ثم إنطال النبوات عموما، أيا كانت وفي أي دين سماوي، ولهذا لم يكن هناك جنس معين من منكريها - النبوة - حيث اشترك فيها المسيحي واليهودي والعربي: وهؤلاء مانسميهم بالملاحدة أو الدهرين، كما يطلق عليهم الأفغاني<sup>(4)</sup>، وهذا الإتجاه ينكر الأديان وما تحمله من معتقدات كالنبوة وغيرها، لأنه يرى فيها تقييدا لرغباته وشهواته وحرية تصرفاته وكتبا لظموحاته الجنسية والنفسية، التي يقف أمامها الدين بمجموعة من القيود والتشريعات حفاظا على القيم الإنسانية النبيلة من أن تتحول إلى قيم هي أقرب إلى الحيوانية، وقد ظهر هذا الإتجاه أولا في أوروبا الشرقية عن طريق الحركة

1 - داني، الكوميديا الإلهية، نقلا عن: أحمد عبد الحميد غراب، الإستشراق، (مرجع سابق)، ص 29 .

2 - إدوارد سعيد، الإستشراق. نقلا عن : المرجع نفسه، ص 30 .

3 - إدوارد سعيد، الإستشراق. نقلا عن : المرجع نفسه، ص 31 .

4 - حسن حنفي، جمال الدين الأفغاني، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م، ص 47 .

الماركسية الشيوعية، حيث اعتبر - هذا الإتجاه - أن سبب تعاسة الشعوب وشقائها هو الدين لأنه حرّمها من الحرية والتعبير عن رغباتها، وسلط عليها رجال الدين والملوك خدمة لمآربهم الشخصية، وفعلا أن هؤلاء أساءوا للشعوب المسيحية كثيرا، ولهذا لما انتفضت على الأوضاع البائسة اتجهت لأوئك فأسقطت مؤسساتهم ونفوذهم وأخرجتهم من الحياة العامة وحتى الخاصة، وبهذا أصبح هناك وضع جديد لا سيطرة ولا أهمية لرجال الدين والملوك في أوروبا خاصة .

وقد انتقلت آثار هذا الإتجاه إلى عموم بلاد العرب والمسلمين، فتأثرت مجموعة من المثقفين والشباب أصحاب الشهادات العلمية والذين درسوا في غير بلاد المسلمين، حيث أنكروا القيم الأخلاقية والدينية التي تربط نسيج المجتمع وتحافظ على تماسكه ووحدته .

ولأن شعوب هذه البلدان كانت تحت استعمار غربي متوحش سلط عليها جميع وسائل القهر والتنكيل ومصادرة الحرية والاستقلال وعدم التنعم بخيرات بلدهم، فكانت ردة الفعل أن ارمى أوئك في أحضان المعسكر الشرقي وأخذ ما عنده من غث وسمين دون فرز وتنقيب، فكان الأمر أن أنكر القيم الدينية وحسب أسس الدين تمشيا مع الملاحظة في دعواهم، فدعوا إلى حرية المرأة ورفض القوانين والتشريعات المتعلقة بالأسرة خاصة، وغيرها من الصيحات، ولم يكن إنكار تلك المجموعة - المثقفين والشباب - بحثا عن الحقيقة أو قناعة بتلك الفكرة التي اعتنقتها، بقدر ما كان الأمر التخلص من الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وحتى الأعراف التي توارثها الآباء عن الأجداد والتي لا تمت بأي صلة للدين .

ولم تكن حملة الإنكار للدين قادمة من الشرق الشيوعي، بل إن الدول الإستعمارية استأجرت أعلاما للهجوم على الإسلام ثم على الأديان عموما، ففي الهند شجع الإنجليز أحمد خان بهادور على تأليف كتاب يثبت فيه أن التوراة والإنجيل ليسا محرفين، غير أنه انقلب على ذلك وأصبح يعتنق المذهب الدهري (الطبيعي)، وأصبح ينشر بأن لا وجود إلا الطبيعة العمياء دون إله حكيم، وجميع الأنبياء كانوا طبيعيين، ومن ثم يمكن التخلص من الدين وبالتالي من الجهاد، ودفع المسلمين إلى الشهوات، وقد بنى له الإنجليز مدرسة عليكرة وسميت بمدرسة المحمدين لنشر الدعوة، ويرى أن أوروبا لم تتقدم إلا بعد أن تخلت عن الدين وأخذت بالمذهب الطبيعي، وقد تخرج على يديه تلاميذ ينشرون الإلحاد في الهند<sup>(1)</sup> .

وكل ذلك كان تحت تأثير المزيمة النفسية وعن طريق الغزو الثقافي الغربي بشقيه (الشيوعي والليبرالي) .

المسار الثاني: هو إنكار نبوة بعينها وليس كل نبوات الأديان السماوية وأقصد بذلك نبوة محمد ﷺ، وهذا الإتجاه أكثر شراسة وأقوى سلاحا، لأنه هياً لنفسه مجموعة ضخمة من الباحثين الغربيين (يهودا كاثولوا أو مسيحيين) - مستشرقين - وهيئات مخططة ومنفذة ودول داعمة ووسائل إعلام بمختلف ألوانها وأشكالها تنشر سمومه على نطاق واسع بين صفوف المسلمين، والقصد من ذلك تشكيكهم في عقيدتهم وفي مصدرها القرآن والنبوة، وغير المسلمين لتشويه صورة الإسلام وشخص النبي ﷺ، وهذا لكي لا يصلوا إلى الحقيقة ومعرفتها .

وقد رافق هذا الإتجاه المرحلة الإستعمارية التي اجتاحت دول العالم الإسلامي، واستخدم المستعمر في ذلك أشدّ الوسائل فتكا بعقيدة الأمة وقيمها وهما : الإستشراق والتبشير .

وكان هدف الأول (الإستشراق) تشكيك المسلمين في دينهم ونبئهم وقيمهم، وسلخهم ثقافيا وسوكيا وروحيا، ولنا أمثلة عدة عن سموم هؤلاء المستشرقين في مجال الشك في نبوة محمد ﷺ والنيل من شخصه وهذه الأمثلة على سبيل التمثيل وليس الحصر:

- فالمستشرق جوستاف فيل في كتابه عن "محمد النبي" (1843م) يزعم أن ما كان يتاب الرسول ﷺ مما يشبه الحمى، وما كان يسمعه من صوت كصلصلة الجرس ليس وحيا، وإنما هو نوبات صرع واضطرابات عصبية.

- المستشرق وليام موير في كتابه عن "حياة محمد" (1858م-1861م) يصف الرسول ﷺ بأنه نبي كاذب، ويزعم أنه تحول من واعظ تقي في مكة إلى سياسي طموح في المدينة، وقد ربط نفسه بالشیطان من أجل النجاح الدنيوي .

ويكشف هذا المستشرق عن موقفه من الإسلام ورسوله فيقول: «أن سيف محمد والقرآن هما ألد الأشياء عداوة للحضارة والحرية والحق مما لم يعرفه العالم حتى الآن»<sup>(1)</sup> .

- المستشرق أليوس سيرنجر في كتابه عن "حياة محمد وتعاليمه" (1861م) يزعم أن الرسول ﷺ كان مصابا بالصرع والهستيريا معا .

- المستشرق صمويل مرجليوث في كتابه عن "محمد وظهور الإسلام" (1905م) يزعم أن الرسول ﷺ بادعائه الوحي قد ضلل الناس عمدا .

1 - إدوارد سعيد، الإستشراق، نقلا عن: أحمد عبد الحميد غراب، الإستشراق، (مراجع سابق)، ص ص 38-39 .

- المستشرق جب يؤولف كتابا كاملا عن الإسلام يسميه المحمدية (1947م).

- تاريخ الإسلام لجامعة كامبردج ( CAMBRIDGE HISSTORY OF ISLAM )

كتاب ضخم اشترك في تأليفه عدد كبير من المستشرقين، صدر في جزئين سنة (1970م)، يردد ما زعمه جميع المستشرقين منذ نشوء الإستشراق حتى اليوم، وهو أن الإسلام مزيج ثقافي مستعار من عدة ثقافات أخرى يهودية ونصرانية، يونانية وفارسية، بالإضافة إلى ثقافة بيئته الأصلية وهي البيئة العربية الجاهلية<sup>(1)</sup>.

وهذا الإتجاه استطاع أن يؤثر في بعض الأقلام دون قصد منهم، في تمرير بضاعتهم الفكرية والسلوكية، تأثرا بالمناهج العلمية التي يدعو لها أصحاب هذا الإتجاه، وقد أنكر كثير من المفكرين وعلماء الإسلام أشد التّكبر على أصحاب المدرسة الإصلاحية التي ظهرت في مصر، وكان من أتباعها الشيخ محمد عبده وغيره، حيث جنحوا إلى الإتجاه، الذي يفسر الأحداث الغيبية في السيرة النبوية تفسيراً مادياً، «و اقتضى منهم ذلك أموراً عديدة، منها تطوير كتابة السيرة النبوية وفهمها، واعتماد منهج جديد في تحليلها، يتفق وما استهدفوه من الإعراض عن كل ما يدخل في نطاق الغيبيات والخوارق التي لا يقف العلم الحديث منها موقف فهم أو قبول»<sup>(2)</sup>.

وقد ظهرت في تلك الحقبة وما تلاها بقليل في مصر كتابات في السيرة النبوية، مثل كتاب "حياة محمد" لحسين هيكل، وهو أبرز نموذج لهذا الإتجاه في كتابة السيرة النبوية، ويعبر مؤلفه عن اتجاهه هذا بصراحة وفخر عندما يقول: « إنني لم آخذ بما سجلته كتب السيرة النبوية والحديث، لأنني فضلت أن أحرر في هذا على الطريقة العلمية»<sup>(3)</sup>.

ومن نماذج هذه الطريقة الحديثة في كتابة السيرة النبوية وفهمها، المقالات التي كان يكتبها الأستاذ محمد فريد وجدي في مجلة "نور الإسلام" تحت عنوان "السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة" والتي يقول في بعض منها: « وقد لاحظ قراؤنا أننا نحرص كل الحرص فيما نكتبه في السيرة على ألا نسرف في كل ناحية إلى ناحية الإعجاز، ما دام يمكن تحليلها بالأسباب العادية حتى ولو بشيء من التكلف»<sup>(4)</sup>. وكذلك كتاب

1 - تاريخ الإسلام لجامعة كامبردج، نقل عن: أحمد عبد الحميد غراب، الإستشراق، (مرجع سابق)، ص 39.

2 - محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، الجزائر، دار الشهاب للطباعة والنشر، [د، ت]، ص 26.

3 - المرجع نفسه، ص 27.

4 - المرجع نفسه والصفحة.

وبسبب هذه الطريقة أخذ هؤلاء استبعاد كل ما يخالف المألوف، مما يدخل ضمن المعجزات والخوارق من سيرته ﷺ، وراحوا يروجون لصفة العبقرية والبطولة، وهذا شغلا للقارئ بها عن صفات قد تجره إلى غير المألوف من النبوة والوحي والرسالة، ونحوها مما يشكل المقومات الأساسية لشخصية النبي ﷺ .

ولهذا نجد أبطال هذه المدرسة الإصلاحية يؤولون كل خارقة جاءت بمتواتر السنة وربما بصريح القرآن، ولو بتكلف وتمحل، فطير الأبايل يؤول- على الرغم من صريح الآية- بداء الجدرى، والإسراء الذي جاء به صريح القرآن يحمل على سياحة الروح وعالم الرؤى، والملائكة الذين أمد الله المسلمين بهم في غزوة بدر الكبرى يؤولون بالدعم المعنوي الذي أكرمهم الله به<sup>(1)</sup>.

إن إفراغ الإسلام من حقائقه الغيبية، إنما يعني ضرب للوحي الإلهي، لأنه ينبوع الإسلام ومصدره، ويعدّ قمة الخوارق والحقائق الغيبية، ولا ريب أن الذي يسرع إلى رفض ما قد جاء في السيرة النبوية من الخوارق، بحجة اختلافها عن مقتضى سنن الطبيعة ومدارك العلم الحديث، يكون أسرع إلى رفض الوحي الإلهي كله بما يتبعه ويتضمنه من اخباراته من النشور والحساب والجنة والنار بالحجة الطبيعية ذاتها<sup>(2)</sup>. وهو بهذا يضرب النبوة في الصميم .

ويحاول رواد هذه المدرسة، من مفكرين وعلماء معتمدين، أن يدافعوا عن المستشرقين في العصر الحديث خاصة، جاهدين إظهار هؤلاء في صورة مختلفة عن أسلافهم من مستشرفي القرون الوسطى وعصر التنوير، ويزعم هؤلاء أن المستشرقين في هذا العصر قد تخلّوا- إلى حد كبير- عن ذلك الموقف القلبي الذي كان يتسم بالتعصب والعداء، والذي كان يقصد الإسلام ونبيه دائما بالتشويه والظعن، وأنهم قد اتخذوا موقفا جديدا من الإسلام هو موقف الدارسين الموضوعيين الأمناء .

لكن الحقيقة غير ذلك وهو ما يؤكد أحد أقطاب الإستشراق إدوارد سعيد، أن الصورة المشوهة للإسلام والعرب مازالت مستمرة في الدراسات الإستشراقية وفي وسائل الإعلام في الغرب بوجه عام، وفي أمريكا بوجه خاص، وقد استشهد على ذلك بأمثلة كثيرة حفل بها كتابه وانتهى إلى التأكيد بأنه مازالت « تنشر الكتب والمقالات باستمرار عن الإسلام والعرب وهي لا تختلف إطلاقا عن الجدل الخبيث المعادي

1 - محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، (مرجع سابق): ص 28 .

2 - المرجع نفسه، ص 29 .



للإسلام في القرون الوسطى وعصر النهضة»<sup>(1)</sup>، وقد ضربنا لذلك عدة أمثلة في الصفحة قبل الماضية .

ويزداد الأمر تأكدا الحملة الإعلامية التي تقوم بها الصحف الغربية في يومنا هذا، حيث صورة الرسول الكريم ﷺ، في صور كاريكاتورية مشوهة لشخصه، وذلك في إحدى الصحف الدانماركية والفرنسية وغيرها من صحف بلدان الدول الأوروبية، وهذا إهانة لمشاعر المسلمين عبر العالم، ولم يكن هذا العمل عبثا وعشوائيا، بل كان مخططا، والدليل على ذلك أن حكومات بلدان تلك الصحف لم تقم بتجريم تلك الصحف ولا كاتب تلك الصور بل قامت بحمايته خشية أن يتعرض صاحبه للانتقام المسلمين، ولا اعتذرت لهم عن تلك الإساءة، بحجة أن الصحافة في بلادهم لها الحرية الكاملة في أن تنتقد من تشاء دون ضابط أخلاقي أو مهني، وأنه ليس هناك قيم مقدسة بحيث يجب فيها مراعاة مشاعر الناس أو الأعداء مهما كانوا، لأن منطق الحضارة الغربية أن الحرية مكسب تاريخي يجب الحفاظ عليه والدفاع عنه، لأن أوروبا دفعت في سبيله الغالي والثمين، ولهذا فكل إنسان معرض للتجريح .

والواقع في حياتهم مغاير لهذا المنطق، لأننا نجد من يتعرض للمحرقة اليهودية بالإنكار أو حتى التشكيك فيها فإنه يجرم ويفرم، ولهذا وقع كثير من كتّابهم - المنكرون والمشككون منهم - في قفص الاتهام وأحيلوا إلى القضاء، من أمثال المفكر الفرنسي روجيه جارودي وغيره .

والثاني (التبشير) هو إدخالهم إلى المسيحية وليس هذا حيا لهم في الدخول إلى المسيحية، أو على الأقل إخراجهم من دينهم إلى دين آخر، وهذا يضمنون عدم يقظة شعوب تلك البلدان وانتفاضتهم عليهم بالجهاد، لأنهم قتلوا فيهم روح الدفاع عن دينهم وقيمهم وأرضهم. وبهذا العمل والجهود الضخم يسهل عليهم السيطرة على الدول المستعمرة وضمها لهم، ونهب ثرواتها والترويج لسلعهم فيها .

#### خامسا - شبهات المشككين والمنكرين والرد عليها :

ذكرنا آنفا أن مشركي العرب هم أول من أثار الشك وإنكار النبوة الخمدية. وقد ذكر القرآن نوعا من افتراءهم كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾<sup>(2)</sup>، وقد رد الإمام فخر الدين الرازي<sup>(3)</sup> على تلك الشبهة التي أظهرها القرآن، بقوله: «إنه يعلم كل عاقل أنه - عليه الصلاة

1 - إدوارد سعيد، الإستشراق، نقلا عن: أحمد عبد الحميد غراب، الإستشراق، (مرجع سابق). ص 37 .

2 - سورة الفرقان : 04 .

3 - هو محمد بن عمر بن الحسين أبو الفضل القمر الرازي، المعروف بابن الخطيب قرأ عنه الأوتس وأجادها وحقق عنه الأصول. وقرأ تصانيف ابن سينا والفارابي ورحل إلى جهات كثيرة طلبا للعلم، وله عدة تصانيف في الأصول والمنطق وتفسير القرآن. =

والسلام- تحداهم بالقرآن، وهم النهاية في الفصاحة وبلغوا في الحرص على إبطال أمره كل غاية. حتى أخرجهم ذلك إلى ما وصفوه به في هذه الآيات، فلو أمكنهم أن يعارضوه لفعّلوا، ولكن أقرب إلى أن يبلغوا مرادهم فيه مما أوردوه في هذه الآية وغيرها، ولو استعان محمد ﷺ في ذلك بغيره لأمكنهم أيضا أن يستعينوا بغيرهم، لأن محمد ﷺ كأولئك المنكرين في معرفة اللغة وفي المكنة من الاستعانة، فلمّا لم يفعلوا ذلك والحالة هذه علم أن القرآن قد بلغ النهاية في الفصاحة وانتهى إلى الإعجاز، ولما تقدمت هذه الدلالة مرات وكرات في القرآن، وظهر بسببها سقوط هذا السؤال ظهر أن إعادة هذا السؤال بعد تقدم هذه الأدلة الواضحة، لا يكون إلا للتمادي في الجهل والعناد فلذلك اكتفى الله في الجواب بقوله: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾.

والشبهة الثانية لما قالوا: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾<sup>(1)</sup>، ذلك لما عجزوا عن الإتيان بمثله ثبت أنه وحى الله وكلامه ولذا قال: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾<sup>(2)</sup>، وذلك لأن القادر على تركيب ألفاظ القرآن، لا بد أن يكون عالما بكل المعلومات ظاهرها وخافيتها من وجوده، أحدها أن مثل هذه الفصاحة لا تأتي إلا من العالم على ما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(3)</sup>.

وأن القرآن مشتمل على الأخبار عن العيوب، وذلك لا يأتي إلا من العالم بكل المعلومات، واشتماله على الأحكام التي هي مقتضية لمصالح العالم ونظام العباد، وذلك لا يكون إلا من العالم بكل المعلومات، لاشتماله على كل أنواع العلوم وذلك لا يتأتى إلا من العالم بكل المعلومات، فلما دل القرآن من هذه الوجوه على أنه ليس إلا كلام العالم لكل المعلومات، لا جرم اكتفى في جواب شبههم بقوله: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾<sup>(4)</sup>.

= ومن تصانيفه كتاب تفسير القرآن الكبير، وسماه "مفاتيح الغيب"، وتفسير القرآن الصغير سماه "أسرار التنزيل وأنوار التأويل"، وكتاب "نهایة العقول"، وكتاب "المحصل في علم الأصول"، وكتاب "الملخص في الحكمة"، وكتاب "لباب الإشارات" وغيرها من التصانيف الكثيرة والمتنوعة. القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (مرجع سابق)، ص 190. ينظر أيضا: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمد الطناجي، ج 08، ص 81.

1 - سورة الفرقان : 05 .

2 - سورة الفرقان : 06 .

3 - سورة النساء : 81 .

4 - سورة الفرقان : 06 .

الشبهة الثالثة: وهي في نهاية الركابة، ذكروا له صفات خمسة فزعموا أنها تخل بالرسالة .

أحدها: قولهم ﴿ قَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ﴾

ثانيا: قولهم ﴿ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾

ثالثا: قولهم ﴿ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ تَذِيْرًا ﴾

رابعا: قولهم ﴿ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتْرٌ ﴾

خامسا: قولهم ﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾

وأخيرا: قولهم ﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾<sup>(1)</sup> .

فأجاب الله عن هذه الشبهة من وجوه أحدها قوله: ﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا

يَسْتَطِيعُونَ سَبِيْلًا ﴾<sup>(2)</sup>، وبيان هذا أن الذي يتميز الرسول به عن غيره هو المعجزة، وهذه الأشياء التي

ذكروها لا تقدح شيئا منها في المعجزة، فلا يكون شيء منها قادحا في النبوة فكأنه تعالى قال انظر كيف

اشتغل القوم بضرب هذه الأمثال التي لا فائدة منها، لأجل أنهم أرادوا القدح في نبوتك فلم يجدوا إلى القدح

فيه سبيلا البتة، إذ الطعن عليه إنما يكون بما يقدر في المعجزات التي ادعاها لا بهذا الجنس من القول»<sup>(3)</sup> .

ولم يقتصر التشكيك وإنكار النبوة من جانب مشركي العرب، بل تعداه إلى طوائف وأمم أخرى مثل

الدهرية والبرهية، وزعموا أيضا أن الرسل قد وردوا بإباحة ما حظره العقل، من ذبائح البهائم وإيلام

الحيوان بلا ذنب<sup>(4)</sup>، وقالوا: « ليس بحكيم من أرسل إلى من يعلم من يكذب رسوله »<sup>(5)</sup> .

ونرد عليهم بأن أكل الذبائح أمر اتفقت عليه الأمم كلها ولم تستثن منه أمة الرسل، فالطبع والعقل

يقتضيان أن يأكل الإنسان مما ذبح، بل إن الإسلام يأمر أتباعه بعدم إيذاء الحيوان أو إيلامه، والرسول ﷺ

دعا إلى ذلك الأمر والنهي عنه كما أن العقل ينكر إيلام الحيوان بعضه لبعض، فأما إذا حكم الخالق بالإيلام

لم يبق للعقل اعتراض، لأن العقل قد عرف حكمة الخالق سبحانه وتعالى وأنه لا خلل فيها ولا نقص

فأوجبت عليه هذه المعرفة التسليم لما خفي عنه ومتى اشتبه علينا أمر في فرع لم نجز أن نحكم على الأصل

1 - سورة الفرقان : 07 - 08 .

2 - سورة الفرقان : 09 .

3 - محمد فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (أو التفسير الكبير)، ج 24، ص 52 .

4 - عبد النفاخر بن طاهر البغدادي، كتاب أصول الدين، ص 154 - 155 .

5 - المرجع نفسه، ص 156 .

بالبطلان، وقد ظهرت حكمة ذلك، فإننا نعلم أن الحيوان يفضل على الجماد، ثم الناطق أفضل مما ليس بناطق بما أوتي من الفهم والفتنة والقوى النظرية والعملية وحاجة هذا الناطق إلى إبقاء فهمه، ولا يقوم في إبقاء القوى مقام اللحم شيء، وإنما خلق الحيوان البهيم للحيوان الكريم - الإنسان - فلو لم يذبح لكثير وضاق به المرعى ومات فيتأذى الحيوان الكريم بجيفته فلم يكن لإيجاده فائدة «<sup>(1)</sup>، كما أنه إذا جاز أن يخلق الله من يعلم أنه يكذبه ويحجده ويكفر به جاز أيضا أن يرسل إلى من يعلم منه تكذيب رسوله<sup>(2)</sup> .

الشبهة الرابعة: والتي أثارها البراهمة أيضا، وهو « استبعاد إطلاع بعضهم على ما خفي عن البعض، والمعنى وكيف اطلع على ما خفي عنكم . والجواب أنهم لو نطقوا العقول لأجازت اختيار شخص بشخص<sup>(3)</sup> لخصائص يعلو بها جنسه فيصلح بتلك الخصائص لتلقف الوحي إذ ليس كل أحد يصلح لذلك، وقد علم الكل أن الله - سبحانه وتعالى - ركب الأمزجة متفاوتة، لم يبعد أن يخص شخصا بالخلق بالحكمة البالغة والدعاية إليه إصلاحا لمن يفسد في العالم بسوء الأخلاق والأفعال، ومعلوم أن المخالفين لا يتكبرون أن يختص أقوام بالحكمة ليسكنوا ثورات الطباع الشريرة بالموعظة، فكيف ينكرون إمداد البارئ سبحانه بعض الناس برسائل ومصالح ووصايا يصلح بها العالم ويطيب أخلاقهم ويقيم بها سياستهم .

الشبهة الخامسة: قالوا: « هلا أرسل ملكا فإن الملائكة إليه أقرب ومن الشك فيهم أبعد، والآدميون يجبون الرياسة على جنسهم .

والجواب على ذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها أن في قوى الملائكة قلب الجبال والصخور فلا يمكن إظهار معجزة تدل على صفتهم، لأن المعجزة ما خرقت العادة، وهذه العادة للملائكة، وإنما المعجزات الظاهرة ما ظهرت على يد بشر ضعيف ليكون دليلا على صدقه .

والثاني أن الجنس إلى الجنس أميل فصح أن يرسل إليهم من جنسهم لئلا ينفروا وليعقلوا عنه، ثم نخص ذلك الجنس بما عجز عنه جنسه دليل على صدقه. والثالث أنه ليس في قوى البشر رؤية الملك، وإنما الله تعالى

1 - ابن الجوزي، تليس إبليس، (مرجع سابق)، ص 62 .

2 - عبد القاهر بن طاهر البغدادي، كتاب أصول الدين، ص 156 .

3 - يقول حجة الإسلام الغزالي: « والشك في النبوة إما أن يقع: في إمكانها أو في وجودها ووقوعها، أو في حصولها لشخص معين . ودليل إمكانها وجودها، ودليل وجودها وجود معارف في العالم لا يتصور أن تنال بالعقل ». أبو حامد الغزالي. المنتقى من

الضلال، تحقيق عبد الكريم المراق، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984م، ص 93 .

يقوي الأنبياء بما يرزقهم من إدراك الملائكة»<sup>(1)</sup> .

الشبهة السادسة: قالوا: « نرى ما تدعيه الأنبياء بالعلم الغيبي والمعجزات وما ألقى إليهم من الوحي يظهر جنسه على الكهنة والسحرة فلم يبق لنا دليل نفرق به بين الصحيح والفاقد .

والجواب على ذلك: إن الله تعالى بين الحجج ثم بث الشبهة وكلف العقول الفرق فلا يقدر ساحر أن يحي ميتا، ولا أن يخرج من عصا حيا، وأما الكاهن فقد يصيب ويخطئ بخلاف النبوة التي لا خطأ فيها بوجه»<sup>(2)</sup> .

الشبهة السابعة: ومن شبههم في جحود الأنبياء والرسول ادعاؤهم أن الله قد أغنى عنا بما دلت عليه العقول من لوازم ما تأتي به الرسل وهذا فاسد من وجهين:

أحدهما: أنه لا يمنع ما دلت عليه العقول جواز أن تأتي به الرسل وجوبا ولو كان العقل موجبا لما امتنع أن تأتي به الرسل تأكيدا كما تترادف دلائل العقول على التوحيد، ولا يمنع وجود بعضها من وجود غيرها.

والثاني: أنه لا تستغني قضايا العقول عن بعثة الرسل من وجهين:

1 - أن قضايا العقول قد تختلف فيما تكافأت فيه أدلتها فانحسم ببعثة الرسل واختلافها .

2 - أنه لا مدخل للعقول فيما تأتي به الرسل من الوعد والوعيد والجنة والنار، وما يشرعون له من أوصاف التعبد الباعث عن التأله فلم يغن عن بعثة الرسل، ولذلك يقول إخوان الصفاء: « فلو أنهم علموا بأن الله - عز وجل - إنما جعل العقل مقدمة أمام الرسالة والوحي وجعل الوحي والرسالة أيضا مقدمة أمام البعث والقيامة جعل البعث والقيامة أيضا مقدمة للغاية لما قالوا بأن في موجبات العقل كفاية للإنسان عن الوصايا التي جاءت في الرسالة على ألسنة الأنبياء من الأمر والنهي والأحكام والحدود، أترى بأي عقل كان يمكن أن يعلم بأن الإنسان يبعث بعد الموت»<sup>(3)</sup> .

وقال آخرون: إن العنة في إبطال النبوات أن بعثة الرسل إلى من يعلم من حاله أنهم لا يقبلون منهم ما بلغوه إليهم عبثا يمنع من حكمة الله تعالى، وهذا الأمر فاسد من وجهين عند أناوردي<sup>(4)</sup>:

1 - ابن الجوزي، تليس إبليس، (مرجع سابق)، ص 61 .

2 - المرجع نفسه، ص ص 61- 62 . ينظر: أناوردي، أعلام النبوة، ص ص 52 - 53 .

3 - إخوان الصفاء وخلان الوفاء، الرسائل، الجزائر، الأنيس موفم للنشر، 1992م، ج 04، ص 157.

4 - هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب أناوردي الفقيه والأصولي والمفسر، ولقب بالماوردي نسبة إلى بيع الملاء ورد أو عملته، ولد سنة (370 هـ) درس بالبصرة وبغداد وولي القضاء ببلاد كثيرة ولقب "قاضي القضاة" سنة (424 هـ) وكان ذا منزلة =

« أحدهما أنه ليس بعث أن يكون فيهم من لا يقبله كما لم يكن فيما نصبه الله تعالى من دلائل العقول على توحيده عبثاً، وإن كان منهم من لا يستدل به على توحيده كذلك بعثة الرسل .

والثاني إن وجود من يقبله فيه على هذا التعليل يوجب بعثة الرسل وهم يمنعون من إرسالهم إلى من يقبل ومن لا يقبل فبطل هذا التعليل»<sup>(1)</sup> .

الشبهة الثامنة: أن الذي جاء به الرسل مختلف لنقل بعضه بعضاً، ونسخ المتأخر ما شرعه المتقدم، وقضايا العقول لا تتناقض فلم يرتفع بما يختلف ويتناقض وهذا فاسد من طريقين :

أحدهما- « أن ما جاء به الرسل ضربان: أحدهما ما لا يجوز أن يكون إلا على وجه واحد، وهو التوحيد وصفات الرب والمربوب، فلم يختلفوا فيه وأقوالهم متناصرة عليه، والضرب الثاني: ما يجوز أن يكون من العبادات على وجه يجوز أن يكون على خلافه ويجوز أن يكون في وقت ولا يجوز أن يكون في غيره، وهذا النوع هو الذي اختلفت فيه الرسل لاختلاف أوقاته، إما بحسب الأصلح وإما بحسب الإرادة، وهذا في قضايا العقول جائز .

والثاني- أن قضايا العقول قد تختلف فيها العقول، ولا يمنع ذلك أن يكون العقل دليلاً كذلك ما اختلفت فيه الرسل لا يمنع أن يكون حجة»<sup>(2)</sup> .

ويردّ الماوردي إن الاختلاف في الأمر أو في دليل ليس علة لرفضه فالاختلاف في العقل والعقليات والسمع والسمعيات لا يعني بطلانها كما لا يعني بطلان الاحتجاج بها .

وإذا كانت شبهة منكري النبوة ضعيفة كما رأينا، فإن شبهة من آمن ببعض الأنبياء وكفروا ببعض أشد وهنا وضعفاً، وللرد عليهم نقول لهم: ما كان دليل لكم على إثبات نبوة ما آمنتم به فهو دليل لنا أيضاً على إثبات نبوة من آمننا بهم وكذبتموه إلا مناص .

ويجدر بنا هنا أن نقف مع اليهود فيما أنكروه من نبوة محمد وعيسى عليهما السلام، لا يترتب على الإيمان بهما عندهم من نسخ شريعة موسى وذلك يقتضي أن يصير الحق باطلاً والباطل حقاً وهو محال، كما أنه اقتضى

= من ملوك بني بويه يرسلونه للتوسط بينهم وبين أعدائهم، من شيوخه أبي القاسم القشيري، والحسن بن علي بن محمد الجيني. ومن تلاميذته الخطيب البغدادي وأبي العز بن كادش وقد توفي سنة (420هـ). ابن خلكان، وفيات الأعيان، (مرجع سابق)، ج02، صص 444 - 445. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص80 .

1 - الماوردي، أعلام النبوة، صص 50 - 51 .

2 - المرجع نفسه، ص52 .

البداء من الله تعالى وذلك يخرج عن كونه عالما بذاته. إن نسخ الشريعة جائز من جهة العقل إلا أن السمع منع من ذلك لقول موسى عليه السلام: «لن تنسخ أبدا، ومنهم من قال إن نسخ الشرائع جائز من جهة العقل والشرائع جميعا إلا أن محمد وعيسى عليهما السلام عدمت عنهما المعجزة الدالة على صدقهما .

ورد عليهم بأن الشرائع ألطف وما هذا سبيله يختلف باختلاف الأزمان والأعياد ومن هنا جاز نسخ الشرائع ثم ألم تنسخ شريعة موسى ما قبلها من الشرائع .

وقد يقول قائل من اليهود أن موسى عليه السلام قال لهم في التوراة: « لا تقبلوا من نبي أتاكم بشريعة وإن جاءكم بآيات »<sup>(1)</sup>. ونرد عليهم بأن موسى عليه السلام لا يمكنه أن يقول، فإذا قاله لكان مبطلا لنبوته إذ لا فرق بين معجزاته ومعجزات غيره، إذ بالآيات صحت الشرائع، ولم تصح الآيات بالشرائع، لأن تصديق الشريعة موجبة للآية، والآية موجبة تصديق الشريعة .

حتى ولو فرضنا جدلا أن ذاك القول المنسوب إلى موسى عليه السلام ليس في التوراة شيء منه، وإنما نؤوله: « بل أتاكم يدعي نبوة وهو كاذب فلا تصدقوه. فإن قلتم من أين نعلم كذبه من صدقه؟ فانظروا، فإذا قال عن الله شيئا ولم يكن كما قال فهو كاذب »<sup>(2)</sup> .

وقد يعترض أحدهم بما ثبت عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: «... لا نبي بعدي »<sup>(3)</sup>، فليس هذا الكلام مما ادعيتموه على موسى عليه السلام، لأننا قد علمنا من إخباره صلى الله عليه وسلم أنه لا سبيل إلى أن يظهر أحد آية بعده أبدا، لأن واقع الحال صدق قول رسولنا صلى الله عليه وسلم، حيث مضى حتى الآن أكثر من أربعة عشر قرنا على رحيله دون أن يظهر نبي آخر مؤيد من السماء، وسيمضي الزمن وإلى يوم القيامة دون ظهور نبي آخر .

وعلى الرغم من نفي اليهود - وهم الغالبية - نبوة عيسى ومحمد - عنهما الصلاة والسلام -، إلا أن هناك فرقة منهم كالعيساوية آمنت بهما، وإذا ما آمنوا بنبوته عليه أفضل الصلاة والسلام، فما عليهم إلا أن يصدقوا بما جاء به ومنه أنه أرسل إلى الناس جميعا .

هذه بعض افتراءات المنكرين للنبوة من غير المسلمين، الذين تأثروا بهم من انتسبوا للإسلام؛ ومن

1 - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (مرجع سابق)، ج1، ص131.

2 - المرجع نفسه والجزء، ص ص131-132.

3 - رواه البخاري، موقوفا، بلفظ «ولو قضى أن يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي عاش ابنه، ولكن لا نبي بعده». باب من سمي بأسماء الأنبياء، كتاب الأدب . ورواه مسلم من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلني صلى الله عليه وسلم: « أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي ». باب فضائل علي بن أبي طالب صلى الله عليه وسلم، من كتاب فضائل الصحابة .

المسلمين الذين تعرضوا للنبوة بالإنكار مثل ابن الراوندي والرازي الطبيب وغيرهما، ونحن نتوقف في عرض الآراء المنكرة للنبوة عند الشخصيتين السابقتين كنموذجين بارزين في تاريخ إنكار النبوة عند المسلمين، وإن كانت أفكارهما هي نتاج وصدى لأفكار البراهمة والمجوس، وإنكارهما مبني على التهكم بالمعتقدات والمسلّمات .

وسواء كانت هذه الأقوال من آثار الفكر الهندي أم من اختراع ابن الراوندي، فهي تلتخص فيما يلي: إنكار النبوات عامة ونبوة محمد ﷺ خاصة، ونقد بعض تعاليم الإسلام وعباداته، ثم رفض فيه شيء من التهكم للمعجزات في جملتها، فأما الرسل فلا حاجة إليهم، لأن الله قد منح خلقه عقولا يميزون بها الخير من الشر ويفصلون الحق عن الباطل، وفي هدي العقل ما يغني عن كل رسالة، يقول ابن الراوندي: «إن البراهمة يقولون أنه قد ثبت عندنا وعند خصومنا أن العقل أعظم نعم الله سبحانه على خلقه، وأنه هو الذي يعرف به الرب ونعمه، ومن أجله صح الأمر والنهي والترغيب والترهيب، فإن كان الرسول يأتي مؤكدا ما فيه من التحسين والتقيح والإيجاب والخطر، فساقط عنا النظر في حجته وإجابة دعوته إذ قد غنينا بما في العقل عنه، والإرسال على هذا الوجه خطأ، وإن كان بخلاف ما في العقل من التحسين والتقيح والإطلاق والخطر، فحينئذ يسقط عنا الإقرار بنبوته»<sup>(1)</sup> .

وسيرا في طريق التهكم يرى ابن الراوندي أن «بعض تعاليم الدين مناف للعقل كالصلاة والغسل والطواف ورمي الجمار والسعي بين الصفا والمروى الذين هما حجران لا ينفعان ولا يضران، على أنهما لا يختلفان عن أبي قبيس وحراء في شيء، فلم امتاز على غيرهما؟ زيادة على هذا أليس الطواف بالكعبة كالطواف بغيرها من البيوت؟ .

والمعجزات أخيرا غير مقبولة في جملتها ولا في تفاصيلها، ومن الجائز أن يكون رواها، وهم شرذمة قليلة قد تواطوا على الكذب، فمن ذا الذي يسلم أن الحصى يسبح أو أن الذئب يتكلم؟<sup>(2)</sup>، ومن هؤلاء الملائكة الذين أنزهم الله يوم بدر لنصرة نبيه؟ يظهر أنهم كانوا مغلولي الشوكة قليلي البطش، فإنهم على كثرتهم واجتماع أيديهم وأيدي المسلمين معهم لم يقتلوا أكثر من سبعين رجلا، وأين كانت الملائكة يوم أحد حين توارى النبي ﷺ بين القتلى ولم ينصره أحد؟ وبلاغة القرآن على تسليمها ليست بالأمر الخارق للعادة، فإنه لا

1 - P.Kraus, Rivista. نقلا عن: إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، (مرجع سابق)، ج 01، ص 82 .

2 - P.Kraus, Rivista. نقلا عن: المرجع نفسه، والجزم والصحة.



يتمتع أن تكون قبيلة من العرب أفصح من القبائل كلها، ويكون في هذه القبيلة طائفة أفصح من البقية، ويكون في هذه الطائفة واحد هو أفصحها، وهب أن محمداً ﷺ غالب العرب في فصاحتهم وغبليهم، فما حكمه على العجم الذين لا يعرفون هذا اللسان، وما حجته عليهم»<sup>(1)</sup>. ولنا في حاجة للرد عليه لأن العلماء السابقين كفونا ذلك، وقد قام المعتزلة بالرد الجميل على آرائه، وإن كانت هي كما قلنا صدى لأفكار غيره وقد أقر بذلك .

ويقول إبراهيم مذكور: « كل ما نريد ملاحظته هو أن ابن الراوندي يكرر فكرة اعتدناها لدى المعتزلة من قبل، فهو ينادي بالحسن والقبح العقليين، ويذكرنا بذلك السؤال الذي وضعته مدرسة الاعتزال لأول مرة: هل الإيمان واجب بالشرع أم بالعقل؟ غير أن المعتزلة المخلصين لم يغالوا في استخدام العقل بهذا الإفراط، وقد بذلوا جهدهم ليقفوا بين مسلمات الشرع وتساؤلات العقل، ويردوا على شبه الزنادقة والملحدين بكل ما أوتوا من حجة بينة وبرهان قاطع»<sup>(2)</sup>. أما الرازي لم تكن لديه اعتراضات مبينة لاعتراضات ابن الراوندي، إلا في بعض الأمور، وكأن الرجلين يرددان نغمة واحدة ويصدران عن أصل معين، والرازي يقول بالتناسخ، وهي العقيدة التي عرفتها السمنية من الهنود، وهو يتشيع للمانوية الذين كانوا يفسون للإسلام من غير ملل، وسواء أكان الرازي متأثراً بعوامل أجنبية أم معيراً عن آرائه الشخصية، فهو يصرح بأن الأنبياء لا حق لهم بأن يدعوا لأنفسهم ميزة خاصة، عقلية كانت أو روحية، فإن الناس كلهم سواسية، وعدل الله وحكمته تقضي بالألا يمتاز واحد على آخرين .

كذلك تصرّحه أن الفلسفة هي التي تصفي النفس من كدورة هذا العالم، وأن شرائع الأنبياء ما هي إلا خرافات ومعتقداً مُصرّ على الجهل والتقليد<sup>(3)</sup>، وله تصرّحات أخرى منها أن المعجزات النبوية ضرب من الأقايص الدينية أو اللباقة والمهارة التي يراد بها التقرير والتضليل، وأن الكتب العلمية وأمثالها أكبر فائدة ونفعا من القرآن والكتب الدينية، لأن في الأولى من العلم ما فيه فائدة للناس في معاشهم وأحوال دينهم بينما القرآن وكذلك الكتب الدينية الأخرى لا تفيد شيئاً، ويروى عنه في ذلك : «ولم الله لو وجب أن يكون كتاب حجة لكان كتاب أصول الهندسة والمسطى الذي يؤدي إلى معرفة حركات الأفلاك

1 - P.Kraus, Rivista. - نقل عن: إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، (مرجع سابق)، ج 01، ص 83 .

2 - المرجع نفسه، والجزء والصفحة .

3 - عبد الفتاح أحمد الفاروق، النبوة بين الفلسفة والتصوف، ص 82 .

وانكواكب وكتب المنطق والطب الذي فيه علوم مصلحة للأبدان أولى بالحجة مما لا يفيد نفعاً ولا ضراً ولا يكشف مستورا، ويقصد به القرآن الكريم»<sup>(1)</sup>.

ومما ينسب للرازي قوله: «إن نفوس الأشرار التي صارت شياطين تتجلى لبعض الناس في صورة الملائكة وتأمروهم أن أذهب وقل للناس إنه قد جاءني ملك فقال لي: إن الله أعطاك الرسالة وإني الملك المبعوث إليك حتى وقع الاختلاف بين الناس بسبب ذلك وقتل خلق كثير نتيجة تدبير تلك النفوس التي أصبحت شياطين»<sup>(2)</sup>.

وإن كان بعض الباحثين المعاصرين يرى أن تلك التصريحات لا تجزم أن الرازي أنكر النبوة، وله وفتات منها: أن أخذ الاتهام من عنوان الكتاب تسرع يحتاج إلى تثبت وإطلاع على ما في الكتاب، فكثيرا ما تكون عناوين الكتب خلاف مقصودها ليعزى مؤلفوها الناس بقراءتها، ويستشهد على ذلك بالعقاد الذي له كتاب بعنوان "أفيون الشعوب" يدحض فيه هذه الفرية عن الدين، فلماذا إذا لا يكون كتاب الرازي من هذا النوع، وأنه يريد أن يدحض فيه بعض افتراءات الملحدين.

وفي مقابل رأي الذين ادعوا أن للرازي كتابا مفقودا يسمى "مخاريق الأنبياء نذكر أن "ابن النديم نص على كتاب للرازي، فيه دفاع منه عن النبوة والأنبياء، وعنوانه "فيما يرد به إظهار ما يدعى من عيوب الأنبياء"<sup>(3)</sup>، وابن أبي أصيبعة دافع عن الرازي بقوة منكرة صحة نسبة "مخاريق الأنبياء" إليه...<sup>(4)</sup>.

والوقفه الأخرى التي يرى فيها الباحث دليلا آخر على أن الرازي لم ينكر النبوة، وهو أن أبسا حساباتهم شيعي إسماعيلي، وأن الشيعة عندهم إلحاح كبير في دعوة الناس لمذهبهم واتباع عقائدهم، وعلى ذلك فمن المحتمل أن يكون أبو حاتم الشيعي دعا الرازي الفيلسوف للتشيع، وهذا يدعوننا - إن صح - أن نكتفون حذرين تجاه ما نقله أبو حاتم عن أبي زكريا، ومما يقوي هذا الاحتمال ذلك الإلحاح الشديد من أبي حاتم في مناظراته مع الرازي ودوره وتكراره لهذا اللفظ بصورة توحى بأن لهذا التكرار ما وراءه مثل قوله: «فإننا لا نرى في العالم إلا إماما وأموموا وأن الناس غير مستغنين بإلحاحهم عن الأئمة»<sup>(5)</sup>.

- 1 - دي بور، الإلحاد في الإسلام . نقلا عن: عبد الفتاح أحمد الفاوي، النبوة بين الفلسفة والتصوف. (مرجع سابق)، ص 82.
- 2 - دي بور، الإلحاد في الإسلام . نقلا عن: المرجع نفسه والصفحة .
- 3 - ابن النديم، الفهرست . نقلا عن: المرجع نفسه، ص 83.
- 4 - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 426.
- 5 - رسائل فلسفية، المناظرات بين الرازيين . نقلا عن: المرجع السابق، ص 83-84.

غير أن الدكتور إبراهيم مذكور له رأي آخر حيث يعتبر أبا حاتم من الذين دافعوا عن حرمة النبوة، وأن كتابه "أعلام النبوة" فيه صفحات تفيض إفحاما وإعجازا، وحوارات تسد الطريق على المكابرين سبيل التخلص والفرار وأن دفاع أبي حاتم كان دفاعا عن الإسلام، وليس فقط على مذهبه الإسماعيلي، لأن مشكلة النبوة لا تختص بما فرقة دون أخرى. لا تعني طائفة منفردة من طوائف الإسلام، بل الكل على أن يهيبوا للذود عنها من المشككين ومن الذين اهزموا في المعركة العسكرية، فانصرفوا إلى ساحة العقيدة والإيمان، ليحطموا هذا الدين من أساسه، وبهذا يسهل عليهم انهيار بقية الأركان والأعمدة.

ولم نجد للفيلسوف ابن ميمون ردا في كتبه على المنكرين للنبوة، وخاصة كتابيه دلالة الحائرين وكتاب المعرفة، لتطرقة هذا المبحث، وقد يكون في عزوفه عن الرد لأن الذين سبقوه كفوه العناء، أما هو فقد بذل طاقته الفكرية في استدلالاته على الاتجاه الفلسفي للنبوة، الذي سار عليه من سبقه كالفارابي وابن سينا وغيرهما، وعلى تفوق نبوة موسى وتميزها عن غيره ممن سبقوه ومن جاءوا بعده.

أما الشبهات التي أثارها المستشرقون في هذا العصر كثيرة ومتنوعة، وإن كانت شبهاتهم ليست بعيدة عن الشبهات التي كان يثيرها أعداء الأنبياء والرسل على مر تاريخهم، ومن بين المستشرقين الذين أثاروا كثيرا من الشبهات في كتاباتهم درمنغام وغيره، وقد عرض محمد رشيد رضا في كتابه "الوحي المحمدي" عدة شبهات وقام بدحضها وهي:

ومن الشبه التي يوردها درمنغام مسألة أبناء النبي ﷺ القاسم والطيب والظاهر، وهو يشك في وجودهم، ويقول إن تكتيته بأبي القاسم لا تدل على وجود ولد له بهذا الاسم، وإنه إن صح أنهم ولدوا فقد ماتوا في المهدي<sup>(1)</sup>.

وهذا الذي زعمه باطل، والحق أنه ولد له غلام سماه القاسم وكني به، وأنه مات طفلا، ثم ولد له آخر سماه عبد الله، وانصحیح أن الطيب والظاهر لقبان له لا اسمين لغلامين آخرين كما يظن البعض.

لكن درمنغام عظم مسألة موت هؤلاء الأولاد الذين يشك في وجودهم وبني عليها حكما، وقال بعد أن زعم أن محمدا تبني زيدا بن حارثة لأنه لم يطلق على الحرمان من النبي صبرا: «فمن حرق المؤرخ أن يجعل لهذا الحادث بل الحوادث الثلاثة التي أصابت محمدا في بنيه ما هي جديدة بأن تركه في حياته وفي تفكيره من أثر. والأمر كذلك بنوع خاص أن محمدا أميا، فلم تكن المضاربات الجدلية (كذا) لتصرفه عن

التأثير بغير الحوادث ودروسها، وحوادث اليممة - كوفاة أبنائه - جدية بأن تستوقف تفكيره، وأن تصرفه كل واحدة منها إلى ما كانت خديجة تقترب به إلى الكعبة وتحر لهبل واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، تريد أن تفتدي نفسها من ألم الشكل، فلا تفيد القربان ولا تجدي النحور»<sup>(1)</sup>.

وقال: « والأمر كان كذلك، لا ريب أن كانت عبادة الأصنام قد بدأت تنزع في النفوس تحت ضغط النصرانية الآتية من الشام منحدره إليها من الروم، ومن اليمن، متخطية إليها من خليج العرب من بلاد الحبشة»<sup>(2)</sup>.

ويذكر محمد رشيد رضا أن غرض درمنغام من تكبير المصيبة بموت الأبناء المشكوك في ولادتهم عنده هو أن يجعلها مسوغة لما اختلقه من توسل خديجة إلى الأصنام بالقرايين لينقذوها من مصيبة الشكل، ثم يستنبط من ذلك زعزعة إيمانها، وإيمان زوجها بعبادتها التي كان سببها تأثير النصرانية في مكة وغيرها من بلاد العرب ثم ليجعل من تلك الأسباب تعليلا للوحي الذي نزل على محمد ﷺ<sup>(3)</sup>.

وذكر أن محمدا لقي بحيرى الراهب في مدينة بصرى الشام، وأن الأخير كان نسطوريا من أتباع أريوس في التوحيد، وينكر ألوهية المسيح ﷺ، وعقيدة التثليث، ولا بد أن يكون محمد قد تعلم منه عقيدته. وأن بحيرى أيضا كان عالما فلكيا منجما ساحرا، وإنه كان يعتقد أن الله ظهر له، وأنباءه بأن سيكون هاديا لآل إسماعيل إلى الدين المسيحي<sup>(4)</sup>.

وكل ما نعرفه عن بحيرى من كتب السيرى النبوية أنه لقي محمدا الفتى مرة واحدة وعمره تسع سنين وقيل اثنتا عشرة سنة في رحلة إلى الشام في قافلة للتجارة برفقة عمه أبي طالب، وقد رأى الراهب بحيرى سحابة تظلل محمدا الفتى من حر الشمس، وذكر لعمه أنه سيكون له شأن عظيم، وحذر عليه من اليهود، وكيف يتعلم فتى من شخص غريب ولم يرد إلا مرة واحدة ولم يلتق به إلا في ذاك المكان.

وقال إن ورقة بن نوفل كان من متنصرة العرب العلماء بالنصرانية، وهو أحد أقارب خديجة، وذلك لإيهاهم القارئ أن محمدا أخذ شيئا من علم أهل الكتاب، وهو الذي ذهب إليه مونتغمري وات في كتابه "محمد في مكة"، حيث قال: «كما أن خديجة كانت ابنة عم رجل يدعى ورقة بن نوفل بن أسد وهو

1 - نقلا عن: محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، (مرجع سابق)، ص 103.

2 - نقلا عن: المرجع نفسه والصفحة.

3 - نقلا عن: المرجع نفسه، ص 104.

4 - نقلا عن: المرجع نفسه، ص 95.

رجل متدين اعتنق أخيرا المسيحية.

ولاشك أن خديجة قد وقعت تحت تأثيره ويمكن أن يكون محمد قد أخذ شيئا من حماسه وآرائه»<sup>(1)</sup>.  
وقوله أيضا: «ويبدو ورقة من بين الذين اتصل بهم محمد لسبب معرفته بكتب المسيحية المقدسة. ولا شك أن المقطع القرآني، حين رده محمد قد ذكره بما هو مدين به لورقة .

ومن المفري أن نفكر بأن هذا كان نتيجة لملاحظة ورقة بصدد التاموس، ولكن هذا يتطلب وحيا سابقا على مقطع " اقرأ " ليغذي تلك الملاحظة. ولهذا من الأفضل الافتراض بأن محمدا كان قد عقد صلوات مستمرة مع ورقة منذ وقت مبكر وتعلم أشياء كثيرة، وقد تأثرت التعاليم الإسلامية اللاحقة كثيرا بأفكار ورقة. وهذا ما يعود بنا إلى طرح مشكلة العلاقة بين الوحي الذي نزل على محمد والوحي السابق له»<sup>(2)</sup>.

غير أن كتب الحديث النبوي الصحيحة منها بعد القرآن تنفي هذا الزعم الباطل فعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: «أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حجب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعبّد - الليالي ذوات العدد قبل أن يترع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: (ما أنا بقارىء). قال: (فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: {اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم}) . فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: (زملوني زملوني). فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: (لقد خشيت على نفسي). فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرءا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب: وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا

1 - مونتغمري وات، محمد في مكة، ترجمة، شعبان بركات، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، [د، ت]. ص ص 74 - 75 .

2 - المرجع نفسه، ص 93 .

ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خير ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله به على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: (أومر جي هم). قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي»<sup>(1)</sup>.

ولن نقتصر على رواية أصح الكتب بعد القرآن، وهو صحيح الإمام البخاري، بل نذكر بعض الروايات التي يستند عليها المستشرقون عادة، ومن بينهم مونتغمري وات، وهي كتب التاريخ، وفي مقدمتها "تاريخ الطبري".

ذكر الطبري رواية في تاريخه أن خديجة طمأنت زوجها.. ثم قال: «فأتت خديجة ورقة بن نوفل فأخبرته الخبر، فقال: لئن كنت صادقة، إن زوجك لني، وليقين من أمته شدة، ولئن أدركته لأومنن به»<sup>(2)</sup>. وفي رواية أخرى أن خديجة بعد أن طمأنت زوجها.. «انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد - وهو ابن عمها، وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل - فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع، فقال ورقة: قدوس، قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتي يا خديجة، لقد جاءه الناموس الأكبر - يعني بالناموس جبريل عليه السلام الذي كان يأتي موسى - وإنه لني هذه الأمة، فقولي له فليث.

فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته بقول ورقة، فسهل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهم، فلما قضى رسول الله ﷺ حواره وانصرف، صنع كما كان يصنع، وبدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل، وهو يطوف بالبيت فقال: يا بني أخي، أخبرني بما رأيت أو سمعت، فأخبره رسول الله ﷺ. فقال ورقة والذي نفسي بيده، إنك لني هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء إلى موسى، ولتكذبت، ولتؤذيت، ولتخرجنه. ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرك الله نصرا يعلمه. ثم أدنى رأسه فقيل يافوخه، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله»<sup>(3)</sup>، وفي رواية «وقد زاده ذلك من قول ورقة ثباتا، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم»<sup>(4)</sup>.

1 - رواد البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، من كتاب بدء الوحي .

2 - محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 02، ص 206 .

3 - ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج 01، ص 256 - 257 .

4 - المرجع السابق والجزء، ص 208 .

وقد نصت رواية ابن سعد أن خديجة ذهبت وحدها إلى ورقة بن نوفل، فأعلن إيمانه وبقينه بأن هذا الحدث هو وحي الله، وتعهد بنصرة الرسول ﷺ. فلم يترك بذلك مجالاً لتوهم الأخذ عنه وليس امرؤ لديه علم بدين الله تعالى وهو على حافة القبر يستسيغ أن يكذب على الله في أقدم الأمور. في وحي الله ورسالته. جاء في رواية ابن سعد: ثم أتت - خديجة - ورقة بن نوفل فذكرت له ذلك. فقال: أن يك صادقاً فهذا ناموس مثل ناموس موسى، فإن يبعث وأنا حيّ فساءعزّزه، وأنصره، وأؤمن به»<sup>(1)</sup>.

ولمّا ندقّ النظر في الروايات السابقة نرى أن اللقاء الذي تمّ بين سيدنا محمد ﷺ وورقة بن نوفل كان في زمن متأخر، وذلك بعد مجيء ملك الوحي إليه المرة الأولى، وهو ما أجمعت عليه مصادر السنة والتاريخ، على أن الخلاف بقي في زيارة خديجة لورقة، هل كانت وحدها أم برفقة محمد ﷺ؟

ونحن نرى أن الجمع بين روايات السيرة ورواية البخاري تفيد أن خديجة ذهبت أول الأمر لوحدها، لسؤال ورقة عن هذا الأمر الجلل. ثم ذهبت أيضاً مع زوجها محمد ﷺ إلى ورقة وحضرت معه هذا اللقاء. فإذا كانت رواية سعد أوردت أن خديجة ذهبت لورقة منفردة، فإن رواية ابن إسحاق لم تنف هذا الحضر ولم تثبته، بينما جمعت رواية الطبري بين الزيارتين في سياق واحد، وبهذا أوفت بالغرض.

ونأخذ مما سبق بعض الملاحظات التي تنفي مزاعم وات وهي:

- أن النصوص التي عرضناها تنفي أي صلة بين ورقة ومحمد ﷺ، لأن اللقاء الذي تمّ بينهما كان في زمن متأخر بعد مجيء ملك الوحي المرة الأولى إلى رسول الله ﷺ، لأن فكرة الاتصال بورقة لم تخطر على بال محمد ﷺ سعياً لإزالة الإشكال عن نفسه، بل إن الفكرة جاءت من خديجة، فلو كانت هناك صلة سابقة كما يزعم وات، لخطرت على باله سريعاً فكرة استفتاء ورقة، أما وإن الفكرة وليدة زوجته فأمر طبيعي أن تعلم زوجته خديجة بأحوال قريبتها - ابن عمها - واتجاهه الديني الذي خالف به قومه.

وزعمه أن «خديجة قد وقعت تحت تأثيره» أي تأثير ورقة، فزعم باطل لا حجة له عليه، بل الدليل قائم على عكسه، لأنه حتى في بعض المصادر التي يعتمد عليها وات، ويقدمها على كتب الأحاديث التي حوت أضيظ الوثائق التاريخية بعد القرآن الكريم. ففي رواية لمحمد بن سعد من كتاب الواقدي في «الطبقات الكبرى» الحديث الأول للوحي، فأما ذلك على أنه لم يكن بين خديجة وورقة بن نوفل زيارة، إذ جاء فيها: «ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل، وهي أول مرة أتته، فأخبرته ما أخبرها به رسول الله ﷺ، فقال ورقة:

وإنَّه إن ابن عسَّك صادق، وإن هذا لبدء نبوة، وإنه ليأتيه الناموس الأكبر»<sup>(1)</sup>.

ولما يزعم بقوله: «ويمكن أن يكون محمد قد أخذ شيئاً من حماسه وآرائه». فإن ورقة بن نوفل وقف من محمد ﷺ مستطعاً مستفهما كشأن الراهب بحيرى تماماً، فأين هو التعليم والتلقي؟.

زد على ذلك أن ورقة أنبا محمد ﷺ بأن قومه سيكافونوه على الهدية بالأذى والعداء لدعوته، وأن حاله معهم كحال رسل الله قبله مع أقومهم. ويمضي ورقة في إعلانة إلهية الرسالة ويقينه بما، فيندفع على كبر سنه بالتطوع للتضحية مناصرة لدعوة الله ورداً لأعدائها الكائدين.

إن ورقة لم يطلب لنفسه النبوة ولا ادعاها، كما أنه لم يطلب لنفسه اعتباراً ومكاناً كدليل ومرشد لها. أرأيت لو كان ورقة مصدر معارف محمد ﷺ، أكان يقف منه موقف التابع المصدق المؤيد المناصر..؟

كما أن موقف قريش يثبت عزلة محمد ﷺ عن ورقة؛ حيث لم تتوان لحظة في تصيد أدنى مطعن محتمل وتوجيهه إلى رسول الله ﷺ فقد بالغت في ذلك وأفرطت حتى زعمت أنه مجنون وزعمت أنه يتعلم من فتى أعجمي رومي رقيق لديهم...

فلو كان هناك أقل قدر من التواصل بين محمد وورقة لافترضته قريش ولبنت مزاعمها عليه. ومثل هذه الصلات الدينية لا تخفى في مجتمع وثني ريفي قديم ضيق مكشوف بعضه تجاه بعض... لكن قريشاً مع إفراطها في العداء والبهتان، لما لم تُورد شيئاً من هذا القبيل دلّ ذلك على عدمه أصلاً. وعلى أن القول به باطل مفضوح لا طائل وراءه، بل لو كان شيء من ذلك محتملاً لمالت قريش إلى ورقة ليعلم شبابها، فيناهضوا بذلك دعوة محمد ﷺ<sup>(2)</sup>.

ويبدو من جميع الروايات أن ورقة كان يدرك أنه مشرف على أجله لفرط هرمه ووهن عظمه، ففسي الحديث السابق للبخاري أنه قال للرسول ﷺ «ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك... وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً»<sup>(3)</sup>. وهذا النص الوثيق أوردته وات في كتابه<sup>(4)</sup>، فإنه من رواية الزهري التي عول عليها. لكن كتب التاريخ لم تتبع منهج النقد الدقيق للأخبار كما حصل في كتب الحديث، فرواية الزهري

1 - محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، (مراجع سابق)، ج 01، ص 195.

2 - حسن ضياء الدين عتر، وحي الله، حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة ونقض مزاعم المستشرقين، ط 01، دمشق، دار المكتبي، 1999م ص ص 148-149.

3 - رواه البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ من كتاب بدء الوحي.

4 - مونتغمري وات، محمد في مكة، ص ص 76-77.



عند البخاري فيها» ثم لن ينشب ورقة أن توفي وفترة الوحي». وما قبلها دليل عليها يقضي حصول مضمونها.

فما وجه تكذيب "وات" بهذه الفقرة؟ .

وزعم وات أنها لا أصل لها، وأنها أضيفت لتسويغ موقف ورقة وعدم إسلامه فيما بعد، إذ قال: «وأما بقيت القصة، من ناحية ثانية، فهي تشعرنا بمحاولة لتفسير السبب الذي من أجله لم يصبح ورقة مسلماً، ولسبب آخر مشابه، فإن النص الذي يجمع بين ورقة أفضل من النص الذي يجعلهما لا يلتقيان. وهناك بعض الروايات التي تجعل موته بعد سنتين أو ثلاث على محمد بالرسالة وبعضها يجعله بعد أربع سنوات»<sup>(1)</sup>. وقد عول وات على رواية شاذة أفادت أن ورقة عاش بعد نزول الوحي بنحو ثلاث سنين .

لو افترضنا أن الدعوة كانت سرية، كما ذكر وات في كتابه السابق<sup>(2)</sup>، فما يشعر الناس بكتمان الرجل إسلامه أو عدم إسلامه أيضاً؟ .

كما لو افترضنا أن ورقة عاش بعد ولم يعلن إسلامه، فما الذي يدعو المسلمين للكذب ومخالفة شرع الله؟ ألم يكن هناك فصحاء عرب وقساوسة وأخبار<sup>(3)</sup>، عرفوا رسالة محمد ﷺ وإعجاز القرآن وصرحوا بذلك ولم يؤمنوا، فهل افتري المسلمون شيئاً في حقهم لتسويغ عدم إسلامهم؟

وإذا كان غرض المسلمين تسويغ عدم إشهار ورقة إسلامه، فما كان بمنعهم أن يقولوا عبارة أقوى وأبلغ في الدعاية للإسلام؟ مامنعهم أن يقولوا: إنه أسلم وعاش في الإسلام ثلاث سنوات، كما أسلم من هو أعلم منه بكثير، وهو حبر اليهود في المدينة عبد الله بن سلام، إذ أسلم، واستكتم النبي ﷺ إسلامه حتى يسأل اليهود عن مكانته فيهم . فلما أقرروا بما أشهر إسلامه أمامهم<sup>(4)</sup> .

ما منعهم أن يقولوا: إن ورقة أسلم في مرحلة الدعوة السرية - وتوفي في أثنائها - وأنهم رأوه يصلي

1 - منتغمري وات، محمد في مكة، (مرجع سابق)، ص 92 .

2 - المرجع نفسه، ص 103 .

3 - كالمغرة بن الوليد وعنتبة بن ربيعة من المشركين . عبد المسيح الملقب بالعاقب والسيد . علي بن أحمد الواحددي . أسباب النزول، الجزائر، دار البيضاء وقصر الكتاب، [د، ت]، ص 62 .

4 - جاء في حديث البخاري، باب قول الله تعالى، من كتاب الأنبياء، أن عبد الله بن سلام لما أسلم قال: «يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ (أي رجل فيكم عبد الله بن سلام) قائلوا: أعمننا، وابن أعلمنا، وأخبرنا، وابن أخبرنا، فقال رسول الله ﷺ: (أفرايتم إن أسلم عبد الله). قالوا: أعاده الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فقالوا: شرنا، وابن شرنا، ووقعوا فيه .» .

خلف رسول الله ﷺ مع علي وخديجة في بيت ابنة عمه خديجة ذاتها، ما منعهم أن يزعموا ذلك لو كان رائدهم شيئا من الدعاية أو التسويغ؟ .

والواقع أن الوحي الأول علم مهم من أعلام نبوة الرسول ﷺ، ولم يجب وات على دلالة الحديث الحتمية بشيء، وإنما حول لفت الأنظار عنها ببراعة احتيالية كبيرة، فزعم أن بقية قصة نزول ملك السوحي زيادة أضيفت فيما بعد، وهذا لتسويغ عدم إسلام ورقة. وعلى حسب

زعمه علينا أن نرفض هذه الرواية لهذا السبب، وعلينا كذلك لسبب آخر مشابه، أن نعول على أي نص يجمع بين ورقة ومحمد، لماذا؟ لأنه أفضل من النص الذي يجعلهما لا يلتقيان .

تأمل النهج العجيب الذي سلكه وات في بحثه الموضوعي الحيادي تأمله في قوله: «وأما بقية القصة، من ناحية ثانية، فهي تشعرنا بمحاولة لتفسير السبب الذي من أجله لم يصبح ورقة مسلما. ولسبب آخر مشابه، فإن النص الذي يجمع بين محمد وورقة أفضل من النص الذي يجعلهما لا يلتقيان»<sup>(1)</sup> .

بينت لنا الروايات أن الصلة بين ورقة ومحمد ﷺ إنما حصلت بعد أن جاءه الملك في غار حراء، لكن الباحث الغربي المتحامل أيا كان مذهبه ربما زعم أن هذه الرواية أو الحادثة فرصة للطعن في نبوة محمد ﷺ إذ أثبت اللقاء، وهي رواية تاريخية ووثيقة معترف بها عند المسلمين في أوثق مصادرهم .

لذا نبه وات الباحثين الغربيين على أن لا يستدلوا بهذه الرواية، لأنها لا تحدم أغراضهم الأساسية في كتابه، فمن الأفضل لهم، في نظر وات الكاتب الحيادي الموضوعي، أن يستدلوا بافتراض محض لا أصل له في التاريخ إطلاقا، ودلهم على ذلك بقوله: «وإلا فمن الأفضل الافتراض بأن محمدا كان قد عقد صلوات مستمرة مع ورقة منذ وقت مبكر وتعلم أشياء كثيرة»<sup>(2)</sup> .

ماذا قصد الكاتب الإنجليزي من زعمه استمرت حياة ورقة ثلاث سنين بعد الوحي الأول؛ ومن اختلاقه اتصالات دينية تلقى فيها محمد من ورقة منذ وقت مبكر؟ إن بيت القصيد من هذه المزاعم وأمثالها هو الإيهام بأن الإسلام فيه الكثير من أفكار ورقة، ولكن أفكار ورقة المتحصرة مستمدة من الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) المقرر لدى الكنيسة، إذن نفهم من هذا الأمر أن الإسلام - حسب زعمه - مقبس من المسيحية، وهو ما يروج له المستشرقون المتأخرون، وهو ما أثاره وات بقوله: «وقد تأثرت

1 - مونتغمري وات، محمد في مكة، (مراجع سابق)، ص 92 .

2 - المرجع نفسه، ص 93 .

التعاليم الإسلامية لاحقة كثيرا بأفكار ورقة. وهذا ما يعود بنا إلى طرح مشكلة العلاقة بين الوحي الذي نزل على محمد والوحي السابق له»<sup>(1)</sup>.

لا ريب أن هذا الزعم يحتاج إلى دليل، فأين المقارنة الموضوعية بين التعاليم الإسلامية والمسيحية التي تكشف عن التأثير أو الاقتباس؟ افتراء دون دليل، إن مقارنة المعلومات عند الطرفين تكشف استحالة اقتباس الإسلام من تلك الديانة شيئا، لكن ما موقف القارئ العاقل من إصدار المستشرق وات هذا الحكم اعتباطا، لا شك أنه سيعطي الكاتب وأمثاله منزلتهم الحقيقية، ويعرف مستوى بحثهم وحقيقة نواياهم .

إن المستشرق وات له طريقة خاصة باتت هي الطريقة الحديثة المفضلة لدى المستشرقين، وهي عدم مصادمة مشاعر المسلمين مباشرة، لذا لجأ إلى طمأنتهم في مقدمة الكتاب أنه سيكتب بشكل موضوعي وحيادي كمؤرخ، وأنه لن يعارض العقائد الإسلامية الأساسية<sup>(2)</sup>. ثم راح يتدرج وهدوء ليصل إلى غرضه. وقد اتبع في ذلك منطق المغالطة في الاستنتاج وهو منطق مرفوض في شتى صنوف البحث العلمي .  
مونتغمري وات في كتابه: محمد النبي ورجل الدولة (1964م) يزعم أن القرآن ليس وحيا، وإنما هو من إنتاج "الخيال المبدع" كما يسميه وأن القرآن يعتمد كثيرا على الأخذ من اليهودية والنصرانية<sup>(3)</sup>.

ويرى هذا المستشرق أن الصفات الشخصية التي أعانت محمدا النبي على نشر الإسلام هي ثلاث صفات رئيسية: موهبته كعراق (كاهن SEER) وحكمته كسياسي ومهارته في الإدارة. ثم يتساءل هذا المستشرق، هل كان محمدا نبيا؟

وفي إجابته على هذا السؤال يزعم أن محمدا كان يتمتع بما يسميه الخيال المبدع، وهو بهذه الميزة يشارك غيره من الفنانين والشعراء والكتاب ذوي الخيال المبدع، فكل هؤلاء يعبرون بالصيغ الحسية عما يشعر به كثير من الناس ولكنهم لا يستطيعون التعبير عنه أنفسهم، ومن ثم يتميز الإنتاج العظيم للخيال المبدع بنوع من "العالمية" لأنه لا يعبر عن مشاعر ومواقف الفرد الذي أنتجه فحسب، بل عن مشاعر ومواقف جيل كامل من الناس .

وبهذا فإن الأنبياء والزعماء الدينيين ذوي النبوءات يشتركون مع غيرهم من الشعراء والفنانين في خاصية

1 - مونتغمري وات، محمد في مكة، (مرجع سابق)، ص 93 .

2 - المرجع نفسه، ص 06 .

3 - أحمد عبد الحميد غراب، الإستشراق، ص 39 .

الخيال المبدع، ومن ثم يعلنون أفكارا تتصل بأعماق التجارب الإنسانية، مع الاهتمام بحاجات العصر، ودأب المستشرقون منذ عهد بعيد على اتهام سيدنا محمدا ﷺ بالأخذ من أشخاص من أهل زمانه فكان من ذلك زعمهم أنه تلقى عن ورقة بن نوفل، وهو ما ذهب إليه قديما درمنغام وغيره، وذهب إليه حديثا مونتغمري وات فقال في أثناء حديثه عن زواج النبي ﷺ من خديجة: «كما أن خديجة كانت ابنة عم رجل يدعى ورقة بن نوفل بن أسد، وهو رجل متدين اعتنق أخيرا المسيحية، غالبا وبالتأكيد فإن خديجة قد وقعت تحت تأثيره، ويمكن أن يكون محمد "قد أخذ شيئا من حماسة فكرته" (2). ثم قال: «ويبدو ورقة من بين الذين اتصل بهم محمد لسبب معرفته بكتب المسيحية المقدسة، ولا شك أن المقطع القرآني حيث رده محمد يجب أن يكون قد ذكره بما هو مدين به لورقة» (3).

ومن حماقات المستشرقين الكذب على سيرة الرسول ﷺ، وهذا يعتبر من منهجهم ولذلك فهم يعتبرون الصلة التي وقعت بين ورقة ومحمدا ﷺ إنما حصلت بعد أن جاءه الملك في غار حراء، والباحث الغربي المتحامل سواء كان مسيحيا أم يهوديا أم ملحدًا ربما يحتسب هذه الحادثة فرصة عظيمة للطعن في نبوة الرسول ﷺ، إذ أثبتت اللقاء، وهي رواية تاريخية ووثيقة معترف بها عند المسلمين في أوثق مصادرهم، فهي مغرية حقا أن تستغل تماما من وجهة نظر الباحث الغربي المغرض .

غير أن الباحث الحيادي التريه يورد على المستشرقين اعتراضا فإن هذا اللقاء إنما تم بعد نزول الوحي على محمدا ﷺ فعلا مما يفيد أنه لا علاقة لورقة به ولا تأثير لآرائه في حصوله قبل هذا اللقاء على الأقل، وهذا استنتاج موضوعي ملزم، فيثبت بالتالي صدق محمدا ﷺ في تلقيه الوحي الأول .

والمستشرق مونتغمري وات نبه الباحثين الغربيين على أن يستدلوا بهذه الرواية ذاتها، فإنها لا تستخدم مآرهم وأغراضهم، ولهذا وجههم بأن من الأفضل لهم أن يستدلوا بافتراض محض "لاختلاق" لا أصلا له في التاريخ إطلاقا، وأرشدهم إلى ذلك بقوله: «ولهذا فمن الأفضل الافتراض بأن محمدا كان قد عقد صلوات مستمرة مع ورقة بن نوفل منذ وقت مبكر وتعلم أشياء كثيرة، وقد تأثرت التعاليم الإسلامية اللاحقة بأفكار ورقة، وهذا ما يعود بنا إلى طرح مشكلة العلاقة بين الوحي الذي نزل على محمد والوحي السابق

1 - أحمد عبد الحميد غراب، الإستشراق، (مراجع سابق)، ص ص 119 - 120 .

2 - مونتغمري وات، محمد في مكة، ص 75.

3 - المرجع نفسه، ص 93 .

كما أثار المستشرقون مرحلة من مراحل حياة محمد ﷺ وهي رحلته إلى الشام، حيث زعم درمنغام ورينيه وغيرهما أن محمدا قد اقتبس الأفكار الدينية من تلك الرحلات، وأنه مر مع القافلة بمدين وهي بلدة في سيناء فأخذ عن رجالها العلم<sup>(2)</sup>.

ولهذا يعتبر وات أنه «في الحقيقة ليس هناك تسجيل أنه رحل من جديد إلى سورية (يعني بعد زواجه من خديجة) ولكن هذا لا يعني أنه لم يرحل، ويمكن أن يكون قد كلف رجالا له بالإشراف على أعماله»<sup>(3)</sup>.  
وبقوله هذا جعل الأصل أن محمدا رحل إلى الشام مرارا بعد زواجه من خديجة، وعدم ذكر شيء في مصادر التاريخ عن أي رحلة له إليها ليس دليلا على عدم الرحلة، بل من الممكن أنه لم يرحل، وهكذا عكس دلالة كتب التاريخ فجعل الاحتمال الذي لا دليل عليه الحدث الأصلي الواقع وجعل ما دلت عليه المصادر وهو عدم الرحلة محتملا احتمالا.

وهذا التصرف المعكوس من مناهج الإستشراق وأساليبه في البحث العلمي الموضوعي.

ويذكر محمد رشيد رضا أن «محمدا ﷺ لم يذهب مع عمه إلى التجارة في الشام إلا وهو طفل، وقد أعاده إلى مكة قبل إتمام رحلته، ثم سافر إليها في تجارة خديجة وهو شاب مرة واحدة، ولم يتجاوز سوق بصرى في المرتين، والقوافل التي تذهب إلى الشام لم تكن تمر بمدين وهي في أرض سيناء، ولم تكن هذه القوافل تضيع شيئا من وقتها للبحث مع العرب أو الأعراب في طريقها عن أنبيائها والتاريخ القلم لبلادها، ولم يعرف عن تجارها أنهم كانوا يعنون بقاء أخبار النصارى ومباحثهم في دينهم وكتبهم، فمن أين جاء لدرمنغام أن محمدا هو الذي كان يشتغل في تلك التجارة والبحث عن الأمم والتواريخ والكتب والأديان، ويُعنى بقاء رؤسائها بالبحث معهم كما يفعل رواد العلم والتاريخ وجواسيس السياسة من الإفرنج في هذا العصر، إنما اخترع هذا، لأنه لا يستطيع تعليل ما جاء في القرآن من قصص الرسل إلا به»<sup>(4)</sup>.

وهناك شبهة أخرى تتعلق بالوحي الإلهي للتشكيك في نبوة محمد ﷺ، ما يسمونه الوحي النفسي، ويذكر محمد رشيد رضا خلاصة ذلك «أن الوحي إلهام كان يفيض من نفس النبي الموحى إليه لا من خارج، ذلك

1 - مونتغمري وات، محمد في مكة، (مرجع سابق)، ص 93.

2 - محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ص 100.

3 - المرجع السابق، ص 74.

4 - المرجع السابق، ص 101.

أن منازع نفسه العالية وسريته الظاهرة وقوة إيمانه بالله وبوجوب عبادته، وترك ما سواها من عبادة الوثنية، وتقاليد وراثية رديئة، يكون لها في جملتها من التأثير ما ينجلي في ذهنه، ويحدث في عقله الباطن الرؤى والأحوال الروحية، فيتصور ما يعتقد أنه ملك من عالم الغيب، وقد يسمعه يقول ذلك، وإنما يرى ويسمع ما يعتقد في اليقظة كما يرى ويسمع مثل ذلك في المنام، الذي هو مظهر من مظاهر الوحي عند جميع الأنبياء، فكل ما يخبر به النبي من كلام ألقى في روعه، أو عن ملك ألقاه على سمعه، فهو خير مادي عنده»<sup>(1)</sup>.

إن هؤلاء المستشرقين يضعون مقدمات للوحي الذي نبع من نفس محمد ﷺ، وهي:

- 1- أنه سمع أن الله سيعث نبيا من العرب مثل الأنبياء السابقين، مما جعله يتعلق بهذا الأمر ليكون هو النبي الذي حان وقت مبعثه .
- 2- ونتيجة لما تقدم، وتوسلا إلى ذلك انقطع إلى العبادة في خلوة طويلة بغار حراء، وهناك اشتد إيمانه، واتسع فكره، وسما وجدانه، وتضاعف نور بصيرته، فاهتدى عقله إلى وحدانية المبدع في الكون عن طريق الظواهر الكونية، وما زال في تفكيره الطويل حتى اهتدى إلى أنه النبي الذي كانت تنتظره الأمم ليخرجها من الظلمات إلى النور .

وتفنيد تصورهم للوحي النفسي يكون كالآتي :

- لم يرد في الأخبار الصحيحة أن النبي ﷺ كان يرجو أن يكون هو النبي المنتظر الذي كانت تتحدث عنه بعض علماء اليهود والنصارى قبل بعثته، ولو روي عنه شيء من ذلك لدونه المحدثون، لأنهم ما تركوا شيئا بلغهم عنه إلا ودونوه، كما رووا مثله عن أمية بن أبي الصلت<sup>(2)</sup>، بل نجد القرآن يصرح بأن محمد ﷺ لم يكن يرجو، قال تعالى: «وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ»<sup>(3)</sup> .

الأمر الآخر أن حديث بدء الوحي السابق الذي ثبت في الصحيحين وغيرهما من المحدثين صريح بأن

النبي ﷺ خاف على نفسه لما رأى الملك أول مرة، ولم تجد زوجته خديجة وسيلة لطمأنته، وتطمئن هي عليه

1 - محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، (مرجع سابق)، ص 86 .

2 - المرجع نفسه، ص 123- 124 .

3 - سورة القصص : 86 .

إلا ابن عمها ورقة بن نوفل أعلم العرب بهذا الشأن وكان منتصرا، وقد قرأ كتب اليهود والنصارى .

وكما يذكر صاحب الوحي المحمدي « لو كانت النبوة أمرا كان يرجوه محمد ﷺ ويتوقعه، وكان قد تم استعداد له باختلافه وتعبه في الغار، وما صوروا به حاله فيه من الفكر المضطرب، والوجدان الملتهب، والقلب المتقلب، حتى إذا كمل استعداده، تجلّى له رجاؤه له واعتقاده، بما تم مراده، لظهر عقب كل ما كانت تنطوي عليه نفسه الوثابة، فكرته الوقادة، في سورة أو سور من أبلغ سور القرآن، في بيان أصول الإيمان، وتوحيد الديان، واجتثاث شجرة الشرك وعبادة الأوثان، وتشريع الأحبار والرهبان، ما سيلقون في الدنيا من الخزي والنكال، وفي الآخرة من عذاب النار؛ كسور: ق، والذاريات، والطور، والنجم، والقمر.... ولضرب لهم المثل بسنن الله في الرسل، كسور الأنبياء، والحج، والمؤمنون»<sup>(1)</sup> .

إن استعداد محمد ﷺ للنبوة والرسالة كان فطريا ولم يكن كسبيا، ولم يرو عنه أنه كان يرجوها، بل أخبر الله عز وجل أنه لم يكن يرجوها كما تقدم، إلا أنه روي عن خديجة ؓ أنها لما سمعت من غلامها ميسرة أخبار أمانته وكراماته وما قاله بحرى الراهب فيه، تعلق قلبها به، وكان أملها بأن يكون هو النبي الذي يتحدثون عنه .

إن الشبهات التي وضعها المستشرقون في مخيلتهم وبنوا عليها أحكاما كثيرة ومتنوعة، لا حصر لها، وكما ذكرنا في الصفحات السابقة أن الغرض من ذلك النيل من الإسلام وعقيدته، وتشكيك المسلمين في نبوة نبيهم محمد ﷺ، ولم يكن في يوم من الأيام الغرض من دراسة السيرة النبوية أو العقيدة الإسلامية معرفة هذا الدين الذي غير مجرى العالم في زمانه وبقي له هذا التأثير على أتباعه إلى يومنا هذا، وكيف أنه بجيوته يكتسب أتباعا جلداء، ويتسع جغرافيا يوما بعد يوم .

لقد أساء المستشرقون لأنفسهم لما زعموا أنهم يدرسون عقائد الإسلام بمنهج علمي بعيد عن التعصب والانهياز وهم قد وقعوا فيه بقصد، ولهذا جاءت جميع أحكامهم مجانبية للصواب الذي ينشدونه في أبحاثهم . وقد كشف المستشرق المسلم الكونت هنري دي كاستري سبب ذلك في كتابه "الإسلام: خواطر وسوانح" إذ قال: «من المحقق أن الاختلاط بين المسيحيين والمسلمين سهل للمنشدين معرفة الدين المحمدي على حقيقته، ولكنهم ما كانوا يقصلون الحقائق في أناشيدهم؛ بل حفظ روح البغضاء في نفوس قومهم .

فلم يزل هذا الروح سائدا عند المسيحيين حتى إن المستشرق بريدو الإنجليزي ألف سنة (1733م) كتابا

في سيرة النبي عنوانه "حياة ذي البدع محمد" وترجمه بعضنا إلى لغتنا، وجعل له مقدمة بين فيها مقصد المؤلف، فقال: «إن غرض واضع هذا الكتاب هو خدمة المقصد المسيحي الحكيم». (1)

ويعقب ذلك المستشرق بهذه الكلمة: «أولئك - الكتاب - ما قصدوا التاريخ، ولكنهم أرادوا خدمة المقصد المسيحي الحكيم كما يقولون، وكان سلاحهم الوحيد في تأييد سواقط حججهم أن يشبعوا خصومهم سباً وشتماً، وأن يحرفوا في النقل ما استطاعوا». (2)

ونجد المستشرق المسلم ايتين دينيه يستشهد بالنص السابق وقد عقب عليه في كتابه "الشرق كما يراه الغرب" بقوله: «هذه حقيقة يجمل بمشترقي العصر جميعاً أن يضعوها نصب أعينهم، فإنها تشفيهم من داء الأحكام السابقة، التي تكلفهم من الجهود ما يجاوز حد الطاقة، فيصلون إلى نتائج لا شك خاطئة». (3)

وإن كان هناك بعض المستشرقين من كان منصفاً كإدوارد سعيد وغيره، ولهذا يؤكد ما ذكرناه سابقاً أن صورة الإسلام في ذهنية المستشرقين - أكانوا مسيحيين أم يهوداً - حالياً ما هي إلا صورة عن افتراءات مستشرفي القرون الوسطى وأنها لم تتغير إطلاقاً.

ولذا يعز دينيه في كتابه "محمد رسول الله" تنكر الغرب للإسلام والمسلمين إلى التعصب الذي ملأ قلوبهم فأعماهم عن إِبصار الحقيقة حيث يقول: «الواقع يشهد أن حرية الرأي مسألة ظاهرية أكثر منها حقيقية، وأن الإنسان ليس حر التفكير على الإطلاق كما يشاء في مسائل معينة، ثم إن التعصب الموروث لدى المسيحيين ضد الإسلام وأتباعه، قد عاش فيهم دهوراً طويلة، حتى أصبح جزءاً من كيانهم». (4)

سادساً - الدلالة على صدق النبي :

1 - في نظر المسلمين :

إن دلالة صدق النبي هي المعجزة هذا ما ذهب إليه جل العلماء، فإذا ما ظهرت معجزة واحدة دلت على صدقه، وإذا ما عجزوا عن معارضتها بمثلها فقد لُزمتهم الحجة في وجوب تصديقه، ووجوب طاعته وإذا طالبوه بمعجزة سواها فالأمر إلى الله تعالى عز وجل إن شاء أيده بها، وإن شاء عاقب المطالبين له بما

1 - ايتين دينيه وسليمان بن إبراهيم، محمد رسول الله، ترجمة عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1981م، ص 15.

2 - المرجع نفسه، ص 15.

3 - المرجع نفسه، ص 56.

4 - المرجع نفسه، ص 345.



وهذا الأمر خلاف ما ذهبت إليه بعض الفرق الضالة، أن النبي ﷺ لا يحتاج إلى معجزة أكثر من استقامة شرعية .

والمعجزة هي برهان صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام في دعواهم الرسالية، وفيما بلقوه بعد ذلك إلى الخلق، وحاصل هذا البرهان أن المعجزة التي خلق الله تعالى على أيدي الرسل وهي الأمر الخارق للعادة، مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة ينزل من مولانا جل وعز منزلة، فلو جاز الكذب على الرسول جاز الكذب عليه تعالى، إذ تصديق الكاذب كذب، والكذب على الله تعالى محال .

إذ خبره تعالى على وفق علمه، والخبر على وفق العلم لا يكون إلا صدقا، فخبره تعالى لا يكون إلا صدقا<sup>(2)</sup>، ومن حق الناس أن يسألوا كل رجل يزعم أنه مرسل لهم من عند الله ما دليلك على صدق قولك؟ فإذا قدم لهم الدليل المقنع على صحة رسالته قبلوه، وقد جاء صالح إلى ثمود يخبرهم بأنه نبي من الله فيدعوهم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا، وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ، الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

ولكن ثمود أعطوا ظهورهم لهذا النصح، وطالبوا صالحا بالبرهان على أنه ليس شخصا عاديا: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ، مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْنُومٍ، وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(4)</sup>، فكان طلب ثمود معتقلا، ولذلك جاءت الإجابة عليه سريعة، وكانت الطريقة التي وجدت وعاشت بها الناقة خارقة لما تعارف عليه القوم، ودل محياها على أنه أثر لقدرة عليا لا لقدرة الناس المعتادة .

وزاد الإمام أبو حامد برهانا آخر في صدق دعوة النبي، وهذا البرهان مستمد من ذات النبي أي نفسه، حيث يقول: « بيان إثباتها بطريقتين: أحدهما جملي، والآخر تفصيلي. أما الجملي فهو كما أن نوع الإنسان تميز عن سائر الحيوانات بنفس ناطقة هي فوقها بالفضيلة العقلية والمسخرة لها، والمالكة عليها المتصرفه فيها، كذلك الأنبياء عليهم السلام تميزت عن نفوس الناس بعقل هاد مهدي هو فوق العقول كلها بالفضيلة

1 - عبد القاهر البغدادي. الفرق بين الفرق، (مرجع سابق)، ص 180 . ينظر : البغدادي، كتاب أصول الدين، ص 173 .

2 - أبو عبد الله السنوسي، شرح أم البراهين في علم الكلام، تحقيق وتعليق مصطفى محمد الغماري. الجزائر، المؤسسة الوطنية

للكتاب، 1989، ص 157. ينظر : البغدادي، كتاب أصول الدين، ص 173 .

3 - سورة الشعراء : 150 - 152.

4 - سورة الشعراء : 153 - 156.

الربانية المدبرة لها والمالكة عليها والمتصرفة فيها .

وكما تميز النبي عن الناس بعقله المناسب للعقول المفارقة، والعقل الأول كذلك تميز بنفسه المشاكلة لنفوس السماوات والنفس الفلكية، وكذلك تميز بطبعه ومزاجه المستعد لقبول العقل والنفس بالفعل»<sup>(1)</sup> .  
 أما البرهان التفصيلي فيراه - أبو حامد - أن له طريقين « الأول برهان أنشئ من الحركات الاختيارية، وهي أقسام. والطريق الثاني أن نقول إن نوع الإنسان محتاج إلى اجتماع على صلاح في حركاته الاختيارية، ومعاملاته المصلحية، ولولا ذلك الاجتماع ما بقي شخصه ولا انخفض نوعه ولا احتس ماله وحرته، وكيفية ذلك الاجتماع تسمى ملة وشريعة»<sup>(2)</sup> .

## 2- في نظر ابن ميمون :

أما موسى بن ميمون، يرى أن ادعاء النبوة ليست متاحة لجميع الأنبياء، وقتما شاءوا، بينما العكس تماما فيما يتعلق بموسى عليه السلام، حيث أن نزول روح القدس عليه يكون وقتما أراد، فهو لم يكن بحاجة إلى الإعداد لعملية التحضير العقلي، ولا التحضير للنبوة في حد ذاتها، وذلك لأنه كان مهياً بطريقة طبيعية، ولهذا السبب نجد أن الرب طمأن موسى عليه السلام، وذلك بهدف أن يكون مستعدا لحمل رسالة النبوة<sup>(3)</sup> .  
 ولا يعتبر ابن ميمون النبي نبيا بمجرد حيازته لهذه الآيات والمعجزات، لكن عندما يتعلق الأمر بذلك الشخص الذي نعرف عنه منذ القدم - قبل نزول الوحي عليه - أنه قادر ومستعد للقيام بتجربة النبوة، وذلك بفضل علمه الذي يميزه عن الآخرين، وأنه يتبع مناهج النبوة، كما أن شهادة نبي سابق على نبي لاحق دال على صدق دعوى النبي<sup>(4)</sup>، ولهذا فهو يرى - ابن ميمون - أننا ملزمون على الإيمان والتصديق به<sup>(5)</sup>، ويستدل بأية من سفر التثنية<sup>(6)</sup>، ويستشهد بموسى عليه السلام، فبني إسرائيل لم يؤمنوا به لمجرد أنه أتى بتلك المعجزات .

إن الاستناد إلى مبدأ الاعتداد بالمعجزات والآيات من شأنه أن يترك مجالاً للشك، وكان هذه المعجزات

1 - أبو حامد الغزالي، معارج القدس في مدارج النفس، الجزائر، شركة الشهاب، 1989م، ص 131.

2 - المرجع نفسه، ص 132-133.

3 - Moïse Maïmonide, Le Livre de Connaissance, P88 .

4 - Ibid, P106 .

5 - Ibid, P89 .

6 - سفر التثنية 18: 15.

كان قد قام بها ساحر عادي . ولهذا السبب نجد أن موسى قام بجميع هذه المعجزات داخل الصحراء من أجل المتطلبات التي اقتضتها تلك الفترة، وليس من أجل إثبات مدى صحة رسالته، وكذلك لما قام موسى بإغراق المصريين .

ويرى ابن ميمون أن إيمان بني إسرائيل بموسى لم يكن بسبب المعجزات التي رأوها في مصر قبل الخروج وبعده، وإنما بسبب الحادثة العظيمة التي أرعبت بني إسرائيل، وهي مشهد الوقوف بجبل سيناء، وذلك عندما تم مشاهدة تلك النيران والأصوات والبروق<sup>(1)</sup> .

ويصل ابن ميمون إلى نتيجة حتمية وهو أنه لا يمكن أن تكون المعجزات دالة على صدق النبي، لأن تلك الخوارق قد يأتي بها مدعي النبوة كالأنبياء الكذبة والسحرة والعرافين والكهنة، وإنما يرى أن وجوده بين قومه واتصافه بصفات الطهارة ومعاناته في دعوته مع شعبه وتحمله للأمن من أجل دعوته هي الدليل على صدق دعواه، وأما موسى عليه السلام بالنسبة لغيره هي وقفة سيناء<sup>(2)</sup> .

وذاك الرأي هو الذي برهن عليه الغزالي، وقد يكون ابن ميمون متأثرا بالغزالي في هذا الاتجاه .

سابعا- صفات النبي بين المسلمين وابن ميمون :

والنبي لكي يصدق من طرف قومه لا بد أن يكون متصفا بصفات تسهل على قومه الإيمان به، وقد جمع العلماء كثيرا من الصفات الضرورية في شخص مدعي النبوة وهي:

1 - الذكورة، وإن كانت هذه الصفة أو هذا الشرط مختلف فيه بين علماء المسلمين، فممنهم من جعلها صفة ضرورية، واستدل على ذلك من الواقع الذي أخبر به الله تعالى عن الرسل والأنبياء الذين بعثهم إلى الناس على مر الزمن، وصفة الكمال التي يجب أن توفرها للرسل والأنبياء، وهي تنافي الأنوثة كما هو معلوم، ولا يتنافى مع هذه الحقيقة إسناد الأمر الإلهي إلى أم عيسى، ولا إسناد الوحي في القرآن إلى أم موسى إذ الوحي المسند إلى أم موسى إنما هو الإلهام. في مثل قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾<sup>(3)</sup> . أما ابن حزم فلا يعتبر تلك الصفة شرطا، لأنه يرى أن هناك نساء نبيات ومنهن مريم أم عيسى عليها السلام، وقد ذكرنا استدلالاته في الفصل الثالث وهو ما ذهب إليه بعض المشايخ من الحنفية، أما أبو

1 - Moïse Maïmonide, Le Livre de Connaissance, P92 .

2 - Ibid, PP94 - 97 .

الحسن الأشعري ومن تابعه فهي ليست شرطا، وإن صحت نبوة النساء<sup>(1)</sup>، أما في اليهودية فصفة الذكورية ليست شرطا، لأنه وجدت عدة نبيات تنبأن لبني إسرائيل مثل ديبورة وغيرها .

2- كذلك كون النبي أفضل من جميع أولئك الذين أرسل إليهم. وأعلم وأفضل من جميع أفراد الأمة لأنه لو وجد من يساويه في الأفضلية، فتكون نبوته عديمة الفائدة، لأن من يعث لإرشاد مجموعة من الناس، يجب أن يكون أفضلهم ليستطيع هدايتهم وإرشادهم إلى الطريق الصحيح<sup>(2)</sup>.

3 - الأمانة ونعني بها الصدق وحفظ الله لظواهرهم مع بواطنهم عن التلبس بأي منهي عنه، ولو لم يكونوا كذلك لكانت بعثتهم إلى الناس عبثا وهو محال على الله عز وجل<sup>(3)</sup>.

4 - العصمة من الذنب والخطأ، أي أن الأنبياء لا يقعون تحت تأثير أهوائهم النفسية، وتجنّبهم للأخطاء والذنوب يضيف عليهم أسمى مرتبة من قابلية الاعتماد<sup>(4)</sup>، وسواء كانت العصمة من الذنب قبل البعثة أو بعدها .

5 - كمال العقل والضبط والعدالة، فهي مستلزمات أداء الرسالة التي كلف بتبليغها، ولو أمكن أن يكون الرسول ناقصا في عقله وعدالته مع تكليفه بتبليغ الرسالة المنوطة به لكان ذلك متنافيا مع أصل الرسالة<sup>(5)</sup>، وهذه الصفة كذلك أقرها ابن ميمون للنبي الذي يدعو قومه إلى الهدى<sup>(6)</sup>.

6 - أن لا تكون أقوال وأفعال من يدعي النبوة مخالفة للضروريات العقلية، ويعني ذلك أن العقل السليم يجب أن يقبل ويقنع ما يقوله، لأنه لو كان ما يقوله مخالفا للبيدهيات العقلية فسوف لا يتبعه العقلاء إطلاقا، ومثال ذلك ما في عقائد اليهود والنصارى من الأمور الخرافية المخالفة لحكم العقل، كاعتقاد اليهود أنهم شعب الله المختار<sup>(7)</sup>.

فهذا الحكم لا يمكن أن يصدر من النبي موسى عليه السلام، لأن الله عز وجل لا يحابي شعبا عن شعب إلا

1 - حسام عبد الوهاب، المسائل الخلافية بين الأشاعرة والماتريدية، (مرجع سابق)، ص 249 .

2 - آية الله السيد عبد المحسن دستغيث، النبوة والإمامة، ترجمة أحمد القبائجي، ص 30 .

3 - ابن الشيخ الحسين سفيان، عقيدة النبوة، الجزائر، منشورات دحل، 1990م، ص 48.

4 - مرتضى مطهري، الوحي والنبوة، ترجمة عباس الترجمان، بيروت، دار الحجة البيضاء، ودار الرسول الأكرم، 2000م، ص 09.

5 - المرجع السابق، ص 49 .

6 - Maïmonide, Le livre de Connaissance, P84 .

7 - آية الله السيد عبد المحسن دستغيث، النبوة والإمامة، ترجمة أحمد القبائجي، ص 30 .

بالتقوى، ولما يعث الله كثيرا من الأنبياء لأمة معينة، لا يعني ذلك أنهم أفضل وأحسن من غيرهم، وأن الله اختارهم على غيرهم بجميل أعمالهم، بل هو لعظم انحرافهم وكثرة إفسادهم في الأرض .

7- أن يؤيد بمعجزات، ونيس بالضرورة بقاؤها بعده<sup>(1)</sup>، وهي ما نسميها خوارق خارجة عن قدرة البشر، لتسهيل إيمان الناس به في دعواه .

وصفات النبي فيها تفاوت وتباين كبير بين علماء الأمة، فهذا الراغب يعطي صفات غير التي ذكرناها وهي أكثر مما ذكرناها :

- أن يكون النبي من أشرف نسل حتى لا يكون عليه في ذلك غمز. وعلى هذا نبه المولى عز وجل ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾<sup>(2)</sup> .

- أن لا يكون مؤوفا في بدنه ولا مشوها في خلقته، وهذه الصفة أخذ بها ابن ميمون حيث يرى أنه لا بد أن يكون سليم الجانب الجسدي أو الصحي<sup>(3)</sup> .

- أن يكون طاهر النفس من الأخلاق الدنيئة، وكذلك اشترط هذا الشرط ابن ميمون<sup>(4)</sup> .

- أن يكون ما يدعيه ويدعو إليه موافقا للعقل، لأن الذي يدعو خلاف ذلك لا يصفى إليه وهذه الخصلة ذكرها ابن ميمون من ضمن صفات النبي<sup>(5)</sup> .

- أن يكون مجيئه في وقت يختل الدين، وتشتد الحاجة إلى من يتداركه إما بإصلاحه وتنقيته على ما كان، وإما بتغييره إلى ما هو أصلح في وقته .

- أن يكون المكان المبعوث فيه مقتضيا لذلك .

- أن يكون الأمر الذي يأتيهم به هو الذي يتمناه أولوا الألباب في زمانه، ويظهرون الرغبة فيه و على ذلك نبه بقوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ الْغَوِيِّينَ ﴾<sup>(6)</sup> .

- أن يكون رشيدا وقد أشار القرآن إلى ذلك لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ

1 - آية الله السيد عبد المحسن دستغيث، النبوة والإمامة، ترجمة أحمد القباني، (مجمع سابق)، ص 37 .

2 - سورة آل عمران : 33- 34 .

3 - Moïse Maïmonide, Le livre de Connaissance, P84 .

4 - Maïmonide Moïse, Loc,Cit .

5 - Ibid, P85 .

6 - سورة فاطر : 42 .

عَالَمِينَ ﴿١﴾، وهذه الصفة قد أخذ بها ابن ميمون (2).

- أن يكون من قبله من الأنبياء قد بشر به تعريفاً وعلى وجه يعرف مغزاه أولوا الأحلام وأولوا الأبواب، كما نبه بقوله تعالى في قصة عيسى عليه السلام ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (3).

- أن يؤخذ بأذن زلة تقع منه وأيسر هفوة تبدر، لئلا تستمر به العادة فتؤدي إلى ما هو أكبر منه، ولهذا ما قرع محمد ﷺ بأن قال: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (4)، وهو ما ذهب إليه ابن ميمون (5).

- أن يخصه الله تعالى بفضل إكرام وإيجاب وإجابة دعوة كما فعل بموسى عليه السلام حين قال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (6). إلى قوله ﴿قَدْ أَوْتَيْتَ سؤُوكَ يَا مُوسَى﴾ (7).

- أن يملئه الله بسكينة وروح من عنده وبنور يسري في مشاعره وحواسه، فيكون ذلك سبباً لاستعطاف نفوس الناس إليه، حتى يكاد ما ينظر إليه ذو بصيرة إلا هابه وآثره وأحبه، وذلك هو المشار إليه في قوله تعالى لموسى ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ (8)، وقدمه على النفس والأهل والولد (9).

وهناك صفات أخرى ذكرها ابن ميمون وهي:

- أن يكون النبي ذا ملكة فكرية تتميز بالذكاء الحاد.

- أن يحوز الإدراك القوي في فهم طبيعة الأشياء لاسيما تطرقه للميتافيزيقا.

- أن يكون متوجها نحو ربه، ومتعلقاً بحبله المتين كي لا يجحد عنه ويهوى. وعندها ستهبط عليه البركة الربانية من السماوات العلى حتى مركز الأرض وذلك إذا وعى بشكل تام ما مدى الفطرة الإنسانية، وعندها يعتمد عليه الرب مباشرة على أساس أنه النبي، وأثناء ذلك الوقت يتم استقبال الروح على مستوى الملائكة الذين يسمون "إسحيم"، حتى يتغير ويصبح إنساناً آخر، وعندها سيتحقق من نفسه ويعرف أنه لم

1 - سورة الأنبياء : 51 .

2 - Moïse Maïmonide, Le Livre de Connaissance. P 84 .

3 - سورة الصف : 06 .

4 - سورة الأنفال : 69 .

5 - Moïse Maïmonide, Loc,Cit .

6 - سورة طه : 24 - 25 .

7 - سورة طه : 35 .

8 - سورة طه : 38 .

9 - الراغب الأصفهاني، الاعتقادات، ص ص 122 - 123. ينظر: الماوردي، أعلام النبوة، ص ص 56 - 57 .

يعد ذلك الشخص السابق<sup>(1)</sup>.

ثامنا - مفهوم المعجزة :

1- في نظر اليهود :

لحاول أن نعرف المعجزة، في الديانة اليهودية، ليس هناك تعريف محدد لمفهوم المعجزة في الكتاب المقدس إلا أنه قد يشار إليها بالآية، بالعبرية " أتوت " وبال يونانية *seméia*<sup>(2)</sup>، ويرى معجم اللاهوت الكتابي أن استخدام لفظ الآية يتجاوز حدود الاستخدام للفظة المعجزة، من حيث أنها تبرز جيدا بعد الآية أو الرمز الذي تخفيه كل خارقة دينية، وعلى هذا النحو ف شخص النبي قد يكون آية، لأن وجوده يرمز إلى "كلمة الله"<sup>(3)</sup>.

2- في نظر علماء المسلمين :

أما إذا لجأنا إلى اللسان العربي فقد قال البغدادي في " كتاب أصول الدين " : « المعجزة في اللغة مأخوذة من العجز الذي هو نقيض القدرة، والمعجز في الحقيقة: فاعل العجز في غيره، وهو الله تعالى كما لو أنه هو المقدر لأنه فاعل القدرة في غيره، وإنما قيل لأعلام الرسل عليهم السلام، معجزات لظهور عجز الرسل إليهم عن معارضتهم بأمثالها وزيدت الهاء فيها ف قيل " معجزة " للمبالغة في الخبر عن عجز المرسل إليهم عن المعارضة فيها، كما وقفت المبالغة في قولهم علامة ونسابة ورواية<sup>(4)</sup> .

أما مفهوم المعجزة اصطلاحا حيث يذهب علماء الكلام من المعتزلة « فهو الفعل الذي يدل على صدق المدعي للنبوته<sup>(5)</sup>، أما عند البغدادي فهي: « ظهور أمر خلاف العادة في دار التكليف لإظهار صدق دعوى نبوة من الأنبياء، أو ذي كرامة من الأولياء مع تكول من يتحدى به عن معارضة مثله<sup>(6)</sup> .

ونجد في التعريفين اختلاف، حيث نرى البغدادي قد أدخل كرامات الأولياء مع المعجز في نفس الحد،

1 - Moïse Maimonide, *Le Livre de Connaissance*, PP 84 - 85 .

2 - فاضل سيداروس وآخرين. معجم اللاهوت الكتابي، ص 478 . « ثم قال الرب لموسى ادخل إلى فرعون فإني أغلظت قلبه وقلوب عبيده لكي تُصنع آياتي هذه بينهم » سفر الخروج 10: 10.

3 - المرجع نفسه والصفحة . والآيات الإعجازية تؤيد هذه الكلمة، لأنها تظهر بأعمال واقعية الخلاص الذي يبشر به رجال الله، وهي تثبت هؤلاء كمرسين حقيقيين من الرب . سفر الخروج 01 : 04 - 05. وسفر مزمور أول 36 : 18 - 38 .

4 - عبد القاهر البغدادي، كتاب أصول الدين، ص 170.

5 - القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمس، ص 28 - 29 .

6 - المرجع نفسه، ص 28 - 29. ينظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 279 .

وهذا ما يرفضه المعتزلة لأنهم يفرقون بين المعجزة والكرامة، بأن الأولى ما يكون للرسول بعد أن يدعى أنه رسول، ويطلب التصديق من الله سبحانه وتعالى فتحيء المعجزة لتدل على صدقه، أما الأولياء فلا يدعون أنهم رسل، ولذلك اختلفوا في الصفة التي يحصل عندها الفعل الناقض للعادة .

فالمعتزلة ترفض ظهور الإعلام على غير الرسل حتى ولو كانوا أولياء، لأنه لا يجوز أن يظهر على هذا الحد إلا ويدل على النبوة<sup>(1)</sup> .

والمعتزلة يستدلون على رفضهم ظهور المعجزات للصالحين بأنه لو كانت تظهر عليهم لظهرت على السلف الصالح من كبار الصحابة أولى بأن تظهر على غيرهم ممن نشك في حالهم<sup>(2)</sup> .

كذلك يرى القاضي عدم حصول المعجزة إلا على الأنبياء لكونها فعلا من قبله تعالى المقصود به الدلالة على صدق الرسول بعد أن يدعو الله أن يصدقه، وبالتالي لا يجوز أن تكون لمن يدعي الرسالة لأنه يلزم من قال أنها تظهر على غيرهم أن يكون مبنيا للدلالة في غير موضع، وهي غير دالة وأن يكون قادحا في أعلام الأنبياء، ويفارق ذلك دلالة التصديق<sup>(3)</sup> .

### 3- في نظر ابن ميمون :

وقد عالج مفهوم المعجزات وفق النواميس الكونية، مما يعني أن الرجل كان يتمتع بحظ من الفكر المستتير، فيقول: « وإن كان الحكماء- عليهم السلام- قد قالوا في المعجزات كلاما غريبا جدا نجده منصوصا في "براشيت ربه" وفي "مدرش الجامعة". وذلك المعنى هو أنهم يرون أن المعجزات هي مما في الطبع أيضا على جهة ما. وذلك أنهم قالوا أنه عندما خلق الله هذا الوجود وطبعه على هذه الطبائع جعل في تلك الطبائع أن يحدث فيها كل ما يحدث من المعجزات في وقت حدوثها، وآية النبي أن أعلمه الله بالوقت الذي يدعى فيه ما يدعى، فينفع ذلك الشيء، كما جعل في طبعه في أصل ما طبع»<sup>(4)</sup> وهو ما قال به بعض الفلاسفة من أن ثمة قوانين طبيعية نجعلها، وتحقق المعجزات والكرامات عن طريقها .

وفاعلية المعجزات التي ركز عليها ابن سينا بقوة، فإن ابن ميمون يردّها إلى شيء ضئيل، وهذا راجع إلى أن نظريته في المعجزة تندرج في نظام الطبيعة، وهذا فإن دور النبي يقتصر على إعلان المعجزات التي لم

1 - القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب العدل والتوحيد، (مرجع سابق)، ج15، ص234 .

2 - المرجع نفسه والجزء، ص241 .

3 - المرجع نفسه والجزء، ص234 - 235 .

4 - موسى بن ميمون، دلالة الحاترين، ص371 .



يطلبها هو بنفسه .

والمعجزة هي إحدى خوارق العادات الخمس<sup>(1)</sup>، ولكي نفرق بين المعجزة وغيرها من خوارق العادات، لا بد أن تكون لها شروط .

تاسعا- إمكان المعجزة :

1- في نظر مفكري الإسلام :

تناولنا في الصفحات الماضية عن إمكانية النبوة، وتناول الآن إمكانية المعجزة، ونذكر هنا بأنه يكفي دليلا عن إمكانية المعجزة أنها كما قال ابن سينا : « أنه ليست من الأمور المنكرة أو المستغربة، أن يكون من القوى النفسانية ما هو أقوى فعلا وتأثيرا من أنفسنا نحن، حتى لا يقتصر فعلها في المادة التي رسم لها وهو بدنها، بل إذا شاءت أحدثت في مادة ما تصوره بأسباب في نفسها وتأثيرها في هيولى العالم، لا يخرج عن نوع تأثيرها في هيولها فمبدأ التأثير في كل منهما، ما هو إلا إحداث تحريك وتسكين وتبريد وتسخين وتكثيف وتلين، ويتبع ذلك بالنسبة لهيولى العالم، أن تحدث سحب ورياح وصواعق وزلازل وتتبع مياه وغيون وما أشبه ذلك »<sup>(2)</sup>.

وهذا الكلام عند ابن سينا وغيره من فلاسفة الإسلام مبني على تسليمهم من أن النفس البشرية هي من جوهر العقول المفارقة، غير لصيقة دائما ببدنها وتستطيع أن تؤثر في العالم تأثير تلك العقول إن قدرت أن تغلب على جسمها وتقهره وتتغلب عليه، وهذا لا يكون إلا للقليل من الناس، وهم أصحاب النفوس الطاهرة والقدسية من الأنبياء ومن على شاكلتهم من الفلاسفة الذين يصلون إلى هذه الرتبة، بعد أن تصفو نفوسهم وتتجرد عن جسدها عن طريق التمرينات والرياضات<sup>(3)</sup>.

وحتى لا يكون لمنكري المعجزة شك في إمكانيةها، يضرب الفلاسفة من واقع الحياة المرئي فيما بيننا لتقريب أمر المعجزات « والتي يتضح فيها أنها من تأثير النفوس في هيولاها أو في هيولى العالم فيذكرون من

1 - وهي الإرهاص وهو الأمر الخارق المتقدم على تحدي النبي ودعواه النبوة كإظلال الغمام فهو لم يقع له - ﷺ - إلا قبل النبوة، الكرامة خارق للعادة لا على سبيل التحدي، ويدخل فيها ما وجد من خوارق العادات بعد التحدي، المعونة خارق للعادة تكون على يد بعض المؤمنين كإنقاذ من مهلكة وتخليص من ورطة بوجه خارق للعادة، والمهونة خارق للعادة على خلاف دعوة التحدي كما وقع لمسلمة أنه ثقل في بر ليكثر ماؤها فغار. أحمد بن علان الصديقي، دليل الصالحين لطرق رياض الصالحين، (مرجع سابق)، ج 04، ص 315 .

2 - نقلا عن: عبد الفتاح أحمد الفاوي، النبوة بين الفلسفة والتصوف، ص 157 .

3 - المرجع نفسه و لصفحة .

تأثيرات النفس على هيولاها حمرة الوجه عند الخجل وصفرتة عند الوجع، كما يذكرون ما يؤديه، وهم الماشي على جذع معلق من السقوط في الوقت الذي لا يحدث مثل ذلك لو كان الجذع على الأرض، ويذكرون من تأثيرات النفس على هيولى غيرها ما يفعله الحاسد بالمحسود والساحر بغيره، ويستدلون من هذا وذاك بأنه لا ينكر أن تكون للنبي نفس أقوى يستطيع بها التأثير في هيولى العالم بأسره كما سبق»<sup>(1)</sup>.

ولابن سينا نص يثبت ويشرح إمكانية المعجزة، ولا يترك بعده شكاً حيث يقول: «كثيراً ما تؤثر النفس في بدن آخر كما تؤثر في بدن نفسه تأثير العين العائنة والوهم العامل، بل النفس إذا كانت قوية شريفة شبيهة بالمبادئ أطاعها العنصر الذي في العالم وانفعل عنها، ووجد في العنصر ما يتصور فيها. وذلك لأن النفس الإنسانية، غير منطبعة في المادة التي لها، لكنها منصرفة إليها... فلا بدع أن تكون النفس الشريفة القوية جداً تجاوز بتأثيرها ما يختص بها من الأبدان إذا لم يكن انغماسها في الميل إلى ذلك البدن شديداً قويا وكان مع ذلك غالباً في طبيعته قويا في ملكته جداً فتكون هذه النفس ترى المرضى، وتمرض الأشرار، ويتبعها أن تقدم طبائع، وأن تؤكد طبائع، وأن تستحيل لها العناصر فيصير غير النار ناراً وغير الأرض أرضاً، وتحدث بإرادتها أيضاً أمطاراً وخصباً كما يحدث خصف ووباء... وهذه من خواص القوى النبوية»<sup>(2)</sup>.

ولهذا نجد ابن سينا يقول: «فإياك أن تستبعد أو تستنكر وقوع بعض هذه الخوارق على يد النبي أو غيره، لأن الأمر من الإمكان بدرجة لا تقبل الشك بل إن في المركبات... ما حكمه أعجب من حكم هذه الخوارق، وهذا هو الحيوان المتحرك بالإرادة الذي يتغذى وينمو ويولد بل الإنسان، وما يخصه من الأحكام الإنسانية أمره كله عجب إن لم يكن أشد عجباً من مثل هذه الخوارق»<sup>(3)</sup>، والتأمل لكلام ابن سينا يجده رغم إيمانه بمعجزات الأنبياء ودفاعه عنها، لم ينسى قط أنه فيلسوف له رأي في ترابط العالم ترابط العلة بالمعلول، فأمن بأن المعجزة خارقة للعادة ومخالفة للمشاهد، إلا أنها ليست مخالفة لنظام طبيعي تسيير عليه وأسباب تؤدي إليها، فهو لم يخرج المعجزات أو الخوارق أي كانت عن دائرة السببية والعلية<sup>(4)</sup>.

والذي ذهب إليه ابن سينا وغيره من الفلاسفة عموماً من عدم خروج المعجزات وغيرها من الخوارق عن دائرة السببية والعلية، يتعارض هذا مع ما ذهب إليه بعض الفلاسفة، لأنه يجزنا في نظرهم إلى إنكار

1 - عبد الفتاح أحمد الفاوي، النبوة بين الفلسفة والتصوف، (مرجع سابق)، ص 158 .

2 - أبو علي ابن سينا، الشفاء، الطبيعيات، تحقيق، جورج قناتي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، [د، ت] ص 195 .

3 - المرجع نفسه، ص 236 .

4 - أبو علي بن سينا، الشفاء، الطبيعيات، تحقيق، جورج قناتي، ص 159 .

المعجزات، فمن يسلم، كما يرى الغزالي أنه ليس من الضروري اقتران الأسباب بالمسببات<sup>(1)</sup>.

ويذهب الأشاعرة أن الله عز وجل تستند إليه جميع الممكنات ابتداء بلا واسطة، وأنه تعالى قادر مختار، فلا يجب عليه صدور شيء منه، ولا علاقة بين الحوادث المتعاقبة والمتالية إلا بإجراء العادة، وذلك يخلق بعضها عقب بعض كالإحراق عقب ملامسة النار، والري بعد شرب الماء، فليس للعلامسة والشرب دخل في الإحراق والري عند الأشاعرة، بل أن الأمر يعود لقدرته جل اسمه، واختياره له<sup>(2)</sup>.

وهذا ما ذهب إليه الإمام أبو حامد الغزالي بقوله: «ليس ضروريا عندنا، بل كل شيئين، ليس هذا ذاك، ولا ذاك هذا ولا إثبات أحدهما متضمنا لإثبات الآخر، ولا نفيه متضمنا لنفي الآخر، فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر، مثل الري والشرب والشبع والأكل والإحراق ولقاء النار، والنور وطلوع الشمس، والموت وجز الرقبة ... وهلم جر إلى كل المشاهدات ... فإن اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه، يخلقها على التسابق لا لكونه ضروريا في نفسه، بل في المقذور خلق الشبع دون الأكل، وخلق الموت دون جز الرقبة، وإدامة الحياة مع جز الرقبة»<sup>(3)</sup>.

ويشرح الغزالي بناء على هذا الرأي معجزة إبراهيم عليه السلام، بأن النار خلقت بصورة تحرق القطن عند ملاقاته، ويجوز أن لا تحرق النار القطن أو النبي، إما بتغير صفة النار، أو بتغير صفة القطن، أو النبي، ويرى أن المعجزات تصدر عن إله على يد النبي بواسطة ملائكة، أو بلا واسطة، إذا توافرت الاستعدادات. ويذهب الغزالي للاستدلال على رأيه بقوله: «إن المادة قابلة لكل شيء، فالتراب وسائر العناصر يستحيل نباتا، ثم النبات يستحيل عند أكل الحيوان له دما، ثم الدم يستحيل منيا، ثم المنى ينصب في الرحم فيتخلق حيوان، وهذا بحكم العادة واقع في زمان متناول، فلم يُحِلْ الخضم أن يكون في مقدورات الله تعالى، أن يدير المادة في هذه الأطوار، في وقت أقرب مما عهد فيه وإذا جاز في وقت أقرب فلا ضبط للأقل، فيستعجل هذه القوى في عملها، ويحصل به ما هو معجزة للنبي عليه السلام»<sup>(4)</sup>.

وعلى الرغم من التفسير الطبيعي للمعجزات لدى الفلاسفة، إلا أنهم لم يكن غرضهم التشكيك أو الإنكار، كما اتهمهم البعض، وإنما أرادوا الاستدلال على إمكانية المعجزة على المستوى العقلي، ولا يعني

1 - أبو حامد الغزالي، مقالات الفلاسفة، تعليق صلاح الدين الهوارى، صيدا، المكتبة العصرية، 2003م، ص 177.

2 - المرجع نفسه والصفحة .

3 - المرجع نفسه، ص 176.

4 - أبو حامد الغزالي، مقالات الفلاسفة، تعليق صلاح الدين الهوارى، ص 181.

ذلك إنكار التدخل اللاهي في جريانها .

والذي يدل على حسن معتقد كثير من الفلاسفة في أمر المعجزات قول ابن رشد: « أن يدعى الخصم أن فاعل الاحتراق هو النار فقط، وهو فاعل بالطبع لا بالاختيار، فلا يمكنه الكف عما هو في طبعه، بعد ملاقاته لمحل قابل له، وهذا مما ننكره، بل نقول: فاعل الاحتراق بخلق السواد في القطن والتفريق في أجزائه وجعله حرقاً ورماداً هو الله تعالى، إما بواسطة الملائكة، أو بغير واسطة فأما النار فهي جماد لا فعل لها»<sup>(1)</sup>.

ولهذا فالفلاسفة تركوا أمر المعجزات وعدم التعرض لها بالفحص لأنها مبادئ الشرائع، والفاحص عنها والمشكك فيها يحتاج إلى عقوبة عنده، ويقصد ابن رشد عند علماء الكلام والشريعة، « مثل من يفحص عن سائر مبادئ الشرائع العامة، مثل: هل الله تعالى موجود؟ وهل السعادة موجودة؟ وهل الفضائل موجودة؟ وأنه لا يشك في وجودها، وأن كيفية وجودها هو أمر إلهي معجز عن إدراك العقول الإنسانية»<sup>(2)</sup>.

الاهتداء إلى عقيدة التوحيد يعتبر فتحاً علمياً صحح نظر الإنسان إلى الكون والحياة، ولم يكن قصاراه أنه فتحاً دينياً يصحح إيمانه واعتقاده « لأن حقائق الكون الكبرى لن تنكشف لعقل ينظر إلى الكون كأنه أشتات مفرقة بين الأرباب، يتسلط عليها هذا بإرادة ويتسلط عليها غيره بإرادة تنقضها، وتمضي بها إلى وجهة غير وجهتها، فلم يكن التوحيد عبادة أفضل من عبادة الشرك وكفى، بل هو علم أصح، ونظر أصوب، ومقياس لقوانين الطبيعة أدقّ وأوفى ...»<sup>(3)</sup>.

فالإيمان بإمكان المعجزة فتح كفتح عقيدة التوحيد، لأنه يخلص العقل الإنساني من حجر من نظرتة للواقع، على أنه أبواب الاحتمال غير باب واحد .

ولهذا فعلماء العصر قد تخلصوا من سيطرة القوانين التي سميت لوقت قريب بقوانين الطبيعية، واستقر في أذهان أجيالها أنها تقيد الظواهر الطبيعية، فلا يستطيع العقل الإنساني أن يشرحها أو يفسرها بغيرها .

والإيمان بإمكان المعجزة نظر يصل إليه مؤمن بعقيدته، لم يبلغ مبلغ ديكارت في عمق الفلسفة، أو مبلغ العلماء في التدقيق في قوانين الطبيعة، لهذا فالذي يسأل هل يمكن أن تجري المادة على غير هذه الصورة؟

1 - ابن رشد، تاملت التهاالت، تعليق أحمد شمس الدين، ط01، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001م، صص 348 - 349 .

2 - المرجع نفسه، ص346 .

3 - عباس محمود العقاد، إبراهيم أبو الأنبياء، ص202 .

فالذي يقول بالإمكان أصدق نظرا ممن يجيب بالاستحالة والامتناع، وهو أصوب في نظرتة للكون، لأنه لم يحاصر عقله وتفكيره، ومنع عنه حرية إطلاق عنان التأمل والفكر فهو بهذا مارس حرية الكشف والفكر، وهي أسمى نعمة يستعملها الإنسان لكشف حقائق الكون، وهو أحسن حالا ممن يفرضون على الكون صورة محدودة من بداية تكوينه إلى غاية نهايته .

ولهذا فالمعجزة ممكنة، لأن عناصر الكون كلها ترجع إلى أصل واحد، وليست خصائص هذه العناصر موضوعة فيها بمشيتها، وليست كل خاصة من خواص العناصر المشكلة للكون مستقلة عن سائرهما .

إن الذي أودع في الأصل الواحد كل هذه الصور قادر على أن يودعه صوراً أخرى، ولهذا قال العقاد: « وعلى الذي يجزم بالاستحالة أن يقيم الدليل، أما القائل بالإمكان فالواقع هو دليله الذي يقيس عليه .

فليس المقياس الحق للمعجزة أن تسأل: هل هي ممكنة أو غير ممكنة؟ كلا بل المقياس الحق أن تسأل عن حكمتها ولزومها، فإن الذي يدبر الكون كله يتره عن العبث، فلا يصنع شيئا لغير حكمة، ولا تفوت هذه الحكمة إدراك الناس ماداموا هم المقصودين بإدراكها»<sup>(1)</sup> .

ذلك هو مقياس العقاد في نظرتة لإمكانية المعجزة، فالمعجزة متى وقعت، لا بد أن تكون معجزة، ولا بد أن يكون الناس في النظر إليها بصراء بحقيقتها غير مخدوعين فيها، لأن الإيمان الصحيح بحقائق الكون هو أن المعجزة ممكنة، والإيمان الصحيح أنها ممكنة لحكمة .

وحقائق الكون مشاهدة يوميا والقائمة حيشما جال الإنسان بعينه، فهو معجزة تدعو إلى العجب لقوله تعالى: ﴿ إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾<sup>(2)</sup>. إلا أن هذه المعجزات تدعو العقل لفهمها والتأمل فيها، وليست هي المعجزات التي تبطل عمل العقول .

والكون وما فيه كله معجزات، يلاحظها العقل حيشما نظر بصره وعقله، وهي معجزات لا تكف العقل عن الرؤية والتأمل، ولا تدعه إلى التسليم والركون إلى البطالة الفكرية .

1 - عباس محمود العقاد، إبراهيم أبو الأنبياء، (مرجع سابق)، ص 203 .

2 - سورة البقرة : 163 .

والمعجزة نراها معجزتين: معجزة موجودة تتجه بالعقل إلى التأمل والبحث والاكتشاف، وهي كما ذكرنا مرئية أينما حل الإنسان في جزء من أجزاء الكون، ومعجزة دورها قهر الخصم وإظهار عجزه وعدم قدرته وتحديه أمام صاحب المعجزة .

والأديان السماوية، أديان تتناسق وتستجيب للفهم والموازنة بين الأمور، فهي أديان المعجزات في كل شيء، وهي ليست بأديان المعجزات التي تفحم العقل ولا تقنعه، لأنها أديان التفكير والتأمل<sup>(1)</sup> .

والمعجزات تسمى خوارق العادات، فلا يجوز لأحد أن ينكرها فيما علمناه في هذا العصر على الأقل من أمور كثيرة كانت في نظر الأقدمين من خوارق العادات، وهي اليوم من الممكنات المتواترة، وما جاز فيما نعلمه يجوز فيما نجهله، وهو أكثر من المعلوم لنا الآن بكثير .

فليس من المستحيل عقلا أن يتم في ثانية ما تعودنا أن يتم في عام، وكذلك لا يستحيل عقلا أن ينعكس هذا فيتم في الزمن الطويل والأمد الفسيح ما تعودنا أن نراه في الزمن القصير والأمد الصغير .

ولهذا فلا استحالة في خوارق العادات، والذي يقول باستحالتها لزمه الإثبات، لأنه يدعي الاستحالة عقلا من غير دليل .

إذن فالدين يضع المعجزة في موضعها من التفكير والاعتقاد، فهي ممكنة لا استحالة فيها على الخسائق المبدع لكل شيء، إلا أنها لا تهدي من لم تكن له هداية من بصيرته واستقامته تفكيره .

## 2- في نظر ابن ميمون :

لقد أشار ابن ميمون إشارة خفيفة على إمكانية المعجزة على أساس الاعتقاد بحدوث العالم. حيث يقول: «واعلم أن مع اعتقاد حدوث العالم تصير المعجزات كلها ممكنة...»<sup>(2)</sup> يرى ابن ميمون أن المعجزات من الأمور المخارقة للعادة، لأنها ظواهر لا تستمر في الوجود والبقاء - لها زمان ومكان محددان - ولا صارت جزء من الطبيعة، أي من الظواهر الكونية المشاهدة يوميا، ويستشهد على ذلك ببعض معجزات موسى عليه السلام . مثل: انقلاب العصا ثعبانا، وانقلاب الماء دما، واليد الطاهرة الكريمة تصبح بيضاء، من غير سبب موجب لذلك<sup>(3)</sup>، وهو مقتنع بذلك، وبذلك يخالف علماء اليهود (الحكماء)، الذين يرون أن

1 - عباس محمود العقاد، التفكير لرياضة إسلامية، الجزائر، مكتبة رحاب، [د، ت]، ص 85 .

2 - موسى بن ميمون، دلالة الحاترين، ص 335 .

3 - مصدر نفسه، ص 371 .

المعجزات هي مما في أصل الكون والخليقة، لاعتقادهم انه لما خلق الله هذا الوجود وطبعه على هذه الطبائع والنواميس، جعل في تلك الطبائع الكونية كل تغير يحدث فيها يعتبر معجزات في وقت حدوثها، وهذا الرأي الأخير-أي الحكماء - صائب من ناحية أن كل ظاهرة كونية تحدث أو مشاهدة في الأصل. كالشمس وغيرها معجزة، إلا أن القصد منها ليس التحدي وإنما للدلالة على القدرة الإلهية، وهو ما يخالف فيه ابن ميمون الحكماء، والمعجزات عنده هي التي تحدث بصورة مفاجئة من النبي ولا تستمر في حياته وبعده، ولا تكون ظاهرة من الظواهر الكونية بعد ذلك .

عاشرا- شروطها :

1- في نظر اليهود:

أما شروط المعجزة في الديانة اليهودية أربعة :

(أ) - أن تقع في الوقت الذي حدده النبي، كما جاء في سفر صمويل الأول<sup>(1)</sup>، والملوك الأول<sup>(2)</sup> .  
(ب) - أن تكون أمرا غير معتاد .

(ج) - استمرارها كما في دوام البركات واللعانات .

(د) - أن يقدر عليها الأنبياء وحدهم ويعجز عنها سائر الناس<sup>(3)</sup>، والمعجزة إذا تحققت شروطها دلت وجوبا على النبوة، حيث يقول الفيومي: «فأي رسول اختاره الخالق لرسالة، جعل سبيله أن يعطيه علامة من هذه العلامات، إما قهر طبائع، كمنع النار أن تحرق، وحبس الماء أن يجري، وإيقاف الفلك عن سيره، وما أشبه ذلك. أو قلب عين، كأن يقلب الحيوان جمادا، والجماد حيوانا، والماء دما والدم ماء، فإذا دفع إليه علامة من هذه وجب على من رآها من الناس أن يفضلوه ويصدقوه فيما يقول»<sup>(4)</sup> .

2 - في نظر علماء الإسلام :

أما عند علماء الإسلام فهي:

(أ) - أن تكون من فعل الله عز وجل أو ما يجري مجرى فعله وإن لم يكن في نفسه فعلا .

1 - سفر صمويل الأول 18 : 12 .

2 - سفر الملوك الأول 13 : 05 .

3 - سعديا الفيومي، الأمانات والاعتقادات، نقلا عن: عبد الراضي محمد عبد المحسن، المعتقدات الدينية لدى الغرب، ص ص 148- 149 .

4 - سعديا الفيومي، نقلا عن: المرجع نفسه، ص 149 .

(ب) - أن يكون ناقضا للعادة فيمن هو معجز له وحجة عليه، سواء للإنس والجن، لأنها لو لم تكن ذلك لأمكن للكاذب ادعاء النبوة، فخرج بهذا السحر والشعوذة والمخترعات الغريبة .

(ج) - أن يتعذر عن التحدي به فعل مثله في الجنس أو على الوجه الذي وقع التحدي عليه .

(د) - أن يكون مطابقا لدعوى من ظهرت عليه على وجه التصديق، فإذا جاءت عكسه سميت إهانة، كما حصل لمسيمة فإنه تفل في عين لتبرأ فعميت السليمة .

(هـ) - أن لا يتأخر عن دعواه تأخرا يعلم أنه لا يتعلق بها، كما إذا تأخرت بزمن يسير فزج بهذا الإرهاص .

(و) - أن يكون ذلك في زمن التكليف<sup>(1)</sup>، وزاد بعضهم أنه إذا أراد الله أن يبعث نبيا إلى خلقه أن يجعل معجزته من جنس ما برع فيه قومه، وهذا ليسهل عليهم الإيمان بدعوتهم<sup>(2)</sup> .

والحقيقة أن هناك بعض الشروط التي ذكرها البغدادي أو غيره مثل: أن تكون من فعل الله عز وجل أو ما يجري مجرى نقله وإن لم يكن في نفسه فعلا، تخل بشروط المعجزة، ومناقضة لها أو ما يجري مجرى فعله ليس هناك ما يجري مجرى الله، أو يقدر على المعجزات سواء بما في ذلك الرسول أو الملاك.

وكذلك أن كثيرا من المعجزات تتم قبل التكليف للنبي بل وقبل ولادته كما هو معروف في البشارة وبعد مماته في الظواهر الطبيعية مثل الرعد والبرق ساعة الموت<sup>(3)</sup> .

حادي عشر - أصناف المعجزات :

1- في نظر علماء الإسلام:

أما في الإسلام هناك اختلاف بين العلماء في تصنيف وتقسيم المعجزات، فعند البغدادي أنها في الجملة

نوعان:

أحدهما: وجود فعل غير معتاد مثله.

1 - عبد القاهر البغدادي، كتاب أصول الدين، (مرجع سابق)، ص171. ينظر: الحويني، الإرشاد، ص309 - 313 .

2 - الراغب الأصفهاني، الاعتقادات، ص131.

3 - فالأنجيل تذكر معجزات الميلاد - ميلاد عيسى - مثل ظهور النجم وبشارة الجوس بالنسبة للسيد المسيح، وتذكر ظواهر

الرعد والزلازل والبرق أثناء الطب وتذكر في القرآن معجزات الكلام في المهد، وتساقط الرطب الجنني على مريم وفي كعب

السورة تذكر بعض المعجزات قبل البعثة مثل نزول جبريل وشق قلب محمد واستخراج شيطان محمد .



والثاني: تعجيز الفاعل بشيء معتاد عن فعل مثله<sup>(1)</sup>، وهذا التصنيف وافق عليه المعتزلة، إذا فهناك من المعجزات ما هو في قدرة المكلف ومن جنس فعله وعلى صفته، فكيف يدل هذا النوع من المعجز على صدق الرسول؟ يقول القاضي: «إنما يدل متى علمنا أنه مفعول على طريقة التصديق، ولا يعلم ذلك إلا بأن يكون من قبله تعالى على وجه ينقض العادة، وإن وجد من جنسه ما ليس هذا حاله لم يقدح في دلالته»<sup>(2)</sup>.

وعند البغدادي ما كان منها على الوجه الأول، فنوعين:

- أحدهما: لا يدخل تحت قدرة من هو معجزة له وفيه، ولا تحت قدرة غيره من الخلق، ولا يقدر عليه غير الله عز وجل وذلك مثل اختراع الأجسام والألوان وإحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص ونحو ذلك .  
- والثاني: منه لا يدخل تحت قدرة من هو معجزة فيه، وله على الوجه الذي أظهره الله تعالى عليه وإن دخل مثل إغاضه وحنسه تحت قدرة العباد بأن يكسبوه في أنفسهم، ويستحيل منه فعله في غيرهم لقيام الدلالة عندنا على إبطال التوالد<sup>(3)</sup>.

## 2- في نظر ابن ميمون :

اختلف علماء اليهود في أقسام المعجزة، حيث يصنفها ابن ميمون إلى صنفين:

(أ)- مخالف للطبائع، كقلب العصا حية<sup>(4)</sup>، أو انشقاق الأرض لابتلاع تورح<sup>(5)</sup>، أو انفلاق البحر<sup>(6)</sup>.  
(ب)- غير مخالف للطبائع، كإطلاق الجراد على مصر<sup>(7)</sup>، والطاعون<sup>(8)</sup>، والبرد<sup>(9)</sup>، كذلك يتضمن هذا النوع اللعانات المذكورة في سفر التثنية<sup>(10)</sup>.

أما الفيومي فهو كذلك يصنفها على صنفين :

(أ) - قهر الطبائع وذلك كمنع الناز أن تحرق، وجبس الماء أن يجري، وإيقاف الفلك عن سيره وما

1 - عبد القاهر البغدادي، كتاب أصول الدين، (مرجع سابق)، ص 171.

2 - القاضي عبد الجبار، المغني، ج 15، ص 177.

3 - المرجع السابق، ص 171 - 172.

4 - سفر الخروج 04 : 03 .

5 - سفر العدد 16 : 32 .

6 - سفر الخروج 14 : 21 .

7 - سفر الخروج 14 : 10 .

8 - سفر الخروج 09 : 06 .

9 - سفر الخروج 09 : 24 .

10 - سفر التثنية 28 .

(ب) - قلب أعيان، كما يقلب الحيوان جمادا أو الجماد حيوانا، والماء دما والدم ماء<sup>(1)</sup> .

وهذا التصنيف يظهر الاختلاف الكبير بين ابن ميمون وغيره من علماء اليهود والإسلام في طبيعة تصنيف المعجزات، فلكل رؤيته، وهذا يظهر أن ابن ميمون لم يكن تابعا أو متأثرا بأحد علماء ملته ولا هو أخذ هذا التصور من احتكاكه بعلماء الإسلام .

ثاني عشر - بين النبوة والعبقرية :

يقول الإمام الغزالي: « تاريخ البشرية حافل بأسماء الكثيرين من أصحاب المواهب الرفيعة، والكفاءات الضخمة وعتهم الإنسانية في ذاكرتها، وسجلت لهم في صحائف الخلود ما أقاموا به من أعمال جليلة ... فإذا فحصنا تواريخ العظماء وفيهم الأنبياء من مبلغى الوحي، وفيهم الفلاسفة من قادة الفكر، وفيهم المخترعون من علماء الكون، وفيهم الزعماء من قادة الجماهير، وفيهم الأدباء من حملة القلم، وفيهم ... وفيهم<sup>(2)</sup> .

إن العظمة عادة ما تكون امتدادا في موهبة من مواهب النفس وكثيرا ما يكون هذا الامتداد على حساب المواهب الإنسانية الأخرى، إما أصابها الشلل، وإما رد النواحي الأخرى في الذات الإنسانية إلى ما هي عليه نفسية سائر الناس .

ولهذا نجد كثيرا من العظماء لا يعدمون من نقاط سوداء في مسيرتهم الحياتية، فـ(نابليون) كان قائدا محنكا في الحروب إلا أنه كان ساقط الخلق، وينطبق هذا الأمر على (جاك روسو) من أعظم واضعي دساتير الحرية في العالم، كذلك من الفلاسفة والشعراء والمفكرين من تصطدم بأحوالهم وأعمالهم لما تقرأ أو تسمع عنهم، كيف وقعوا في براثن الفساد والجنس .

غير أنهم عباقرة لأن تراثهم الرائع والفريد، وإنتاجهم العلمي والأدبي يرتفع بهم فوق مستوى العامة<sup>(3)</sup> . وإذا كانت العبقرية امتدادا في موهبة واحدة أو في جملة مواهب، فإن النبوة امتداد في المواهب كلها، واكتمال عقلي وعاطفي وبدني، وعصمة من الدنيا، ورسوخ في الفضائل، من هنا يمكن الوصول إلى

1 - عبد الرضاى محمد عبد المحسن، المعتقدات الدينية لدى الغرب، (مراجع سابق)، ص147.

2 - محمد الغزالي، عقيدة المسلم، ص199.

3 - المرجع نفسه، ص 200 .

اختلاف الأنبياء عن العباقره، لأن هؤلاء أشخاص لا يمتلكون طاقة تفكير وتعقل وتدبير قوية، فمنهم يتصلون بالأشياء عن طريق حواسهم، ويشغلون بقوة عقلهم المدير حول معطيات أذهانهم، ويصلون إلى نتيجة قد تكون سليمة وأحياناً يخطئون .

أما الأنبياء بالإضافة إلى تمتعهم بقوة الفكر والتفكير والتدبير الذهني، مدعمون بقوة أخرى هي قوة الوحي وهذه يفتقدها أولئك العباقره .

ولهذا السبب لا يمكن أن نقيم عملية مقايسة بين الأنبياء والعباقره بأي وجه، لأن المقايسة عادة تكون صحيحة عندما يكون عمل الطرفين من نوع واحد، وفي مستوى واحد من الطاقات<sup>(1)</sup> .

ولهذا يبين مرتضى مطهري عدم صحة المقايسة ويرجعها إلى « أن نبوغ العباقره له صلة بقوة التفكير والتأمل البشري، وخارقة الأنبياء لها صلة بقوة أخرى تسمى " الوحي " والاتصال بمبدأ الوجود، ولهذا فمن الخطأ القياس بينهما»<sup>(2)</sup> .

القادر للعلوم الإسلامية

1 - مرتضى مطهري، الوحي والنبوة، (مرجع سابق)، ص 11 .

2 - المرجع نفسه، ص 12 .

## الفصل الخامس :

### النبوة بين النقل والعقل

تمهيد .

أولا - نظرية النبوة عند فلاسفة المسلمين .

ثانيا - نظرية النبوة عند ابن ميمون .

ثالثا - الرؤى والأحلام .

رابعا - التأويل المجازي قبل ابن ميمون .

خامسا - التأويل المجازي لدى ابن ميمون .

سادسا - التأويل المجازي للرؤى النبوية لدى ابن ميمون .

سابعا - جدل العقل مع النقل في العصر الحديث .

ثامنا - مفهوم الوحي .

تاسعا - حدوث الوحي عند الفلاسفة المسلمين .

عاشرًا - صور الوحي .

حادي عشر - مراتب النبوة لدى ابن ميمون .

ثاني عشر - معرفة النبي .

ثالث عشر - بين النبي والفيلسوف .

رابع عشر - النبوة بين الوهب والاكساب .

الخامس عشر - وظيفة النبوة لدى ابن ميمون .

إن نظرية النبوة هي من أهم الأفكار التي أشاد دعائمها المعلم الثاني، وقد أثارت جدلا واسعا، اتسم بالرفض في مجمله، بين أوساط المتكلمين، وأثرت بقوة على الفلاسفة اللاحقين له، سواء من المسلمين: كتابين سينا وابن رشد. أو من غير المسلمين: كموسى بن ميمون، وهذه النظرية التي أخذ بها هذا الأخير تستند على أسس سيكولوجية ومعرفية، حيث تلعب المخيلة دورا رئيسيا في تكوين الأحلام والرؤى، كما يقوم العقل الفعّال بدور أساسي في المعرفة التي يتلقاها الإنسان<sup>(1)</sup>، الذي يصل إلى درجة عالية من الكمال. والاتصال بالعقل الفعّال إما أن يكون عن طريق المخيلة، وهذا هو الوحي أو النبوة، وإما أن يكون عن طريق النظر والتأمل وهذا هو شأن الحكيم أو الفيلسوف .

#### أولا- نظرية النبوة عند فلاسفة المسلمين :

يعتبر الفارابي أحد فلاسفة الإسلام بلا منازع، وقد عاش في بيئة تنازعتها أفكار من عدة مدارس، مما أدى إلى انتشار موجة الشك في الوحي والنبوة، فقام للتصدي لهذه الظاهرة - إنكار الوحي والنبوة - وكانت الساحة مملوءة بأفكار فلسفية قادمة من الهند وفارس، وازدادت موجة تحطيم صرح النبوة بضرب مقوماتها والتشكيك فيها، فتسلح الفارابي لهذه الموجة ووجه عنايته لدحضها بما يمتلكه من آراء فلسفية، إذ حاربها بسلاحها، فقام للاستدلال على إمكان النبوة ووقوعها، ولهذا لم يعتمد الفارابي المقاييس الإسلامية في دحضها، ليس إنكارا للأدلة الإسلامية العقلية والنقلية، لأن العدو والمعرضين لا يعترفون بتلك المقاييس، فواجههم بما حملوه وتسلموا به من أفكار وآراء عقلية ونفسية لا تُنافي استدلالات العقل ومقاييسه .

ولهذا يُعتبر الفارابي أول من أعطى للنبوة تفسيرا فلسفيا ونفسيا، وقد اعتمد الفارابي في نظريته للنبوة على الأحلام والنوم، ولهذا يشير الدكتور إبراهيم مدكور إلى أن هناك رسالتين صغيرتين لأرسطو وهما: "رسالة في الأحلام" و"رسالة التنبؤ بواسطة النوم" وقد نالت تلك الرسالتان قدرا عظيما عند فلاسفة المشائين اليونان، خصوصا الأحلام وتعبيرها، فكانت من المسائل التي شغلت العامة والمفكرين في القرنين السابقين للميلاد، والقرون الخمسة التي تلتها<sup>(2)</sup> .

وقد نالت تلك الرسالتان أهمية كبيرة في العالم العربي، على الرغم أن تلك الرسالتين لم تذكر من ضمن

1 - إبراهيم العاني، الإنسان في فلسفة الفارابي، ط01، بيروت، دار النبوغ، 1998م، ص180 .

2 - إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج01، ص90 .

الكتب التي ترجمت إلى العربية، ويذكر إبراهيم مذكور أن الفارابي ذكر كتب أرسطو، وقسمها إلى ثلاث مجموعات: تعليمية وطبيعية وإلهية، ولا يذكر رسالتي "الأحلام والتنبؤ بواسطة النوم واليقظة"<sup>(1)</sup>.

ويميل الأستاذ مذكور إلى الاعتقاد أن رسالتي "الأحلام والتنبؤ بواسطة النوم" إن ترجمتا إلى العربية فقد وصلتا إليه عن طريق غير مباشر، وأن ابن النديم في الفهرست يذكر كتاب "في تعبير الرؤيا" لأرطاميدوس نقله حنين بن إسحاق إلى العربية، ولا يعد أن يكون فلاسفة المسلمين قد استقوا منه أو من أي مصدر تاريخي آخر بحوث أرسطو المتعلقة بالأحلام وتأويلها، ذلك لأن فلاسفة الإسلام يدلون بآراء في هذا الصدد تشبه تمام الشبه الآراء الأرسطية، فحديث الفارابي عن النوم وظواهره والأحلام وأسبابها، لا يترك مجالاً للشك في أنه متأثر بأرسطو وأخذ عنه<sup>(2)</sup>. ويخلص إبراهيم مذكور إلى آراء فلاسفة الإسلام في الأحلام والنبوة، ما هي إلا إثبات على أنها تأثير لآراء أرسطية.

### 1- تفسير الفارابي لنظرية النبوة :

لا جدال في أن "نظرية النبوة" لدى الفارابي تتصل اتصالاً وثيقاً بنظرية المعرفة، والسعادة، والفيض، حيث أن قصة المعرفة تشكل في الوقت نفسه قصة السعادة، تنم عن الاتصال بالعقل الفعال، الذي احتل المرتبة الثالثة في الوجود- في نظام الفارابي- الفيضي<sup>(3)</sup>، الذي استخراج عناصره الأفلاطونية الجديدة، وحاول بكل جهد أن يصبغه صبغة إسلامية، ولهذا اعتبر معرفتنا بالله عن طريق الاستدلال من الموجودات التي صدرت منه، أوثق من معرفتنا به معرفة مباشرة<sup>(4)</sup>.

والنبوة عند الفارابي نجدها ترتبط بقضيتين هامتين في الفكر الفلسفي وهما:

1- نظرية العقول .

2- قوى النفس الإنسانية .

نجد الفارابي يتخيل للكون نظاماً عجيباً على قمته الموجود الأول صاحب العظمة والجلال، وفيض عن الأول الموجود الثاني وهو جوهر غير متحسم أصلاً ولا هو مادة، يعقل ذاته ويعقل الأول، وينشأ عن الثاني أمران:

1 - إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، (مرجع سابق)، ج 01، ص 90.

2 - المجمع نفسه والجزء، ص 92 .

3 - أبو نصر الفارابي، كتاب السياسة المدنية، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، [د، ت]، ص 31 .

4 - أبو نصر الفارابي، كتاب المجمع بين رأيي الحكيمين، ص 43 .

- الموجود الثالث بما يعقل من الأول .

- السماء الأولى بما هو متجوهر بذاته التي تخصه ويلزم من الموجود الثالث الذي هو عقل محض أمران أيضا:

أ - الموجود الرابع .

ب- كرة الكوكب الثابتة .

وتتوالى عملية الفيض :

عن الرابع ينشأ الخامس وكرة زحل .

وعن الخامس يلزم السادس وكرة المشتري .

وعن السادس يفيض السابع وكرة المريخ .

وعن السابع يوجد الثامن وكرة الشمس .

وعن الثامن يصدر التاسع وكرة الزهرة .

وعن التاسع يصدر العاشر وكرة عطارد .

وعن العاشر يصدر الحادي عشر وكرة القمر .

وهذه الموجودات الأحد عشر تسمى عقولا، والتسع البواقى تسمى أجساما سماوية<sup>(1)</sup>، ومما يلاحظ أن الفارابي في كتابه " آراء أهل المدينة الفاضلة"، أدخل الموجود الأول ضمن سلسلة العقول، فكانت أحد عشر، وكان هو العقل الأول، إلا أنه جعل في بعض كتبه الأخرى الموجود الأول رتبة وحده، وبدأ عد العقول من الموجود الثاني وجعله العقل الأول<sup>(2)</sup> .

والذي يلفت النظر في كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة" أنه جعل مع كل عقلا ثانيا فهو عقل وجسم كما سبق، ومن حيث أنه واجب بغيره يفيض عنه نفس فلكية، ومن حيث أنه ممكن بذاته يفيض عنه جسم سماوي .

وهذه الموجودات العلوية تترتب ترتيبا تنازليا، فأفضلها وأكملها هو الموجود الأول ثم العقول بترتيبها، والعقل العاشر هو المسمى العقل الفعال صاحب التأثير فيها دون فلك القمر.

1 - أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ط03، الجزائر، سلسلة أنيس، 1990م، ص ص 31 - 32 .

2 - أبو نصر الفارابي، كتاب السياسة المدنية، ص 31 .

هذه هي نظرية العقول بخيالها الفسيح. أما قوى النفس الإنسانية فيقسمها الفارابي إلى :

أ - القوة الغذائية: بما يتغذى الإنسان، وقوتها الرئيسية في الفم، ولها خدم وآلات هي المعدة...  
ب- القوة الحاسة: وآلاتها هي الحواس الخمس .

ج- القوة المتخيلة: فهذه تتركب المحسوسات بعضها إلى بعض، وتفصل بعضها عن بعض، تركيبات وتفصيلات مختلفة، بعضها صادقة وبعضها كاذبة .  
د- القوة الناطقة: التي يمكن أن تعقل المعقولات، وبها يميز بين الجميل والقيح، وبها يحوز الصناعات والعلوم .

هـ- القوة التروعية: وهي التي تشتاق إلى الشيء وتكرهه، وهي التي يكون بها الإرادة، فالإرادة نزوع إلى ما أدرك إما بالحس، وإما بالتخيل وإما بالقوة .

وجميع هذه القوى رئاستها في القلب ينبوع الحرارة الغريزية، ومنه تنبت في جميع الأعضاء عن طريق الدماغ الذي يعدل الحرارة لتناسب كل عضو<sup>(1)</sup>. وأدنى هذه القوى هي الغذائية وأرفعها هي ناطقة، ولها مهمتان: واحدة عملية، وأخرى نظرية .

تمثل العملية في الأفعال الجميلة والهيئات والملكات التي تصدر عنها، والنظرية هي القمة العليا وبها يتوصل إلى السعادة .

وتمر القوى النظرية بمراحل ثلاث :

- العقل بالقوة: ويسميه الفارابي العقل الهولاني، ويجده بقوله: « هو نفس ما أجزء نفس، أو قوة من قوى النفس، أو شيء ما ذاته معدة أو مستعدة لأن تنتزع ماهيات الموجودات كلها وصورها دون موادها فتحعلها كلها صورة لها أو صورها »<sup>(2)</sup>، أو هو هيئة ما في مادة معدة لأن تقبل رسوم المعقولات، وقد يسمى بالعقل المنفعل لاستعداده الدائم لقبول المعاني المحرمة .

- العقل بالفعل: وهو المرحلة الثانية من العقل النظري وذلك حين ينتزع المعقولات عن موادها، وتصير معقولات بالفعل، لأن الأشياء التي في مادة أو هي مادة معقولات بالقوة، ويمكن أن تصير بالفعل إذا أشرق عليها نور العقل الفعال .

1 - أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، (مرجع سابق)، ص 61 - 62 .

2 - أبو نصر الفارابي، رسالة في العقل، ط02، بيروت، دار المشرق للطباعة والنشر والتوزيع، 1983م، ص 12 .



- العقل المستفاد: متى استكمل الإنسان عقله المنفعل بالمعقولات كلها صار عقلا بالفعل، ويظل يترقى إلى أن يصير عقلا ومعقولا بالفعل، فيدرك حينئذ المعقولات المجردة التي لم تخالط المادة أصلا فيحصل له عقل ما بالفعل، ودرجة أعلى وأشد مفارقة للمادة، ومقاربة للعقل الفعال، يسمى العقل المستفاد<sup>(1)</sup>.  
وقد عقد الفارابي في كتابه " آراء أهل المدينة الفاضلة " فصلين: أحدهما في سبب المنامات، والآخر في الوحي ورؤية الملك بناهما على أساس من القوة التخيلية .

فإذا انفردت القوة التخيلية بنفسها في النوم، وتخلت عما تبعته الحاسة إليها، وما تقدمه هي إلى الناطقة برز لها فعل خاص هو المحاكاة، فأحيانا تحاكي المحسوسات، وأحيانا تحاكي القوة الغاذية، وأحيانا تحاكي القوة التروعية<sup>(2)</sup>.

ويعتقد الفارابي أن العقل الفعال قد يفيض منه على القوة التخيلية فيجعلها تحاكي المعقولات التي في نهاية الكمال، مثل السبب الأول، والأشياء المفارقة للمادة، بأفضل المحسوسات وأكملها، مثل الأشياء الحسنة المنظر، وتحاكي المعقولات الناقصة بأحسن المحسوسات وأنقصها<sup>(3)</sup>.

وفي نهاية الفصل يقول: « وهذا كلها قد تكون في النوم، وقد تكون في اليقظة، إلا أن التي في اليقظة قليلة، وفي الأقل من الناس، وأما التي في النوم فأكثرها في الجزئيات، وأما المعقولات قليلة »<sup>(4)</sup>.

فمتى كانت القوة التخيلية كاملة ولا تستولي عليها المحسوسات الواردة من الخارج يستغرقها بأسرها، وتفرغت هي لأفعالها التي تخصصها وكانت حالها في اليقظة، مثل حالها عند تحللها من المحسوسات في النوم، حينئذ تصير متعرضة لفيض العقل الفعال<sup>(5)</sup>. فتقبل في اليقظة من الجزئيات الحاضرة والمستقبل، أو محاكاة من المحسوسات والمعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة، ويكون للإنسان بما قبله من المعقولات نبوة بالأشياء الإلهية، وتلك هي أكمل المراتب التي تنتهي إليها التخيلية<sup>(6)</sup>.

ومن غريب الخيال ما يحكيه الفارابي عن رؤية الملك، فيقول « فإن تلك التخيلية تعود فترسم في القوة

1 - أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، (مرجع سابق)، ص 75-78 .

2 - المرجع نفسه، ص 84 .

3 - المرجع نفسه، ص 87 .

4 - المرجع نفسه، ص 88 .

5 - المرجع نفسه، ص 89 .

6 - المرجع نفسه، ص 90 .

الحاسة، فإذا حصلت رسومها في الحاسة المشتركة انفعلت عن تلك الرسوم القوة الباصرة، فارتسمت فيها تلك، فيحصل عما في القوة الباصرة منها رسوم تلك في الهواء المضيء المواصل للبصر المنجاز بشعاع البصر، فإذا حصلت تلك الرسوم في الهواء عاد ما في الهواء فترتسم من رأس في القوة الباصرة التي في العين، وينعكس ذلك إلى الحاس المشترك وإلى القوة المتخيلة .

ولأن هذه كلها متصلة بعضها ببعض، فيصير ما أعطاه العقل الفعال من ذلك مرئياً للإنسان، فإذا اتفقت التي حاكت بها القوة المتخيلة تلك الأشياء محسوسات في نهاية الجمال والكمال، قال الذي يرى ذلك: إن لله عظمة جليلة عجيبة، ورأى أشياء لا يمكن وجود شيء منها في سائر الموجودات أصلاً<sup>(1)</sup> .

وقد جعل الفارابي النبي والفيلسوف في درجة واحدة وهذا لأمرين:

1- أن مصدر الإيجاء في كليهما هو العقل الفعال .

2- أن الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية واحدة، وهي الرسالة التي جاهد من أجلها الفارابي، ومن بعده الفلاسفة الإسلاميون<sup>(2)</sup> .

إن فلسفة الفارابي السياسية وحتى الاجتماعية تحتم أن يكون على قمة البشر رئيس المدينة الفاضلة الذي يحل فيه العقل الفعال، ويكون بما يفيض منه إلى عقله المنفعل حكيمًا وفيلسوفًا، وبما يفيض منه إلى قوته المتخيلة نبياً. وعنده هذا الإنسان الذي جمع بين الفلسفة والنبوة هو أكمل مراتب الإنسان، وأعلى درجات السعادة<sup>(3)</sup> .

2- تفسير ابن سينا لنظرية النبوة :

أما بالنسبة لابن سينا فقد حاول أن يجعل قضية النبوة منسجمة مع العناية الإلهية .

فقد بين أولاً الحكمة من النبوة، إذ يرى أنها تقتضيها العناية الإلهية باعتبارها ضرورية لمنفعة الناس وغيرهم، فالإنسان لا يمكنه أن يعيش إلا في مجتمع، ولا تتم المشاركة إلا بمعاملة، ولا بد للمعاملة من قانون وشريعة، ولا بد لهذين من سانّ ومعدل، والنبي هو الذي يبين للناس سنتنا بأمر الله تعالى وإذنه ووحيه، ويخاطب الناس و يلزمهم السنة والعدل<sup>(4)</sup> .

1 - أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة. (مرجع سابق)، ص 89 - 90 .

2 - محمد سيد أحمد المسير، الرسول والوحي، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، [د، ت]، ص 221 .

3 - المرجع السابق، ص 102 .

4 - ابن سينا، النجاة، القسم الثالث، تحقيق عمي الدين صوري الكردي، القاهرة، [د، ت]، 1938م، ص 303 - 304 .

فحاجة الناس إلى النبوة، أشد من حاجتهم إلى إنبات الشعور على الخواجب، ومن غير المعقول أن تقتضي العناية الإلهية مثل هذه المنافع التي لا ضرورة لها في البقاء، ولا تقتضي النبوة التي هي ضرورية، لأنه لولا النبوة لما كان هناك بقاء للنوع الإنساني<sup>(1)</sup>.

بعد ذلك نرى أن ابن سينا يبدأ في تفسير النبوة، مبينا في البداية أن الوجود الحق يتدنى من عند الأول، ولم يزل كل تال منه أدنى مرتبة من الأول..... وهكذا إلى أن يصل إلى المادة وأفضلها الإنسان، وأفضل الناس من استكملت نفسه عقلا بالفعل، وأفضل هؤلاء هو المستعد لمرتبة النبوة<sup>(2)</sup>.

وأساس نظرية النبوة عند ابن سينا تعتمد على: نظرية المعرفة، ونظرية العقل والانفعال.

أما نظرية المعرفة فعند ابن سينا لها ثلاثة مصادر:

أ- الحواس: وهي التي تنقل صور الأشياء إلى النفس.

ب- العقل: أو القوة النظرية فهي قوة من شأنها أن تنطبع بالصورة الكلية المجردة عن المادة.

ج- العقل الفعال: وهو الذي يفيض على النفس الإنسانية بالمعرفة، وذلك لما تبلغ النفس البشرية درجة توصلها لنقل هذا الفيض.

وعمقتضى هذه النظرية فإن النفس أمامها طريقتان للوصول إلى الحقائق: إحداها طريق الفكرة، وثانيها طريق الحدس.

ففي الطريق الأول: تنتقل النفس بين المعاني المخزونة في الذاكرة، مستعينة بالخيال فتحاول الوصول إلى المعنى المطلوب بواسطة المقدمات المنطقية.

وفي الطريق الآخر (الحدس): تحاول النفس كذلك الوصول إلى المطلوب رأسا دون الاستعانة بتلك المقدمات، بل الاتصال بالعقل الفعال. وعليه فالنفوس البشرية تمتاز بقدر استعدادها للاتصال بالعقل الذي تتلقى عنه المعرفة<sup>(3)</sup>.

ومن هنا يقرر ابن سينا أن من الناس من يكون قوي الحدس، فلا يحتاج إلى الاتصال بالعقل الفعال أي عناء، ومنهم من يعرف كل شيء، وتجده يشتعل اشتعالا كأن فيه روحا قدسية لا يشغلها شأن عن شأن،

1 - ابن سينا، النجاة، القسم الثالث، تحقيق محي الدين صبري الكردي، (مرجع سابق)، ص 304.

2 - ابن سينا، الشفاء، قسم الإلهيات، ص 435.

3 - ابن سينا، النفس البشرية، بيروت، دار المشرق، [د، ت]، ص 19- 21.

ومنهم من هو غبي لا تعود عليه الفكرة بزيادة، ومنهم من له فطنة إلى حد ما<sup>(1)</sup>.

وبهذا يقرر ابن سينا أن يفعل العقل، إما بواسطة العلم بالمحسوسات، وإما بغير واسطة، وهذا الأخير يتم عندما تنكشف له المعقولات الكلية دفعة واحدة بواسطة العقل الفعال، أو بإشراف بعض العقول المنفارقة، والوحي الخاص بالأشياء قسم من هذا الاتصال<sup>(2)</sup>.

ويعتبر ابن سينا أن هذا النوع من النبوة أعلى مراتب النبوات، ويبين أن التجربة والبرهان يشهدان بأن النفس الإنسانية تستطيع الوقوف على المجهول أثناء النوم، فليس يبعد عليها أن تستكشفه في حال اليقظة.

فأما التجربة والسمع فيقرران أن أشخاصا كثيرين تنبأوا بالمستقبل بواسطة أحلامهم. وأما عقلا، فنحن نسلم بأن الأحداث الماضية، والحاضرة، والمستقبلية مثبتة في العالم العلوي، ومقيدة في لوح محفوظ، فإذا استطاعت النفس البشرية الصعود إلى هذا العالم، والوقوف على هذا اللوح عرفت ما فيه، وتأت بالغيب.

يقول ابن سينا: «التجربة والقياس متطابقان على أن للنفس البشرية أن تنال من الغيب نيلا ما في حال النوم، فلا مانع من أن يقع مثل ذلك النيل في حال اليقظة، إلا ما كان إلى زواله سبيل، ولا ارتفاعه إمكان، أما التجربة فالسمع والتعارف يشهدان به، وليس أحد من الناس إلا وقد جرب ذلك في نفسه تجارب ألهمته التصديق، اللهم إلا أن يكون أحدهم فاسد المزاج، نائم قوي التخيل والتذكر»<sup>(3)</sup>.

أما القياس فقد أورد ابن سينا كثيرا من التنبهات في كتابه "الإشارات" من بينها:

يقول: «قد علمت - فيما سلف - أن الجزئيات منقوشة في العالم العقلي نقشا على وجه كلي، ثم قد نبهت بأن الأجرام السماوية لها نفوس ذوات إدراكات جزئية، وإرادات جزئية تصدر عن رأي جزئي ولا مانع لها عن تصور اللوازم الجزئية لحركاتها الجزئية من الكائنات عنها في العالم العنصري»<sup>(4)</sup>.

إذن هناك للجزئيات نقش في العالم على هيئة كلية، وفي العالم النفساني نقش على هيئة جزئية شاغرة بالوقت والنقش معا.

1 - ابن سينا، رسالة في القوى الإنسانية وإدراكاتها. نقل عن: سالم هوشان، الجواب الإلهي عن ابن سينا، ط01، بيروت، دمشق، دار قتيبة، 1992م، ص293.

2 - المرجع نفسه والصفحة.

3 - ابن سينا، الإشارات والتنبهات، القسم الثالث، تحقيق سليمان دنيا، ط02، القاهرة، دار المعارف، مصر، 1958م، صص 241 - 242.

4 - المرجع نفسه والقسم والصفحتين.

يقول ابن سينا: « ولنفسك أن تنتقش بنفس ذلك العالم بحسب الاستعداد وزوال الحائل، قد علمت ذلك، فلا تستنكرون أن يكون بعض الغيب، ينتقش فيها من عالمه »<sup>(1)</sup> .

وبهذا فإن ابن سينا يرى أن هناك حقائق منقوشة في العالم العلوي، وكل من اتصل بها أدركها، ولكن كيف يتم هذا الاتصال؟

ويلاحظ ابن سينا من خلال إجابته على السؤال المتقدم أن بعض المرضى والمرورين يشاهدون صوراً حاضرة ظاهرة، دون أن يكون لها أية صلة بإحساساتهم الخارجية ولا بد لهذه الصور من سبب باطني ومؤثر داخلي، وكل ذلك ناتج من أن المخيلة مصدر الصور الباطنية المختلفة<sup>(2)</sup> . وربما يصرفها عن هذا الانتقاش بعض الشواغل: كالحس الخارجي، والعقل الباطني فيحصل من هذا الأخير أنه لا يتمكن من النقش فيه، وذلك لأن حركته ضعيفة، وإذا سكن أحد الشاغلين بقي شاغل واحد، فرمما عجز عن الضبط، فعند ذلك يتسلط التخيل على الحس المشترك الذي هو لوح النقش، فلوح فيه الصور المحسوسة مشاهدة<sup>(3)</sup> ، فإذا انقطعت هذه الشواغل، أو قلت أثناء النوم لم يعد أن تكون للنفس فلتات تخلص بها إلى جانب القدس، فينتقش فيها من الغيب.

#### ثانياً- نظرية النبوة عند ابن ميمون :

نظرية النبوة لدى ابن ميمون لم تكن بدعا منه، بل هي أثر من آثار نظرية النبوة الفارابية، وقد عني بها، وخصص لها جزءاً غير يسير في الجزء الثاني من كتابه " دلالة الحائرين " نحو ثمان وستون صفحة، كما ذكر شطرا منها في كتابه " المعرفة " وهو الجزء الأول من " مشنه التوراة "، وقد ذكر في كتابه " دلالة الحائرين " ثلاثة آراء للنبوة لثلاثة مجموعات وهي :

الرأي الأول : وهو رأي جمهور الجاهلية - كما يعبر ابن ميمون - وعوام شريعة اليهود، أن النبي مجرد شخص يختاره الله من بين خلقه ويكلفه بمهمة خاصة، ولا فرق عندهم أن يكون ذلك الشخص عالماً أو جاهلاً، صغيراً أو كبيراً، فلا يشترطون فيه أي شرط مادام الله قد اختاره، اللهم إلا أن يكون ذا خيرية وحسن السلوك والأخلاق<sup>(4)</sup> .

1 - ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، القسم الثالث، تحقيق سليمان دنيا، (مراجع سابق)، ص 243 .

2 - المرجع نفسه والقسم، ص 244 - 245 .

3 - المرجع نفسه والقسم، ص 245 .

4 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 389 .

وفي هذا الرأي يستهجن ابن ميمون أهل العقائد والأديان من غير ملتته، وحتى بعض العوام من قومه، الذين يعتبرون أن النبوة أمر سهل يستطيع أي شخص نيله باختيار الله، ولا يتطلب في هذه الحالة عملية تأملية، أو توفر شروط كمال في الإنسان، بل عندهم أن الله يختار من يشاء دون النظر إلى حاله كبيراً أو صغيراً عالماً أو جاهلاً، فطنا أو مغفلاً، وإنما عليه أن يكون من أهل الخير والصلاح .

وتعميم ابن ميمون هذا الرأي على سائر الملل والنحل فيه مغالطة وإجحاف في حق البعض، قد يصدق ذلك الأمر على بعضها، إلا أنه بجانب الحقيقة في بعضها الآخر، وخاصة في شريعة الإسلام، التي تعتبر النبوة أمراً قائماً على مواصفات لا بد من توفرها في الإنسان الذي يتنبأ، وهو أن يكون قد جاوز مرحلة الشباب وغير جاهل وإن كان يجوز أن يكون أمياً، وهذا الوصف الأخير يصدق على نبينا محمدًا ﷺ .

أما الشرط الأول وهو الصغر، فإن الله قد يلهم الصغير، وقد حصل هذا مع عيسى عليه السلام لما تكلم أمام قومه وهو في المهد، حيث قال: ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾<sup>(1)</sup>. والإلهام غير النبوة، ولم يحصل أن نبيا من الأنبياء نبأ وهو صغير، وسائر الأنبياء نبأوا بعد مجاوزة سن الشباب، أي سن الكهولة لما قاربوا الأربعين سنة من العمر، وهي سن رجحان العقل وهدوء العاطفة، وهو ما أجمع عليه علماء الإسلام .

الرأي الثاني : وهو رأي الفلاسفة، وعندهم أن النبي لا بد أن يكون كاملاً في الطبيعة، أي من الناحية العقلية، وذلك الكمال لا يحصل لأي شخص إلا بعد ارتياض، كما لا بد له من مخيلة قوية تمكنه من الاتصال بالعقل الفعال، وهو بهذا لا يمكن أن يتنبأ الجاهل، ولا يمكن أن يكون الإنسان نبيا في لحظة وفي غيرها تنتفي عنه النبوة، إذن فإذا حصل كمال في الإنسان من جانب أخلاقه وحواسه فلا بد أن يحصل له تنبأ، إذا تمياً لها تمياً تاماً<sup>(2)</sup> .

وعلى قدر ما تعظم المخيلة ويزيد اتصالها بالعالم العلوي تسمو الإلهامات النبوية وتنوع، ومن هنا تفاوت وتباين الأنبياء فيما بينهم بتفاوت مخيلتهم، واختلف فيما يوحي إليهم تبعاً لذلك<sup>(3)</sup> .

وهذا الرأي الفلسفي يطرح فيه ابن ميمون تصور الفلاسفة لطريق التنبأ، وعندهم -حسب رأي ابن

1 - سورة مريم : 29 - 30 .

2 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 389 .

3 - إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج 01، ص 110 .

ميمون- أن التنبأ يحصل للإنسان الكامل في قواه العقلية والنفسية والبدنية، وقد اعتاد التأمل والتدبير، وبهذا يكون كل من جمع تلك الصفات متنبأ بالضرورة، فحق على الله أن يريه الأسرار، ويستشف من هذا الرأي أن أصحابه لا يأهون بالحرية الإلهية، ما دام الإنسان وصل إلى الكمال العقلية والنفسية والبدنية .

الرأي الثالث : وعنده - ابن ميمون- وهو رأي الشريعة اليهودية وهو في نفس الوقت قاعدة مذهبه في نظريته للنبوة، وأن هذا الرأي هو مثل رأي الفلاسفة، إلا في أمر واحد، حيث يعتقد ابن ميمون، أن الذي يصلح للنبوة هو المتهىء لها، وقد لا تحصل له النبوة على الرغم من همؤه، وذلك عنده إلا بمشيئة الله، وهو بهذا يخالف بعض الفلاسفة الذين يعتبرون النبوة أمرا مكتسبا وليس هبة إلهية<sup>(1)</sup> .

وهذا الرأي نجده وسطا بين الرأيين السابقين، وكان ابن ميمون أراد أن يبين وسطية الشريعة اليهودية، وأنها جمعت محاسن الرأيين السابقين، ليبين كمالها وجمالها، وهذا ليبعد النقص عنها، حيث أخذ إيجابيات الرأي الأول وهو أن الله هو الذي يختار من يشأ ليجعل كلامه في فمه، وأخذ إيجابيات الرأي الثاني وهو ضرورة أن يكون النبي كامل الخواص والقوى العقلية والنفسية، وبذلك الإيجابيات جعل منها رأيا ثالثا يمثل أساس مذهبه الديني والفلسفي .

ويشتم من هذا الرأي، أن ابن ميمون أراد أن يبين أن رأي الشريعة الموسوية لا يبعد عن رأي فلاسفة الشريعة اليهودية، أي عدم تعارض الوحي مع العقل أو الشريعة مع الفكر من أحكام وأقيسة منطقية، وأن الفلسفة خادمة للدين، وبهذا التوفيق بين الدين والفلسفة أراد أن يجنب نفسه اعتراضات بعض الحاخامات اليهود، الذين أتهموه بالغلو في الفلسفة وأنه يعرض الدين للشك والإلحاد في نفوس وعموم الناس.

ونجد لابن ميمون تعريفين للنبوة: أحدهما تعريف كتابي أقرب إلى المفهوم التوراتي، وقد ذكرناه سابقا، والآخر فلسفي حيث يعرفها بأنها « فيض من الله عز وجل بوساطة العقل الفعال على القوة الناطقة أولا، ثم على القوة المتخيلة بعد ذلك »<sup>(2)</sup>. ويعقب بأن ذلك الفيض يتطلب كمالا في القوة المتلقية له، وبحسب هذا الكمال تتفاوت درجات الأنبياء، قائلا: « ومعلوم أن هذه الأغراض الثلاثة التي ضمنهاها، وهي كمال القوة الناطقة بالتعلم، وكمال القوة المتخيلة بالجلبة، وكمال الخلق بتعطيل الفكرة في جميع اللذات البدنية، وإزالة

1 - موسى بن ميمون، دلالة الحاترين، (مصدر سابق)، ص 389 .

2 - المصدر نفسه، ص 400 .

سوف أدرج تعصبات حامية شريفة، يتفاضل فيها الكاملون تفاضلا كثيرا جدا، وبحسب تتفاضل في كل عرض من هذه الأغراض الثلاثة يكون تفاضل درجات الأنبياء كلهم»<sup>(1)</sup>.

وفي هذا تعريف نجد ابن ميمون، قد ربط فيه التنبؤ بالأمور بالعقل الفعال، والذي يسميه الفارابي بـ «نروح الأمين أو الروح القدس»<sup>(2)</sup>.

وهذا التنبؤ فيض الهي وهذا يعني أن لا اختيار فيه للإنسان وهو خارج عن إرادته، وليس له به علم مسبق، بل يأتيه فجأة وهذا الفيض يتم بواسطة العقل الفعال، الذي يفيض الصور الجزئية على التخيلية، فتكون الأحلام والرؤى الصادقة، وقد يفيض عليها المعقولات الكلية فيكون المحاكاة للأشياء الإلهية والعقول انفارقة، كما هو الحال حينما يرى النائم المفارقات والسموات وما فيها، فيلتذ بما يرى، وقبل أن يفيض العقل الفعال على القوة التخيلية يمر أولا على الناطقة، والتي بها يحوز الإنسان العلوم والصناعات، وبها يميز بين الجميل والقيح من الأفعال والأخلاق، وبها يروي فيما أن يفعل أولا يفعل، ويدرك بما مع هذا النافع والضار والملذ والمؤذي<sup>(3)</sup>، والأمر الذي تناله قوة عن العقل الفعال وهو الشيء الذي منزلته الضياء من البصر فيفيض ذلك منه على القوة التخيلية، فيكون للعقل الفعال في القوة التخيلية فعل ما<sup>(4)</sup>.

من المعروف أن القوة التخيلية كما يرى ابن ميمون عملها هو «حفظ المحسوسات وتركيبها، والمحاكاة التي في طبيعتها، وإن أعظم فعلها وأشرفها إنما يكون عند سكون الحواس، وتعطلها عن أفعالها»<sup>(5)</sup>.

وهذا الدور للتخيلية بينه قبل ذلك الفارابي حين قال: «ثم يحدث فيه بعد ذلك قوة أخرى يحفظ بها ما ارتسم في نفسه من المحسوسات بعد غيبتها عن مشاهدة الحواس لها، وهذه القوة التخيلية. فهذه تركيب المحسوسات بعضها إلى بعض، وتفصل بعضها عن بعض، تركيبات وتفصيلات مختلفة بعضها كاذبة وبعضها صادقة»<sup>(6)</sup>. وأفعال التخيلية تتم أثناء النوم واليقظة<sup>(7)</sup>، أما أثناء النوم فتكون قوى النفس الأخرى كالحاسة والجزوعية والناطقة في شبه توقف، حيث تنفرد القوة التخيلية بنفسها، وتستحضر ما هو مخزون فيها من

1 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، (مصدر سابق)، ص 404.

2 - أبو نصر الفارابي، كتاب السياسة المدنية، ص 32.

3 - المرجع نفسه، ص 33. ينظر: الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص 62.

4 - المرجع نفسه، ص 87. و ص 73.

5 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 401.

6 - أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص 61. ينظر: الفارابي، كتاب السياسة المدنية، ص 33.

7 - المصدر السابق، ص 401.



رموز محسوسات، فتركب وتحلل فيها حتى تبتكر صوراً جديدة، بالإضافة إلى ذلك فإن للمخيلة قدرة كبيرة على المحاكاة، فهي تحاكي قوى النفس المختلفة بما هي عليه من أحاسيس أو انفعالات أو تأثير أو نزوع . ذلك هو أثر المخيلة ودورها أثناء النوم، حيث تؤدي إلى حصول الرؤيا الصادقة، وهو ذاته سبب النبوة، وأن الحلم أو الرؤيا واحد من الستين من النبوة<sup>(1)</sup> .

ولزيادة إيضاح التعريف يقول: «لأن ذلك الفيض بعينه الذي فاض على القوة الخيالية حتى كملها إلى أن حصل من فعلها أن تخبر بما سيكون، وتدركه، كأنها أمور قد أحست بها الحواس، ووصلت إلى هذه المخيلة من جهة الحواس، هو أيضاً يكمل فعل القوة الناطقة حتى يحصل من فعلها أن تعلم أموراً حقيقية الوجود ويحصل لها هذا الإدراك كأنها أدركته في مقدمات نظرية، وهذا ينبغي أن يكون في القوة الناطقة أخرى، إذ حقيقة العقل الفعال إنما هو عليها وهو يخرجها للفعل، ومن القوة الناطقة يصل الفيض للمخيلة، فكيف يحصل من كمال المخيلة هذا القدر؟ وهو إدراك ما لم يصلها من الحواس ولا يصل مثل هذه الناطقة، وهو إدراك ما لم تدركه بمقدمات ونتيج وفكر، وهذا هو حقيقة معنى النبوة، وتلك الآراء هي التي يختص بها الإعلام النبوي»<sup>(2)</sup> .

وهذا التحليل عبارة عن شرح لتعريف النبوة السابق .

أما ابن ميمون فلا يعتبر التنبؤ أمراً ضرورياً، لأن الله هو الذي له حرية الاختيار فينبئ من يشاء له التنبؤ، وقد لا يكون ذلك، ويوافق الفلاسفة وخاصة الفارابي في كيفية وصول كلام الله إلى الإنسان، وذلك عن طريق التأمل وصفاء المزاج وكمال الحواس والأخلاق الفاضلة، فهو يوافقهم في الكيفية ويخالفهم في الضرورة، وإن كان يعتبر أن رأي الشريعة اليهودية هو أقرب لرأي الفلاسفة الذي ذكرناه سابقاً<sup>(3)</sup> .

ويستشهد ابن ميمون على أن المرتاض قد لا يتنبأ ولو كان مهياً نفسياً وذهنياً، وذلك من خلال القصة التي وردت في التوراة وهي: أن باروخ تبع إرميا وراضه وعلمه وهياً، وكان باروخ يطمع نفسه بأن يتنبأ، فمنع من ذلك، حيث قال: « هكذا قال الرب إله إسرائيل لك يا باروخ، قد قلت لي لأن الرب قد زاد حزنا على ألمي، قد غشي علي في تنهدي ولم أجد راحة، هكذا تقول له، هكذا قال الرب، هأنذا

1 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، (مصدر سابق)، ص 401 .

2 - المصدر نفسه، ص 410 .

3 - المصدر نفسه، ص 390 .

أهدم ما بنيت وأقتلع ما غرسته وكل هذه الأرض، وأنت فهل تطلب لنفسك أمورا عظيمة، لا تطلب...»<sup>(1)</sup>.

ولزيادة التأكيد على صحة رأي شريعة اليهود ومذهبه - بأن أمر الإرتياض والكمال في الحواس وغيرها من الفضائل الحسنة أمر لا بد منه ليحصل التنبؤ- وذلك بالاعتماد على نصوص كتب وكلام الخاخامات ( الحكماء) وهو عندهم سار على هذا الرأي، وإن كان ابن ميمون لم يذكر لا نصوص كتب ولا كلام الخاخامات ليعضد به رأيه ومذهبه وشريعة قومه .

وعنده أن الله عز وجل لا يمكنه أن ينبا العوام والجهال، لأنهم لا يعقلون الأسرار الإلهية وهو عنده كمن نبأ أحدهم حمارا أو ضفدعا<sup>(2)</sup>.

وزيادة في التأكيد على مذهبه في هذا الاتجاه حيث يقول: « هذه قاعدتنا أنه لا بد من الإرتياض والكمال، وحينئذ يكون الإمكان الذي تتعلق به قدرة الإله »<sup>(3)</sup>. ويقصد إمكان التنبؤ بالأمور الغيبية عن المخلوقات البشرية .

وابن ميمون يستشهد في كتابه " الدلالة" بكثير من النصوص في التوراة والتلمود، وهذا يدل على عمقه في البحث وسعة ذاكرته، ويريد بذلك أن يترع الشك عن القارىء حين يستدل له بنصوص مقدسة، فما يكون لغيره إلا التسليم والقبول برأيه .

ويستطرد ابن ميمون في ذكر كيفية استعداد الإنسان للتنبؤ، وذلك إذا كان « جوهر دماغ الإنسان في أصل جبلته على غاية اعتداله في صفاء مادته ومزاجه الخاص بكل جزء من أجزائه وفي مقداره ووضعها ولم تعقه عوائق مزاجية من أجل عضو آخر، ثم إن ذلك الشخص تعلم وتحكم حتى خرج من القوة إلى الفعل وصار له عقل إنساني على كماله وتمامه، وخلق إنسانية ظاهرة معتدلة، وكانت تشوقاته كلها للعلم بأسرار هذا الوجود ومعرفة أسبابه وفكرته أبدا مقبلة على الأمور الشريفة واعتنائه، إنما هو بمعرفة الإله واعتبار أفعاله وما ينبغي أن يعتقد في ذلك، ويكون قد تعطل فكره وبطل تشوقه للأمور البهيمية »<sup>(4)</sup>.

وهو يعني أن يكون الإنسان كاملا عقلا ومزاجا وفعلا وعلما، وهو بهذا يساير الفارابي في هذه الشروط

1 - إرميا: 45 : 02 - 05 .

2 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 391 .

3 - المصدر نفسه، ص 391 .

4 - المصدر نفسه، ص 402 - 403 .

وهي شروط رئيس المدينة الفاضلة، كما هي شروط لرئيس الجمهورية، ومن هذه الشروط: كونه مسلم، البنية، قوي الأعضاء تامها، جيد الفهم والتصور، قوي الذاكرة، كبير الفطنة، سريع البديهة، حسن العبارة، محبا للمعلم والاستفادة، متحملا بالصدق والأمانة، نصيرا للعدالة، عظيم الإرادة، ماضي العزيمة، قانعا متجنبنا للملذات الجسمية وهي كثيرة، بأن يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح، مبتعدا عن العيب، وكون أعراض الدنيا هينة عنده... (1).

وتلك الشرائط من الصعب اجتماعها في شخص واحد كما يصرح بذلك الفارابي (2). كما لا بد أن يسمو إلى درجة العقل الفعال الذي يستمد منه الوحي والإلهام (3). والشروط الأخير وضعه الفارابي ليعتد به عن رئيس جمهورية اليونان ويقتررب به إلى رئيس مدينة الإسلام.

ويزيد ابن ميمون أمرا آخر، وهو عدم اشتغال الإنسان بالرياسات وحديث الناس عنه، حيث يقول: «وكذلك يلزم أيضا أن يكون هذا الشخص قد تعطلت فكرته وبطل تشوقه للرياسات الغير الحقيقية أعني طلب الغلبة، أو تعظيم العوام له واستحلاب كرامتهم وطاعتهم لمجرد ذلك، بل ينظر الناس كلهم بحسب أحوالهم» (4)، فإذا كان الإنسان في هذه الغاية من الكمال والطهارة والعفة البدنية والنفسية فإنه «لا يدرك إلا أمورا إلهية غريبة جدا، ولا يرى غير الله وملائكته ولا يشعر ولا يحصل له علم إلا بأمور هي آراء صحيحة وتدبيرات عامة لصالح الناس بعضهم مع بعض» (5)، وهو ما ذكره الفارابي في كتاب "آراء أهل المدينة الفاضلة"، قائلا: «قال الذي يرى ذلك أن الله عظمة حليلة وعظيمة ورأى أشياء عجيبة لا يمكن وجود شيء منها في سائر الموجودات أصلا» (6).

ويعتبر ابن ميمون أن النبوة ليست بالضرورة دائما للذي تنبأ فقد تصحبه حيناً وتفارقه أحيانا، ولهذا جده يقول: «لذلك تجد الأنبياء تعطلت نبوتهم عند الحزن أو الغضب ونحوهما» (7)، ويستشهد على ذلك بعدة نصوص من كتب ملته، ويضرب مثلا على ذلك بيعقوب الكندي، فلم يأت الوحي طوال أيام حزنه

1 - أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، (مرجع سابق)، ص 103 - 104.

2 - المرجع نفسه، ص 105.

3 - المرجع نفسه، ص 102.

4 - موسى بن ميمون، دلالة الخاترين، ص 403.

5 - المصدر نفسه، ص 404.

6 - المرجع السابق، ص 90.

7 - المصدر السابق والصفحة.

وذلك لاشتغال قوته التخيلية بفقد يوسف عليه السلام، وأن موسى عليه السلام، توقف الوحي عنه بعد نوبة الجواسيس إلى أن فنى جيل الصحراء بكامله بسبب شدة تجنيهم ورجوعهم إلى الوثنية، إذ النبوة تبقى تصاحب الإنسان ببقاء قوته التخيلية تفعل فعلها، وعدم الوقوع أو الاشتغال بلذات الحياة أو البدن وشفاء الذهن واشتغاله بالتعلم حينها تبقى النبوة ملازمة للنبي، ولهذا يستشهد ابن ميمون بنص من التوراة على أن النبي مهما دعا فلا يجد استحابة من الله « يتطوحون ليطلبوا كلمة الرب فلا يجدونها »<sup>(1)</sup>.

وحقيقة الرؤيا الصادقة كما يذكرها ابن ميمون « هو أن يجعل للقوة التخيلية من كمال الفعل حتى ترى الشيء كأنه خارج، ويكون الأمر الذي ابتدأه منها كأنه جاءها على طريق الأحكام الخارج »<sup>(2)</sup>. والشخص الذي يكون في حال يقظته مشتغلا بأمر ومنكبا عليه، وجميع حواسه متجهة إليه، وهو متشوق لمعرفة وحل إشكاله ولغزه، هو الذي تفعل فيه القوة التخيلية حال النوم عندما يفيض عليها العقل ( العقل الفعال )، وذلك حسب هيوء الإنسان، واستعداده لذلك الأمر<sup>(3)</sup>.

أما في حال اليقظة فللمخيلة دور آخر لا يقل أهمية عن دورها حال النوم، هذا ما يتعلق برأي الفارابي وبقية الفلاسفة الإسلاميين الذين أخذوا بنظرية النبوة لدى الفارابي حيث يقول : « أن القوة التخيلية إذا كانت في إنسان ما قوية كاملة جدا، وكانت المحسوسات الواردة عليها من خارج لا تستولي عليها استيلاء يستغرقها بأسرها، ولا أخذ منها للقوة الناطقة، بل كان فيها مع اشتغالها بهذين، في اليقظة مثل حالها عند تحللها منها في وقت النوم، وكثير من هذه التي يعطيها العقل الفعال فتخيلها القوة التخيلية بما تحاكيها من المحسوسات المرئية، فإن تلك التخيلية تعود فترتسم في القوة الحاسة.. ولأن هذه -القوى- متصلة بعضها ببعض، فيصير ما أعطاه العقل الفعال من ذلك، مرئيا لهذا الإنسان، فإذا اتفقت التي حاكت بها القوة التخيلية تلك الأشياء محسوسات في نهاية الجمال والكمال، قال الذي يرى ذلك: إن لله عظمة جليلة عجيبة، ورأى أشياء عجيبة لا يمكن وجود شيء منها في سائر الموجودات أصلا، ولا يمتنع أن يكون الإنسان إذا بلغت قوته التخيلية نهاية الكمال، فيقبل في يقظته عن العقل الفعال، الجزئيات الحاضرة والمستقبل، أو محاكياتها من المحسوسات، ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ويراها فيكون له،

1 - سفر عاموس 08 : 12.

2 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 402 .

3 - المصدر نفسه والصفحة .

بما قبله من المعقولات، نبوة بالأشياء الإلهية، وهذا هو، أكمل المراتب التي تنتهي إليها القوة التخيلية، وأكمل المراتب التي يبلغها الإنسان بقوته التخيلية»<sup>(1)</sup>.

فالنبي إنسان منح مخيلة عظيمة صادقة لا تستغرقها الحواس ولا تستخدمها القوة الناطقة، ويستطيع النبي بهذه المخيلة الاتصال بالعقل الفعال سواء في حال النوم أو اليقظة، وابن ميمون يخالف الفارابي في الشطر الثاني من اتصال المخيلة بالعقل الفعال حال اليقظة، فهو يقصرها عن حالة النوم؛ ولهذا نجد في كتابه - دلالة الحائرين وكتاب المعرفة - يكرر فيهما أن النبوة أو اتصال الأنبياء بالوحي لا يكون إلا في حالة الخنم أو الرؤيا، قائلا: «فقد أخبرنا تعالى بحقيقة النبوة، وماهيتها، وأعلمنا أنه كمال يأتي في الحلم أو الرؤيا»<sup>(2)</sup>. وقوله: «لكن الكل يتحقق على أن جميع الأنبياء، لم يصلهم الوحي النبوي إلا على شكل حلم أي على شكل رؤيا ليلية أو نهارية وذلك بعد الشروع في نوم عميق»<sup>(3)</sup>.

ومستشهدا على ذلك بعدة نصوص من التوراة منها: «صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا»<sup>(4)</sup>. و«فكلم الله إسرائيل في رؤى الليل»<sup>(5)</sup>.

ويستثنى من ذلك النبي موسى عليه السلام، الذي يعتبره أميرا الأنبياء، نظرا لتميزه عن سائر الأنبياء الذين سبقوه أو من جاؤوا بعده، فهو لم يتلق النبوة حال الحلم أو الرؤيا، بل إن الله كلمه يقظة وأحيانا مباشرة في جبل سيناء، ولهذا فابن ميمون لا يعطي للمخيلة أي دور في تنبؤ موسى، لأنه كان في كامل قواه العقلية والنفسية والبدنية حيث يقول عنه: «وإن كان عليه السلام لم تكن للقوة التخيلية في نبوته مدخل بل فيض العقل عليه دون توسطها - المخيلة - كما ذكرنا مرات، إنه لم يتنبأ بالمثل كسائر النبيين»<sup>(6)</sup>.

وإن كان ابن ميمون يرى أن بعض الأصناف من الناس من تحدث لهم خيالات عجيبة وأحلام في حال اليقظة شبه مرأى النبوة - الرؤيا - فيظنون أنفسهم أنبياء، ويتعجبون مما يدركونه من خيالات، فيظنون أنهم قد حصلت لهم علوم بدون تعليم، ويأتون بتشويشات عظيمة في الأمور الجلية النظرية، حيث تختلط عليهم

1 - أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، (مرجع سابق)، ص 89 - 90.

2 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 402.

3 - Moïse Maïmonide, **Le livre de Connaissance**, P85.

4 - سفر التكوين 15: 01.

5 - سفر التكوين 46: 02.

6 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 404 - 405.

الأمر الحقيقية بالأمر الخيالية، ويرى ابن ميمون ذلك كله للقوة المتخيلة وضعف الناطقة<sup>(1)</sup>، وهم ليسوا أنبياء، ولا فلاسفة ولا حكماء، وهو ما ذهب إليه قبله الفارابي بحيث يرى أن بعض الناس، من تعرض له عوارض حال اليقظة، فيفسد بما مزاجه كما تفسد تخاييله، فيرى أشياء مما تركب القوة المتخيلة على تلك الوجوه مما ليس لها وجود من يتخيل في نفسه الأشياء ولا يراها ببصره ولا هي محاكاة لوجود، وهؤلاء المرورون والجانين وأشباههم<sup>(2)</sup>.

ويلخص ابن ميمون ما ذكره من اجتماع الصفات في النبي الموجبة للتنبؤ في ثلاثة أغراض وهي « كمال القوة الناطقة بالتعلم، وكمال القوة المتخيلة بالجبلية، وكمال الخلق بتعطيل الفكرة في جميع اللذات البدنية، وإزالة الشوق لأنواع التعظيمات الجاهلية الشريرة يتفاضل فيها الكاملون تفاضلا كثيرا جدا، وبحسب التفاضل في كل زمن من هذه الأغراض الثلاثة يكون تفاضل درجات الأنبياء كلهم<sup>(3)</sup> ».

ويرى أن هذه أعلى مراتب الإنسان وغاية الكمال الذي يمكن أن يوجد في النوع الإنساني، وكمال القوة المتخيلة أمر لا يمكن أن يحصل لأي إنسان، ولا هو أمر يصل إليه بالكمال في العلوم النظرية فقط أو بتحسين الأخلاق، دون أن يضاف إلى ذلك كمال القوة المتخيلة في أصل طبيعتها<sup>(4)</sup>.

ويرى كذلك أن كل قوة بدنية في الإنسان تكل وتضعف، تصح في وقت وتحتل في وقت آخر، ويعتبر أن القوة المتخيلة قوة بدنية، فهي بالضرورة تضعف وتسكن، ولهذا فالأنبياء - حسب زعمه - تتعطل نبواتهم وتتوقف في فترات، حيث لا يتنبؤون لأن المخيلة لم تصح بسبب اشتغالها بأمر كالخزن، والغضب، ويستشهد على ذلك بقول حكماء التلمود الذين قالوا: « إن النبوة لا تنزل عند الحزن وعند الكسل<sup>(5)</sup> ».

ويضرب مثلا على ذلك يعقوب الكندي، فلم يأته الوحي طوال أيام حزنه لانشغال قوته المتخيلة بفقد يوسف الكندي، وكذلك موسى الكندي، لم يأته الوحي، بسبب نوبة الجواسيس إلى أن توفي جيل الصحراء.

إذا فالنبوة ليست دائما متاحة للنبي، فهي ترتفع أحيانا كلما انشغل النبي بأمر تعارض وطبيعة النبوة كالخزن والكسل، أو ركوب النفس للدنيا وملذاتها، فيصبح النبي عبدا مملوكا لهواه وشهواته.

1 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، (مصدر سابق)، ص 407.

2 - أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص 91.

3 - المصدر السابق، ص 404.

4 - المصدر نفسه، ص 400.

5 - المصدر نفسه، ص 404.

## 1- في نظر اليهود :

تذكر المعاجم اليهودية بأن الحلم هو : « تلك القناة التي يعتقد أن بواسطتها يتم عبور الوحي والحدس النبوي إلى الفرد، وذلك عبر عالم يفوق المنظور الطبيعي »<sup>(1)</sup> .

إن مثل هذه التجارب مذكورة بكثرة في الكتاب المقدس على شكل "رؤى" و"أحلام" منسوبة إلى أشخاص مختارين، والحقيقة أن الأنبياء هم الذين تلقوا الوحي على هذه الطريقة، ويبرز موسى على أساس أنه الوحيد الذي تحدث إليه الرب وجها لوجه « إن كان منكم نبي للرب فبالرؤيا أستعلن له في الحلم أكلمه، وأما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيته، فما إلى فم وغيانا أتكلم معه لا بالألغاز »<sup>(2)</sup> .

وتمثل الأحلام وفقا للكتاب المقدس تلك الأحداث المتوقع حدوثها مستقبلا، « فجاء الرب إلى أيمالكك في حلم الليل وقال له ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها فإنها متزوجة ببعيل، ولكن لم يكن أيمالكك قد اقترب إليها، فقال يا سيد أمة تارة تقتل؟ ألم يقل هو لي إنها أختي وهي أيضا نفسها قالت هو أختي، بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا، فقال له الله في الحلم أنا أيضا علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا، وأنا أيضا أمسكتك عن أن تخطئ إلي، لذلك لم أدعك تمسها، فالآن رُدّ امرأة الرجل فإنه نسي فيصلي لأجلك فتحيا، وإن كنت لست تردّها فاعلم أنك موتا تموت وكل من لك »<sup>(3)</sup> .

ولهذا فهي تحمل طابعا رمزيا وتقتضي نوعا معينا من الشرح والتفسير، ومن أشهر هذه الأحلام أحلام فرعون نفسه، وفي حالات نادرة فقط، مثل ما حدث مع يعقوب « ورأى حلما وإذا سلّم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء، وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها، وهو ذا الرب واقف عليها فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق. فاستيقظ يعقوب من نومه وقال حقا إن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم، وخاف وقال: ما أرهب هذا المكان، وبكر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه عمودا وصب زيتا على رأسه، ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل »<sup>(4)</sup>، ويتكرر الأمر مع يوسف عليه السلام.

1 - Dictionnaire Encyclopédie du judaïsme, P976 .

2 - سفر العدد 12 : 06 - 08 .

3 - سفر التكوين 20 : 03 - 07 . والعدد 22 : 12 - 16 .

4 - سفر التكوين 28 : 12 - 19 .

« وحلم يوسف حلما وأخبر إخوته، فازدادوا أيضا بغضا له، فقال لهم اسمعوا هذا الحلم الذي حلمتُ، ها نحن حازمون حُزَمًا في الحقل، وإذا حُزِمَتِي قامت وانتصبت فاحتاطت حُزَمَكُم وسجدت لحُزَمَتِي»<sup>(1)</sup>. وهذه دلالة واضحة وضوح الشمس على رمزية الحلم، ولم تخلُ الكتب المقدسة بتاتا من تلك المواقف المشككة في طبيعة الأحلام .

وقد كان الحاخامات يستقون آراءهم من تلك الكتب، والتي من شأنها أن تزيد من حدة الآراء المناقضة فيما يخص طبيعة الأحلام، فمن جهة يقال على أن الأحلام تعتبر عديمة الأثر، بالإضافة إلى أنها تعكس فقط ما كان يدور بذهن الشخص صاحب الحلم، وأنها تحوي بالضرورة ذلك الشيء المستحيل تحقيقه، ووفقا لوجهة نظر حيادية تماما .

إن الحلم الغير المفسر هو بمثابة ذلك الحرف الغير المقروء، بمعنى أنه الحلم الذي لا يظهر في حنايا المستحيل، وعلى الأقل من الممكن أن يتحقق ولو جزئيا، ومن جهة أخرى أخذ عدد معين من الحاخامات هذه المسألة على محمل الجد، وبالنسبة إليهم إذا سمع أحد ما في حلمه "ندرا" أو "مناداة بالحرمان". فعندها تكون لديه قوة جبارة ليس بالإمكان إلغاؤها<sup>(2)</sup> .

وبدوره يقدم التلمود مجموعة من التفاسير والشروحات الرمزية لكل سلسلة من المشاهد المتعلقة بالأحلام، فرؤية البئر في المنام تعني السلام، ورؤية الديك توحى بميلاد وشيك لابن ما، أما دخول حوض مائي فإن صاحب الحلم يقود مدرسة "حاخامات"، وفيما يخص رؤية الحصان أو مهرجان لعدو الحصان، فإنه يعتبر كمؤشر إيجابي ما عدا رؤية حصان أغبر، وبالتالي يمكن القول بأن رؤية أي حيوان تعتبر كمؤشر إيجابي ما عدا رؤية الفيل، والقرد<sup>(3)</sup> .

وفي كتابه "دلالة الحائرين" خصص ابن ميمون ثلاثة محاور كاملة لتحليل تلك العلاقة التي تربط بين الحلم والنبوة (دلالة الحائرين ص ص 400 - 411 ) ووفقا للتقليد اليهودي فإن التوقع بقرب حدوث الحلم من شأنه يفتح المجال تماما بالشعور بذلك الإيمان الباطني بأهميته وضرورته، وهذا حتما أدى إلى ظهور ما يعرف بـ "الخرافات المتعددة الأشكال" ومنذ عهد الحاخامات تم الإعداد لعدد معين من التفتيات من

1 - سفر التكوين 37 : 05 - 07 .

2 - Dictionnaire Encyclopédie du Judaïsme, P977 .

3 - Loc, Cit.



أجل الحد من ظهور الآثار المؤذية المترتبة عن حدوث الكوابيس، وذلك بقراءة فقرات من الكتاب المقدس، أو تقديم هبة أو عمل خيري، إضافة لإمكانية القيام بطقوس دينية من شأنها أن تحول المؤشر السلبي إلى إيجابي، وفوق كل هذا فمن الممكن التخلص من الحلم السيئ عن طريق التقيد بالصيام الانفرادي الذي يعرف باسم "تانيت ها لوم"، إن الالتزام بصيام أربع وعشرين ساعة من شأنه أن يجعل نفسية (روح) النائم في منأى عن الانزعاج والقلق<sup>(1)</sup>.

والحلم في قاموس الكتاب المقدس هو: « أفكار تخطر للعقل أثناء النوم »<sup>(2)</sup>. والأحلام تتنوع هناك أحلام باطلة « كالحلم يطير فلا يوجد ويُطرد كطيف الليل »<sup>(3)</sup>.

والذي نأخذه من الحلم والرؤيا أنهما يكونان في النوم، وفي الكتاب المقدس لهما معنى واحد « ويكون كحلم كرؤيا الليل جمهور كل الأمم المتجندين على أريئيل كل المتجندين عليها وعلى قلاعها والذين يضايقونها »<sup>(4)</sup>.

والرؤيا في الكتاب المقدس لها معنيان :

1- الحلم في المنام وقد ذكرنا الفقرة السابقة .

2- الإعلان فقد ذكر في العهد القديم « حينئذ كلمت برؤيا تقيك وقلت جعلت عوننا على قوي دفعت مختارا من الشعب »<sup>(5)</sup>، وكذلك « رؤيا إشعياء بن أموص التي رآها على يهوذا وأورشليم في أيام عزريا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا »<sup>(6)</sup>، والواقع أن الحلم والرؤيا معنى واحد<sup>(7)</sup>.

2- في نظر علماء الإسلام :

أما إذا ذهبنا إلى حقيقة الحلم في الإسلام فهو يحمل معنى الرؤيا وهي « ما يراه النائم في نومه من الأشياء لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقيح »<sup>(8)</sup>.

## 1 - Dictionnaire Encyclopédie du Judaïsme, P977 .

2 - فاضل سيداروس وآخرين، قاموس الكتاب المقدس، ص 315 .

3 - سفر أيوب 20 : 08. سفر المزامير 73 : 20 . سفر إشعياء 29 : 08 .

4 - سفر إشعياء 29 : 07 .

5 - سفر المزامير 89 : 19 .

6 - سفر إشعياء 01 : 01 .

7 - بطرس عبد الملك وآخرين، قاموس الكتاب المقدس، ص 394 .

8 - أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ج 02، ص 1286 .

وهذا استنادا إلى مجموعة من الأحاديث رُويت بعدة طرق، فعن يحيى بن سعيد قال: سمعت أبا سلمة قال: سمعت أبا قتادة يقول: «سمعت النبي ﷺ يقول: «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإن رأى أحدكم شيئا يكرهه، فلينبث حين يستيقظ ثلاث مرات، ويتعوذ من شرّها فإنها لا تضره»<sup>(1)</sup>.

والرؤيا هي ما يراه النائم في منامه، يقول: رأيت رؤية، إذا عاينته ببصرك، ورأيت رؤيا، إذا اعتقدت شيئا في قلبك، ورأيت رؤيا، إذا رأيت شيئا في منامك، وقد تستعمل الرؤيا مصدرا في اليقظة كما قال الراعي:

وكبير للرؤيا وهاش فواده وبشر نفسا كان قبل يلومها<sup>(2)</sup>.

وقد وردت أقسام الرؤيا في بعض الأحاديث، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا، ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة، والرؤيا ثلاثة: فالرؤيا الصالحة بُشرى من الله، ورؤيا التحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس، قال: وأحب القيد وأكرد الغل»<sup>(3)</sup>. قال صاحب التاج: «حديث النفس هو أن يكون الشخص مهموما بأمر فيرى في نومه ما يتعلق به ولا عبرة بهذا، وتحزين من الشيطان وهو أن يرى في منامه شيئا يحزنه وكثيرا ما يسمى هذا بالحلم، والثالثة المبشرة»<sup>(4)</sup>. والرؤيا هي «ما يراه الإنسان في نومه من الحوادث والشؤون»<sup>(5)</sup>.

وقد اختلف العلماء في أمرها، واعتبر ابن حزم الرؤيا أنواع وزاد عن الحديث النبوي السابق أنواعا أخرى، حيث قال: «...ومنها ما يكون من قبل الطبع كروية من غلب عليه الدم للأنوار والزهور والخمرة السرور، ورؤية من غلبت عليه الصفراء للنيران، ورؤية صاحب البلغم للثلوج والمياه، وكرؤية من غلبت السوداء للكهوف وللظلم والمخاوف، ومنها ما يريه الله عز وجل نفس الحالم، إذا صعدت من أقدار الجسد وخلصت من الأفكار الفاسدة، فيشرف الله عز وجل به على كثير من المغيبات التي لم تأت بعد، وعلى قدر

1 - رواه البخاري، باب النفث في الرقية، من كتاب الطب. وابن ماجه، تحت رقم 3909، وأبو داود، رقم 5021.

2 - أبو بكر بن العربي المعافري، كتاب القيس في شرح موطأ مالك بن أنس، تحقيق محمد عبد الله ولد كرم، ط 01، بيروت، دار

الغرب الإسلامي، 1992م، ج 03، ص 1135.

3 - رواه مسلم، من كتاب الرؤيا.

4 - منصور علي ناصيف، التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ، بيروت، دار الكتب العلمية، [د، ت]، ج 04،

ص 05.

5 - محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، بيروت، دار الفكر، [د، ت]، ج 04، ص 162.

تفاضل النفس في البقاء والصفاء يكون تفاضل ما تراه في الصدق»<sup>(1)</sup>.

ويعتبر ابن حزم رؤيا غير الأنبياء قد تصدق وقد تكذب، غير أنه لا يقطع على صحة شيء منه إلا بعد ظهور صحته خلافا لرؤيا الأنبياء فإنها كلها مجمع على صحتها كرؤيا إبراهيم عليه السلام، ولو رأى غير نبي فأنفذه في اليقظة لكان الفاعل فاسقا<sup>(2)</sup>.

وتفسير الرؤيا من طرف علماء الكلام والفلاسفة يأباه علماء الشريعة، حيث يعتبرونه «نوع من التخليط لا تعلم بالعقل ولا يقوم عليها برهان، لأنهم ينسبون الرؤيا إلى طبيعة الاشتغال في المهنة فمن ينتمي إلى الطب ينسب جميع الرؤى إلى الأخلاط، ويستدل بالمنامات على الخلط الغالب، ويقول: من غلب عليه البلغم رأى السباحة في الماء أو ما يشبهه لمناسبة الماء في طبيعته طبيعة البلغم، ومن غلب عليه الصفراء رأى النيران والصعود في الجو وشبهه لمناسبة النار في الطبيعة طبيعة الصفراء»<sup>(3)</sup>.

والرؤيا في الإسلام تعتبر جزءا من ستة وأربعين جزءا من النبوة. فعن قتادة عن أنس عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة»<sup>(4)</sup>، ويرى المازري «أنه صلى الله عليه وسلم أقام يوحى إليه ثلاثة وعشرين عاما، عشرة بالمدينة وثلاثة عشر بمكة، وكان قبل ذلك بستة أشهر يرى في المنام ما يلقى إليه الملك صلى الله عليه وسلم، وذلك نصف سنة ونصف سنة من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، وقيل أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خص دون الخليفة بضروب وفنون وجعل له إلى العلم طريق لم يجعل لغيره، فيكون المراد أن المنامات نسبتها مما حصل له وميز به جزء من ستة وأربعين كل شيء جملة وتفصيلا...»<sup>(5)</sup>. وهناك أحاديث تجعل الرؤيا جزءا من خمسة وأربعين، وذلك لحديث أبي هريرة السابق، وأخرى من أربعين، فعن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءا من النبوة وهي على رجل طائر ما لم يتحدث بها فإذا تحدث بها سقطت، قال: وأحسبه قال: وليحدث بها إلا

1 - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (مرجع سابق)، ج 03، ص 189.

2 - المرجع نفسه والجزء، ص 190.

3 - أبو عبد الله المازري، المعلم بفوائد مسلم، تحقيق، محمد الشاذلي النيفر، ج 03، ص 200.

4 - رواه البخاري، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، من باب تعبير الرؤيا. ومسلم في صحيحه، من كتاب الرؤيا.

5 - محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ج 04، ص 164.

نبياً أو حياً»<sup>(1)</sup>. وفي أخرى من سبعين، فعن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءاً من النبوة»<sup>(2)</sup>، واعتبر صاحب التاج هذا التفاوت بحسب حالي الرائي، فرؤيا الفاسق تكون من سبعين، ورؤيا الصالح تكون من أربعين، أي أصدقها، لكن أشهر الروايات جزء من ستة وأربعين. فإن زمن الوحي الذي كان ينزل على النبي ﷺ ثلاث وعشرين سنة منها ستة أشهر بالرؤيا المنامية ونسبتها إلى ثلاث وعشرين سنة جزءاً من ستة وأربعين، فالرؤيا تدل على الغيب كما يدل عليه الوحي السماوي<sup>(3)</sup>.

### 3- في نظر الفلاسفة المسلمين :

ومن الرؤى ما ينشأ في نظر الفلاسفة من اتصال النفوس الإنسانية بالملأ الأعلى حالة عدم انشغالها بجسمها عند النوم فتطلع على حوادث ماضية ومستقبلية وتعني منها بقدر ما يتاح لها ويختلف ضبطها لذلك حسب قوة صفاءها وشدة انجذابها فقد تذكره كما رأته من غير حاجة إلى تأويل أو تعبير وقد تتصرف فيه فيحتاج إلى شيء من ذلك قليل أو كثير، وقد يشتد تصرفها حتى لا يعلم أصله، وذلك ما نسميه أضغاث أحلام .

ويذكر الفارابي قائلاً: «فإن اتفق من العقل عجز ومن الخيال تسلط... وهذا التسلط ربما قوي على الباطن وقصر عنه يد الظاهر فلاح فيه شيء من الملكوت الأعلى فأخبر بالغيب كما يلوح في النوم عند هدوء الحواس وسكوت المشاعر فيرى الأحلام فرمما ضبطت القوة الحافظة الرؤيا بحالها فلم يحتج إلى عبارة وربما انتقلت القوة المتخيلة بمركاها التشبيهية عن المرئي نفسه إلى أمور متجانسة فحينئذ يحتاج إلى التعبير والتعبير هو حلس من المعبر يستخرج به الأصل من الفرع»<sup>(4)</sup>.

فالرؤيا تنقسم هنا إلى ما يحتاج إلى تعبير وما يحتاج إليه، وما يتعد عن الأصل تماماً فلا يفيد فيه تعبير . والرؤيا عادة تنقسم إلى رؤيا إلهية وهي ما كانت عن طريق الاتصال بالملأ الأعلى، ورؤيا طبيعية وهي التي تكون بأشياء يحدث بها الإنسان نفسه يقظة ويخترتها في لا شعوره ويستفيد منها وهناك تقسيمات

1 - رواه الترمذي، تحت رقم 2204، باب ما جاع في تعبير الرؤيا، من كتاب الرؤيا عن رسول الله ﷺ، وأبو داود، تحت رقم 4264، كتاب الأدب، باب ما جاء في الرؤيا .

2 - رواه مسلم، من كتاب الرؤيا. وأحمد، رقم 6035 و6009. وابن ماجه، رقم 3877 .

3 - منصور علي ناصيف، التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ج 04، ص 304.

4 - الفارابي، القصص، نقل عن: عبد الفتاح أحمد الفاوي، النبوة بين الفلسفة والتصوف، ص 127 .

والذي يهمننا من كل هذه الأنواع، هو النوع الإلهي الذي تتصل فيه النفس بالملأ الأعلى، عقلا فعلا كان أو لوحا محفوظا أو ملك من الملائكة، لأن علاقتها بالوحي علاقة قوية عند الفلاسفة، فمثل هذه الرؤيا وحي أو صورة من الوحي عندهم لأن نفس النبي القوية عند الفلاسفة تستطيع أن تتصل بالعقل الفعال يقظة أو مناما، وما يراه النبي في كلتا الحالتين وحي، ويقول ابن سينا: «فما كان من الأثر الذي فيه الكلام المضبوط في الذكر في حال اليقظة أو نوم ضبط مستقرا كان إلهاما أو وحيًا صراحا أو حلما لا يحتاج إلى تأويل أو تعبير»<sup>(1)</sup>.

ومما يدل على أن الفلاسفة لم يقصدوا من ذكر الرؤيا بجانب الوحي التقليل من شأنه، أن منهم من يقصر الرؤيا الصالحة (الصادقة) الدالة على المستقبل على الأنبياء وحدهم، مثل: الفارابي الذي لم نجد قولاً يدل على إثباتها لغير الأنبياء، بل إننا لنقدر للفارابي ولاهه للإسلام في هذه المسألة عندما يرفض أرسطو أن يكون من الرؤى ما هو وحي من عند الله فيخالفه الفارابي، ويقرر أن الإنسان يستطيع بواسطة مخيلته القوية الاتصال بالعالم العلوي واختراق حجب الغيب والوقوف على المكنون الخفي وذلك في نظره لا يتم إلا لطائفة ممتازة وهم الأنبياء .

#### 4- التفسير الحديث للرؤى والأحلام :

ويعتبر العلم العصري الرؤيا علامة على نوم غير طبيعي لأنها تشعر بأن الإرادة والإدراك والشعور والحكم قد تعطلت عن أداء وظائفها في النوم تعطلا غير تام فتظل على عملها والإنسان نائم فينتج من ذلك تخليط وأحلام تكون غير منطبقة على العقل في كثير من الأحوال .

ولقد اعتبر علماء النفس أن الرجل الصحيح الذي ينام بعد تعب معتدل لا يرى رؤى إلا نادرا ولا تبقى صور الرؤيا في ذاكرة الإنسان إلا إذا كان النوم خفيفا، وإلا استيقظ وكأنه لم ير شيئا، واعتبروا أن كل الأحلام التي يراها الإنسان في حال صحته تكون تابعة لنوعين من الأسباب: أولها التهيج الجسماني، وسببه الإفراط في شرب التوابل المنبهة، أو تغيير محل النوم أو انضغاط جزء من أجزاء البدن حالة النوم، أو تعب مفرط أثناء العمل. وثانيها التهيج العقلي، وعادة ما تحدث للذين تكون وظائفهم المعاشية تضطربهم إلى استخدام قواهم العقلية، كالعلماء والمؤلفين والسياسيين، وقد تنتج الرؤيا من أهواء النفس الشديدة التآثر

عليها. كالحب والبغض، وقد أكد علماء النفس أن أعمالنا اليومية واشتغالاتنا العقلية لها تأثير كبير على رؤانا اليومية، ولهذا فطبيعة الرؤيا تختلف من شخص لآخر، على حسب هوية الإنسان وطبيعة وظيفته، فرؤيا العالم ليست كالتي يراها السياسي أو الشاعر أو العاشق أو... الخ<sup>(1)</sup>.

رابعا- التأويل المجازي قبل ابن ميمون :

### 1- التأويل المجازي عند اليهود :

قبل التطرق للتأويل المجازي لدى ابن ميمون نعرض أولا عن بدايات التأويل لدى اليهود، فقد ظهرت فكرة التأويل لديهم قبل فيلون الإسكندري، كما كانت الإسكندرية نقطة اتصال بين مختلف حضارات العصر القديم، كحضارة مصر، وحضارة اليونان، وكان اليهود- فيها- جالية كبيرة تعزز بدينها متشبثين بتقاليدهم الدينية الموروثة عن الآباء والأجداد غير أنهم اضطروا للأخذ من الفلسفة والآداب اليونانية، كما رأوا أن الفلسفة اليونانية تناولت القضايا الإلهية، كقصة خلق العالم وغيرها، مما عرفوا على نحو ما في دينهم، فأتجهوا للبحث والمقارنة بين ما عندهم وعند غيرهم .

وقد انتهى بهم البحث إلى أن الفلسفة اليونانية حقائق، تحتويها كذلك التوراة التي لديهم، ومن ثم أخذوا يعملون على استخلاص هذه الفلسفة من كتابهم المقدس بطريق التأويل<sup>(2)</sup>.

ويرى الأستاذ يوسف موسى أن العوامل التي جعلت اليهود ينحوا بهذا المنحى في تصورهم الذي يجمع بين الديانة اليهودية والفلسفة الإغريقية، هي : أنهم أصحاب أول دين سماوي له كتاب بين أيدينا، وهذا الكتاب تناول كثيرا من المشاكل التي شغلت الفلاسفة القدامى، وكذلك اعتقادهم أنهم شعب الله المختار أو أنبيأؤه، ويضاف إلى هذا وذلك أنهم شردوا وتشتتوا بين الأوطان، فأصبح الدين هو الرباط الذي يجمعهم<sup>(3)</sup>، وكان من ذلك كله، أن عملوا على إظهار أن دينهم يحتوي ما يفتخر به اليونان من فلسفة رضيت بما عقول الأمم الأخرى. فكان من هذا تأويلهم التوراة تأويلا مجازيا يظهر ما فيها من حكمة وفلسفة كما يرون، لقد كان هؤلاء اليهود قبل فيلون يرون في التوراة معنى حرفيا، وآخر مجازيا يجب معرفته لأهله بالتأويل .ولهذا- كما يذكر "labbe martin" كان فيلون في تأويله لقصة الخلق، مطمئنا

1 - محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، (مرجع سابق)، ج04، ص164.

2 - نقلا عن: محمد يوسف موسى، بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، ط02، القاهرة، مطبعة العصر الحديث، 1988م، صص 112 - 113.

3 - المرجع نفسه، ص113.

أن اليهود سبق أن عرفوا لها تأويلات كتأويله، إذ كانوا يرون عدم الأخذ ببداء قصة التكوين حرفياً<sup>(1)</sup>.

إن الكلام على التأويل عند فيلون الإسكندري. كما يقول محمد يوسف موسى: «معناه الكلام على العمدة في هذه الناحية في رأينا ورأي كثير من الباحثين، فقد كان لموقفه حيال التوراة وفلسفة اليونان الأوائل وتأويل كثير من نصوص تلك، أثر مباشر أو غير مباشر في مفكري المسيحية والإسلام في العصر الوسيط، عندما وجدوا أنفسهم في مثل موقفه وقرؤوا ما وصل إليهم من كتاباته فيما ورثوه من فلسفة الأفلاطونية الحديثة بالإسكندرية»<sup>(2)</sup>. لم يكن فيلون ذلك المفكر ذو النزعة التقليدية، لقد كان عارفاً بالفلسفة الإغريقية، وهو يهودي أرثوذكسي في نفس الوقت، وكان ذا نزعة توفيقية، بين الدين والفلسفة، مثل ما حدث لاحقاً مع جبيرول، وابن ميمون<sup>(3)</sup>.

وقد اشتهر فيلون بأنه صاحب التأويل الرمزي (المجازي) للتوراة، حيث يعتبر التوراة مجموعة من الرموز التي ينبغي تأويلها حتى تبعث فيها الروح، واعتماداً على فلسفة أفلاطون المعدلة - الأفلاطونية الحديثة - قام فيلون بشرح رموز التوراة على حد زعمه.

وعلى هذا النحو بدت فلسفة فيلون كانعكاس وصدى للفلسفة اليونانية التي كانت سائدة في عصره، ولم يكن فيها من اليهودية الأصلية شيء يؤهلها لأن تكون فلسفة يهودية حقه .

فالتأويل ضروري لما يراه فيلون وأمثاله، من أن الأنبياء تكلموا كثيراً بالمجاز (الرمز) وهذا ستر وإخفاء للحقيقة عن البسطاء والجهال، وهو بهذا يرى أن فهم النص على حقيقته ليس في متناول العامة وقد وضع فيلون أصولاً للتأويل وشدد على السير عليها، وهي:

- 1- فهو يعتبر أن المعنى الحرفي يشبه الجسم، والمعنى الخفي يشبه الروح.
- 2- عدم إهمال المعنى الحرفي، بل يجب مراعاة الحرف والروح معاً أو الظاهر والخفي، ويرى أنه من الواجب العناية بهذا وذاك، كما نعتني في حياتنا بالجسم والروح معاً<sup>(4)</sup>.

وفي الواقع أن فيلون يجعل من التأويل وسيلة ضرورية يحقق بها أهدافه، ألا وهي أن تتفق النصوص المقدسة مع آرائه الفلسفية، سواء في الله، أو في خلق العالم، أو في النفس، أو في الدين بصفة عامة، وهكذا

1 - نقلاً عن: المرجع نفسه، ص 114.

2 - محمد يوسف موسى، بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، (مرجع سابق)، ص 114-115.

3 - Denis saurat, *Histoire des Religions*, Paris, les éditions denol et steele, P219.

4 - المرجع السابق، ص 115.

بالتأويل المجازي (الرمزي) الذي اصطنعه فيلون، يستخرج ما في التوراة من فلسفة تظهر أنها عارية منها لسر أخذت وفهمت نصوصها حرفيا.

إذن يرى فيلون أن من الضروري تأويل النصوص التي تثبت بظواهرها لله ما لا يليق به من الصفات والأحوال : كالتجسيم، والكون في مكان، والكلام بصوت وحروف، والندم، وهو في هذا يقول: «الله لا يأخذه الغضب ولا يندم، ولا يتكلم، بحروف وأصوات، وليس له مكان خاص يقرّ فيه»<sup>(1)</sup>.

ويؤول حفظا لعظمة الله ولتزيهه عن العناية بما لا يليق بجلاله من أمور تافهة، ومن باب التمثيل لدى التوراة تقول: «إن ارتفعت ثوب صاحبك فإلى غروب الشمس ترده، لأنه وحده غطاؤه، هو ثوبه لجلده في ماذا ينام»<sup>(2)</sup>، وهنا يصيح فيلون: «ولكن كيف! هل يعنى الله بمثل هذه التفاصيل التافهة؟» ثم يقول: «إن أبطأ الأذهان إدراكا وفهما لترى أن وراء الحرف معنى آخر يبين بالتأويل الحق المجازي»<sup>(3)</sup>.

كما يؤول كذلك قصة خلق العالم في ستة أيام، وهي بنصها الحرفي تبين أن الله في خلق العالم كان محتاجا إلى مدة، وفي هذا يقول: «إن الأيام الستة التي يتحدث عنها موسى لا تعني أن الخالق كان في حاجة إلى مدة من الزمن»<sup>(4)</sup>، ولكن موسى أراد أن يعرفنا باللغة التي نفهمها نحن البشر، بنظام العالم الذي خلقه الله ومترلة بعضه من بعض وهذا أمر فهمه يسير في رأي فيلون الذي يقول في هذا الصدد: «إني أرى من السذاجة، أن نعتقد من هذا أن العالم خلق في ستة أيام، أو بصفة عامة في فترة من الزمن»<sup>(5)</sup>.

كما أن فيلون يؤول أيضا للتخلص من المعنى الحرفي الأسطوري ذي الغرض، وهو يقف بشدة في هذا النوع من التأويل الذي يهدف إلى نقد التوراة بجعلها بمترلة كتب الأساطير الإغريقية، إنه يجارب هذا الفهم الحرفي، وذلك بأن يعارضه بفهم حرفي آخر يتفق وسمو التوراة، ثم يضيف بعد هذا تأويلا آخرًا مجازيا .

ومن أمثلة ذلك ما جاء في التوراة عن تضحية إبراهيم لولده إسحاق، فقد رأى بعض الشراح في هذا مماثلة لما جاء في بعض الأساطير الإغريقية من هذا النوع من التضحيات<sup>(6)</sup>.

1 - محمد يوسف موسى، بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، (مرجع سابق)، ص 116 .

2 - سفر الخروج 22 : 26 - 27 .

3 - مارتان، نقلا عن: المرجع السابق، ص 116-117.

4 - المرجع نفسه، ص 117.

5 - المرجع نفسه والصفحة .

6 - برهية، نقلا عن: المرجع نفسه والصفحة .



كما نراه يزول الأشخاص الذين جاء ذكرهم في قصص التوراة، وذلك بأن يجعلهم رموزا لبعض حالات النفس ومن مثل هذا: قصة خلق آدم، ثم حواء من إحدى أضلاعه وإغراء الحية لهما وقتل قابيل لهاييل... كل هذا ونحوه تناوله فيلون بالتأويل المجازي<sup>(1)</sup>.

ويذكر برهيه أن التأويل ثلاثة أنواع عند فيلون وهي: التأويل الحرفي ذي العرض، والتأويل الحرفي البسيط، والتأويل المجازي. وقد كان فيلون حريصا على النوعين الأولين وهذا دفاعا عن الدين الموسوي، وقد كان من هؤلاء - حسب زعمه - وثيون يريدون جعل التوراة بمذلة كتب الأساطير اليونانية، ولم يكن التأويل الذي يدعو إليه ويوجهه لكثير من نصوص التوراة إلا التأويل المجازي، وكان مصدره في هذا النوع من التأويل الإلهام، والبحث والتفكير الشخصي، والمأثورات<sup>(2)</sup>.

ويرى الباحث محمد يوسف موسى أن استخدام - فيلون - طريقة التأويل المجازي لكثير من نصوص التوراة، قد أفسدها وأخرجها عن أن تكون كتابا دينيا يتأثر به القلب والعقل معا، بل إنه كاد أن يمحو ما أنزله الله في التوراة من هدى ونور<sup>(3)</sup>.

## 2- التأويل المجازي عند المسلمين :

### أ- عند المتكلمين :

كانت المعتزلة أول فرقة في الإسلام، اعتنت بعلم الكلام، والغاية من ذلك أن يبعدوا عن الله كل ما يوهم التحسيم أو التشبيه، وذلك للتأكيد على وحدانية الله وعدله وحرية الإنسان في أفعاله، ومن ثم صرفوا كثير من الآيات عن معانيها الحرفية الظاهرة، إلى معانٍ أخرى مجازية، واستعانوا في هذا المنهج الشاق بالقرآن نفسه في آيات أخرى، وباللغة تارة أخرى، ومن رجالهم النظام وقد تبعهم بعد ذلك الأشاعرة وإن كانوا بدرجة أقل، ويعتبر الغزالي أحد أعمدة التأويل لديهم، والعلاف والقاضي عبد الجبار لهذا نجد بين المعتزلة وبين فيلون وابن ميمون تقاربا كثيرا، من ناحية الغاية من التأويل، في بعض النواحي، وإن كان المعتزلة لم يكن هدفهم العمل على إظهار اشتمال القرآن على أمهات الأفكار والآراء الفلسفية اليونانية، كما كان عمل السابقين<sup>(4)</sup>.

1 - محمد يوسف موسى، بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، (مرجع سابق)، ص 118.

2 - المرجع نفسه، ص 119.

3 - المرجع نفسه والصفحة .

4 - المرجع نفسه، ص 131.

ولدينا جملة من الأسئلة على تأويل المعتزلة لكثير من نصوص القرآن، ونذكر منها تفسير "الكشاف" لمحمود بن عمر الزمخشري، وبعد ذلك الكتاب العمدة في التأويل الاعتزالي، ونشير هنا إلى بعض الآيات التي أولها الزمخشري، دون عرض تأويلها، قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِئًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾<sup>(1)</sup> وأيضا ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ... وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾<sup>(2)</sup> وغيرها من الآيات .

ولا يحق لنا أن نقول بأن المعتزلة، بما أولوا من آيات القرآن تأويلا مجازيا، بأنهم أرادوا أن يظهر ما رأوه حقا من فلسفة اليونان في القرآن، كما كان الأمر عند فيلون الإسكندري وابن ميمون. كما ليس لنا القول بأنهم تأثروا بهذين المفكرين اليهوديين في طريقة التأويل، ويعتبر الباحث محمد يوسف موسى «كل ما في الأمر أن المسألة كما أثرت في اليهودية والمسيحية، وضعت كذلك بالنسبة للإسلام»<sup>(3)</sup> .

#### ب- عند الفلاسفة :

إن مسألة التأويل شغلت هواتف الفلاسفة، وسبقهم كما أشرنا علماء الكلام وغيرهم، وقد حاول كل فريق أن يقنن للتأويل، ويحيط بالقواعد التي يجب السير عليها لكي لا يجحد عن المعنى الحقيقي للنص . وبالنسبة لفلاسفة المسلمين كان من أبرز من تعرض لقضية التأويل الفارابي وابن سينا وابن مسرة وابن طفيل وابن رشد، ويحتوي كتاب هذا الأخير "الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة" رأيه الواضح في قانون تأويل النصوص الشرعية، وصنف في حاشية كتابه المعاني من حيث هذا القانون إلى خمسة أصناف:

**الصنف الأول:** ما لا يجوز تأويله وهو المعنى المصرح به وهو بعينه المعنى الحقيقي للنص .

**الصنف الثاني:** ما لا يجوز أن يووله إلا أصحاب الفطرة الفاتقة، وكذلك لما يكون المعنى المصرح (الظاهر به ليس هو المراد، بل هو مثال ورمز للمعنى المقصود حقيقة، إلا أنه لا يعلم أنه مثال، ولا لماذا أختير بذاته ليكون مثالا ورمزا لذلك المعنى الخفي إلا بمقاييس مركبة تعلم في الوقت الطويل وبإعانة علوم أخرى .

**الصنف الثالث:** ما لا بد من تأويله والتصريح بهذا التأويل للجميع، وذلك إذا كان المعنى المصرح به مثالا ورمزا لمعنى غير مصرح به ، إلا أنه يسهل معرفة كونه مثالا أو رمزا، حينئذ ليس لأحد الأخذ بما صرح به.

1 - سورة آل عمران: 18 .

2 - سورة البقرة : 253 - 254 .

3 - محمد يوسف موسى، بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، ص132 .

الصف الرابع: ما يكون فيه التأويل للعلماء أنفسهم خاصة، وذلك عندما يكون المعنى المصرح به مثالا، ويعرف أنه مثال، لكن قد يعرف بعلم بعيد لا تقدر عليه العامة، لماذا كان هو نفسه مثالا؟ ويورد ابن رشد عدة أمثلة عنه، قوله ﷺ: « ما من نبي لم أره إلا وقد رأيت في مقامي هذا حتى الجنة والنار »<sup>(1)</sup>، وأيضا: « كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه رَكْب »<sup>(2)</sup>.

الصف الخامس: ما قد يكون الأولى فيه عدم التأويل لغير العلماء، وذلك إذا كان المعنى المصرح به مثالا ورمزا لآخر غير مصرح به، إلا أنه لا يتبين أنه مثال إلا بعلم بعيد، ومتى عرف أنه مثال تبين بعلم قريب حكمة اختياره أنه مثال بذاته<sup>(3)</sup>.

ويرى ابن رشد ضرورة أن تكون قواعد التأويل مقصورة التداول بين الفلاسفة فقط، وهم الذين تنطبق عليهم صفة الراسخون في العلم، وهم الخاصة الذين لا ينبغي لهم أن يشيعوا بين العامة تأويلاتهم وآراءهم لئلا يفتنهم عن دينهم، إذ يقول: « ومتى صرح بشيء من هذه التأويلات لمن هو من غير أهلها، بخاصة التأويلات البرهانية لبعدها عن المعارف المشتركة، أفضى ذلك بالمصرح له والمصرح إلى الكفر »<sup>(4)</sup>، ويرى أن المتكلمين سمحوا لأنفسهم بالتأويل للعامة دون علم وخبرة، ولهذا فهو ينتقدهم وقد أخطأوا في نظره، عندما صرحوا لعامة الناس بذلك، قائلا: « الإفصاح بالحكمة لمن ليس من أهلها يلزم عنه إبطال الحكمة أو إبطال الشريعة، والصواب كان ألا يصرح بالحكمة للجمهور »<sup>(5)</sup>، وكان انتقاده أكثر لأبي حامد الغزالي لأنه أدلى برأيه في هذه الأمور العويصة للجميع.

#### خامسا - التأويل لدى ابن ميمون:

إذا تركنا فيلون وتخطينا العصر الذي كان يعيش فيه بعدة قرون نجد كذلك حبرا آخر من أجبار اليهود وفلاسفتهم، يرى ضرورة التأويل المجازي (الرمزي) للتوراة، ونعني بذلك " ابن ميمون " بل نجد قبل ظهور ابن ميمون نفس التأويل لدى غيره من مفكري اليهود، كما ذكرنا سابقا من مثل سعديا الفيومي وابن

1 - رواه مسلم، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، من كتاب الكسوف .

2 - رواه مسلم، باب ما بين الفتحين، من كتاب الفتن وأشراط الساعة .

3 - أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي الأندلسي، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تعليق أحمد شمس الدين، ط 01، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م، ص، ص 125 - 128.

4 - ابن رشد، فصل المقال وتقرير الشريعة والحكمة من الاتصال، تقدم د. أبو عمران الشيخ وجلول البدوي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م، ص 19.

5 - نفس المرجع والصفحة .

جبرول ولأجل فهم طريقة ابن ميمون في التأويل وغرضه منه والبواعث التي بعثته عليه، فإنه علينا الرجوع إلى كتابه "دلالة الحائرين"، فقد أفصح عن ذلك كله لتلميذه يوسف بن عقين، قائلا له: « والغرض الثاني وهو تبين أمثال خفية جدا جاءت في كتب الأنبياء ولم يصرح بأنها مثل، بل يبدو للجاهل والذاهل أنها على ظاهرها ولا باطن لها، فإذا تأملها العالم بالحقيقة وحملها على ظاهرها، حدثت له أيضا حيرة شديدة، فإذا بينا له ذلك المثل أو نبهناه على كونه مثلا، اهتدى وتخلص من تلك الحيرة»<sup>(1)</sup>.

وقد عقد ابن ميمون العزم على أن يبين حقيقة ألفاظ عبارات التوراة للعامّة والخاصة، وهذا ليجنبهم سوء الظن بما تريده التوراة أو الأنبياء، ويحفظ لهم اعتقادهم في الديانة وفي الرب، فيزيد على تأكيده لغرضه من التأويل، قائلا: « ونحن رمنا أن نبين معاني التأويلات، وظواهر النبوة للجمهور ورأينا أيضا أن تلك التأويلات إن نظرها جاهل من جمهور الربانيين فلا يصعب عليه منها شيء، إذ لا يستبعد الجاهل الغبي العري عن معرفة طبيعة الوجود المتنوعات، وإن نظرها كامل فاضل فلا يخلو من أحد: إما أن يحملها عن ظاهرها فيكون قد أساء الظن بالقائل واستحلهه وليس في ذلك نقذ لقواعد الاعتقاد. وإما أن يجعل لها باطنا، فقد تخلص وأحسن الظن بالقائل تبين له باطن ذلك القول أو لم يتبين»<sup>(2)</sup>.

ولم يسمح ابن ميمون لنفسه بحق خرق النصوص المقدسة باستخدام التأويل المجازي إلا في حالتين:

1- إذا ما وجدت هناك جملة من الآيات المقدسة التي تتناقض فيما بينها، حيث يتم فهم سلسلة من الآيات باتباع المعنى الحرفي، والسلسلة الأخرى باتباع التأويل المجازي.

2- أو في حالة ما إذا كان النص في معناه الحرفي ليس بالدقة المرجوة (كنص خلق العالم)<sup>(3)</sup>.

لكن مهما كان السبيل في ذلك، فإن ابن ميمون استخدم الأسلوب التأويلي وأوصى باتباعه، لأنه كان على يقين من أن النصوص والكتب المقدسة تقدم حقائق علمية وميتافيزيقية (ماورائية)، وأن ما جاء في الكتاب المقدس يمكن ألا يتوافق مع نتائج التأمل العقلي، وقد انطوى الكتاب المقدس على جملة من الحقائق العلمية، وينبغي على نحو ما استخلاص تلك الحقائق.

ويبدو أن التأويل المجازي أو الرمزي أداة مناسبة لتحقيق ذلك، ونعتبر إذا ما حاولنا استذكار كل كلمات

1 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، (مصدر سابق)، ص 06.

2 - المصدر نفسه، ص 11.

ابن ميمون في مقدمة كتابه " دلالة الحائرين " المفتاح المناسب الذي يفتح لنا أبواب الفهم لجميع الخطابات النبوية.

وبفضل التأويل المجازي يمكن أيضا إزالة الصعوبات التي يسببها فهم بعض النصوص في الكتاب المقدس، التي يتعارض معناها الحرفي، ولسوء الحظ مع بعض الحقائق المثبتة بالعلم، وكما قال صموئيل بن تبون في عبارة موجزة: « من الأفضل قهر والتغلب على فك رسالة الكتب المقدسة أكثر من أن تتغلب على الطبيعة »<sup>(1)</sup>. إن ابن ميمون إذا كان يرى لنفسه التأويل المجازي، فهل يمنح الفرصة لغيره كي يؤول كما يريد؟ أو هل هناك قواعد وأصول يجب أن يستهدي بها؟ وللإجابة عن هذا الأمر، نذكر أنه ترك لنا فيما كتب ما يدل على أنه كانت هناك أصولا يسترشد بها، ويمكن استخلاص هذه الأصول من تأويله نفسه في كتابه " دلالة الحائرين " وقد جمعها الأستاذ محمد يوسف موسى من دراسته المعمقة لذلك الكتاب وهي:

- 1- يجب أن يكون في الظاهر ما يرشد المتأمل بعقله إلى المعنى الخفي.
- 2- أن يكون هذا المعنى الخفي أجمل وأليق بالمعنى الذي يدل عليه النص بظاهره.
- 3- أن نلجأ إلى التأويل إذا كانت النصوص لو أخذت حرفيا تؤدي إلى التجسيم أو جواز النقلة أو الكون في مكان على الله. ونحو هذا مما يتصل بصفات المخلوقين التي يستحيل عقلا أن تنسب إليه، ولهذا يجب إذاعة تأويل هذه النصوص وأمثالها للعامة والخاصة على سواء.
- 4- أن يلجأ إلى التأويل متى قام الدليل العقلي الصحيح على بطلان المعنى الذي يؤخذ منه ظاهر النص، ولهذا تركت النصوص التي تشهد بظواهرها لحدوث العالم، مع إمكان تأويلها، لأنه لم يفهم الدليل القاطع على قدمه حتى من أرسطو طاليس.
- 5- ألا نصل بسبب التأويل إلى معنى يهدم أساسا من أسس الشريعة، ولهذا كان السبب الثاني في عدم تأويل النصوص التي تشهد بظواهرها لحدوث العالم : أن القول بقدمه - كما يرى أرسطو طاليس - يستأصل الدين من أساسه، ويدفع كل المعجزات بأنها أكاذيب.

6- وأخيرا لا يذاع من التأويل إلا القليل الذي يكفي لفهمه، وأن يكون ذلك للمستعد له فحسب<sup>(2)</sup>.

لقد كان لموقف ابن ميمون من خلال كتاباته، وطبيعة نزعته الفلسفية، بأن سمحت له تبيين معادلتين

1 - Charles Touati, **prophetes Talmudistes**, P262 .

2 - محمد يوسف موسى، بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، ص 121-122.

- أن التفسير المجازي والتعليق الفلسفي يتناقضان، وأن ذلك التعليق الفلسفي هو جزء لا يتجزأ عن ذلك النقد الموجه للعادات الدينية اليهودية، ونجد عنده كذلك ذاك الانشغال المنحصر في فكرة التأويل والتفسير، وفقا لما ينص عليه المنطق وأيضا التعليم الفلسفي<sup>(1)</sup>.

- إن العديد من التفسيرات اليهودية القديمة، والتي أخذت بمعناها الحرفي ستكون بالفعل غامضة وتتناقض في جميع الحالات مع وجهات نظر المؤلف .

إذن ما هو الذي يسيطر ويهيمن على ابن ميمون هل الفلسفة أم الدين؟ ولماذا خصص تقريبا ثلثي كتاب "دلالة الحائرين" من أجل تفسير وتأويل الأفعال والأسماء بطريقة فلسفية، هذه الأفعال والأسماء التي غالبا ما تصطدم مع جميع معطيات المنطق وتمز إلى درجة كبيرة روح اعتقاد المؤمن المتعلق بتلك الأفكار الفلسفية لذلك الوقت؟

ويعتبر ابن ميمون هو الأول الذي أثار هذه الإشكالية، ومنذ ذلك الوقت لم نشهد تماما ذلك التفسير المتناسق والمنسجم .

نحن ليس لدينا مشكلة تماما مع مبدأ تركيب الأفكار التي تنحدر من أصول مختلفة لأن نية المؤلف تنحصر تماما في فكرة الجمع ما بين المعلومة القديمة والمستوحاة، مع المعلومة الأخرى الفلسفية والمنطقية، إلا أن نقطة البدء لا تبدو نفسها في معظم الحالات، حيث أن لابن ميمون تلك الفكرة الفلسفية التي استوحاها من الرب والتي بواسطتها يتخلص من عدد كبير من فقرات الكتاب المقدس التي لا تحوي هذه الفكرة<sup>(2)</sup>.

ويتبين من هذا أن ابن ميمون أراد التوفيق بين الفلسفة الأرسطية والتأويل التقليدي، الذي عرفه بعض اليهود قبله، ومفادها ضرورة وجود تفسير مزدوج للقانون (التشريع)، أحدهما ظاهري موجه للجميع، وآخر باطني موجه فقط للخاصة (أصحاب الإدراك الواسع)، ويؤكد على أن القانون والنص الموحى يحتويان في حد ذاتهما على معنى مزدوج: معنى خفي موجه للنخبة المثقفة، ومعنى موجه للجميع<sup>(3)</sup>.

وهذا التصور في تفسير النصوص المقدسة لدى ابن ميمون، كان حظها النقد اللاذع من سبينوزا فهذا

1 - Maurice Ruben hayoun, *l'exégèse juive*, 1<sup>er</sup> editions, Paris, Press Universitaire, 2000, P61.

2 - *Ibid*, P62 .

3 - Régine Agria, *le judaïsme*, Paris, Editions la decouvert, 1996, P56 .

الفيلسوف يذكر في "رسالة اللاهوت والسياسة" أن الكتاب المقدس قد عانى من سلطوا عليه التأويل في مغامرة لا نجد لها لهم في كتاب آخر، ثم ينتهي بتأكيد أن طريقة ابن ميمون - إشارة له فقط - لا طائل منها وأنها لا تدعنا ندرك الحقائق في الكتاب المقدس، ولهذا يرى ضرورة رفض صنيع ابن ميمون ومن سار قبله وبعده، باعتباره عملاً ضاراً<sup>(1)</sup>.

وموقف سبينوزا هذا واضح وصريح، وذلك متى لا حظنا رأيه في العلاقة بين الروحي والعقل أو بين الدين والفلسفة، فهما متميزان في الطبيعة والغاية، ولهذا - حسبه - يجب الفصل بينهما وإبقاء كل منهما مستقلاً في دائرة مفاهيمه الخاصة وتصورات لقضاياها .

### سادساً- التأويل المجازي للرؤى النبوية لدى ابن ميمون :

كيف يمكننا تفسير أن الرؤى هي دائماً مقدمة على أيها أوامر ربانية؟ لقد اقتنع ابن ميمون بضرورة أن يضيف شيئاً من الدقة والموضوعية على جميع الرؤى، حيث بدأ بعملية شرح ما يجري أثناء حدوث الرؤية النبوية، فإذا كان النبي يتأثر بذلك النوع من الخوف والاضطراب، فإن ذلك يعود إلى أن ملكته التخيلية تتجه نحو تلك المظاهر الغير المألوفة، حيث يذكر دانيال ذلك الرعب الذي أحس به أثناء حدوث الرؤيا، أين خاتته قواه، وبالتالي فقد التحكم في أعماله « رأيت هذه الرؤيا العظيمة فلم تبق في قوة ونضارتي تحولت في إلى فساد ولم أضبط قوة، وسمعت صوت كلامه، ولما سمعت صوت كلامه كنت مسبخاً على وجهي، ووجهي إلى الأرض»<sup>(2)</sup>.

إذن، كيف من الممكن الأخذ بالمعنى الحرفي، ذلك الشيء الذي يراه هؤلاء الأشخاص أثناء حدوث الرؤيا؟ كيف علينا معرفته، عندما نفقد جميع وسائلهم، إذا ما كان ذلك الشكل ملك أو الرب نفسه هو الذي تحدث إليهم؟ ويذكر مؤلف "دلالة الحائرين" بذلك المبدأ الأساسي وذلك من أجل تفسير أو تأويل الرؤى النبوية، مع العلم أنه في كل مرة نعتقد أننا سمعنا كلام الرب أو ذلك الملك، فإن هذا الحديث لا يتم إلا من خلال حدوث الرؤيا النبوية، وهذا يعني من خلال روح النبي، وليس أبداً من تلك الحقيقة المحسوسة، إنما تلك الحقيقة العقلية الباطنية وليست بالخارجية، بواسطة هذه المسلمة، نفهم أن ابن ميمون يسعى إلى الحد من نطاق ذلك الطابع الإعجازي أو الخارق للعادة والمتعلق بالروحي النبوي، وي طرح ابن ميمون عدة

1 - سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، (مرجع سابق)، ص 241.

2 - سفر دانيال 10: 08 - 09 .

أسئلة من التوراة، كحالة لابان وأيمالك حيث يذكر الكتاب المقدس بأن الرب ظهر لهم في شكل حلم مستخدماً العبارة « ف جاء الله أيمالك في حلم الليل »<sup>(1)</sup> « وأتى الله إلى لابان الآرامي في حلم الليل »<sup>(2)</sup>، ولا من خلال هذين المتطعين الأخذ بمعناها الظاهري، لأن الرب لا يمكنه أن يظهر جسدياً، ولا يمكنه أن ينتقل من مكان إلى آخر .

ويذكر ابن ميمون مقولة " أنقلوس " مترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الآرامية، والذي ترجم أول عبارة « أتت كلمة الرب »<sup>(3)</sup>، بمعنى أنه أتى ذلك الكلام من طرف الرب، وينطبق هذا الأمر على ذلك اللقاء الذي حدث بين يعقوب والملائكة، وكذلك بالنسبة لمغامرات بلعام مع حماره، كل هذا حدث أثناء تلك الرؤى النبوية، وهذا يعني بكلمات واضحة أن هذا الأمر لم يوجد من قبل في حقيقة الواقع .

ومن خلال الفصل 46 من الجزء الثاني لدلالة الحائرين فبإمكاننا أن نقرأ جميع تلك السلسلة من الشروح والتفسير حول تلك الأفعال النبوية أثناء حدوث الرؤيا، فعندما يعتقد شخص ما أثناء حدوث رؤية نبوية، بأنه حقق تلك المجموعة المتتالية من الأفعال وكأنه ذهب - مثلاً - إلى بلاد أخرى لكي يتزوج، أو ليربي أطفاله... فإنها لا تعتبر تلك الأحداث التي حدثت حقيقية، إلا إنها في مجملها مجموعة من التخيلات .

ويستطرد ابن ميمون في تنويع الأمثلة عن مجموعة الأنبياء، كحزقيال وهو شع ممن تكلموا بالرؤيا أو في الحلم، واعتبر كلامهم لا يؤخذ على ظاهره بل أرادوا معاني أخرى غير المصرح بها، وهو ما أراده في مقدمة كتاب "دلالة الحائرين" لما صرح لتلميذه الغرض من مقاله وقد ذكرناها سابقاً، حيث أعلن أو صرح عن نيته في شرح تلك الجازات التي تحويها تلك المبالغات من خلال كتب النبوة التي عنيت بذلك، حيث يشير لتلك الفقرة من تلمود بابل الذي يذكر بالضبط الاستعانة المتكررة للكتابات المقدسة بهذه المبالغات، وهنا نقدم مثلاً على ذلك « مدن عظيمة محصنة إلى السماء »<sup>(4)</sup> .

فيتكلم مؤلف "الدلالة" عن تلك العصور الإنسانية من خلال الكتاب المقدس، كما صرح لتلميذه الغرض من التأليف والشرح، لظاهرة الرؤى النبوية التي تكررت كثيراً لديهم حيث قال له: « وقد كنا وعدنا في شرح المشنة بأنا نبين معاني غريبة في كتاب النبوة وفي كتاب المطابقة، وهو كتاب وعدنا أن نبين

1 - سفر التكوين 20 : 03 .

2 - سفر التكوين 31 : 24 .

3 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 422 .

4 - سفر التثنية 01 : 28 .



فيه مشكلات التأويلات كلها التي ظواهرها منافية جدا للحق خارجة عن المعقول وهي كلها أمثال»<sup>(1)</sup> .  
ولهذا نجد يشدد على ضرورة فهم الأمثال التي تنطق بها الأنبياء، لأنها المفتاح الذي يعرفنا غاية  
الأنبياء من النطق بها حيث يقول: «أعلم أن مفتاح فهم جميع ما قالته الأنبياء عليهم السلام، ومعرفة حقيقته هو فهم  
الأمثال ومعناها وتأويل ألفاظها»<sup>(2)</sup>، ويستشهد على ذلك من التوراة « وكلمت الأنبياء وكثرت الرؤى  
وييد الأنبياء مثلت أمثالا»<sup>(3)</sup>، ومن قول الحكماء (الماخامات): « بواطن أقوال التوراة في الجوهرية،  
وظاهر كل مثل ليس بشيء»<sup>(4)</sup> .

ويعتبر ابن ميمون أن الأمثال النبوية في تفسيرها أو تأويلها طريقان :

- 1- منها أمثال كل كلمة في ذلك المثل تقتضي معنى، ومثال النوع الأول من الأمثال النبوية، قوله في  
التوراة: « ورأى حلما وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء، وهو ذا ملائكة الله »<sup>(5)</sup>،  
فإن قوله: « حلما » يدل على معنى ما، وقوله: « منصوبة إلى الأرض » يدل على معنى ثان، وقوله:  
« ورأسها يمس السماء » يدل على معنى ثالث، وقوله: « هو ذا ملائكة الله » يدل على معنى رابع<sup>(6)</sup>،  
ويعتبر ابن ميمون أن كل لفظة وردت في تلك الآية لها معنى زائد أو خارج عن ظاهر المثل الذي ضرب .
- 2- ومنها ما يكون جملة المثل ينبى عن جملة المعنى الممثل، وتجيء في ذلك المثل بل في تحسين  
المثل، وترتيب القول فيه أو للمبالغة في إخفاء المعنى الممثل، فيطرد القول بحسب كل ما يلزم في ظاهر  
المثل<sup>(7)</sup> .

وهذه الطريقة الثانية يضرب لها ابن ميمون مثال من التوراة « لأني من كرة بيتي من وراء سباكي  
تطلعت، فرأيت بين الجهال ولاحظت بين البنين غلاما علم الفهم، عابرا في الشارع عند زاويتها وصاعدا  
في طريق بيتها، في العشاء في مساء اليوم في حدقة الليل والظلام وإذا بامرأة استقبلته في زي زانية وخبثشة  
القلب صحابة هي وجاحمة، تارة في الخارج. فسألته، وقالت له علي ذبائح سلامة. لأن الرجل ليس في

1 - موسى بن ميمون، دلالة الخاترين، (مصدر سابق)، ص10.

2 - المصدر نفسه، ص11.

3 - سفر هوشع 12: 10.

4 - المصدر السابق، ص12 - 13.

5 - سفر التكوين 28: 12.

6 - المصدر السابق، ص14.

7 - المصدر نفسه والصفحة .

البيت. أخذ صرة الفضة بيده. أغوته بكثرة فنونها بملت شفتيها طوحته»<sup>(1)</sup>.

فمعنى هذا النص هو التحذير من اتباع لذات الأبدان وشهواتها، فشبه المادة التي هي سبب الشهوات البدنية كلها بامرأة زانية وهي امرأة رجل أيضا، وعلى هذا المثل بنى كتاب كله، وسننن في فصول هذه المقالة حكمته في تشبيهه المادة بامرأة زانية، وبنين كيف ختم كتابه هذا بمدح المرأة إذا لم تكن زانية بل مقتصرة على صلاح بيتها وحال بعلها، وجميع هذه العوائق التي تعوق الإنسان عن كماله الأخير وكل نقبضة تلحق الإنسان وكل معصية، فإنما تلحقه من جهة مادته فقط، فهذه الجملة هي المفهومة من جميع هذا المثل أعني أن لا يكون الإنسان تابعا لبهيمته فقط، أعني مادته؛ إن مادة الإنسان القريبة هي مادة سائر الحيوان القريبة»<sup>(2)</sup>، وعلى هذا المنوال سار ابن ميمون في تأويله المجازي للأمثلة النبوية التي وردت في كتب الأنبياء .

#### سابعا - جدل العقل مع النقل في العصر الحديث :

العقل في مواجهة الوحي قضية شغلت منذ القدم، وما زالت تشغل علماء الأمة ومفكريها، واتخذت أشكالا مختلفة وانتحلت أسماء متغايرة، فهي قضية السمع والعقل، أو النقل والعقل، أو الخير والعقل، وهي قضية الرأي في مقابل الحديث، والقياس مقابل النص، والفهم الظاهر مقابل التأويل، وهي قضية البرهان مقابل البيان، والنظر مقابل العرفان .

والملاحظ للخريطة الفكرية للعالم الإسلامي اليوم أن الانقسامات الفكرية الكبرى يمكن ردها إلى قضية العلاقة بين الوحي والعقل، بل يمكننا القول إن الانقسامات الفكرية تعكس الإشكاليتين الرئيسيتين تواجهان العقل في علاقته بالوحي : إشكالية التعارض وإشكالية الكفاية . فانقسام مثقفي الأمة ومفكريها بين الاتجاهين الإسلامي والعلماني يعود من حيث دواعيه النظرية إلى إشكالية العقل في توليد التصورات وإنشاء القيم، كما يمكن إعادة انقسام الإسلاميين بين الاتجاهين الإحيائي والإصلاحى، إلى إشكالية التعارض المتمثلة في رفض الإحيائيين كل اجتهاد يخالف في منهجه أو مضمونه التفسيرات التراثية لنصوص الوحي، وتأكيد الإصلاحيين ضرورة إعمال النظر من جديد في نصوص الوحي وقراءتها قراءة جديدة في ضوء المعطيات

1 - سفر الأمثال 07 : 06 - 22 .

2 - موسى بن ميمون، دلالة الحاترين، ص 14-15 .

وأساس المشكلة تظهر في قضية التأويل، والتي شغلت عقول القدامى وإلى اليوم نجد لها امتدادا، حيث صدرت كتب كثيرة، ومقالات متنوعة في هذا الباب في عدة مجلات<sup>(2)</sup> تناولت علاقة العقل مع النقل، ومن مواهبها من جعل العقل خادما للنقل، ومنهم من ألغى النقل كله لحساب العقل، وآخرون قاموا بعملية التوفيق والتلفيق بينهما.

والذي يجب أن نعلمه، أن العقل موجود في الواقع قبل النقل، فالنقل نتاج لتفاعل العقل مع الواقع، وهذا يعني أن العقل مهيم على النقل، ولا يمكن أن يتعكس الوضع فيصبح النتاج (النقل) سيد للمنتج (العقل)<sup>(3)</sup>. والذي حدث في واقع المسلمين حاليا، أن الأمر أصبح معكوسا (النتاج سيد للمنتج)، مما أدى إلى توقف الاجتهاد الفكري والتطور العلمي، ودبت الحياة في الآباء وعادوا إلى الحياة من خلال تقمص الأبناء لعقل الآباء، ولهذا نرى في حياتنا اليومية بعض رجالات السلف يتحركون بيننا من خلال نمط التفكير والنظام الذي تقمصه الأبناء.

وعندما أرسل الله عز وجل رسالة إلى الناس أنزلها إلى رسوله بلغة عربية مبينة، ليقوم الناس بقراءتها من خلال السمع والبصر والدماع، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>(4)</sup>. وهذه الرسالة صدرت من عالم خبير حكيم إلى الكائن العاقل الحر، ومن الطبيعي أن يخاطب المرسل المرسل إليه بحسب ما يفهم وما يملك من أدوات معرفية وإلا كان الخطاب عبثا.

والإيمان بالله عز وجل ووحدانيته وبالיום الآخر والرسالة التي أنزلت إلى رسوله، ذلك كله كان بالعقل، وقد حكم عليه القرآن بصفة الحق من جراء المصادقية، التي قامت عنده من تطابق الدال على المدلول عليه في الواقع فوصل إلى الدلالة الحق، وبعد هذه العملية يأتي دور الانقياد للحق أو الكفر به، وفي هذه المسألة نجد أنفسنا مضطرين إلى التفريق بين شيئين:

- 1 - لوني صافي، "الوحي والعقل بحث في إشكالية تعارض العقل والنقل"، إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد 11، (الولايات المتحدة الأمريكية)، 1418هـ/1998م، ص 49 - 50.
- 2 - من بينها: "النص السلطة والحقيقة"، و"مفهوم النص دراسة في علوم القرآن"، لنصر حامد أبو زيد. و"الاجتهاد الكلامي"، نعد الجبار الرفاعي. و"مسؤولية التأويل"، لمصطفى ناصف. و"الكتاب والقرآن"، لمحمد شحرور. وغيرها من الكتب والمقالات الكثيرة.
- 3 - سامر اسلامبولي، تحريم العقل من النقل، دار الأوتل، دمشق، [د، ت]، ص 07.
- 4 - سورة الإسراء: 36.

أ) - أن الوجود الموضوعي الحق خارج الذهن الإنساني لا يستمد وجوده من حكم الإنسان عليه بالوجود أو عدمه، ولا يتأثر به أبداً، نحو وجود الشمس ساطعة في كبد السماء، فهي لا تستمد وجودها من علم الناس بها كما أنها لا تتأثر إذا لم يعلم بها أحد لأن وجودها حقيقة موضوعية لا علاقة للعقل بوجودها أو عدمها في الواقع .

ب) - حكم العقل على وجود الشيء أو صفته إنما هو بالنسبة إليه، وعدم العلم بالشيء يخرج من دائرة التفكير، وبالتالي لا يكون محلاً للتفكير أو الإيمان أو الكفر. وهذا لا يعني أن الشيء موجود أو معدوم فهذا أمر آخر يرجع إلى قاعدة المستحيل والممكن والواجب، فحكم العقل على الشيء، إنما هو يتخذ موقفاً تجاهه علماً أو عدماً، إيماناً أو كفراً، وليس موجهاً إلى حقيقة الشيء ولا يؤثر به<sup>(1)</sup> .

وكون الرسالة الإلهية موجهة أساساً إلى كافة الناس عبر الزمان والمكان، اقتضى أن تكون الرسالة متصفة بصفة الدوام والثبات وتضمن الحركة والتطور لتواكب مستجدات الحياة عند الناس، فهناك في الرسالة محور ثابت وآخر متغير حسب تغير الزمان والمكان يضمن التطور والارتقاء .

والعقل لا يرفض كل ما جاء به السلف، وإنما يقوم بعملية فرز من جديد حسب الأدوات المعرفية الجديدة فيحتفظ بالصواب، ويستبعد الخطأ، ويتابع السير والبناء ليعيش حياته ويحل مشكلاته ويستثمر الأشياء، ويزداد علماً ومعرفة، وهكذا مجتمع يجب عليه أن يقوم بفرز تراث المجتمع الذي سبقه على الأصعدة كلها، وبهذا تستمر الحياة .

ولهذا يجب على المجتمع أن يحرق عقله من النقل الأخرى، إن تحرير العقل من النقل يجب أن يستمر حتى في المجتمع الواحد فلا يخضع المجتمع لفئة من الناس مجرد أنها الأقوى أو لأن لها سلطة علمية وما شابه ذلك من الأكثرية، فيجب أن تستمر عملية الفرز للأفكار واستبعاد الخطأ والوهم منها، وهذا يقتضي وجود الحرية الفكرية في المجتمع الواحد نفسه، ولهذا « فالعقل ليس أداة عضوية موجودة في الإنسان مثل الأذن والعين وإنما هو تفاعل مجموعة من الأعضاء التي هي السمع والبصر والدماغ مع المحيط الخارجي حولها»<sup>(2)</sup> .

والعقل هو وظيفة يقوم بها الإنسان، وهي وظيفة اكتسابية ومهارة مثلها مثل أية وظيفة ومهارة يتقنها الإنسان، نحو الكتابة والسباحة، فالإنسان مستعد بفطرته لاكتساب هذه الأشياء، فنقول الإنسان كاتب

1- سامر اسلامبولي، تحرير العقل من النقل، (مرجع سابق)، ص 12 - 13 .

2- المرجع نفسه، 17 .

بالقوة الكامنة في نفسه ولو لم يتعلم الكتابة هذه، لأن قوة الكتابة والسباحة كامنة في نفس الإنسان تريد من مخرجها، وذلك بالعلم والتعلم والتدريب، كذلك العقل فهو قوة كامنة في الإنسان ينتظر من يخرجها إلى حيز الوجود وذلك بالتدريب والتعلم وإعطائه الوقود الذي يشعله، والقرآن لم يستخدم كلمة العقل بصيغة الاسم أبداً بخلاف السمع والبصر والفؤاد فقد استخدم بصيغة الاسم، مما يدل على أن العقل في الاستخدام القرآني هو وظيفة وعمل وليس أداة، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(1)</sup>. وقال أيضاً: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

ولهذا يجب مراجعة كثير من القواعد التي وضعت كأساس شرعي لا يجوز مراجعته مثل قاعدة " لا اجتهاد في مورد النص " فقد اعتبرت من المسلمات، وهي قاعدة أصولية في الفقه الإسلامي، فتوهم " لا اجتهاد في مورد النص " أمر غامض، فيجب تحديد المقصد من كلمة (النص) عندهم فما هو النص؟ هل هو نص القرآن؟ هل هو نص الحديث النبوي؟ هل هو الإجماع؟ هل هو فهم الصحابة وآل البيت منهم؟ هل هو النص القطعي الثبوت؟ أم يضاف إليه الظني الثبوت؟ هل هو النص ذو الدلالة القطعية؟ أم يضاف إليه ظني الدلالة؟ .

وهذه التساؤلات هي صدى لما هو موجود في التراث الإسلامي وما زال مستمرا إلى وقتنا المعاصر . وقد استخدمت القاعدة بشكل تدليسي غير محدد المعالم، والغاية من ذلك منع الخصم من الاجتهاد ومنعه من الخروج عن الموروث الثقافي .

وحتى تصبح المسألة قاعدة مسلم بها أن تكون صوابا في نفسها وثابتة وليست هي ظنا وتخميناً، ومساءلتنا المعنية بالدراسة(النص) يكون الثبات على وجهين :

1- ثبوت السند، أي قطعي الثبوت وذلك من خلال تواتر النص .

2- ثبوت الدلالة: أي قطعي الدلالة وذلك من وضوح المقصد بشكل لا لبس فيه .

وقبل هذين الشرطين هناك أمر أهم منهما متعلق بالتشريع للناس، وهو أن يكون الشرع من الخالق الملك الرب الأعلى وليس من غيره فشرع الله عز وجل هو وحده محل التسليم والقداسة والخضوع واستمرار الديمومة، أما سوى شرع الله فلا قداسة له ولا تعظيم ولا تسليم وينبغي نقده وتعديله حسب المستجدات

1 - سورة يوسف : 109.

2 - سورة الرعد : 04 .

من التطور وحتى النص الإلهي نجد أحد الصحابة قد أسقطه في إحدى مراحلها، فعمر لما كان أمير المؤمنين وحصلت في عهده مجاعة عامة أو على أكثر المؤمنين، لجأ كثير من الناس إلى سرقة الأغنياء، وهؤلاء بدورهم لجأوا إلى عمر يشتكون إليه حالهم من سرقت الناس لأموالهم، فلم يكن لعمر حيلة إلا أن أسقط حد السرقة عن الذين سرقوا الأغنياء لأن الجائحة عمت الناس، على الرغم أن هناك نص صريح في إقامة الحد على السارق .

وبناء على الأمور الثلاث التي ذكرناها ناقش المقصد بكلمة (النص) من القاعدة السابقة .

- حديث النبي ﷺ : مادته في معظمها ظنية الثبوت، كما أنها مجال للاختلاف من كونها مصدرا شرعيا أم لا؟ ناهيك عن التحريف الذي أصابها من زيادة ونقصان وغير ذلك من الأمور. والإشكالية المتعلقة بمادة الحديث التي في النهاية تنفي عن الحديث المقصد من كلمة (النص) لعدم تحقق الشروط الثلاثة المذكورة آنفا .  
- فهم الصحابة وآل البيت: هذه المسألة محل اختلاف كبير جدا بين المسلمين، فمنهم من عدّها مصدرا شرعيا، ومنهم من عدّها وسيلة لازمة لفهم الدين، ومنهم من لم يعدّها فهما تاريخيا للإسلام .

- الإجماع : إن عد الإجماع بمثابة النص باطل وذلك لأنه نفسه ليس عليه إجماع فهو ظني الثبوت ناهيك عن الاختلاف الكبير في محل تحديد انعقاد الإجماع، فالإجماع عند طائفة ليس هو عند آخرين مما يسحب منه صفة المصدرية، وعدم تحقق الشروط الثلاثة .

- القرآن الكريم : إن آيات الكتاب لا شك بأنها قطعية الثبوت، ولكن ليس كلها قطعية الدلالة، مما يعني أن كلمة (النص) في سياق القاعدة، لا تتناول إلا الآيات ذات الدلالة القطعية، لأن الآيات الظنية الدلالة هي محل للاختلاف في الفهم بين الناس حسب أدواقهم المعرفية .

- فيكون المقصد من كلمة (النص) في القاعدة على فرض صحة القاعدة، يجب أن يحد في الآيات القرآنية ذات الدلالة القطعية، كون القرآن كله قطعي الثبوت تواترا، وهو محل تسليم من المسلمين كلهم، من حيث أنه تنزيل من الله عز وجل .

ولهذا فقاعدة "لا اجتهاد في مورد النص" باطلة من هذا المنطلق، لأن الاجتهاد يكون بورود النص، وإذا غاب النص غاب الاجتهاد، وحل محله الابتكار والإبداع والتفتق الذهني محل المشكلة المعروضة، فالاجتهاد مرتبط بوجود النص ارتباط تلازم بالملزوم .

ولإخراج العقل الإسلامي من معاناته الفكرية دعا كثير من مفكرينا إلى تجديد علم الكلام الإسلامي، بما

يتماشي مع أحوال العصر<sup>(1)</sup>، إلا أن بعضهم جعل له ضوابط وحذر من الأخذ- أثناء التجديد - بكل ما أنتجه العقل الغربي، لأنه يرى في الإنسان عبارة عن كيان طبيعي، وقد جعل محمد عمارة نطاق التجديد في علم الكلام أن لا يقف عند إلحاق المسائل المستجدة بالمنظومة الموروثة في علم الكلام... وإنما يشمل هذا التجديد - إلى جانب المسائل الجديدة - أهدافا ومقاصد جديدة فرضتها تحديات جديدة لم تكن موجودة في القرون الإسلامية الأولى، من مثل تعرض "الآخر" وتراجع عالم الإسلام، ومن مثل صعود الفلسفات المادية والوضعية واللاأدرية، وثقافة الحداثة، وكذلك التجديد في المناهج، وأيضا في لغة الخطاب وأساليب التأليف، ومنطق الترتيب للأبواب والمسائل والمقالات<sup>(2)</sup>.

وإن كان محمد عمارة يحذر من أخذ كل ما أتت به ثورة التنوير الغربي، لأنها أبعدت اللاهوت الكنسي النصراني، ولهذا فهي قد "أنست" الدين وأصوله، ففرغته من محتواه الجوهرى والحقيقي، أي من "الدين" ورأت الدين طورا مرحليا ناسب طفولة العقل البشري، تلت ونسخته مرحلة "الميتافيزيقا" التي تلتها ونسختها المرحلة الوضعية، كما جعلت هذه الثورة الإنسان "طبيعا" إن لم يكن حيوانيا، لا ربانيا نفخ الله فيه من روحه، ثم نزعت القداسة عن الدنيا والحياة والدولة والثقافة والاجتماع، لما جعلت الإنسان "سيد الكون" بدلا من أن يكون "خليفة لسيد الكون"، وبذلك عزلت هذه الفلسفة التنويرية السماء عن الأرض<sup>(3)</sup>.

إن تأثيرات هذا التنوير الوضعي الغربي، التي انتقلت إلينا بسبب الغزو الاستعماري الحديث، كانت له تأثيرات سلبية، حيث أرادت أن تصنع مع علم الكلام الإسلامي وأصول الدين الإسلامي ما صنعه التنوير الحديث مع اللاهوت الكنسي النصراني، وأن تصنع مع ثقافتنا الإسلامية وعلومنا الاجتماعية والإنسانية ما سبق أن صنعه هذا التنوير الغربي مع الحياة والعلوم والثقافة في أوروبا منذ عصر نهضتها.. فبرزت لدينا مشكلات مستوردة ومفتعلة بين "العقل" وبين "النقل" بين الدين وبين العلم، وكان نتاج ذلك في العالم الإسلامي أن ظهرت كتابات تدعو إلى التحرر من الموروث وأخذ ما أنتجه العقل الغربي وتحلّى ذلك في كتابات بعض علماء الأزهر سواء في تفسيرهم للنصوص القرآنية أو في دراساتهم للسيرة النبوية مثل صاحب "تفسير المراغي" يذكر في تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بَرِيَّةَ الْكَوَاكِبِ، وَحَفِظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ

1 - من أمثال: حسن حنفي، والشيخ محمد مجتهد شبستري، ومحمد عمارة، ومصطفى ملكيان، وعبد المعطي بيومي .

2 - عبد الجبار الرفاعي، الاجتهاد الكلامي، ط01، بيروت، دار الهدى، 2002م، ص126 .

3 - المرجع نفسه، ص127 .

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ أي جعلنا الكواكب زينة في السماء القريبة منكم بما لها من البهجة والجمال، وتناسب الأشكال وحسن الأوضاع، ولا سيما لدى الدارسين لنظامها، المفكرين في حسابها، إذ يرون أن السيارات منها متناسبة المسافات، بحيث يكون كل سيار بعيدا من الشمس ضعف بعد الكوكب الذي قبله .

﴿وَحَفِظْنَا مَنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ أي وحفظنا السماء أن يتناول لدرك جمالها، وفهم محاسن نظامها، الجهال والشياطين المتمردون من الجن والإنس، لأنهم غافلون عن آياتنا، معرضون عن التفكير في عظمتها؛ فالعيون مفتحة، ولكن لتبصر الجمال، ولا تفكر فيه، حتى تعتبر فيه (2) . وغيره من العلماء الذين حملوا لواء الإصلاح بمصر في عهد محمد عبده .

واعترض محمد عمارة عن الأخذ من الفلسفة الغربية التنويرية ليجدد بها علم الكلام الإسلامي راجع إلى ما يلي :

1- أن الفلسفة الغربية هي فلسفة وضعية مادية، ترى أن الواقع المادي هو المصدر الوحيد للعلم والمعرفة، وترى العقل والحواس هي السبيل الوحيدة لتحصيل العلم والمعرفة، بينما الفلسفة الإسلامية في نظرية المعرفة ترى أن الغيب ونبأ السماء مصدر المعرفة، يزامل عالم الشهادة والآيات الكونية المبثوثة في الأنفس والآفاق .

2- التأويل الغربي للنصوص الدينية: حيث تعامل الغرب مع النصوص الدينية اليهودية والمسيحية انطلاقا من الفلسفة المادية الوضعية، وهي مرفوضة إسلاميا، كما تعامل هذا التأويل مع نصوص محرفة ولا عقلانية في كثير من مقولاتها، ومن ثم فهو غير صالح ليكون أداة التعامل مع النص الإسلامي القطعي الثبوت، ولهذا الحقيقة من حقائق التمييز للمنهجية الإسلامية، كان للتأويل الإسلامي ضوابط تميزه عن التأويل الغربي .

والتأويل الغربي- الوضعي المادي - نقد النص الديني بإطلاق، فإن التأويل العربي الإسلامي قد وضع

1 - سورة الصافات : 06 - 07 .

2 - نقلا عن : الشيخ يوسف القرضاوي، "من محاذير التفسير: سوء التأويل"، إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،

العدد 08 (الولايات المتحدة الأمريكية)، ذو الحجة 1417هـ/أبريل 1997م . ص 143 .



نطاقا محددًا لما يمكن ويجوز فيه التأويل، لأن للسان العرب شروط فيما يجوز فيه التأويل، ولهذا التأويل شروط تقصره على المجاز والمتشابه دون الحقائق والمحكمات .

(3)- إن معارف شرائع الرسائل السماوية التي سبقت الرسالة المحمدية كانت موقوتة- ليست خالصة وخاتمة- ولهذا "فالتاريخية والتاريخانية" غير واردة بالنسبة للنص الإسلامي المقدس، خصوصا وأن هذا النص قد وقف- في التشريع- عند فلسفة التشريع وقواعده ووكلياته، ولم ترد فيه تفاصيل التشريع ومتغيراته، أي أنه جاء بالثوابت وترك المتغيرات للفقهاء- علم الفروع- المتحدد والمتطور دائما، وذلك على عكس شرائع الرسائل الموقوتة السابقة، التي كانت تأتي بالتفاصيل، حتى إذا تجاوزها الواقع المتطور غدت "تاريخية" وحلت محلها شريعة جديدة<sup>(1)</sup> .

ثامنا- مفهوم الوحي:

1- في نظر اليهود :

إن إدراك معنى الوحي هو نتاج من استخدام كلمة " nifal " أي الصيغة العكسية للأفعال التالية: "راه. raah". بمعنى "يرى" وكذا الفعل "يادا. yada". بمعنى "يعلم"، وبالمثل فإن كلمة " نيراح. nirah" بمعنى "بدا" وكأنه يشاهد" تعود بالدرجة الأولى لتلك الرعة التأملية المتعلقة بالرب .

وتذكر هنا كلمة "نودا. noda". بمعنى "يعرف نفسه" التي من الممكن أن تعتبر على أنها بديل: "نيراح. nirah" وذلك من أجل تفسادي تصور الرب على شكل أنه إنسان، عندما أوحى الرب إلى "pentateque. الأنبياء الكبار والصغار"، حيث عبر لهم عن نيته عبر الأقوال والأفعال<sup>(2)</sup> .

وقد أعطي للوحي مفهوم، فهو عبارة عن العمل المؤدى من طرف الرب، والمتمثل في حضوره وهيبته أمام العبد<sup>(3)</sup>، أو هو تبليغ إلهي للإنسان أساسه حقائق لا يمكن لذكاء البشر معرفتها لوحدهم<sup>(4)</sup>، لأنها أمور تتعلق بالغيب وفوق قدرة العقل البشري المحدود، و نجد الوحي في المنظور اليهودي يستند على إظهار كل ما هو خفي أكثر من اكتشاف، لغز أو سر، ولهذا فالرب عندهم يتجلى وينفرد بصفة المجهول والخفي الذي لا تدركه الأبصار، وهذا ما تؤكد التوراة بقولها: «وقال لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني

1 - تبد الجبار الرفاعي، الاجتهاد الكلامي، (مرجع سابق)، ص 130- 133 .

2 - Dictionnaire Encyclopédie du judaïsme, P974 .

3 - Loc, Cit .

4 - Dictionnaire de la bible, Tomes04, P1080 .

ويعيش»<sup>(1)</sup>. ولهذا فأنبياء بني إسرائيل حسب الكتاب المقدس لهم امتياز محدد يتمثل في إمكانية تلقي الوحي من الرب، وذلك بتخيل رسله وملائكته على شكل أجناس بشرية، لأن الرب لا يمكن أن يُرى<sup>(2)</sup>.

إذن فالوحي هو حقيقة تاريخية يمكن التحقق منها: عن طريق وسطائه الذين حفظت لنا أقوالهم، سواء أكان مباشرة، أو عن طريق تراث راسخ وهو التوراة والتلمود حسب المفهوم اليهودي .  
وفهم الوحي بطريقة كلاسيكية كتبليغ حقيقة من فاعل ألهمه الله، وتحققت رسالته بواسطة علامات، وهكذا فقد فسر الوحي في نوع الكلام والحوار.

وشرع التفكير الحديث في تجديد هذا المفهوم انطلاقاً من العهد القديم، بالاعتراف أولاً أن الوحي ليس مجرد ألفاظ ينقلها وسيط، ولكنه فعل الله، وفي المقام الثاني أنه يشمل مظاهر أخرى، زيادة على الكلام<sup>(3)</sup>.

## 2- في نظر الإسلام :

أما في لغة العرب، فهو الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقته إلى غيرك . يقال: وَحَيْتُ إِلَيْهِ الْكَلَامُ، وَأَوْحَيْتُ وَوَحَى وَحياً وأوحى أيضاً أي كتب<sup>(4)</sup>.

وَوَحَى إِلَيْهِ، كَلِمَةً بِكَلَامٍ يَخْفِيهِ عَنْ غَيْرِهِ، وَوَحَى إِلَيْهِ وَأَوْحَى، أَوْماً، قَالَ الشَّاعِرُ :

نظرت إليها نظيرة فتحيرت دقاتك فكري في بديع صفاها

فأوحى إليها الطرف أني أحبها فأثر ذاك الوحي في وجناتها<sup>(5)</sup>.

وذكر الراغب أن الوحي هو الإشارة السريعة، وتضمن السرعة قيل: « أمر وحي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب أو بإشارة ببعض الجوارح »<sup>(6)</sup>.

ونلاحظ أن الراغب نبه على اعتبار السرعة في حقيقة الوحي، وقد أغفل ذلك صاحب لسان العرب وتاج العروس، لكنهما أفاضوا في ذكر استعمال الوحي في سرعة خاصة، وقد يطلق ويراد به اسم المفعول به، قال الإمام عبد الله التيمي الأصفهاني: « الوحي أصله التفهيم، وكل ما فهم به شيء من الإشارة والإلهام

1 - سفر الخروج 33 : 20 .

2 - Dictionnaire Encyclopédie du judaïsme, P975 .

3 - Encyclopaedia Universalis, vol14, P194 .

4 - ابن منظور، لسان العرب، ج20، ص257 .

5 - محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ص43 - 44 .

6 - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص530 - 531 .

والكتب فهو وحي»<sup>(1)</sup> .

وقد أورد القرآن الكريم في عدة مواطن كثيرة كلمة الوحي أو مشتقاتها بالمعاني التي أطلقت عليها في اللغة العربية، كما استعملها بالمعنى الخاص بالرسول، أما في الشرع: هو «إلقاء الله الكلام والمعنى في نفس الرسول بخفاء وسرعة، يملك أو دون ملك»<sup>(2)</sup> .

وقد تعددت تعريفات الوحي لدى العلماء وأهل الاختصاص، وكل ذلك راجع إلى اعتقاد كل طرف في صور الوحي، ولهذا نجد لابن خلدون تعريفا هو: «استغراق في لقاء الملك الروحاني بإدراك الأنبياء المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية، ثم يتنزل إلى المدارك البشرية»<sup>(3)</sup> .

يقصد ابن خلدون أن الوحي يملك على النبي قلبه وقالبه، ويستجمع الشعور كله يوجهه نحو هذا اللقاء الفريد بين الإنسان المختار والملك الروحاني، ويكون للنبي في هذه الحال إدراك خاص ووسيلة معرفة غير ما ألفه البشر من الحواس والعقل، ثم تحصل مرحلة عبور للوحي من حالته الروحية إلى حالة حسية وعقلية يدركها النبي، ويبلغها للبشر في صورة أمر أو نهي أو خير، وابن خلدون أراد أن يعبر عن نوع هام ومعروف من أنواع الوحي، وهو لقاء الملك، وإلا فالوحي على صور جمعتها الآية الكريمة: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِيَاذِنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(4)</sup> .  
ومن هنا نلاحظ أن الوحي في الشرع أخص منه في اللغة العربية .

### 3- في نظر الفلاسفة المسلمين :

عرف الفارابي الوحي بأنه «إفاضة العقل الفعال على العقل المنفعل بتوسط العقل المستفاد»<sup>(5)</sup> .  
وفي موضع آخر يعرفه بأنه «مخاطبة الملائكة - النبي هي صور علمية أو علوم إبداعية-للروح النبوية»<sup>(6)</sup> .  
أما ابن سينا فيعرف الوحي في "رسالة الفعل والانفعال" بأنه: «الإلقاء الخفي من الأمر الفعلي بإذن الله تعالى في النفوس البشرية المستعدة لقبول هذا الإلقاء، إما في حالة اليقظة فيسمى الوحي، وإما في حالة النوم

1 - التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، (مرجع سابق)، ج4، ص383 .

2 - حسن ضياء الدين عتر، وحي الله، حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة ونقض مزاعم المستشرقين، ص98 .

3 - ابن خلدون، المقدمة، القاهرة، بيروت، مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد لنشر القرآن والكتب الإسلامية، [د، ت]، ص66 .

4 - سورة الشورى : 48 .

5 - أبو نصر الفارابي، كتاب السياسة المدنية، ص79-80 .

6 - نقلا عن: عبد الفتاح أحمد الفاوي، النبوة بين الفلسفة والتصوف، ص113 .

فيسمى النفث في الروع»<sup>(1)</sup> .

#### 4 - في نظر ابن ميمون :

أما ابن ميمون فأعطى للروحي مفهومًا أوسع تعدى الإلهام ويشمل الكائنات كلها بما فيها الإنسان حيث يعتبر أن الفيض الأسمى، الذي يصل إلى الكائنات، منها الإنسان والذي به نعقل وتتفاضل عقولنا، فهو قد يصل منه شيء لشخص ما، فيكون ذلك القدر من الفيض الواصل للإنسان يكمل قوته ومقدرته على فهم طبيعة الأمور والأشياء لا غير، وقد يكون الشيء الواصل إلى الشخص قد زاد يفيض عن تكميله ليكمل به غيره، وهو ما يجعل لبعض الناس كالأنبياء ورؤساء المدن بأنهم ملزمون بتبليغ ما فاض عليهم من العقل عن طريق المخيلة بواسطة العقل النفعال<sup>(2)</sup> .

ومن خلال هذا المعنى نرى ابن ميمون قد قسم الناس إلى صنفين :

1- صنف غير ملزم بالتبليغ وإنما يأتيهم الفيض العقلي ليكمل قوتهم ومقدرتهم على فهم الأمور، وهذا الصنف بدوره صنفين:

أ- إذا كان الفيض الذي يفيض على قوته المخيلة فقط، ولا يكون للقوة الناطقة منه شيء، لنقص في أصل الناطقة، أو لقلّة الإرتياض والتمرن، فهؤلاء يصفهم بالمديرين للمدن، وواضعوا الشرائع، والكهان .  
ب- وإذا كان الفيض العقلي على القوة الناطقة، ولا يفيض من شيء على القوة المخيلة، إما بسبب قلة الشيء الفائض أو لنقص في المخيلة بسبب طبيعتها فلا يمكنها أن تتقبل الفيض العقلي، فهذا الصنف عنده هم أصل النظر والفكر .

2 - وصنف ملزم بالتبليغ بما فاض عليه من العقل عن طريق المخيلة والناطقة، وكانت مخيلته قوية وفي كامل غايتها بطبيعتها، فهو صنف الأنبياء<sup>(3)</sup> .

ويبين ابن ميمون بأن الصنفين الأخيرين - العلماء والأنبياء - يصنفان إلى صنفين كذلك لكن على حسب قوة الفيض ووظيفته: فمن العلماء وأهل الفكر من يفيض عليهم الفيض العقلي على القوة الناطقة قدرًا، يجعله صاحب فهم ومعرفة ويميز بين الأشياء والأمور، إلا أنه لا يتحرك ولا يندفع ليعلم غيره ويرشد

1 - عبد الفتاح أحمد الفارسي: النبوة بين الفلسفة والتصوف، (مرجع سابق)، ص 113.

2 - موسى بن ميمون، دلالة الحاترين، ص 405 - 406 .

3 - المرجع السابق، ص 406 .

إلى الحق، وليست له القدرة كذلك على التأليف، ولا شوق له في ذلك. ومنهم ما يكون الفسائض عليه يحركه ويدفعه ليعلم الناس، ولا يهدأ له بال، إلا لما يرى الناس قد استرشدوا وفهموا وابتعدوا عن المعاصي والانحرافات، فهذا - عنده - له القدرة على التأليف ومشتاق إليه .

أما الصنف الثاني وهم الأنبياء : منهم من يأتيه الوحي ما يكمل النبي ويرفع من شأنه، ولا يدعوه الوحي إلى إرشاد الناس باسم النبوة وضرورة الوحي، فحتى إذا أرشد الناس أرشدهم من باب النصيح والعقل، ومثال ذلك: نوح وإبراهيم و زكريا عليهم السلام، وغيرهما. ومنهم من يوجب عليه الوحي أن يدعو الناس ويعلمهم، ويفيض عليهم من كماله، ليقربوا من الكمال والطهارة، مثال: موسى عليه السلام وكثير من أنبياء بني إسرائيل .

ويتبين لنا من هذا التصنيف أن ابن ميمون جعل الفيض الذي يكون للعلماء عبارة عن إلهام، أما الأنبياء فالذي يأتيهم هو وحي ولا يكون لغيرهم .

كما بين لنا أن الإلهام والوحي فيه من يدفع بعض العلماء والأنبياء، إلى عدم السكون والراحة، والخلود إلى الأرض، فيدفعهم بقوة كبيرة لا تقاوم ولا يستطيع الإنسان ردها، وضرب مثلا عن ذلك: بحالة إرميا الذي على الرغم ما لحقه من إهانة العصاة والكفرة له، قرر كتمان نبوته والاستكانة وعدم دعوتهم إلى الحق الذي رفضوه، فلم يقدر على ذلك. ومنه من لا يدفعه ذلك الإلهام أو الوحي إلى دعوة غيره، ورفع الظلم أو تعليمه وإرشاده باسم النبوة والوحي الذي نزل عليه<sup>(1)</sup> .

وكأنني باين ميمون قد أخذ هذا التصنيف والتقسيم من الفارابي لما بين أن المخيلة ليست على مستوى واحد عند جميع الناس. فهناك من هو دون النبي، حيث يرى بعض الأشياء والمعقولات في نومه وبعضها الآخر في يقظته، وهناك « من يتخيل في نفسه هذه الأشياء كلها لا يراها ببصره. ودون هذا من يرى جميع هذه في نومه فقط. وهؤلاء تكون أقاويلهم التي يعبرون بها أقاويل محاكية ورموزا وألغازا وإبدالات وتشبيهات. ثم يتفاوت هؤلاء تفاوتنا كثيرا فمنهم من يقبل الجزئيات ويراها في اليقظة فقط، ولا يقبل المعقولات؛ ومنهم من يقبل المعقولات ويراها في اليقظة، ولا يقبل الجزئيات؛ ومنهم من يقبل بعضها ويراها دون بعض؛ ومنهم من يرى شيئا في يقظته ولا يقبل بعض هذه في نومه؛ ومنهم من لا يقبل شيئا في يقظته، بل إنما يقبل ما يقبل في نومه فقط، فيقبل في نومه الجزئيات ولا يقبل المعقولات؛ ومنهم من يقبل شيئا من

1 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، (مصدر سابق)، ص 408 .

هذه وشيئا من هذه؛ ومنهم من يقبل شيئا من الجزئيات فقط؛ وعلى هذا يوجد الأكثر. والناس أيضا يتفاضلون في هذا»<sup>(1)</sup>. وهو بهذا يشير إلى كبار الأولياء والأقطاب من الصوفية<sup>(2)</sup>، الذين غالبا ما يعبرون عن تجاربهم الصوفية بلغة الرمز والإشارة، لا لغة التصريح والعبارة .

بالنسبة لابن ميمون، فإن الوحي يُعتبر ضروريا لتزويد وتعليم الأشخاص المبادئ الأولية في العلم والدين<sup>(3)</sup>، وأن الهدف الأسمى من عملية الوحي هو تعليم الإنسان الحقائق التي يصعب عليه الوصول إليها لوحده إلا بمجدد من الله تعالى<sup>(4)</sup>.

#### تاسعا - حدوث الوحي عند الفلاسفة المسلمين :

ذهب الفلاسفة إلى أن العقل البشري، إذا ترقى في مراتب الإدراك وبلغ قمة هذه المراتب وأضحى عقلا مستفادا، اتصل بالعقل الفعال الذي يربط العالم العلوي والعالم السفلي، فيكون بما يفيض منه إلى عقله المنفعل حكيما فيلسوفا، وبما يفيض منه إلى قوته المتخيلة نبيا ونبيرا<sup>(5)</sup>.

فالوحي على هذا عند فلاسفة الإسلام يحدث عند اتصال النفوس الناطقة بعقول الأفلاك اتصالا معنويا، يمكنها الاطلاع على ما يتضمنه من صور الحوادث، التي ترتسم في النفوس البشرية، كما يحدث إذ حاذت مرآة مرآة أخرى فيها نقوش تنعكس إلى الأولى، وفي هذا يقول الفارابي : « إذا بلغت قوته المتخيلة - قنيد النبي - نهاية الكمال فيقبل في يقظته عن العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلية، أو محاكياتها من المحسوسات، ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة، ويراها فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة بالأشياء الإلهية فهذا هو أكمل المراتب »<sup>(6)</sup>.

وسار على طريقه ابن سينا، قائلا: « وإذا كانت النفس قوية تسع الجوانب المتجاذبة لم يبعد أن يقع لها الخلس والانتهاز في حال اليقظة فرمما نزل الأثر إلى الذكر فوقف هناك، وربما استولى الأثر فأشرق في الخيال إشراقا واضحا»<sup>(7)</sup>.

- 1 - الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، (مرجع سابق)، ص 90 - 91 .
- 2 - إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج 01، ص 76 .
- 3 - Maurice-Ruben Hayoun, L'exégèse juive, 01 éditions, Presse Universitaire, P66 .
- 4 - Maurice-Ruben Hayoun, Loc, Cit .

5- أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص 102.

6- المرجع نفسه، ص 90 .

7 - ابن سينا، الإشارات والتهيئات، القسم الثالث، ص 380 .

## 1 - في اليهودية :

الوحي الإلهي حسب المفهوم التوراتي كان يتطور على مر العصور، ولا يستند على تعليم مؤسس واحد بعينه، بل كان ينمو نموا مطردا، ولهذا فالله- عندهم - كان يتصل بالبشر بعدة طرق، ويذكر معجم اللاهوت الكتابي مجموعة من تلك الطرق والصور وهي:

- الوسائل التقنية القديمة للأمم الشرقية: وذلك في محاولتها لكشف أسرار السماء، ومن تلك الوسائل: العرافة، والفال، والأحلام، والقرعة، والتنجيم... إلخ، وكان الكهنة يستشيرون الله عن طريق التمام، وعلى هذا الأساس كانوا يعلنون إرادة الله، وقد كان هناك اعتقاد في تفسير الأحلام تحمل فعلا إشارات سماوية، وذلك حتى عهود متأخرة، إلا أنه تدريجيا ميز الكتاب الملهمون بين الأحلام التي يرسلها الله للأنبياء الحقيقيين وبين أحلام المتحمين المحترفين الذين يقف لهم الأنبياء والحكماء بالمرصاد .

- الوحي النبوي: ويتخطى فيه الأنبياء عادة تلك الوسائل، فهم يعبرون عن اختيار الوحي بطريقتين: بالرؤيا، وبسماع الكلمة الإلهية، وقد تكون الرؤيا وحدها نوعا من الطلاسم، حتى إن النبي نفسه لا يستطيع أن يرى مباشرة لا الحقائق الإلهية ولا السير المستقبلي للتاريخ، إن ما يراه يظل محاطا بالرموز المنتقاة تارة من كثر الأديان الشرقية المشترك، أو تارة أخرى يتحدثها هو بأسلوب مبتكر .

وعلى كل فلا بد من كلمة الله لإزاحة الستار عن هذه الرؤى الرمزية، وتصل الكلمة في أغلب الأحيان إلى الأنبياء دون أن ترافقها رؤيا، ودون أن يوضحوا طريقة صدورها إليهم، ذلك هو الاختيار .

- تأمل الحكمة: على اختلاف الأنبياء لا يقدم الحكماء تعليمهم كموضوع وحي مباشر، بل تدعو الحكمة إلى التفكير البشري، إلى الفهم والتعقل، ومع ذلك فهي هبة من عند الله، لأن كل علم يصدر عن حكمة فائقة، علاوة على ذلك ينصب هذا التأمل تحت قيادة الله على معطيات مستمدة مباشرة من الوحي الإلهي، فمثل هذه الحكمة ليست أمرا بشريا، بل هي نفسها طريقة الوحي المكتملة للوحي النبوي .

- الرؤيا: في نختام العهد القديم، تتداخل الأساليب النبوية والحكمية في الأسلوب الرؤيوي الذي يعبر بطبيعته عن وحي الأسرار الإلهية، ويرتبط هذا الوحي "بالحكمة"، كما أنه مرتبط بالروح الإلهي، وقد يستند على الأحلام والرؤى، أو ينطلق من تأمل في الكتب المقدسة<sup>(1)</sup> .

إذا الرؤيا نوع من الوحي والدليل على ذلك أن دانيال تلقى رسائل خارقة في شكل رؤيا، فقال دانيال :  
 « كنت أرى في رؤياي ليلا وإذا بأربع رياح السماء هجمت على البحر الكبير »<sup>(1)</sup>، وأيضاً: « فرأيت في  
 الرؤيا وكان في رؤياي وأني في شوشان القصر »<sup>(2)</sup> .

## 2- في الإسلام :

وهي الصور التي صاحبت سيدنا محمداً ﷺ، وهي صور لا يجمعها نص ديني واحد، وإنما استجمعها  
 العلماء من تتبع أحوال الوحي مع الرسول الأكرم ﷺ وهي تلتقي في مضمونها مع الآية الكريمة السابقة .  
 وقد جمع الله عز وجل لمحمد ﷺ ما تفرق من صور الوحي في الرسل، فتحققت له بذلك كل أنواع  
 الوحي، وصور الوحي المحمدي على النحو التالي :

أولاً : الرؤيا الصالحة : جاء في صحيح البخاري عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: « أول ما بُدئ به  
 رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح... »<sup>(3)</sup>  
 فالرؤيا الصالحة أو الصادقة في رواية لمسلم كانت تمهيدا للوحي، ويذكر الإمام النووي أنه: « ابتدئ ﷺ  
 بالرؤيا لتلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا تحتملها قوى البشرية فبدئ بأول خصال النبوة وتباشير  
 الكرامة من صدق الرؤيا، ورؤية الضوء وسماع الصوت.. »<sup>(4)</sup> .

وإن كان بعض الباحثين لا يعتبر الرؤى أو مطلق الإلهام أو حديث النفس أو وحي الخاطر نوعاً من  
 الوحي، وهذه المرحلة بدأت قبل النبوة، وإن كان القرآن والسنة الصحيحة جاءا بنماذج من الرؤى التي  
 وقعت بعد النبوة، منها على سبيل المثال: قال الله تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ  
 كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَكَنَنْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾<sup>(5)</sup> .

ففي غزوة بدر الكبرى وقد وقعت رؤيا لرسول الله ﷺ خلال المعركة شاهد فيها المشركين قلعة قليلة  
 فأخبر أصحابه يومئذ قائلاً: « كأني أنظر إلى مصارع القوم »<sup>(6)</sup>، وهي بشرى إلهية حتى يشتد العزم وتقوى

1 - سفر دانيال 07 : 02 .

2 - سفر دانيال 02:08 و 07:10 .

3 - رواه البخاري، من كتاب بدء الوحي . ومسلم في صحيحه، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .

4 - محي الدين أبي زكريا النووي، بشرح صحيح مسلم، المنصورة، مكتبة الإيمان، [د، ت]، ج 01، ص 386 .

5 - سورة الأنفال : 44 .

6 - ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، ج 02، ص 254 . وأخرجه ابن مردويه من طريق محمد بن عمر وابن علقمة بن وقاص الليثي عن  
 جده، قال: خرج رسول الله ﷺ إلى بدر حتى إذا كان بالدوحاء خطب الناس فقال: كيف ترون؟ فقال أبو بكر: وهذا الحديث =



الإرادة ويزداد الإقدام، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾<sup>(1)</sup>. وقد أخبر النبي ﷺ أصحابه برؤيا حق، شاهد فيها المسلمين داخلين المسجد الحرام في أمن تام مودين المناسك، فشك بعض الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب ﷺ قائلا: «ألم تكن تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفا خيرتك أنك تأتيه عامك هذا؟ قال عمر: لا. قال: فإنك آتية ومطوف به..»<sup>(2)</sup>، وحققة ففي العام السابع وفي ذي القعدة أذى الرسول والمسلمون عمرة القضاء ودخلوا مكة معتمرين مليون بعد سبع سنين حُرِّموا خلالها من رؤية الكعبة.

وجاء في الصحيح: «بينما أنا نائم أتيت خزائن الأرض فوضع بين يدي أسوران من ذهب، فكبرا علي فأوحى إلي أن أنفخها، فنفختها فذهبا، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما، صاحب صنعاء وصاحب اليمامة»<sup>(3)</sup>. والمعنى أن النبي ﷺ عبر سوارى الذهب اللذين طارا من يديه بالعنسي متبئ صنعاء ومسيلمة متبئ اليمامة، وأن هذين الشخصين سيذهب كيدهما كما أخبر الصادق المصدوق.

ثانيا: لقاء إسرائيل: ذكرت كتب السيرة النبوية وبعض المسانيد في السنة أن الرسول ﷺ تلقى وحى الملك إسرائيل مدة ثلاث سنين لم يتزل فيها شيء من القرآن . وقد كانت هذه المرحلة توسطا بين الرؤيا الصالحة وتتابع الوحي بالقرآن الكريم بواسطة الملك جبريل أو كانت هي المدة التي فتر فيها الوحي بعد لقاء غار حراء . والقرآن الكريم هو وحى الله بواسطة جبريل فقط، وكان إسرائيل يتزل يعلمه الكلمة والشيء مما يريد الله تعالى .

وفي مسند الإمام أحمد عن الشعبي: «أن رسول الله ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن

= ونحوه مرسل. وكذا رواه ابن أبي شيبة كما في "الفتح" 230/07. وعن عبدالله بن مسعود قال: شهدت من المفداد بن الأسود- هو ابن عمرو- مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: لا تقولوا كما قال قوم موسى، إذهب أنت وربك فقاتلا، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك بين يديك وخلفك. فرأيت النبي ﷺ أشرف وجهه وسره قوله. ورواه البخاري والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وأحمد والحاكم ورواه الطبراني من حديث أبي أيوب الأنصاري. قال الهيثمي 74/06 وإسناده حسن . وبدون إسناد

1 - سورة الفتح : 27 .

2 - أبو الفداء إسماعيل بن كثير، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، بيروت، دار المعرفة، 1983م، ج03، ص428 .

3 - رواه البخاري، باب النفخ في المنام، من كتاب التفسير.

بنبوته إسرائيل عليه السلام ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم يترل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرين بنبوته جبريل عليه السلام فترل القرآن على لسانه عشرين سنة، عشرا بمكة وعشرا بالمدينة، فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة» (1).

وقد نقل الإمام السيوطي عن ابن عساكر قوله: «والحكمة من توكيل إسرائيل به أنه الموكل بالصور الذي فيه هلاك الخلق وقيام الساعة، ونبوته عليه السلام مؤذنة بقرب قيام الساعة وانقطاع الوحي» (2).

وهذا النوع من الوحي يتعارض مع حديث بدء الوحي للسيدة عائشة (المخرج في الصحيحين) وقد كان موقف العلماء من هذا إما التوفيق أو الترجيح، ومن وفق من العلماء: الإمام أبو شامة حيث قال: وحديث عائشة لا ينافي في هذا فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا، ثم وكل به إسرائيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بمجرأ فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجيا وتمرينا إلى أن جاءه جبريل فعلمه بعدما غطه ثلاث مرات، فحككت عائشة ما جرى مع جبريل ولم تحك ما جرى له مع إسرائيل اختصارا للحديث، أو لم تكن وقفت على قصة إسرائيل...» (3). ومن العلماء من رجح رواية عائشة ورفض رواية الشعبي، ونقل الإمام العيني أن الواقدي وغيره أنكروا كون النبي عليه السلام وكل به غير جبريل عليه السلام... (4).

ثالثا: صلصلة الجرس: في صحيح البخاري عن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله عليه السلام فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشد عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال..» (5). والمعنى «أن لحظة الإنحاء هذه يجتمع لها من اليقظة والوعي والتغيرات النفسية والعضوية ما يشد النبي شدا قويا لتلقي الوحي، وتحاط هذه اللحظة بأصوات الملائكة المصاحبين لجبريل حتى يتفرغ الوعي كله لمصدر الوحي» (6).

وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال: «كان النبي عليه السلام إذا بُعث إليه الملك بُعث

- 1 - رواه أحمد. نقل عن: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ج 01، 1988م، ص 129.
- 2 - المرجع نفسه والجزء والصفحة.
- 3 - نقل عن: الإمام محمد بن يوسف الصالح، سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط 02، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، 1990م، ج 02، ص 309.
- 4 - العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بيروت، دار الفكر، [د، ت]، ج 01، ص 40.
- 5 - رواه البخاري، من كتاب بدء الوحي.
- 6 - محمد سيد أحمد المسير، الرسول والوحي، ص 274.

ملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلقه أن يتشبه الشيطان على صورة الملك»<sup>(1)</sup>.

وهذه الحالة هي أشد حالات الوحي، وقد جاء في الأحاديث الشريفة ما يشير إلى هذه الشدة ويصف ما يعترى النبي عندها، ففي حديث عائشة السابق تقول: «ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً»<sup>(2)</sup>.

فهذه المعاناة وتلك المكابدة أثناء تلقي الوحي هي تفسير لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَأَلْنَا عَلِيَّكَ قَوْلًا تَقِيلاً ﴾<sup>(3)</sup>.

رابعا: تشكل الملك في صورة رجل: قدرة الملك على التشكل بالصورة البشرية محل اتفاق أهل الأديان قاطبة، وقد نزلت الملائكة على إبراهيم الخليل ضيفا مكرمين، وقدم لهم عجلا حينذا، ولم يعرف أنهم ملائكة إلا حين أفصحوا له عن حقيقة أمرهم، قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾<sup>(4)</sup>.

وجاءت الملائكة لوطا عليه السلام في صورة شاب هي الطلعة جميل المنظر، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ.. ﴾<sup>(5)</sup>. وكذلك الأمر بالنسبة لمريم عليها السلام حيث قال تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾<sup>(6)</sup>.

وانطلاقا من هذه الحقيقة، كان جبريل عليه السلام ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم ويتمثل له في صورة رجل، وقد أخرج البخاري في صحيحه: « وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول»<sup>(7)</sup>. وجاء في السنة الصحيحة أن هذا الرجل اتخذ أكثر من شكل:

1- تارة يأتي على صورة رجل ولا يعرفه أحد من الصحابة: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « بينما نحن

1 - نقلا عن: جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، (مرجع سابق)، ج 01، ص 110.

2 - رواه البخاري، باب عرق النبي صلى الله عليه وسلم في البرد وحين يأتيه الوحي، من كتاب بدء الوحي.

3 - سورة المزمل: 04.

4 - سورة الذاريات: 24 - 28.

5 - سورة هود: 76-77.

6 - سورة مريم: 16.

7 - رواه البخاري، من كتاب بدء الوحي.

جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبته إلى ركبته، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت. ففعلنا له يسأله ويصدق، وقال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. ثم انطلق فلبثنا ملياً ثم قال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»<sup>(1)</sup>.

2- وأحياناً يأتي الملك على صورة أحد الصحابة وهو دحية الكلبي، كان من كبار الصحابة، وشهد أحداً وما بعدها، وأعطى شطراً كبيراً من الحسن. قال ابن حجر: «وكان جبريل ﷺ يتزل على صورته (دحية الكلبي)، وروى النسائي بإسناد صحيح عن يحيى بن معمر عن ابن عمر رضي الله عنهما: «كان جبرائيل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي»<sup>(2)</sup>. وروى الطبراني «من حديث عفير بن معدان عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: «كان جبرائيل يأتيني على صورة دحية الكلبي، وكان دحية رجلاً جميلاً»<sup>(3)</sup>.

خامساً: رؤية الملك في صورته الحقيقية: بعد اللقاء الأول في غار حراء انقطع الوحي لفترة زمنية ثم انجلي الموقف، وتراءى للرسول جبريل ﷺ في صورته الملائكية، وأنزل عليه صدر سورة المدثر، ففي رواية أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال: «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ...﴾ إلى قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾»<sup>(4)</sup>.

1 - رواه مسلم، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، وباب الإسلام ما هو وبيان خصاله، من كتاب الإيمان .

2 - ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، المكتبة التجارية الكبرى، [د، ت]، ج 01، ص 463 .

3 - نقلاً عن: المجمع نفسه والجزء والصفحة .

4 - سورة المدثر: 01 - 05 .

وزاد البخاري في رواية ساقها في باب التعبير: «ووفر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقا، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه، فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك»<sup>(2)</sup> .

وإن كانت الرواية الثانية يعتبرها الإمام العيني متهافة سندا، حيث يقول: «وهذا من بلاغات معمر، ولم يسنده، ولا ذكر راويه، ولا أنه ﷺ قاله، ولا يعرف هذا من النبي ﷺ...»<sup>(3)</sup> .

سادسا: المناجاة في الحضرة الإلهية: هذا نوع من الوحي وقع لسيدنا محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، ناجى فيها الرسول ﷺ، واشترك فيها موسى ﷺ، وكان ذلك من وراء حجاب .

وقد أضاف بعض العلماء نوعا آخر للوحي يسمونه النفث في الروح، ويستشهدون له بحديث يقول فيه النبي ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي، لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لن يُنال إلا بطاعته»<sup>(4)</sup> . وقال كثير من المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ..﴾<sup>(5)</sup> هو أن ينفث في روعه بالوحي، قال الحلبي: «هذا هو الوحي الذي يَخَصُّ القلب دون السمع»<sup>(6)</sup> .

وقد اعتبر بعض علماء الإسلام أن الكلام الذي يرويه الرسول ﷺ عن ربه دون ذكره في الحلم أو اليقظة نوعا من أنواع الوحي، وسماه العلماء "بالحديث القدسي أو الإلهي" ونسبة الحديث إلى القدس (وهو الطهارة والتزيه)، وإلى الإله أو الرب لأنه صادر عن الله عز وجل من حيث أنه المتكلم به أولا والمنشئ له، وأما كونه حديثا فلأن الرسول ﷺ هو الحاكي عن الله تعالى بخلاف القرآن الكريم فإنه لا يضاف إلا إلى الله

1 - رواه البخاري، من كتاب الوحي .

2 - رواه البخاري، باب التعبير .

3 - العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج1، ص54 .

4 - حديث صحيح جاء من عدة طرق: الأولى عن ابن مسعود، وأخرجه الحاكم في "المستدرک". والثاني عن ابن أبي أمامة، وأخرجه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في "حلية الأولياء". والثالث عن حذيفة، أخرجه البزار كما في "الترغيب"، والهيثمى في "مجمع الزوائد". ولهذا جزم ابن القيم في "زاد المعاد" بنسبة الحديث إليه ﷺ .

5 - سورة الشورى : 48 .

6 - نقلا عن: سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج2، ص352 .

عز وجل، فيقال فيه: قال الله تعالى، ويقال في الأحاديث القدسية: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى<sup>(1)</sup>. ولهذا قال الله عز وجل: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾<sup>(2)</sup>.

### 3- صور الوحي عند الفلاسفة المسلمين :

يرى الفارابي أن هناك ثلاثة طرق للوحي وهي : الأول تمثل الملك ومخاطبته ، والثاني عن طريق الانتقاش، الثالث عن هذين الطريقتين معا .

ويأتي الوحي يتمثل الملك فحسب، عندما يعجز المخاطب عن مس باطن المخاطب بباطنه مس الخاتم للشمع، عندئذ يتخذ المخاطب فيما بين الباطنين سفيراً من الظاهرين، فيتمثل آنذاك الملك للنبي بحسب ما يحتمله .

ويأتي عن طريق الانتقاش الداخلي فقط، عندما يكون المخاطب روحاً لا حجاب بينه وبين الروح، فيطلع عليه إطلاع الشمس على الماء الصافي، فينتقش منه الحس المنتقش في الروح، فإذا ما قوى هذا الحس المنتقش وانطبع في مخيلة النبي فإن هذه المخيلة تضيف إلى انتقاشها الداخلي تمثل الملك بصورة ما تتحملها، فيرى ملكاً على غير صورته بعد أن انتقش وحيه بروحه القدسية<sup>(3)</sup> .

### 4- عند ابن ميمون :

يعتبر ابن ميمون أن الأنبياء يأتيهم الوحي إما عن طريق ملك، وإما عن طريق الله مباشرة، إن كان الأخير كذلك على يد ملك، وعنده أن الوحي لا يكون إلا في الحلم (أما)، أو بمراى النبوة (الرؤيا)، ويعتبر ذلك مما في التوراة قائلاً: « وقد جاء الإخبار عن الكلام الواصل للأنبياء على ما جاءت به العبارة في الكتاب»<sup>(4)</sup>. والوحي عنده على أربعة صور وهي:

**الصورة الأولى:** تصريح النبي أن ذلك الخطاب كان من الملك في حلم أو في مرأى النبوة، ويستشهد على ذلك بقول التوراة: « وقال لي ملاك الله في الحلم »<sup>(5)</sup> .

**الصورة الثانية:** ذكر خطاب الملك للنبي فقط دون تصريح أن ذلك كان في حلم أو في مرأى النبوة،

1 - محمد عجاج الخطيب، الوجيز في علوم الحديث ونصوصه، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1989م، ص 27 .

2 - سورة النجم : 03 .

3 - نقلاً عن: عبد الفتاح أحمد الفاوى، النبوة بين الفلسفة والتصوف، ص 121.

4 - موسى بن ميمون، دلالة الحاترين، ص 419 .

5 - سفر التكوين 31:11.

كقول التوراة «إن كان منكم نبي للرب فبالرؤيا أستعلن له في الحكم أكلمه»<sup>(1)</sup>. «وكلم الله نوحا قائلا»<sup>(2)</sup>.

**الصورة الثالثة :** عدم ذكر ملك أصلا بل نسبة القول إلى الله أنه قاله للنبي مع التصريح بأن ذلك جاء في حلم أو مرأى النبوة، كقول التوراة: «صار كلم الرب إلى إبرام في الرؤيا»<sup>(3)</sup>.

**الصورة الرابعة :** أن يقول النبي قولاً مطلقاً إن الله كلمه أو قال كذا. من غير تصريح لا بذكر ملك، ولا بذكر حلم استناداً على ما قد علم وتأصل أن لا نبوة ولا وحي يأتي إلا في حلم أو في مرأى النبوة وعلى أيدي ملك، كقول التوراة: «وقال الرب ليعقوب ارجع إلى أرض آبائك»<sup>(4)</sup>. «فقال الرب ليشوع»<sup>(5)</sup>. وقول العهد القديم: «فقال الرب لجدعون»<sup>(6)</sup>.

ويقول معقبا على ذلك: «فكل ما يجيء على أحد الصور الأربعة فهو نبوة، وقائله نبي»<sup>(7)</sup>.

يظهر من الصور الأربع التي ذكرها ابن ميمون أنه لا يدخل الرؤيا الصالحة أو الصادقة ضمن صور الوحي، ولم يذكرها في كتابيه (دلالة الحائرين وكتاب المعرفة) لا إشارة ولا تصريحاً، واعتمد على صور الوحي مما جاءه من ملك أو من الله سواء في المنام أو الرؤيا، وذلك من التوراة، وتلك الصور هي ما تكون لجميع الأنبياء الذين جاؤوا قبل موسى وبعده .

ونجد في الصور الأربعة منها ما يكون قريباً أو بتوافق مع صور الوحي في الإسلام، دون أن يعطي ابن ميمون تفصيلاً لكيفية نزول الوحي أو تكليم الملك أو الحالة الجسمية والنفسية التي يكون عليها النبي أثناء تلقي الوحي، وهذا الغياب في تفسير الحالة الجسدية والنفسية للنبي أثناء التلقي راجعة إلى عدم اهتمام العهد القديم والنقلة اليهود بكتابة سيرة النبي وأحواله بدقة متناهية أو أنهم أهملوا ذلك عمداً بسبب معارضتهم إياه، لأنه لم يتوافق مع أهوائهم ومطالبهم الدنيوية التي تميل إلى الدعة والتسيب وعدم التقيد بما جاءهم به النبي .

1 - العدد 06:12 .

2 - التكوين 08:15 .

3 - التكوين 01:15 .

4 - التكوين 03:31 .

5 - سفر يشوع 07:03 .

6 - سفر القضاة 02:07 .

7 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 421 .

كما نجد ابن ميمون في كل صورة من الصور الأربعة يضم حالتي التلقي من الملك أو من الله في الحلم أو الرؤيا، دون أن يفصل حالة الحلم عن الرؤيا، وفي هذه الحالة تصعب المقارنة بين صور الوحي في الإسلام وصوره في التوراة .

نجد أن الصورة الرابعة تتطابق مع الحديث القدسي في الإسلام الذي يعتبره البعض نوعا من الوحي، لأن الرسول ينسب ما قاله إلى ربه، مثل ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يوفه أجره»<sup>(1)</sup> .

ويلاحظ في هذا حصر الوحي في تلك الصور الأربع استبعاد الكلام المباشر من الله تعالى لموسى صلى الله عليه وسلم في سيناء وذلك للربط بين صور الوحي ومراتب النبوة، لهذا استبعد ابن ميمون حالة الكلام المباشر مع موسى، باعتبار- في نظره - نموذجاً خاصاً وفريداً لا تجوز مقارنته بمن سواه، ولهذا عقد أربعة فصول في "الدلالة" فصل فيها نبوة موسى صلى الله عليه وسلم وأما مخالفة غيره من الأنبياء الذين سبقوه أو جاؤوا بعده، حيث يقول: «قد بينت للناس كافة الأربع فصول التي انفصلت بها نبوة سيدنا موسى من نبوة سائر النبيين، واستدللت على ذلك وأوضحته في "شرح المشنه" وفي "مشنه التوراة"، والدليل الشرعي على كون نبوته مباينة لكل من تقدمه، فهو قوله: تجليت لإبراهيم... إلخ، وأما اسمي "يهوه" فلم أعلنه لهم، فقد أعلمنا أن إدراكه ليس كإدراك الآباء، بل أعظم، ناهيك من تقدم، أما مباينتها لنبوة كل من تأخر فهو قوله على جهة الإخبار: «و لم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه»<sup>(2)</sup>، فقد بين أن إدراكه مباين لإدراك كل من يتأخر بعده في إسرائي»<sup>(3)</sup> .

وحالة موسى صلى الله عليه وسلم المتفردة عن غيره من الأنبياء تتوافق مع الصورة السادسة من صور الوحي في الإسلام، لأن موسى ناجى ربه في سيناء مثلما ناجى محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج .

نجد ابن ميمون كثيراً ما يكرر العبارات والأفكار في كتابه "الدلالة" وكذلك عدم ترتيب الأفكار ترتيباً تصاعدياً، أحياناً يعرض الفكرة ويقوم بتحليلها وينتهي إلى نتيجة حاسمة، ثم يلتفت لغيرها بعد عرض، ثم

1 - رواه البخاري، باب إثم من باع حرا، من كتاب البيوع . وابن ماجه والطبراني وغيرهم .

2 - التثنية 34 : 10 .

3 - موسى بن ميمون، دلالة الحاترين، ص 398 .



يرجع إلى الفكرة السابقة وهذا اضطراب وعدم التزامه بمنهجية معينة في عرضه لآرائه، ومثال ذلك في صور الوحي التي ذكرها وهي أربعة في ص 419-421. نجدته يتدارك ما أغفل عنه في ص 430. حيث يزيد في توضيح بعض الصور، فيذكر أن الله قد يرى في مرأى النبوة من طرف النبي يكلمه كما تقول التوراة: «ثم سمعت صوت السيد قائلاً من أرسل ومن يذهب من أجلنا»<sup>(1)</sup>.

ويعرض صورة أخرى من صور الوحي وهو أن النبي قد يسمع ملكاً يكلمه وهو يراه، ويعتبر هذا الأمر كثيراً ما يقع من الأنبياء، ويستشهد بالتوراة: «فأجاب الملاك الذي كلمني وقال لي أما تعلم ما هذه»<sup>(2)</sup>. وهذه الصورة تتوافق مع رؤية الملك على صورته الحقيقية التي وقعت لمحمد ﷺ مرتين في اليقظة عند بداية الدعوة، ولو أن ابن ميمون لم يذكر صورة الملك الحقيقية والصورة الأخرى التي تداركها ابن ميمون، هو أن يرى النبي شخص إنسان يكلمه، ويضرب لذلك مثالا عن حالة حزقيال قائلاً: «ولما أتى بي إلى هناك إذا برجل منظره كمنظر النحاس وبيده خيط كتان وقصبه القياس وهو واقف بالباب، فقال لي الرجل يا ابن آدم انظر بعينيك واسمع بأذنك واجعل قلبك إلى كل ما أريكه»<sup>(3)</sup>.

وهذه الصورة تتوافق مع الصورة الرابعة، حيث أن الملك تشكل لمحمد على عدة صور من بينها صورة رجل أجنبي لا يعرفه هو ولا غيره من حضر عند مجيئه، وذكرنا أن هذه الصورة حصلت لعدة أنبياء ورسلكابراهيم ولوط ومرم النبي ﷺ.

والصورة الأخرى التي ذكرها ابن ميمون أن النبي قد لا يرى الملك لكن يسمع كلامه فقط في اليقظة، كما قال دانيال: «وسمعت صوت إنسان بين أولاي فنأدى وقال: يا حيرائيل فههم هذا الرجل الرؤيا»<sup>(4)</sup>. وأيضاً: «فسمعت المتكلم معي»<sup>(5)</sup>. وهذه الصورة لا تبعد كثيراً عن صورة صلصلة الجرس التي يسمعها النبي أثناء مجيء الوحي وإلقائه القرآن على سمعه.

إذن هناك بعض الصور التي ذكرها ابن ميمون تتوافق وما جاءت به السنة النبوية، والآخر الذي جاء في السنة لا يتلاءم مع ما ذكره ابن ميمون، وهذا الأمر الذي ذكره ابن ميمون لم يكن بدعا منه بل مما

1 - سفر إشعيا 6 : 08 .

2 - سفر زكريا 4 : 05 .

3 - سفر حزقيال 40 : 03 - 04 .

4 - سفر دانيال 8 : 16 .

5 - سفر حزقيال 2 : 02 .

## حادي عاشر - مراتب النبوة عند ابن ميمون :

المرتبة الأولى : أن تصحب النبي معرفة إلهية تحركه وتنشطه للأفعال النبيلة والصالحة وتكون ذا قيمة مثل إفاضة خير على قوم، أو تخليص فاضل من جماعة أشرار ويكون ذلك العمل الصالح دافع من نفسه، لا يستطيع رده، ويعتبرها ابن ميمون "روح الله"، والإنسان الذي تصحبه تلك الروح يقال عنه : « وحل عليه روح الرب »<sup>(1)</sup> .

وتكرر ذكر تلك الحالة في سفر القضاة، وتعتبر هذه درجة قضاة بني إسرائيل، «وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضي وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضي»<sup>(2)</sup>، كما اختص بها بعض الملوك كداود وشاول وشمشون وقيل في الأخير: «وحلت عليه روح الرب»<sup>(3)</sup>، وفي شاول «فحل روح الله على شاول عندما سمع هذا الكلام وحمي غضبه»<sup>(4)</sup> .

كما أكد ابن ميمون أن هذه الدرجة لم تغب عن موسى عليه السلام، حيث يرى في تلك الروح الشجاعة والتضحيات، عندما ساعدته لقتل المصري وردع الخاطيء، واعتبرها ابن ميمون وجدت عند موسى منذ بلوغه، بل إنه بعد هربه ودخوله أرض مديان لم يتمالك عن إزالتها ولا وسعه الصبر لذلك، فقام بنجدة بنتا كاهن مديان «فنهض موسى وانجدهن وسقى غنمهن»<sup>(5)</sup>، كما صحبت داود منذ مسحه بالزيت «وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا...»<sup>(6)</sup> .

ويعتبر ابن ميمون أن مثل هذه الروح -روح الله- «لم تنطق أحدا من هؤلاء بشيء بل غاية هذه القوة أن تحرك ذلك المؤيد لفعل ما، وليس لأي فعل اتفق، إلا لنصرة المظلوم ... كما أنه ليس كل من رأى منا ما صادقا نبيا، كذلك ليس كل من صحبته معونة لأمر ما، مثل كسب المال؛ يقال عنه أنه صحبته روح الله أو الله معه وإنه فعل ما فعل بروح القدس، وإنما نقول ذلك في من فعل فعلا خيرا له قدر عظيم، أو ما يؤدي

1 - سفر القضاة 14 : 19 . و 14 : 06 .

2 - سفر القضاة 02 : 18 .

3 - سفر القضاة 14 : 19 .

4 - سفر صموئيل الأول 11 : 06 .

5 - سفر الخروج 02 : 17 .

6 - سفر صموئيل الأول 16 : 13 .

لذلك مثل نجاح يوسف في بيت المصري الذي كان سببا أولا لأمر عظيمة حدثت بعد ذلك»<sup>(1)</sup> .

إنها ليست وحيا ولا إلهاما نبويا و يتضح من هذا أنها قوة الشجاعة التي تريد أن ترفع الظلم والجور عن المظلومين ويكون عملها أو دورها ذات أثر في نفس المظلوم أو المحتاج .

بالمقابل إن روح الله التي ترافق هؤلاء الأبطال لا يجب - في نظر ابن ميمون - في أي حال من الأحوال أن تخلط مع تلك الروح الحقيقية المقدسة والتي تبقى وظيفتها تنحصر في استلهام الوحي النبوي<sup>(2)</sup> .

ويبدو أن ابن ميمون صريحا ودقيقا في هذه المسألة فمن المؤكد أن أبطال التاريخ الإسرائيلي كانوا قد لعبوا دورا مهما في ذلك العصر الذي عاشوا فيه، لكن لم يكونوا في حقيقة الأمر أنبياء .

المرتبة الثانية : من النبوة تتعلق بأولئك الذين يتحدثون الروح القدس في حال اليقظة وانصراف الحواس عن معناها فتنتطقه فيتكلم بحكم، أو بتسييح أو بأقوال عظيمة نافعة أو بأمر تديرية أو إلهية، وهذه الروح - روح القدس - يرى ابن ميمون أن سليمان بها ألف أسفار الأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد، وألف داود المزامير، وعن مثل هذه الروح القدس قال داود : « روح الرب تكلم بي وكلمته على لساني »<sup>(3)</sup>، وكذلك دانيال وأيوب وأخيار الأيام وسائر الكتب بهذا النحو أي من روح القدس، كذلك يدخل ابن ميمون ضمن هذه المرتبة حتى السبعين شيخا الذين رافقوا موسى إلى جبل سيناء « فلما جلب عليهم الروح تنبأوا ولكنهم لم يزيدوا »<sup>(4)</sup>، وكذلك نفس الحالة حدثت مع لفيفة أستير والتي قال عنها التلمود قد أملت مباشرة من طرف الروح القدس<sup>(5)</sup> .

ومن أجل مساعدة يوسف بن عقتين على الاقتناع ضاعف له ابن ميمون الأمثلة الكثيرة من الكتاب المقدس .

كما اعتبر ابن ميمون بأن داود وسليمان ودانيال قد كانوا يتحدثون تحت تأثير الروح القدس، وذلك من دون أن يحوزوا على ذلك الإلهام النبوي الحقيقي، ويستشهد ابن ميمون على عدم نبوتهم بعدة فقرات من الكتاب المقدس، ويريد بذلك أن يقول لنا أن داود وسليمان ودانيال ليسوا أنبياء وإنما ملوكا وكهنة،

1 - موسى بن ميمون، دلالة الحاترين، (مصدر سابق)، ص 435 .

2 - Maurice-Ruben hayoun, Maïmonide ou L'autre Moïse, P320.

3 - صموئيل الثاني 02:23 .

4 - سفر العدد 25:11 .

5 - موسى بن ميمون، دلالة الحاترين، ص 436 .

وهذا الرأي ليس فريدا بل هو ما أجمع عليه الحاخامات ويؤيده التلمود وسائر الكتب المقدسة عند اليهود<sup>(1)</sup>.

ويستمر ابن ميمون في تحليل ما يقع لدانيال وسليمان بأنه لا يوحى له وحي بل هو حلم، وحلمه ليس من قبيل أحلام الأنبياء التي يستيقنوها بأنها إلهام نبوي، فيضرب عدة أقوال له: «حينئذ لدانيال كشف السر في رؤيا الليل»<sup>(2)</sup>. و«رأى دانيال حلما . حينئذ كتب الحلم. وقال كنت أرى في رؤياي ليلا»<sup>(3)</sup>.

ولهذا نجد الباحثين اليهود أو بالأحرى جميع حكماء بني إسرائيل يعتبرون سليمان ودانيال من بين الكهنة وليسوا أنبياء، وهذا على الرغم من الرؤى والأحلام التي وقعت لهم فإنهم لم يكونوا مستعدين للاضطلاع بمهمة النبوة الحقيقية، إلا أنهم يدخلون ضمن فئة الذين يتحدثون بواسطة الروح القدس والتي تشكل المرتبة الثانية من النبوة .

المرتبة الثالثة : وهي التي تحدث للشخص في الحلم عندما يقول إن كلام الرب وجه إلي شخصيا وهو أن يرى النبي مثلا في الحلم ويعطي له تفسيره، وهذه المرتبة أسمى من سابقاتها وهذه الحالة أكثر أمثال زكريا<sup>(4)</sup>.

المرتبة الرابعة : تلقي الوحي في الحلم مشروحا ومبيناً دون رؤية ملقياً، مثلما حصل لصموئيل في أول وحي أتاه<sup>(5)</sup>.

المرتبة الخامسة : هي أن يكلمه شخص في الحلم كما قالت التوراة في بعض نبوات حزقيال: « قال لي الرجل يا ابن آدم انظر بعينيك واسمع بأذنيك واجعل قلبك إلى كل ما أريكه لأنه لأجل إرائتك أتى بك إلى هنا»<sup>(6)</sup>.

المرتبة السادسة : أن يكلمه ملاك في الحلم، وهي حالة أكثر النبيين، كما في قول التوراة: « فقال لي ملاك الله في الحلم يا يعقوب»<sup>(7)</sup>.

المرتبة السابعة : أن يرى النبي في الحلم وكأن الله يكلمه كقول إشعياء : « رأيت السيد جالسا على

1 - موسى بن ميمون، دلالة الحاترين، (مصدر سابق)، ص 439 .

2 - سفر دانيال 02 : 19 .

3 - سفر دانيال 07 : 01 - 02 .

4 - سفر زكريا 01 : 07 - 08 .

5 - صموئيل الأول 03 : 01 - 17 .

6 - سفر حزقيال 40 : 04 .

7 - سفر التكوين 31 : 11 .

كرسي عال ومرتفع وأذباله تملأ الهيكمل، ثم سمعت صوت السيد قائلًا من أرسل»<sup>(1)</sup> .

المرتبة الثامنة : أنه يأتيه الوحي بمراى النبوة، ويرى أمثالًا كإبراهيم الذي رأى أمثالًا في الرؤيا نهارًا « صار كلام الرب إلى إبرام في الرؤيا قائلًا .. »<sup>(2)</sup>. ولدانيال « فرأيت أنا دانيال الرؤيا وحدي والرجال الذين كانوا معي لم يروا الرؤيا لكن وقع عليهم ارتعاد عظيم فهربوا . ورأيت هذه الرؤيا العظيمة ولم يفق»<sup>(3)</sup> .

المرتبة التاسعة : سماع كلام في الرؤيا، كما جاء في إبراهيم « فإذا كلام الرب إلي قائلًا: لا يرثك هذا»<sup>(4)</sup> .

المرتبة العاشرة : أن يرى شخصا يكلمه في مرأى النبوة، كإبراهيم أيضا « وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه فقالوا : هكذا تفعل كما تكلمت»<sup>(5)</sup>. وليشوع « أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلًا»<sup>(6)</sup> .

المرتبة الحادي عشر: أن يرى ملكا فيكلمه في الرؤيا كإبراهيم « فناداه ملاك الرب وقال: إبراهيم إبراهيم فقال: هأنذا، فقال: لا تمد يدك إلى الغلام ولا تعمل به شيئا»<sup>(7)</sup> ويعتبر ابن ميمون هذه « أعلى مراتب النبيين الذين شهدت الكتب بما لهم بعد تقرير ما تقرر من كمال نطقيات الشخص على ما يوجبه النظر وبعد الاستثناء بسيدنا موسى»<sup>(8)</sup> .

كما يعتبر أن رؤية النبي الله يخاطبه في مرأى النبوة أمر بعيد الوقوع، ولا يمكن أن تصله قوة فعل المتخيلة، ولم تحصل لأي نبي؛ واستشهد على ذلك بقول التوراة: « فبالرؤيا أستعلن له في الحلم أكله»<sup>(9)</sup>. ولهذا يرى ابن ميمون الكلام الإلهي يصل للنبي حال الحلم أي عند غياب الحواس وجعل للمرأى عن طريق

1 - سفر إشعياء 06 : 01 - 08 .

2 - سفر التكوين 15 : 01 .

3 - سفر دانيال 10 : 07 - 08 .

4 - سفر التكوين 15 : 05 .

5 - سفر التكوين 18 : 01 - 05 .

6 - سفر يشوع 01 : 01 .

7 - سفر التكوين 22 : 11 - 12 . 22 : 15 .

8 - موسى بن ميمون، دلالة الحاترين، ص 441 .

9 - سفر العدد 12 : 06 .

اتصال العقل وفيضه وليس الاتصال المباشر بالله عز وجل، لأن هذا لا يحصل إطلاقاً للأنبياء، لأن هذا كما يقول: « لا يدرك فيه إلا مثالا أو اتصالات عقلية تحصل أمورا علمية تشبه التي تحصل عن النظر »<sup>(1)</sup>، وعندة أن موسى هو النبي الوحيد الذي يخاطب مباشرة من الله ويستشهد بالتوراة قائلة: « أما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي فما إلى قم وعيانا أتكلم معه بالألغاز »<sup>(2)</sup>، لأن موسى عليه السلام قوته التخيلية قد صرفت وهذه أعلى مرتبة لم يصلها لا نبي قبل موسى ولا بعده في رأي ابن ميمون، أما باقي الأنبياء، فهم أقل من موسى، فإذا حصل أن خاطبهم رهم يكون ذاك الخطاب بواسطة ملك<sup>(3)</sup>. ويعبر ابن ميمون عن الوساطة بالقوة التخيلية فالنبي يسمع أن الله يكلمه وهو في الحلم وليس في اليقظة. لقد اقتنع ابن ميمون بضرورة أن يضيف شيئا من النظام على جميع هذه الأمور، حيث بدأ بعملية شرح جميع ما يجري أثناء حدوث الرؤية النبوية، فإذا كان النبي يتأبه ذلك النوع من الخوف والاضطراب، فإن ذلك يعود إلى أن ملكته التخيلية تتجه نحو العروض غير الاعتيادية، حيث يذكر "دانيال" ذلك الرعب الذي أحس به أثناء حدوث الرؤيا، أين خائته قواه، وبالتالي خائر القوى على الأرض « فرأيت أنا دانيال الرؤيا وحدي والرجال الذين كانوا معي لم يروا الرؤيا لكن وقع عليهم ارتعاد عظيم فهربوا ليختبئوا، فبقيت أنا وحدي ورأيت هذه الرؤيا العظيمة ولم تبق في قوة ونضارتي تحولت في إلى فساد ولم أضبط قوة وسمعت صوت كلامه ولما سمعت صوت كلامه كنت مسبخا على وجهي ووجهي إلى الأرض »<sup>(4)</sup>.

إذن كيف من الممكن الأخذ بالمعنى الحرفي ذلك الأمر الذي يروونه هؤلاء الأشخاص أثناء حدوث الرؤيا؟ كيف يمكننا معرفته عندما تفقد جميع وسائلهم، إذا ما كان ذلك الشكل شكل ملك أو الرب نفسه هو الذي كان يتحدث؟ ويذكر مؤلف "الدلالة" بذلك المبدأ الأساسي، وذلك من أجل تفسير الرؤى النبوية، مع العلم أنه في كل مرة نعتقد أننا سمعنا كلام الرب أو ذلك الملك فإن هذا الحديث لا يتم إلا من خلال حدوث الرؤيا النبوية، وهذا يعني من خلال روح النبي وليس تلك الحقيقة المتجسدة أنها تلك الحقيقة العقلية الباطنية وليست بالخارجية، بواسطة هذه المسلمة نفهم بأن ابن ميمون يسعى إلى الحد من نطاق ذلك الطابع الإعجازي أو الخارق للعادة المتعلق بالوحي النبوي ويلاحظ على هذا التقسيم في النبوة

1 - موسى بن ميمون، دلالة الحاترين، (مصدر سابق)، ص 442.

2 - سفر العدد 12: 07 - 08.

3 - المصدر السابق، ص 443.

4 - سفر دانيال 10: 07 - 09.

- جواز تمتع نبي واحد بفضائل مرتبتين من مراتب النبوة ولكن ذلك مرحليا بالنسبة لأحد هما أما الأخرى فهي ثابتة أنها درجته<sup>(1)</sup> .

- قصر درجة سماع الكلام الإلهي على موسى فقط الذي خاطبه الرب فما على فم، أما الآخرون فتؤول النصوص التي تدل على ذلك تلك التأويلات التي يعدها سينوزا مجرد ثرثرة همها تأويل الكتاب لاستخلاص مجموعة من التخيلات الخاصة<sup>(2)</sup> .

- تلقي الملوك داود وسليمان وحيا نبويا .

- تلقي الآباء يوسف وإبراهيم الوحي والنبوة، بل إن إبراهيم يأتيه أكثر من نوع من صور الوحي إحداها يجعله في أعلى مراتب الأنبياء .

وعلى الرغم من تلقي أشخاص الآباء والملوك: داود وسليمان وشاول، صوراً من الوحي المصاحب للأنبياء، كما اتضح من التقسيم السابق لمراتب الأنبياء، إلا أن هؤلاء الآباء والملوك لا يعدون أنبياء بالمعنى الدقيق في التصور اليهودي<sup>(3)</sup> .

ثاني عشر- معرفة النبي عند ابن ميمون :

لكي نعرف أن هذا الإنسان نبي يضع ابن ميمون شرطين أساسيين قبل أن يدعي النبوة، فمن جهة يجب أن يكون قد اختير من طرف الرب، ومن جهة أخرى أن يكون قادراً على استقباله، وكان ابن ميمون يريد القول بأنه حتى تكون نبيا لابد أن تستعد لعملية الوساطة والانجذاب، وذلك عن طريق أداء جلسات انعزالية (خلوة)، إضافة إلى ذلك لابد أن تستجيب للمعايير المطلوبة أو الضرورية من طرف أساتذة " التلمود"، والتي هي: أن تكون ذا حكمة وقوة وثروة .

ويرى ابن ميمون أنه لا يصل الإنسان درجة النبوة إلا إذا بلغت الملكة التخيلية أسمى درجات الكمال، يعني: عندما تسترخي جميع الحواس وتتوقف عن العمل<sup>(4)</sup> .

ومن شأن هذه الحاسة أن تحدث نوعاً من الإلهام، والذي يكون السبب المباشر في تحقيق الأحلام

1 - موسى بن ميمون، دلالة الحاترين، (مصدر سابق)، ص 432 .

2 - سينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 131 .

3 - عبد الراضي محمد عبد المحسن، المعتقدات الدينية لدى الغرب، ص 52 - 53 .

4 - موسى بن ميمون، دلالة الحاترين، ص 401 .

الحقيقية، وكذا الوصول إلى حالة النبوة<sup>(1)</sup>. وبالتالي يُقر ابن ميمون بوجود علاقة إلزامية ضرورية بين الحلم والنبوة، ويذهب بعيدا في شرحه لهذه الحالة مؤكدا على أنه لا يتم التوصل إلى النبوة بالنسبة للأنبياء، - استثناء موسى- إلا أثناء النوم عندما تكون جميع الحواس في حالة راحة واسترخاء .

عبارة أخرى فإن الأشخاص العظام، وجميع الأنبياء الذين أتوا قبل وبعد "موسى" باستثناء هذا الأخير لم يتلقوا الوحي مباشرة من طرف الرب- يعني بلوغ الدرجة الأسمى لمعرفة الرب- بل تلقوه في حالة عدم وعي مطلق .

ويذهب ابن ميمون إلى عدم استطاعة النبي كتم النبوة على الرغم مما يلحقه من الأذى والضرر في سبيل إبلاغ رسالته وهو محق في ذلك، ويستدل على ذلك بقول إرميا: « صرْتُ للضحك كل النهار كل واحد استهزأ بي، لأنني كلما تكلمت ناديت: ظلم واغتصاب، لأن كلمة الرب صارت لي للعار وللسخرية، فقلت لا أذكره ولا أنطق بعد باسمه، فكان في قلبي كئيب محرقة محصورة في عظامي فمللت من الإمساك ولم أستطع»<sup>(2)</sup> .

وحالة إرميا تنطبق كذلك على رسول الإسلام محمد ﷺ لما بعث بالدعوة وعلى الرغم مما لاقاه من الأذى والسخرية والمضايقة لم يتوقف عن تبليغ رسالة الله للبشرية، ولنا عدة مواقف تبين عدم قدرة النبي على التوقف عن الدعوة من بينها، قال ابن إسحاق: « مشى رجال من أشرف قريش إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفّه أحلامنا وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تُخَلِّيَ بيننا وبينه، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردهم ردا جميلاً، فانصرفوا عنه. ولما لم يأبه رسول الله ﷺ بما ذهبت إليه قريش إلى أبي طالب، أعادت مرة أخرى طلبها من أبي طالب، فقالوا له: يا أبا طالب إن لك نسباً وشرفاً ومزلة فينا، وإنا قد استهينناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آباءنا وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين. فبعث أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي: إن قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا للذي كانوا قالوا له- فأبى عليّ وعلى نفسك ولا تحملي من الأمر مالا أطيع- . فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء أنه خاذله ومُسَلَّمُهُ، وأنه قد ضعف عن نصرته، فقال رسول الله ﷺ: « يا عم والله لـ

1 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، (مصدر سابق)، ص 401 .

2 - سفر إرميا 20: 07 - 09 .



وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك فيه ما تركه، ثم استعير رسول الله ﷺ فبكي، ثم قام فلما ولّى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا ابن أخي، فأقبل رسول الله ﷺ فقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا»<sup>(1)</sup>.

ويرى ابن ميمون أنه ليس كل إنسان يمكنه أن يكون نبيا، على الرغم من الجملة التي وردت في سفر يوثيل التي تبين أن الله يفيض روحه على البشرية فيتنبأ البنون والبنات، ويقصد هؤلاء تلاميذ الأنبياء حيث تقول التوراة: «أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم»<sup>(2)</sup>.

ويبقى النبي لدى ابن ميمون رجلا موهوبا بصورة فطرية استثنائية من ناحية العقل والخيال، حيث يبدأ العقل الفعال بدءا من درجة معينة من الكمال العقلي إضاءة الذات بطريقة خاصة، إما أن تتعلق بالعقل فينتج تمام المعرفة التأملية، وإما أن تتعلق بالخيال، فينتج الاستعداد للتنبؤ، أضف إلى ذلك أنه يرى الحدس النبوي مجرد درجة أعلى من الحدس الفلسفي.

### ثالث عشر - بين النبي والفيلسوف :

لم يهتم الفلاسفة بالموازنة بينهم وبين الأنبياء، وذلك لأنهم ركزوا بحثهم في النبوة على جانب الإثبات لمواجهة دعاوى الإلحاد ذات الحجج العقلية، ومما يظهر ذلك أنهم لما لجأوا للاستدلال على النبوة بالعقل انزلت أقلامهم إلى القول باكتساب النبوة من غير تصريح بذلك، مما حدا بهم إلى المساواة بين الفيلسوف والنبي في خصائصه وصفاته وبلغت المساواة عند الفارابي ذروتها عندما أطلق على نبيه وفيلسوفه معا برئيس المدينة الفاضلة<sup>(3)</sup>، فني الفلاسفة لا بد أن يكون فيلسوفا وفيلسوفهم يكاد يكون نبيا، إذ جعلوا للفيلسوف نفس الخصائص التي وضعوها للنبي من الاتصال بالعقل الفعال ورؤية الملك والقدرة على الخوارق.

**الخاصية الأولى :** حيث رأوا أن العقل في الفيلسوف يتحول إلى عقل فعال كما في النبي تماما، وهذه مسألة لا يمكن أن نسلم بها للفلاسفة لأن الاتصال الدائم بالسماء عن طريق العقل الفعال (حبريل) لم يثبت إلا للأنبياء فقط، أما الفلاسفة فرمما كان لهم الحدس القوي والعقل الذكي الذي يوفق في كثير من الأحيان إلى الوصول إلى بعض الحقائق التي تأتي بها الأنبياء دون أن يصل كله إلى درجة اليقين التي لوجي الأنبياء.

1 - محمد عفيف الزعبي، مختصر سيرة ابن هشام، ط02، بيروت، دار النفائس، 1979م، ص44.

2 - سفر يوثيل 02 : 28 .

3 - الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص102 .

وكل ما نستطيع أن نصف به الفيلسوف في هذا المجال هو قوة في الحلم واشتعال في الذكاء، وسرعة الخاطر والذاكرة الحافظة والرجولة وعزة النفس في مزايا السحبة الفلسفية كما يرى أفلاطون<sup>(1)</sup>.

وما يستدعي الانتباه أن الفلاسفة يقصرون مهمة الاتصال ونتيجته على التنبؤ بما سيكون والإخبار بما هو كائن من الجزئيات، وليس ذلك وحده هو شأن الرحي أو المراد به عند الأنبياء في نظر الدين، فالرحي أو الاتصال بالسماء أو العقل الفعال على حد تعبيرهم بالنسبة للأنبياء، يعني الشرائع كلها من عقائد وعبادات ومعاملات وغيرها قبل أن يعنى التنبؤ أو الإخبار، وما التنبؤ والإخبار بالنسبة للأنبياء إلا علامات على الطريق لإقناع الغير بما يقولون شأنها شأن الآيات والمعجزات .

ولا ننكر بعد هذا أن القول بالعقل الفعال كمصدر للمعرفة عند النبي والفيلسوف كان محاولة ذكية وبارعة من الفلاسفة، لتبرير وحي الأنبياء واتصالهم بالسماء لإقناع الملحددين، ولكنهم أخطأوا إذ جمعوا الفيلسوف مع النبي في ذلك، وإن كان مرادهم بالجمع الاستدلال بواقع الفلاسفة وما يجري لهم على ما حدث للأنبياء من وحي، إلا أن الدين لم يؤيد ذلك ولم يثبت الاتصال بالسماء إلا للأنبياء فقط .

وحديث الفلاسفة عن العقل الفعال وعن الاتصال به يومئذ إلى أن صلة الفيلسوف بهذا العقل أكثر من صلة النبي به، وأن الفيلسوف أشد ارتباطا به من النبي، أو قل إن الفيلسوف يعبر سلسلة العقول هذه حتى يصل، أما النبي فطريقه إلى العقل الفعال ليس هو هذا الطريق الطبيعي، وإنما طريق فرعي آخر وهو قوة مخيلته التي بها يستطيع أن يصل إلى العقل الفعال .

**والخاصية الثانية :** التي وضعها الفلاسفة للأنبياء ويشركون أنفسهم معهم فيها هي رؤية الملك وعندما يشرحون كيفية هذه الرؤية يتبين أنها ليست رؤية للملائكة حقيقيين، وإنما هم عبارة عن أشباح يتمثلها النبي في مخيلته، وهذا الأمر قد أثبتته الفارابي وكذلك ابن سينا في عدة مواضع من كتبهم، واعتبار الملائكة أشباحا ورؤيتها تخيلات يناقض ما جاء في الديانات والشرائع من نزول الملائكة حقيقة على الأنبياء في صورهم الحقيقية أو في أي صورة أخرى .

والذي دعا الفلاسفة إلى ذلك هو نظرهم للملائكة على أنها عبارة عن عقول مجردة، فإذا ما رحنا نتساءل عن حقيقة هذه العقول عندهم وجدناها لا تعدو في الاعتبار الأخير أن تكون فواصل معنوية ومرحلة تدرج بين العبد وربّه، فليس لها حقيقة وهذا بخلاف ما عليه نظرة الأديان عموما وخصوصا

الإسلام، من أن الملائكة ذوات روحانية أو أجسام نورانية قادرة على التشكل بالأشكال المختلفة، ولهذا يتساوى عند الفلاسفة ما يراه النبي من هذه الأشباح والخيالات التي نطلق عليها اسم الملك، وهذه زلة كبيرة للفلاسفة في حق الأنبياء، لأنه لو صح ما ذهبوا إليه في ذلك لسقطت الثقة في وحي الأنبياء وفيما يخبرون به ويجحدون عنه، إذ ما من إنسان منا إلا وله من هذه التخيلات نصيب قل أو كثير، بل إن نصيب المرضى والمعتوهين من ذلك أكثر. وأخيرا فإن الأنبياء قد حدثونا عن رؤية الملك وسماع كلامه، أما الفلاسفة فلم يحدثونا إلا عن رؤية الملك فحسب دون سماع الكلام منه، نعم تحدثوا عن انطباع للعلوم والمعارف في الفيلسوف والنبي ولكن هذا غير كلام الملائكة التي حدثتنا عنه الأنبياء<sup>(1)</sup>.

والخاصية الثالثة : التي يشارك فيها الفلاسفة أنفسهم مع الأنبياء وهي القدرة على التأثير أو الإتيان بالخوارق، وهي ما نسميه في جانب الأنبياء بالمعجزات، ولا ندرى إن كان للفلاسفة قدرة على الإتيان بمثل معجزات الأنبياء؟

ذهب الفلاسفة إلى أن النفس عند الفيلسوف والنبي عندما تصل إلى العقل الفعال يصير لها ما له من قدرة على التأثير، ولكننا نقول لهم ببساطة إننا لم نسمع إلا عن معجزات الأنبياء وإذا ثبت أن الأنبياء وخدمهم هم الذين ظهرت على أيديهم هذه الخوارق فلا بد أن يكون سببها وطريقها شيئا آخر غير هذا الاتصال الذي ذهبوا إليه .

وعلى هذا ففلسفة الاتصال بالعقل الفعّال وما يترتب عليها من خصائص للنبي أو الفيلسوف، وإن أحسن الفلاسفة حكمها وأحكموا بناءها بحيث استطاعوا أن يجعلوا منها أساسا لاستدلالهم على إثبات النبوة، غير أنها إلى حد كبير لا تتفق وحقائق الدين .

هذا بالنسبة للموازنة بين الأنبياء والفلاسفة في خصائص النبوة، أما بالنسبة للموازنة في صفاتهما فنرى أن الفلاسفة قد وحدوا تقريبا بين صفات كل من الفيلسوف والنبي، فقد عقد الفارابي في مدينته الفاضلة فصلا يتحدث فيه عن صفات رئيس المدينة الفاضلة<sup>(2)</sup>، الذي يعني النبي أو الفيلسوف في نظره ويثبت فيه اثنتي عشرة صفة جمع فيها كل صفات الكمال الإنسانية وجعلها صفات لنبه أو فيلسوفه رئيس المدينة الفاضلة، ويشرك الفلاسفة الفيلسوف مع النبي في الوقوف على أسرار النفس الإنسانية، حتى يستطيعا

1 - عبد الفتاح أحمد الفاوى، النبوة بين الفلسفة والتصوف، (مرجع سابق)، ص 199.

2 - أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص 103 - 105.

معالجتها كما يقف الطبيب على أسرار البدن، ونرى أن الوقوف على أسرار النفس أمر لم يتسن لسني أو فيلسوف، والنبي عندما يعالج النفوس البشرية يعالجها بكلمات الله وشرعه الذي يتزل ملائما لطبيعة النفس . ثم إن التعبير عن النبي برئيس المدينة الفاضلة ليس دقيقا، لأن من الأنبياء من لم يكونوا ملوكا، وعندما خير رسول الله ﷺ بين أن يكون عبدا نبيا أو ملكا اختار العبودية على الملك .

وأيا ما يكن فإن هذه الصفات التي وضعها الفارابي لرئيس مدينته تشبه تمام الشبه الصفات التي اشترطها الرواقيون لحكيمهم. وإن كان الفارابي قد وضع لرئيسه شرطا قربه من التعاليم الإسلامية بقدر ما أبعدته عن أفلاطون والرواقين وهو اشترطه في رئيس مدينته سمو إلى درجة العقل الفعال الذي أغفله كل من الرواقين وأفلاطون وربما يكون إيمان الفارابي واستعداده الصوفي هو الذي أملى عليه هذا الشرط<sup>(1)</sup> .

وإذا كانت خصائص النبي وصفاته تكاد تتحد في نظر الفلاسفة مع خصائص الفيلسوف وصفاته، فإن وظيفتهما أيضا كذلك، غير أن للفيلسوف اهتماما بالجانب النظري أكثر من اهتمامه بالجانب العملي، وإن كان لا يهمل هذا الأخير، أما النبي فاهتمامه بالجانب العملي أكثر وإن لم يهمل الجانب النظري أيضا، من ثم كانت وظيفة الفيلسوف نظرية مثل البحث في العقائد والنظر في الحقائق العقلية وغايته التشبه بالله في كمال المعرفة، وكانت وظيفة النبي عملية تشريعية تمثل في هداية الناس وإرشادهم إلى خالقهم وغايته تحقيق العدل في هذا العالم .

وإذا كانت النصوص تشير إلى اهتمام الفيلسوف بالجانب النظري واهتمام النبي بالجانب العملي التشريعي، فإن الفلاسفة لا يعفون أنفسهم من القيام بالجانب العملي التشريعي في الحياة، لأن أغراض الفلسفة عندهم الوقوف على حقائق الأشياء كلها نظرية أو عملية<sup>(2)</sup> .

وعلى هذا فالفلاسفة ورؤساء المدن أو الجمهوريات لهم أن يشرعوا القوانين، وقوانينهم فاضلة؛ بل يجب أن يكونوا كذلك، وإلا تحولت المدن والجمهوريات إلى ممالك فاسدة وجاهلة، بل أن الفيلسوف في نظر الفارابي ملك وإن لم يملك، كما أن الطبيب طبيب وإن لم يعالج، فلا يمكن زوال بؤس الدولة وزوال شقاء النوع الإنساني ما لم يملك الفلاسفة أو يتفلسف الملوك والحكام فلسفة صحيحة<sup>(3)</sup> .

1 - عبد الفتاح أحمد الفارابي، النبوة بين الفلسفة والتصوف، (مرجع سابق)، ص 201 .

2 - أبو نصر الفارابي، تحصيل السعادة، تحقيق جعفر آل ياسين، ط 02، بيروت دار الأندلس، 1983م، ص 93 .

3 - المرجع نفسه، ص 97 .

وقد أعطى الفلاسفة وعلى رأسهم الفارابي للنبي ذلك الدور السياسي والاجتماعي الذي أعطوه للفيلسوف واستطاعوا توضيح مكانة النبي السياسية والاجتماعية. وإذا علمنا أن آراء الفارابي في النبوة تبدو أكثر وضوحاً في كتابه الذي خصصه لتصوير المدينة الفاضلة، أدركنا على الفور الحكمة في إبراز الفارابي للدور الاجتماعي والسياسي الذي يؤديه النبي وأدركنا أنه كان يحس بأنه قدم حلاً لمشكلة الرياسة الدينية والسياسية التي شغلت المسلمين منذ القرن الأول للهجرة، وعلى ذلك حسب رأي الفارابي أن النبي والإمام والملك والحاكم والفيلسوف يجب أن يقوموا بمهمة سياسية واحدة، فهم واضعوا النواميس والمشرفون على النظم الاجتماعية<sup>(1)</sup>.

والآن نأتي إلى مسألة المفاضلة بين النبي والفيلسوف، وهي التي تقوم أساساً - عند الفلاسفة - على المفاضلة بين العقل والمخيلة، إذ جعلوا الوحي بالنسبة للنبي يتزل على مخيلته والحكمة بالنسبة للفيلسوف تتزل على عقله، والمعروف أن ما يعيه العقل أحكم وأوثق مما تعيه المخيلة التي تعتبر حالة وسطاً بين اليقظة والنام، والنتيجة المنطقية التي تلزم فلسفة هذه النظرية هي تفضيل الفيلسوف على النبي.

ولكن الإنصاف يملئ على الباحث أن يعترف بأن الفلاسفة وعلى رأسهم الفارابي لم يلاحظوا هذه التفرقة بينهما، وسواء أكانت لديهم المعلومات مكتسبة بواسطة الفكر أم بواسطة المخيلة مادام العقل الفعال مصدرها جميعاً، فقيمة الحقيقة كما يرى إبراهيم - مدكور - لا ترتبط بالطريق الذي وصلت إلينا معه بل الأصل الذي أخذت عنه، والنبي والفيلسوف يرتشفان من معين واحد ويستمدان علميهما من مصادر رفيع، والحقيقة النبوية والحقيقة الفلسفية هما على السواء نتيجة من نتائج الوحي وأثر الفيض الإلهي على الإنسان عن طريق التخيل أو التأمل<sup>(2)</sup>.

هذا إلى أن الفلاسفة يروا أيضاً أن النبي يستطيع أن يتقبل المعلومات لا بواسطة القوة المتخيلة فحسب بل بواسطة قوة قدسية تدعنها غريزة عالم الخلق الأكبر، كما تدعنها لروحك غريزة عالم الخلق الأصغر<sup>(3)</sup>.

هذا ما ذهب إليه الفلاسفة في مسألة المفاضلة من حيث العقل والمخيلة في كل من الفيلسوف والنبي، ثم نرهم صرحوا في أي منهما بأفضلية الفيلسوف على النبي ولا أشاروا إليه.

1 - أبو نصر الفارابي، تحصيل السعادة، تحقيق جعفر آل ياسين، (مراجع سابق)، ص 92 - 94.

2 - إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية، منهج وتطبيقه، ص 96.

3 - المرجع نفسه والصفحة.

لم يهتم ابن ميمون كثيرا بالموازنة بين النبي والفيلسوف، وذلك لاعتقاده أن درجة النبي لا تضاهيها أي شخصية في الوجود، ويظهر ذلك من خلال القول بحبة النبوة، وأن النبي إنسان مصطفى من الله عز وجل وأن المعارف التي يستقيها عن طريق الوحي بواسطة العقل الفعال هي أكثر وضوحا وصحة من المعارف التي تكون عن طريق التأمل والتفكير، فباعتراره نبيا عليه أن يكون صاحب فكر حاد، ليكون مؤهلا للنبوة، لأنها لا تعطى للجاهل وضعيف العقل والتفكير. ومهما كانت الحقائق العلمية المتحصل عليها تحت هذا الشكل من التفكير، فليست هناك أي عناصر مشتركة بين النبي وباقي الأشخاص. ويعتبر ابن ميمون أن النبي هو فيلسوف خارج عن إطار المؤلف، بل هو فيلسوف علوي<sup>(1)</sup>.

من دون أن ننكر على النبي بلغ مستوى عال من التأمل، ويميل هذا التأمل على غرار ذلك إلى خفض الروح العلمية الفلسفية على غير الأنبياء من الناس، ونحن نقبل بصعوبة إمكانية قيام النبي بذلك لأنه نبي يتمتع بمعارف علمية محضة لا يمكن لعالم أو فيلسوف أن يصل إليها، ولهذا فهو له طريقان، طريق الوحي، وطريق الاستدلال المنطقي، وهو الذي يكون عليه الفيلسوف، وهذا الأخير يعلم الأشياء من خلال عللها في حين يعجز النبي عن ذلك، ويتحول هذا الأخير من صاحب علم إلى صاحب رأي .

وعلى الرغم من ذلك يبقى النبي يحظى ويتمتع بملكة الإدراك أكثر حدة مقارنة مع تلك المؤلفوة لدى الفلاسفة، وليس ذلك لأنه نبي، ولكن لكي يصبح شخصا ما نبيا ينبغي أن يتوفر على فلسفة فائقة وسامية، باستثناء "موسى" لأنه موحي إليه مباشرة دون أحلام ورؤى، ولهذا فالحقائق التي تصل إليه تكون واضحة وغير غامضة ليس فيها ألباز وأمثال، كما هي عند بقية الأنبياء قبل وبعد موسى .

فالأنبياء باعتبارهم أنبياء هم بشكل أساسي وسائل للعناية الإلهية المكلفة على تطبيق قاعدة ما أوحى القانون العام للكائن البشري خلال تأملهم، كما يرى ابن ميمون<sup>(2)</sup>. ويأتيهم وحي الأحداث المستقبلية؛ وهذه إذا هي مهمتهم الأساسية التي يشترك فيها الفلاسفة مع الأنبياء في رؤية الملائكة، وقد عالج ابن ميمون ظاهرة الملائكة معالجة فلسفية، وحاول أن يوجد تطابق بين رؤية الفلاسفة للملائكة وما تقره الشريعة أو الدين اليهودي. حيث بدأ في عرض الرؤية الفلسفية للملائكة، حيث اعتبر أن حركة الأفلاك هي من صميم فعل العقول المفارقة، وهو ما ذهب إليه كذلك أرسطو وهذا يعتبر محل اتفاق بين الرؤية الفلسفية

1 - Charles touati, **prophetes talmudistes philosophes**, P264 .

2 - **Ibid**, P266 .

والرؤية الدينية فهي - الملائكة - واسطة بين الله وموجوداته (1).

وقد نصت الكتب الدينية في جميع الأديان السماوية على هذا الأمر، لأن أي فعل يفعله الله لا يتم إلا بواسطة ملك .

وابن ميمون يخالف الفلاسفة في رؤية العقول المفارقة (الملائكة)، حيث يرى أن رؤيتهم حقيقية غير أنها في حال الرؤيا، كما يعتبر هو في مرأى النبوة (2).

كما يتفق ابن ميمون مع المعتقد الديني بأن الملائكة ليست أجساما مادية، بل هي عقول مفارقة للمادة وهم مأمورون من الله بتنفيذ أوامره وهو ما ذهب إليه الفلاسفة ومنهم أرسطو (3). ويرى أن الملائكة يتشكلون على عدة صور وهيأت وينقلون رجالا ونساء كما ينقلون أرواحا، وأحيانا يظهرون على صورتهم الحقيقية وهم بهذا يخالفون المادة ولا لهم شكل ثابت جسماني خارج الذهن، وكل ذلك في حال الرؤيا، وبحسب فعل القوة المتخيلة، ويستشهد ابن ميمون بنصوص من التوراة على تحول الملائكة إلى عدة أشكال وصور ففي سفر زكريا يستشهد ابن ميمون بقول زكريا عليه السلام: « ورفعت عيني ونظرت وإذا بامرأتين خرجتا والرياح في أجنحتهما » (4)، كما ظهرت الملائكة إلى إبراهيم على صورة إنسان، ولوطا على صورتهم الحقيقية .

وقد خالف ابن ميمون الفلاسفة وهذا تماشيا مع معتقده، حيث يعتبر أن كلام الملائكة يسمع لكن عنده دائما في حال الرؤيا، وإن كان ابن ميمون يخالف أرسطو الذي يعتبر الملائكة أشياء قديمة وهي أمور لازمة عن الله تعالى، وابن ميمون يعتبر وجودهم غير لازم عن الله، لأن هذا الأمر يتم بمشيئة وليس لأي موجود أن يفرض على الله إلزامية إخراج الشيء إلى الواقع .

إن الملائكة موجودون نشعر بهم وبحركاتهم، ويعتبر ابن ميمون أن هذا الأمر لا يحتاج إلى دليل شرعي لأن واقع الحال يبرهن أو يدل على وجودهم من خلال حركة الأفلاك والبحار وغيرهما .

ولم يتطرق ابن ميمون إلى قدرة الفلاسفة على الإتيان بالخوارق (المعجزات)، وإنما ذكر ذلك للأنبياء، وعالج الأمر معالجة دينية الغاية منها - المعجزة - أنها تؤدي دورا في زمان ومكان معينين، وعنده أن

1 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، (مصدر سابق)، ص 286 .

2 - المصدر نفسه، ص 287 .

3 - المصدر نفسه، ص 112 .

4 - سفر زكريا 09:05 .

المعجزة لا تدل على صدق النبي، بل أن الأمر الذي يقر بنبوته هو مدى علمه وتحصيله للمعرفة، وكذلك سيره على نهج الأنبياء السابقين من الورع والطهارة ومكارم الأخلاق .

ويعتبر ابن ميمون أن المعجزة (المخارقة) سهل الحصول عليها للنبي مادام قد حصل عليها غيره من العرافين والسحرة<sup>(1)</sup>، وهو ما حدا به إلى أن ينكر أدلة النبوة من المعجزات التي تحصل للنبي، ويضرب مثالا على ذلك أن بني إسرائيل لم يؤمنوا بموسى عليه السلام على أساس أنه أتى بالمعجزات، لأن الاستناد إلى مبدأ الاعتداد بالمعجزات والدلائل من شأنه أن يترك مجالاً للشك عند جمهور العامة، وكأن هذه المعجزات قد قام بها ساحر عادي<sup>(2)</sup>. ويضرب عدة شواهد على المعجزات التي حصلت لموسى في مصر مع بني إسرائيل وفرعون وحتى في لحظة حواراه مع فرعون خارج مصر، كإغراق فرعون وجيشه في البحر، ونزول الغذاء العجيب من السماء، فهذه معجزات ظرفية أدت دورها في لحظة تاريخية وفي مكان معين من أجل الوصول إلى غاية معينة، فإذا ما تحققت تلك الغاية أو لم تتحقق فإن المعجزة - عند ابن ميمون - تنعدم ولا يبقى لها أثر .

وعنده أن المعجزة الحقيقية هي اللحظة التاريخية التي سمع فيها بنو إسرائيل ورؤيتهم لتلك النيران والأصوات والبروق المخيفة، فهذا المشهد هو الذي جعل بني إسرائيل يؤمنوا بنبوته موسى وليست تلك الخوارق (المعجزات) التي حدثت قبل معجزة جبل سيناء<sup>(3)</sup> .

إن ابن ميمون يطرح قضية المعجزة من الجانب الإلهي وليس من الجانب الذي يفسره الفلاسفة على أن المعجزات أسبابها قوى نفسانية .

وعدم ذكر ابن ميمون لرأي الفلاسفة في المعجزة يدل على أنه لا يتفق معهم فيما ذهبوا إليه في تفسيرهم لمفهوم المعجزة النفسي، ولا يعني ذلك أنه جهل ما أعلنوا عنه أو لم يطلع عليه، لأن الرجل متمكن من مذاهبهم وآرائهم، بل إنه يقر بكثير مما ذهبوا إليه، ويدل على أنه مقتنع بالتفسير الديني للمعجزة وأنها قوة تثبت بالعقيدة، على الرغم أنه لا يعممها على سائر الأنبياء ويخصها بموسى كما يقول عنه "أمير الأنبياء" .

أما بالنسبة للموازنة بين صفات النبي مع الفيلسوف فإن ابن ميمون لم يفصل صفات رئيس المدينة الذي

1 - Moïse Maïmonide, le livre de Connaissance, P90 .

2 - IbId, P92 .

3 - IbId, P101 .



أطلقه الفارابي، وابن ميمون يسميه بمدير المدينة، وإنما اقتصر على ذكرها إجمالاً أو بعضها منها، وعنده أنه لا بد أن تتوفر ثلاثة عشر صفة لمدير المدينة إذا كان نبياً، حيث يقول: «وينبغي لمدير المدينة إذا كان نبياً أن يتشبه بهذه الصفات»<sup>(1)</sup>، وكأنها إشارة أن هذه الصفات تكون للنبي ولا تكون لغيره، أي أن النبي هو الذي يصلح لإدارة المدينة وتسيير شؤونها، أما غيره من الفلاسفة فلا يستطيعون ولا يحق لهم ذلك. والصفات التي يريد بها ابن ميمون في النبي هي عين الصفات التي يوصف بها المولى عز وجل وقد ذكر بعض منها كالرأفة والشفقة والرحمة والغضب والانتقام، وعلى مدير المدينة إذا اتصف بها أن تصدر عنه الأفعال بتقدير، وبحسب استحقاق؛ فلا يكون لانفعالاته النفسية دور فيها، فلا يطلق عنان نفسه للسيطرة على أفعاله وتوجهه الوجهة التي لا تخدم أهل المدينة وشريعتها .

وأرى أن السبب الذي جعل ابن ميمون يريد من النبي أن يتشبه بتلك الصفات هو أن يصل إلى درجة الكمال الروحي والفكري والبدني بحيث يعلو عن العامة والدهماء وعن نزوات نفسه وهذا يسهل عليه سياسة الناس وانقيادهم له، وهذا الفعل الذي يصدر من مدير المدينة هو ما تقتضيه طبيعة العمل السياسي أنه لا بد من إزالة كل من يحدد عن طريق الحق والعدل، ومع هذا كله لا بد أن تكون أفعال الرحمة والعفو والشفقة صادرة من مدير المدينة لتحقيق غايات الناس وزيادة التلاحم بينهم، لأن الرحمة والعفو وأثرها الإيجابي بين أفراد المدينة أكثر من أثر الغضب والانتقام والقصاص .

وذكر ابن ميمون لمدير المدينة يدل على أنه متأثر بطريقة وفكرة رئيس المدينة الفاضلة أو الجمهورية وصفاته عند الفارابي وأفلاطون، على الرغم من عدم الإشارة إليهما .

رابع عشر- النبوة بين الوهب والاكْتساب :

1- عند فلاسفة الإسلام :

اعتبر علماء الكلام أن النبوة منحة ومنة إلهية إلى الإنسان ليضيء بها النور على البشرية، ولم يختلف في ذلك أو شذ أحد من علماء الكلام في الإسلام سواء المعتزلة أو الأشاعرة، وإن كان ابن خمير ذكر أن المعتزلة وغلاة الباطنية يقولون باكتساب النبوة<sup>(2)</sup>، وإن كنا لم نثر على قول في هذا الأمر في جميع مراجع

1 - موسى بن ميمون، دلالة الحاترين، (مصدر سابق)، ص130.

2 - أبو الحسن السبتي، تزيه الأنبياء عما نسب إليهم حالة الأغبياء، تحقيق أحمد عبد الجليل الزبيبي، ط01، بيروت، دار ابن حزم،

كما ذهب أبو حامد الغزالي إلى أن النبوة تتطلب إعدادا فكريا وأخلاقيا من الإنسان لقبول الوحي الإلهي كما لا ينالها كل من هب ودب، حيث يقول: «إن النبوة تقتضي إعدادا لقبول آثار الوحي وذلك بالعبادات المشفوعة بالفكر والمعاملات الخالصة عن الرؤيا والسمعة من لوازمها فليس الأمر فيها اتفاقا جغرافيا حتى ينال كل من دب ودرج أو مرتبا على جهد وكسب حتى يصيها كل من فكر وأدب، وكما أن الإنسانية لنوع الإنسان والملكية لنوع الملائكة ليست مكتسبة لأشخاص النوع وأن العمل بموجب النوعية ليس يخلو عن اكتساب واختيار لإعداد واستعداد كذلك النبوة لنوع الأنبياء ليست مكتسبة لأشخاص النوع»<sup>(1)</sup>، ويستشهد على ذلك بالآية الكريمة ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾<sup>(2)</sup>، كما يذهب إلى أن الرسالة هبة إلهية، قائلا: «أعلم أن الرسالة أثره علوية وحظوة ربانية وعملية إلهية لا تكتسب بجهد ولا تنال بكسب»<sup>(3)</sup>. مستشهدا بقوله تعالى: ﴿ اَللّٰهُ اَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾<sup>(4)</sup>، والرسالة تمثل الشريعة والقانون الذي يضبط حركة الأشخاص، سواء في العبادات أو المعاملات، وهي عون لها للسير في طريق الهداية والابتعاد عن طريق الغواية والضلال. وإذا كان أساس النبوة الوحي الذي عرفنا حقيقته، وإذا كانت المعجزة من المؤيدات التي يؤيد الله بها الأنبياء بقدرته وإرادته، فمعنى ذلك أن الرسالة لا تأتي إلا بمحض اختيار من الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿ اَللّٰهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾<sup>(5)</sup>. وقال المحققون: «النبوة نور يمن الله تعالى به على من يشاء من عباده، فيدرك ما لا تدركه العقول من قواعد الدين وأمور الشريعة وحكم الأحكام»<sup>(6)</sup>.

وينقل عن الشهرستاني قوله: «إن النبوة ليست صفة راجعة إلى النبي ولا درجة يبلغ إليها أحد بعلمه وكسبه، ولا استعدادا نفسيا يستحق به اتصالا بالروحانيات، بل رحمة يمن الله بها على من يشاء من عباده»<sup>(7)</sup>، ويواصل الشهرستاني قائلا: «فكما يصطفاهم من الخلق قولاً بالرسالة والنبوة، يصطفاهم من

1 - أبو حامد الغزالي، معارج القدس في مدارج النفس، (مرجع سابق)، ص 130.

2 - سورة الشورى : 49 .

3 - المرجع السابق والصفحة .

4 - سورة الأنعام : 125 .

5 - سورة الحج : 73 .

6 - بسام عبد الوهاب الجبالي، المسائل الخلافية بين الأشاعرة والماتريدية، ص 96 .

7 - نقلا عن: إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ص 97 .

الخلق فعلا بكمال الفطرة ونقاء الجوهر وصفاء العنصر، وطيب الأخلاق، وكرم الأعراق، فرفعهم مرتبة مرتبة، حتى إذا بلغ أشده، وبلغ أربعين سنة، وكملت قوته النفسية وهيات لقبول الأسرار الإلهية بعث إليهم ملكا وأنزل عليهم كتابا»<sup>(1)</sup>.

ومن الفلاسفة الذين يعتبرون النبوة هبة ومنة إلهية الفيلسوف العربي الكندي، حيث يعتبر علم النبوة علم بلا طلب ولا تكلف ولا بحيلة بشرية ولا زمان، بل مع إرادته جل وعلا بتطهير نفوسهم في إثارتها للحق بتأييده وتسدیده وإلهامه<sup>(2)</sup>. وباقي الفلاسفة الإسلاميين اعتبروا النبوة كسبية وليست وهبة، وإن لم يصرحوا بذلك، وكانت أول إثارة في هذا الأمر عندما تحدثوا عن العقل الفعال وإمكانية الاتصال به، ذلك أن العقول عندهم ثلاثة وقد ذكرنا ذلك سابقا .

وعند الفلاسفة أن الذي يستطيع أن يصل إلى مرتبة العقل الفعال كان هو الملك أو الرئيس أو المسوحي إليه وكلهم واحد في نظر الفارابي، حيث يقول: « وهذا الإنسان هو الملك في الحقيقة عند القدماء وهو الذي ينبغي أن يقال فيه إنه يوحى إليه ، فإن الإنسان إنما يوحى إليه إذا بلغ هذه الرتبة وذلك إذا لم يبق بينه وبين العقل الفعال واسطة»<sup>(3)</sup>، ويفهم من هذا أن الاتصال الذي يمنح للإنسان ليصل إلى مرتبة النبوة أو درجة الملك أو الرئاسة الأولى ليس خاصا عندهم بطائفة أو مجموعة معينة دون أخرى، وإنما هو ممنوح لكل من جاهد نفسه عن طريق الأمور العلمية أو عن طريق العبادة. وعلى هذا فحديث الاتصال بالعقل الفعال عند الفلاسفة يكاد يقرر على أن النبوة مكتسبة .

وإذا كانت محيظة النبي القوية هي التي تتيح له الاتصال بالعقل الفعال اتصالا دائما، فإن محيظة غيره ممن عامة الناس تختلف عنها في الدرجة لا في النوع، وعند الفلاسفة أن الناس بالنسبة لمحيظتهم أصناف ثلاث:

- صنف وهب محيظة قوية جدا لا تستولي عليها الحواس ولا تعصمها الصورة وتتصل بالعقل الفعّال اتصالا دائما يقظة أو مناما.

- وصنف له محيظة متوسطة تتجاوزها الحواس تارة وتخلص هي إلى العقل الفعال تارة أخرى، في النوم تارة وفي اليقظة تارة .

1 - إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، (مرجع سابق)، ص98 .

2 - محمد كمال إبراهيم جعفر، في الفلسفة الإسلامية دراسة ونصوص، ط1، الكويت، مكتبة الفلاح، 1986م، ص178.

3 - أبو نصر الفارابي، كتاب السياسة المدنية، ص79 .

- ووصف له مخيلة ضعيفة تستولي عليها الحواس استيلاء يمنعها من الاتصال بالعقل الفعال يقظة وإن كانت تستطيع ذلك مناما»<sup>(1)</sup>.

وتقسيم الناس تبعاً لمخيلتهم على هذا النحو يتيح الفرصة لغيرهم إذا قويت مخيلتهم أن يصلوا إلى درجتهم، كما لا مانع بناء على هذا التقسيم، أن يسقط بعض الأنبياء عن درجة النبوة إذا ضعفت مخيلتهم ولا معنى لكلام الفلاسفة أن يروا أن المخيلة الممتازة التي للنبي موهوبة وليست مكتسبة، كما يذكر ذلك الفارابي في أكثر من موضع في بعض كتبه، لأنه لا معنى للهبه والاختصاص ما دام الأمر موقوفاً على درجة المخيلة قوة وضعفاً، فالأمر سيان أن تخلق المخيلة بادئ ذي بدء شديدة عند بعض الناس أو تخلق ضعيفة ثم يرقى بها صاحبها عند البعض الآخر، وهذا ما يشته ابن سينا عندما يقول: «وقد يتفق في بعض الناس أن تخلق فيه القوة المخيلة شديدة جداً»<sup>(2)</sup> ويقول أيضاً: «يمكن للتخيل أن يقوى»<sup>(3)</sup>، وهو ما يقرره الفارابي أيضاً بقوله: «إذا بلغت قوته المخيلة غاية الكمال»<sup>(4)</sup>.

ومما يؤدي إلى اكتساب النبوة أيضاً عند الفلاسفة، رأيهم أن النبي كما يتفوق على غيره بقوة مخيلته، يتفوق أيضاً بقوته العقلية وقوته النفسية العملية، أما تفوقه في القوة العقلية وذلك بأن يشتغل حدسه فينال العلوم من غير معلم بشري، ويتصل بالعقل الفعال من غير فكر أو نظر وفي هذا يقول ابن سينا: «إذا كان الحدس ينتهي في طرف النقصان إلى من لا حدس له البتة، فيجب أن ينتهي في طرف الزيادة إلى من له حدس في كل المطلوبات أو أكثرها أو إلى من له حدس في أسرع وقت وأقصره، فيمكن أن يكون شخصاً من الناس مؤيد النفس بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية إلى أن يشتعل حدسا أعني قبولا لإلهام العقل الفعال ... وهذا ضرب من النبوة بل من أعلى قوى النبوة»<sup>(5)</sup>.

والفلاسفة عندما أرجعوا خصائص النبوة إلى نفس النبي، وعندما جعلوا الفرق بينه وبين غيره في الدرجة لا في النوع بالنسبة لهذه الخصائص وقعوا عن قصد أو غير قصد في القول باكتساب النبوة، لأنه مادام الأمر أمر درجات ومراتب يرتقي إليها الإنسان، فالوصول إلى القمة ممكن لأي إنسان حتى إن كان ناسداً، وفي

1 - عبد الفتاح أحمد الفارابي، النبوة بين الفلسفة والتصوف، (مرجع سابق)، ص 90.

2 - ابن سينا، الشفاء، الفن السادس، ص 167.

3 - المرجع نفسه، ص 165.

4 - أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص 90.

5 - ابن سينا، النجاة، القسم الثالث، ص 167.

هذا يقول ابن سينا: « فأفضل النوع البشري من أوتى الكمال في حلس القوة النظرية حتى استغنى عن المعلم البشري أصلا وفي كهانته العلمية حتى يشاهد العالم النفساني بما فيه من أحوال العالم ويستتبتها في اليقظة، وتعمل المخيلة فيه عملها التام، فيشاهدها بوجه خاص آخر على ما ذكرنا، ويكون في قوته النفسانية أن تؤثر في عالم الطبيعة، ثم الذي له الأمان وليس له الأمر الثالث، ثم الذي له هذا التهيؤ الطبيعي في القوة النظرية دون العملية ... »<sup>(1)</sup>.

وحدث الفلاسفة عن الفيلسوف وخصائصه أثناء حديثهم عن النبي وخصائصه يجعل النبوة عندهم إلى الاكتساب أقرب منها إلى الهبة، بل نراهم يعتبرون النبوة صناعة من الصناعات، وإن كانت تسمو على سائر الصناعات، ونجد هذا الأمر عند الفارابي: « فليس كل صناعة يمكن أن يرأس بها ... وليس يمكن أن تكون صناعة رئيس المدينة الفاضلة أي صناعة ما اتفقت »<sup>(2)</sup>.

والنبوة ليست مكتسبة بخصائصها فقط عند الفلاسفة، بل وبأخلاق الأنبياء، لأن الأخلاق عندهم حميدة أو ذميمة مكتسبة، يستطيع الإنسان أن يحصل عليها ويغيرها، والأنبياء متساوون مع غيرهم، وإن كانوا يسعون دائما في اكتساب الأخلاق الحميدة التي لا يحصل عليها كلها إلا النادر من الناس، لأنها من العسير. كما يرى الفارابي أنه يوجد من هو معد بالطبع نحو الفضائل كلها ومتى اكتسبها كان هو الملك في الحقيقة حيث يقول في ذلك: « إن الأخلاق كلها الجميل منها والقيح هي مكتسبة، ويمكن للإنسان متى لم يكن له خلق حاصل أن يحصل لنفسه خلقا، ومتى صادف أيضا نفسه في شيء ما على خلق ما إما جميل وإما قبيح بإرادته إلى ضد ذلك الخلق »<sup>(3)</sup>.

ومما يزيد الفلاسفة إدانة بأن النبوة عندهم مكتسبة وليست هبة، حديثهم عن شرائع الأنبياء من جهة وصنعها وتطورها من جهة أخرى، مما يدل على أنها من قبل الأنبياء وليست من لدن من أرسلهم، ولهذا يقول الفارابي: « ومن بعد هذه كلها يحتاج النبي إلى وضع النواميس... وصناعة وضع النواميس بالاعتدال على جودة تخيل ما عسر على الجمهور تصوره من المقولات النظرية، وعلى جودة استنباط شيء من الأفعال المدنية النافعة في بلوغ السعادة، وعلى جودة الإقناع في الأمور النظرية والعملية... فإذا وضعت

1 - ابن سينا، أحوال النفس، نقلا عن: عبد الفتاح أحمد الفاروق، النبوة بين الفلسفة والتصوف، (مرجع سابق)، ص 94 .

2 - أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص 100.

3 - نقلا عن: المرجع السابق، ص 95 .

وخلاصة القول لدى الفلاسفة الإسلاميين، عندما زجروا مسألة النبوة تحت قضايا العقل ومباحثه لزمهم القول بكسبها في كل مراحلها وخواصها وصفاتها، لأن قضايا العقل لا تعرف الاصطفاء أو الاختيار، وإنما تعم أحكامه ونتائجه إلى بقية أفراد النوع إذا صحت على فرد منه تعدت بقية أفراد آخرين، وتصوير النبي بأنه إنسان تفوق عن غيره من الناس في قوته العقلية والنفسية والمخيلة جعل أمر النبي يرجع إلى نفسه وليس إلى خالقه عز وجل، واعتقادهم في النبي بأنه يلزم نفسه حميد الأخلاق وجميل الخصال، ويتعلم وضع النواميس والشرائع وطرق إقناع الجمهور بما كل ذلك جعل من النبوة صناعة تكتسب وحرفة تتعلم.

تلك الأسس والاعتبارات التي ذكرناها هي التي أدانت الفلاسفة وألزمهم القول باكتساب النبوة وليس الأمر محض اصطفاء من الله عز وجل.

## 2- عند ابن ميمون :

أما ابن ميمون فلا يرى رأي الفلاسفة في كسب النبوة، بل يعتبر الأمر مجرد اصطفاء إلهي، وهو بهذا ابتعد عن المعالجة الفلسفية لقضية كسب النبوة أو هبتها، واكتفى بما تملي عليه عقيدته الدينية، مستندا في ذلك على نصوص التوراة والتلمود، والتي يعتبرها قاعدة مذهبه، وهو بهذا يعطي إشارة أن ما ذهب إليه الفلاسفة من أمر كسب النبوة غير صحيح ودقيق، ولهذا لم يذكر آراءهم في كتابية "دلالة الحائرين وكتاب المعرفة" لا تصريحاً ولا تلميحاً، وقد كان ابن ميمون مشدوداً كثيراً إلى النصوص التوراتية، فيستشهد بما كثيراً ليبين أن النبوة أمر اصطفائي، ويضرب مثالا على ذلك بتلاميذ الأنبياء "أبناء الأنبياء" الذين كانوا يتبعون الأنبياء ليتعلموا منهم ويهيئوا أنفسهم للتنبؤ عن طريق الإرتياض، فهؤلاء لم يجدوا ذلك، مثل قصة باروخ بن نيريا، فقد تبع إرميا وراضه وعلمه وهياه، وأطمع نفسه ليتنبأ إلا أنه لم يوحى إليه ولهذا قال باروخ: «قد قلت ويل لي لأن الرب قد زاد حزنا على ألمي، قد غشي علي في تنهدي ولم أجد راحة»<sup>(2)</sup>.

ويقول ابن ميمون مصرحا بمعتقدده: «وذلك أنا نعتقد أن الذي يصلح للنبوة المتهيء لها قد لا يتنبأ وذلك بمشيئة إلهية»<sup>(3)</sup>.

1 - أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، (مراجع سابق)، ص 105.

2 - سفر إرميا 54 : 03 .

3 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 390 .

وهذه إشارة إلى أن النبوة لا يمكن أن تظهر في غير الأنبياء مهما علا شأن المخيلة، وقوي الفيض العقلي على الإنسان، لأن أمر النبوة اصطفاي وليس كسبي، ومهما ادعى الإنسان النبوة فلا يمكن أن يتحقق ذلك لا عقلا ولا شرعا، وإن كان يصدق من طرف الدهماء وقليلي العلم والمعرفة مثل ما حدث في عصرنا ممن ادعوا النبوة كالباب علي محمد الشيرازي، والميرزا حسين علي المازندراني، وغلام أحمد القادياني .

وقد يتساءل الإنسان، لماذا النبوة تظهر في أناس دون آخرين؟ والجواب على ذلك أن الناس ليسوا كلهم في درجة واحدة من الوعي وسعة الإدراك وقوة النفس فهناك تفاوت بينهم، ودرجة التحمل مثلما تختلف بدنيا من شخص لآخر كذلك التحمل النفسي فهو يختلف من شخص لآخر، مثلما يختلفون في هذا الأمر بتفاوتون كذلك في الطباع والسلوك، وطباع الناس عادة أنها تميل إلى من هو أكثر استقامة: سلوكا وتصرفا وحكمة، ولم يكن معروفا عندهم بارتكاب الأخطاء والانحرافات، أو كان شخصا مسلطا على رعايهم بظلمه وتعديه، أو لم يكن محبوبا لديهم لجناء قلبه وخشونة طبعه، وبسبب هذه الاختلافات بدنيا ونفسيا وعقليا وسلوكيا، فإن النبوة لا يمكن أن تظهر في من هب ودب، بل تكون من اجتمعت له صفات الكمال واجتماع هذه لا تكون إلا للقلّة القليلة من الناس، بعد هذا الأمر = كمال الأخلاق والفكر - يأتي الاصطفاء الإلهي، الذي لا سيطرة للإنسان عليه، مهما عمل الإنسان ليلا ونهارا ليكون هو من أهل النبوة فلا يكون، لأن الأمر ليس صناعة وحرفة يمكن تعلمها واحترافها أياما أو سنوات، فهي حقيقة غائبة ولا تخلد على فكر الإنسان، بل نجده يفر منها لعدم علمه واستعداده لها، بل يترجى أن يعفى منها ويحاول غير أن هناك باعث ودافع أكثر من طاقته يجعله يقبض عليها وهو كاره، هذه حقيقة النبوة، ولماذا لا تظهر في أي شخص اجتمعت فيه صفات القوة .

ويستند ابن ميمون في تدعيم رأيه بنصوص من كلام الخيامات اليهود، حيث يعتبر أن كلامهم يسير على القاعدة الشرعية اليهودية، قائلا: « لكن نجد نصوصا كثيرة منها نصوص كتب، ومنها كلام الحكماء كلها مستمرة على هذه القاعدة، وهي أن الله ينبي من يشاء متى شاء »<sup>(1)</sup>، على الرغم أن ابن ميمون يعتبر من شروط التنبؤ هو الإرتياض والمقصود التأمل الفكري، وكذلك الكمال في الأخلاق الحميدة وكل ذلك لا يعني أن الله ينبيه، لأن أمر التنبؤ راجع إلى القدرة الإلهية حيث يقول: « قاعدتنا أنه لا بد من الإرتياض

والكمال، وحينئذ يكون الإمكان الذي تتعلق به قدرة الإله»<sup>(1)</sup>. وأمر التهيؤ شرط ضروري لأي شخص لينبأ .

### خامس عشر- وظيفة النبوة عند ابن ميمون :

لم يشر ابن ميمون إلى وظائف النبوة اجتماعيا ولا معرفيا، وإنما أشار إشارة خفيفة إلى الجانب السياسي، لما ذكر أن من صفات النبي كونه أن يكون "مدبر المدينة" وهذا العمل يعتبر وظيفة سياسية، كما أنه وظيفة اجتماعية، وقد فصل الجانب أو الوظيفة الدينية لها، فهو يرى أن الأنبياء بعثوا للحفاظ على شريعة موسى، أو القانون الرباني، والذي ضل ثابتا ومستقرا على امتداد العصور، وذلك من دون حدوث أدنى تغيير أو حذف، ولهذا فأى نبي- حسب ابن ميمون- أدعى أنه نبي ولو دعم بمعجزه، وقال لقومه : أن الرب قد اختاره وأمره بأن يضيف أو يحذف أمر ما أو أن يقدم شرحا أو تفسير الذي لم يعرفه موسى قط، أو أن جميع الأوامر التي اقتضت على بني إسرائيل زمن موسى عليه السلام لا تعتبر محمية على الدوام، وأنها لا تعني الأجيال التي جاءت بعد موسى، وأنها فرضت لزمن مؤقت ومحدد، إن هذا الشخص في رأي ابن ميمون نبي غير صادق، لأنه أتى من أجل تنفيذ صحة ومشروعية رسالة موسى النبوية، فالحكم الذي يصدره ابن ميمون في حقه هو الموت خنقا لأنه تحدث باسم الرب الذي لم يعطه الأمر بالقيام بذلك، ويستشهد ابن ميمون بنصوص من التوراة على أن هذه الشريعة باقية لجميع أبناء بني إسرائيل إلى الأبد، ولا يمكن أن يحذف أو يغير منها» السرائر للرب إلهنا والاعلانات لنا ولبنينا إلى الأبد لنعمل بجميع كلمات هذه الشريعة»<sup>(2)</sup>. ويؤول ابن ميمون بعض النصوص التوراتية التي ظاهرها أن النبي نأ يبعث، سوف يأتي بنصوص جديدة، مثل ما أتى بها موسى كالنص الآتي « أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم متلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه»<sup>(3)</sup>، وإنما الهدف هو حث الناس على احترام النصوص المقدسة التي أتى بها موسى، إضافة إلى الحيلولة دون اعتداء الناس عليها<sup>(4)</sup>، ويرى ابن ميمون أن العقوبة الكبرى على النبي وهي الموت خنقا أو شنقا لا تكون إلا في حالة نقض النبي للأحكام والتشريعات نقضا نهائيا، بحيث يكاد بنو إسرائيل أن يفعلوا ما يفعله أهل الوثنية، أما إذا كان التعدي على الأحكام والتشريعات

1 - موسى بن ميمون، دلالة الحاترين، (مصادر سابق)، ص 391 .

2 - سفر التثنية 29 : 29 .

3 - سفر التثنية 18:18 .



موقتا وهذا التعدي كان لحكمة يراها النبي أو بأمر من الرب فلا عقوبة، ومن الضروري الامتثال لأي نبي من الأنبياء الذين يأمرون بذلك التعدي المؤقت<sup>(1)</sup>، والعقوبة كما يراها ابن ميمون تتعدى حتى النبي الذي يحدف بعض الأحكام سواء كانت أوامر أو نواه عن طريق الأحاديث الشفهية، أو بعض الشروح والتفسيرات التقليدية، أو إذا ادعى أحدهم بأن الرب أوحى له بأن التطبيق الفعلي هو ذلك الرأي الذي رآه ذلك النبي، ففي هذه الحالة فإن الأمر يتعلق بنبي مزيف كاذب، فلا يلزم اتباعه حتى ولو أتى بمعجزه ما، لأنه جاء بهدف التشكيك في مصداقية تلك النصوص وهذه الوظيفة تختلف من نبي لآخر، فالأنبياء الذين جاؤوا قبل موسى عندما يدعون الناس لا يدعوتهم من جانب النبوة أو بدعوى الالتزام بأوامر الرب، وإنما دعوتهم تكون على الوعظ والإرشاد، وليس على أساس أن الله أمرهم بدعوة الناس إلى كذا أو نهيهم عن كذا لأنه قبل موسى لم تكن هناك شريعة .

ولهذا نجد ابن ميمون يضرب عدة أمثلة بإبراهيم وإسحاق ويعقوب ولوى وغيرهم، فإبراهيم جمع الناس ودعاهم إلى حق قد أدركه، وكان يعلم الناس ويبين لهم بأدلة عقلية نظرية أن للعالم إلهما واحدا، وإنه خلق كل ما سواه وإنه لا ينبغي أن تعبد هذه الصور ولا شيء من هذه المخلوقات، ولم يحصل أنه قال يوما قط: إن الله بعثني لكم، وأمرني وهاني حتى أنه لما أمر بالختان هو وبنوه وذووه ختنتهم ولم يدع الناس لذلك بصورة دعوة النبوة<sup>(2)</sup> .

أما موسى عليه السلام فوظيفته اختلفت عمن سبقه من الأنبياء ، لأنه نبي مرسل ومؤيد برسالة فهو جاء لإنقاذ بني إسرائيل من عبودية فرعون لهم، ويحررهم منه ليعبدوا الله عز وجل في أرض أخرى ويتعدوا عن كل وثنية تلتخ عقولهم ونفوسهم، فهو أراد إرجاعهم إلى دين آباؤهم يوسف ويعقوب وإسحاق ويلزمهم باتباع شريعته التي نزلت عليه وهو في سيناء .

أما وظيفة الأنبياء الذين جاؤوا بعد موسى عليه السلام فكلهم بمنزلة الرعاظ والمرشدين الذين يدعون الناس لشريعة موسى يحذرون المخالف عنها، ويعدون السائر على طريقها<sup>(3)</sup> . ومجمل القول فالوظيفة الدينية للنبوة هي حث الناس على خدمة الرب، وذلك بالامتثال للأوامر والانتهاز عن نواهيته .

1 - Moïse Maïmonide, le livre de Connaissance, P100 .

2 - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 412 .

3 - المصدر نفسه، ص 419 .

## الفصل السادس :

### خصائص النبوة وخصائرها

تمهيد .

أولا - الخصائص المشتركة .

ثانيا - ارتقاء النبوات .

ثالثا - الغاية من النبوات .

رابعا - دلائل ختم النبوة .

خامسا - ختم النبوة .

سادسا - طعن الطوائف المنحرفة في عصرنا في ختم نبوة محمد ﷺ .

سابعا - محمد ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين .

ثامنا - المسيح المنتظر .

تاسعا - إعادة صياغة تراث ابن ميمون .

على ضوء المصادر المقدسة لدى الديانتين اليهودية والإسلام، تبرز جملة من الصفات المميزة المشتركة للنبوة في الديانتين، إلى جانب مجموعة أخرى من المميزات الخاصة بنبوة كل ديانة، بحكم أن الديانتين مصدرها واحد. وهو السماء. ونبوة كل منهما جاءتا لوظيفة واحدة وهي توجيه الفرد والمجتمع وإصلاحه. ورسم طريق الهداية الذي غفل عنه لأمد طويل .

إلا أن الديانتين من حيث أصل النبوة فيهما، لا بد أن يصلا إلى نهاية، فالبحث في نهاية النبوة اليهودية ليست أقل صعوبة من البحث في تحديد بدايتها .

وليس هناك شك في أن العنوان الذي ستدرس تحته هذه القضية يشير شيء من ذلك بتناقض وتعارض ألفاضه ومدلولاته، بين الختم والإتمام والترقب والانتظار .

والخلط الذي حدث - بقصد - بين الإصلاحين عبر تاريخ طويل وما ترتب عليه من زج وإقحام لمفردات وخلع ذي الخاتم على المنتظر، أو حشوه في قلبه، تطلب إيضاح حقيقة كل منهما، وكشف المستور عن مراحل وحلقات الخلط والإدماج وبيان ما بين خاتم النبيين ومنتظر اليهود من صلوات وأرحام . أما في الإسلام، فالأمر يختلف، فالبحث في تلك المسألة - ختم النبوة - سهل ويسير ويمكن تحديد مفاهيمها ووظيفتها، نظرا لأن هذه المسألة واضحة وليس بها تعقيدات. كما هي في الديانة اليهودية، بحكم النصوص الدينية التي أوضحت دلالة الختم وزمانه حيث حددته وانتهت به إلى سيدنا محمد ﷺ، من بينها تصريح القرآن والنبي نفسه بذلك، وكذلك لعلامات الساعة فهي شاهد على ختم النبوة ونهاية العالم، دون أن يأتي مصلح آخر يدعي النبوة ومؤيد من السماء، للدعوة البشرية جمعاء إلى طريق الهداية .

### أولا - الخصائص المشتركة :

هناك مجموعة من الصفات اشتركت فيها الديانتان اليهودية والإسلام وهذه الخصائص هي: الإصطفائية، والتاريخية، والذاتية، والبشرية .

#### 1 - الإصطفائية :

حيث بينت نصوص الديانتين اليهودية والإسلامية على ميزة الاصطفاء، والاختيار من قبل الله عز وجل وأن النبوة هبة وليست من كسب الإنسان وجهده العقلي ومهارة سلوكه، فنصوص العهد القديم تعترف بمبدأ الاختيار والاصطفاء في النبوة. ففي العهد القديم - التوراة - قال الرب "يهوه" « أقيم لهم نبيا من وسط

إخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به»<sup>(1)</sup> .

فالاختيار الإلهي حسب أسفار العهد القلم هو الذي يرفع الشخص إلى مقام النبوة، وليس جهد الشخص الذاتي الذي يؤهله إلى حصوله على النبوة بالميراث، أو اختيار القوم له، ولهذا فجميع أسفار العهد القلم، تصر على تحكم وسيطرة الرب الكاملة على شخصية النبي وأن الله هو الأمر وليس النبي يأتمر من نفسه<sup>(2)</sup> .

وكان أنبياء كبار يتحدثون على أن عملية الاختيار كانت من الرب فهذا إرميا يتحدث عن اصطفائه كان قبل ولادته فيقول : « فكانت كلمة الرب إليّ قائلاً: قبلما صورتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدّستك وجعلتك نبيا للشعوب »<sup>(3)</sup> .

أما حزقيال فإنه يصور بداية اصطفائه، إذ يقول باسم الرب يهوه « وقال لي يا ابن آدم كل الكلام الذي أكلمك به أو عيه في قلبك واسمعه بأذنيك، وامض اذهب إلى المسبيين بني شعبك وكلمهم وقل لهم: هكذا قال السيد الربّ إن سمعوا وإن امتنعوا، ثم حملني روح فسمعت خلفي صوت رعد عظيم مبارك مجد الرب من مكانه، وصوت أجنحة الحيوانات المتلاصقة الواحد بأخيه وصوت البكرات معها وصوت رعد عظيم، فحملني الروح وأخذني فذهبت مرا في حرارة روعي ويد الرب كانت شديدة عليّ »<sup>(4)</sup> .

والعمل النبوي بالمعنى الدقيق للفظ ليس نظاما يؤسس كالمملكية أو الكهنوت، يستطيع بنوا إسرائيل أن يقيموا لهم ملكا، « متى أتيت إلى الأرض التي يعطيك الرب إهلك وامتلكتها وسكنت فيها فإن قلت اجعل عليّ ملكا كجميع الأمم الذين حولي، فإنك تجعل عليك ملكا الذي يختاره الرب إهلك، من وسط إخوتك نجعل عليك ملكا، لا يحل لك أن تجعل عليك رجلا أجنبيا ليس هو أحاك »<sup>(5)</sup> .

غير أن بني إسرائيل لا يستطيعون أن يقيموا نبيا، لأن النبوة أو النبي محض هبة من الله<sup>(6)</sup> .

ولهذا فنبوة " الأنبياء الكبار " تبدأ عادة بنداء إلهي يفضي دائما إلى التكليف بمهمة النبوة « إسمعي لي

1 - سفر التثنية 18 : 18 .

2 - أحمد المشرقي، النبوة في الأديان الكتابية، ص 110 .

3 - سفر إرميا 01 : 04 - 05 .

4 - سفر حزقيال 03 : 10 - 14 .

5 - سفر التثنية 17 : 14 - 15 .

6 - الأب فاضل سيداروس اليسوعي وآخرين، معجم اللاهوت الكتابي، ص 797 .

أيتها الجزائر واصغوا أيها الأمم من بعيد، الرب من البطن دعاني، من أحشاء أُمِّي ذكر اسمي»<sup>(1)</sup>.

كما في الإسلام فإن الاصطفاء أمر إلهي وليس اختياري، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(2)</sup>.

كما خصص القرآن بعض الآيات الأخرى للأنبياء والرسل ليؤكد معنى الاصطفاء، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾<sup>(3)</sup>.

وأحيانا يكون التنصيب على الاصطفاء على سبيل التخصيص لبعض الأنبياء مجتمعين مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(4)</sup>. أو أفراد مثل موسى لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي﴾<sup>(5)</sup>. ومثل إبراهيم لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرَغِّبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(6)</sup>. وكذلك يوسف مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾<sup>(7)</sup>.

## 2 - التاريخيّة :

إن الصفة التاريخية للنبي والنبوة أمر اتفقت عليه اليهودية والإسلام، فالنبي شخصيته يتم اختيارها بصفة شخصية وبدون معرفة ذاتية أو خارجية إذ لا دور له في وقوع الاختيار الإلهي عليه، والأنبياء سواء من بني إسرائيل أو من أمم أخرى معروفون بصفته الشخصية التاريخية، وهكذا الأمر لم يكن موجودا في التاريخ القديم - في منطقة الشرق أو في بلاد جنوب شرق آسيا - قبل أنبياء إسرائيل فقد تكون شخصيات أسطورية أو أها شخصيات غير معروفة بالاسم، حيث تنتمي إلى طوائف دينية معينة<sup>(8)</sup>.

والتأكيد على ما سمي بالصفة التاريخية للنبي في بني إسرائيل في أن معظم أو غالب الأنبياء، ورد ذكرهم في العهد القديم بالاسم وتحديدًا عند بدايات أسفارهم وقد تعدى تحديد ذكر الاسم للنبي إلى ذكر وتحديد

1 - سفر إشعياء 01 : 49 . وسفر حزقيال 01 : 03 . وسفر إرميا 01 : 09 .

2 - سورة الحج : 73 .

3 - سورة ص : 46 .

4 - سورة آل عمران : 33 .

5 - سورة الأعراف : 144 .

6 - سورة البقرة : 129 .

7 - سورة يوسف : 06 .

8 - عماد خليفة حسن أحمد، تاريخ النبوة الإسرائيلية، ص 31 .

زمان ومكان النبي ووجهة نشاطه النبوي ومن أمثلة النص على اسم النبي وتحديد مكانه وزمانه ووجهة نشاطه مايلي :

- (أ) - « رؤيا إشعياء بن آموص التي رآها على يهود أورشليم في أيام عزريا ويوثان وآحاز وحزقيال ملوك يهود »<sup>(1)</sup> .
- (ب) - « كلام إرميا بن حلقيا من الكهنة الذين في عثاوث في أرض بنيامين الذي كانت كلمة الرب إليه في أيام يوشاين بن آمون ملك يهودا في السنة الثالثة عشرة من ملكه »<sup>(2)</sup> .
- (ج) - « كان في السنة الثلاثين في الشهر الرابع في الخامس من الشهر وأنا بين المسيبين عند نهر خابور أن السماوات انفتحت فرأيت رؤى الله، في الخامس من الشهر وهي السنة الخامسة من سي يوكاين الملك صار كلام الرب إلى حزقيال الكاهن ابن بوزي في أرض الكلدانيين »<sup>(3)</sup> .
- (د) - « قول الرب الذي صار إلى هوشع بن بئيري في أيام عزريا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهودا وفي أيام يربعام بن يوأش ملك إسرائيل »<sup>(4)</sup> .
- (هـ) - « كلمة الرب التي صارت إلى صفنيا بن كوشي بن جدليا بن أمويا بن حزقيا في أيام يوشيا بن آمون ملك يهودا »<sup>(5)</sup> .

ومما يلاحظ في سرد هذه النصوص وحتى التي لم نعرضها من بدايات أسفار الأنبياء التأكيد على الوصف التاريخي المحدد لشخصية النبي، ونسبه، وعمله، والزمن الذي ظهر فيه، مع ذكر أسماء الملوك الحاكمين والمكان الذي تربى وعاش فيه وتحديد الجهة أو الناحية التي شاهدت نشاطه النبوي وأهم، أمر في هذا الذكر والتحديد هو النص على اسم النبي، وتحديد نسبه للتأكيد على الصفة التاريخية والشخصية .

وقد يكون التركيز على الوصف التاريخي والشخصي للنبي عوامل أخرى، لعل من هذه العوامل أن أسفار الأنبياء وإن كانت موضوعاتها ومحاورها دينية غير أنها ردود فعل نبوية للأزمات التاريخية التي مر بها التاريخ الإسرائيلي القديم، ولهذا نجد أن الأنبياء اقتحموا الأحداث وكانت لهم بصمات وشواهد قوية

1 - سفر إشعياء 01 : 01 - 02 .

2 - سفر إرميا 01 : 01 - 04 .

3 - سفر حزقيال 01:01 - 03 .

4 - سفر هوشع 01 : 01 .

5 - سفر صفنيا 01 : 01 . لزيادة معرفة هذا الأمر، أنظر : بدايات أسفار ميخا ويوثيل ونحميا وغيرهم .

ومؤثرة على مسار الحركة التاريخية لبني إسرائيل، مما جعلهم يؤثرون بسلطتهم الدينية على ملوك وحكام زمانهم، وهذا الاندماج انعكس عليهم أحيانا إيجابا، وأحيانا أخرى سلبا على حياتهم ودعوتهم .

فالاتهام التاريخي الواضح للأنبياء في سائر أسفارهم أعطى للأنبياء صورة حقيقية واقعية في ذهن وفكر أقوامهم، مما جعل كتاباتهم تصبغ بصبغة واقعية استمدتها من الوقائع التاريخية في غلاف ديني، وبهذا العمل السردي للأحداث التاريخية ذي العلاقة النبوية، أصبحت الشخصية النبوية واضحة وحقيقية بحكم اندماجها في العمل السياسي وحتى العسكري لعصرها<sup>(1)</sup> .

والعامل الثاني الذي زاد من تبلور الشخصية التاريخية للأنبياء، أنهم ظهوروا في زمن اتجه فيه الفكر الديني الإسرائيلي من الانسلاخ والانفصال عن الفكر الديني الأسطوري، هذا الأخير تأثرت به الشخصية اليهودية لعدة فترات من التاريخ قبل ظهور الأنبياء، حيث كانت تلك أكثر تأثرا وأخذًا بحياة الشرق الأدنى القدم في عاداته الدينية ومعاملاته الاجتماعية والاقتصادية .

لهذا نجد أن الحديث عن الكنعانيين وعاداتهم ودياناتهم وكذلك عن المصريين والأكديين في التراث الديني الإسرائيلي السابق عن عصر الأنبياء كثير جدا .

والحديث عن أقوام الشرق الأدنى القدم وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم في العهد القدم يسوقنا إلى إظهار تأثيراته على بني إسرائيل .

ومن بين هذه التأثيرات تواجد عناصر أسطورية في بنية التراث الإسرائيلي وخاصة في التوراة وعلى التاريخ الإسرائيلي اللاحق على عصر القضاة .

وبسبب تأثير السمة الأسطورية، أن حدث تباين ظاهر في عرض التوراة للشخصيات الإسرائيلية المذكورة فيها - خاصة الآباء - وبين وصف أسفار الأنبياء لشخصيات الأنبياء أولا، وللأحداث التاريخية المذكورة في أسفار الأنبياء ثانيا، مما جعل الشخصيات النبوية أكثر بروزا كشخصيات تاريخية ذات مهام محددة في الزمان والمكان، كما أن طريقة أو أسلوب الكتابة التاريخية اتجه إلى الوصف التاريخي الواقعي على الرغم من الميل الواضح إلى التعليل الإلهي للأحداث الإنسانية وهذا أمر طبيعي في دعوة أي نبي حيث يتم فيها ربط الإرادة الإلهية في النهاية بالحدث التاريخي<sup>(2)</sup> .

1 - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ النبوة الإسرائيلية، (مراجع سابق)، ص 30 - 33 .

2 - المرجع نفسه، ص 34 .

أما شخصية محمد ﷺ، فهو أكثر الشخصيات الدينية وضوحا في وجودها وسيرتها، سواء في المصادر الإسلامية: كالقرآن والسنة وكتب السيرة أو حتى في المراجع غير الإسلامية، وهذا راجع إلى تأخرها في الظهور عن بقية الشخصيات النبوية وكذلك بسبب دقة تناولها في المصادر الإسلامية .

ولهذا لم يطرح على محمد ﷺ الإشكال التاريخي الذي اقترن ببعض الشخصيات الدينية التي سبقتها، فلم تكن سيرته الذاتية في خطوطها الكبرى محل اختلاف أو تشكيك من حيث النسب، أو مولده، أو نشأته، أو حياته، أو أعماله، أو وفاته، فنلك مراحل تاريخية في سيرته موثقة ومحددة الزمان والمكان .

وقد يكون الأمر الذي ساعد على تبلور الشخصية التاريخية للأنبياء، أنهم ظهروا في فترة من فترات التاريخ الديني شهدت تفسخا تدريجيا للفكر الديني التوحيدي عن الفكر الديني الوثني .

ويقول أحد الباحثين: « فاكساب الأنبياء للصفة التاريخية يسمح للباحث بالنظر إليهم مندمجين في أحداث عصورهم ومساهمين في تحديد مسار الحركة التاريخية لمجتمعاتهم، وهو ما أثر سلبا وإيجابا في حياتهم وفي تطور دعواتهم، وهذا الانخراط في العمل التاريخي أعطى صورة للأنبياء حقيقية وواقعية في ضمير معاصريهم وعقولهم »<sup>(1)</sup> .

### 3 - الذاتية :

وهي الصفة الذاتية أو الشعور الذاتي الذي يسيطر على النبي فيجعله يدرك أنه مدعوا من الله لأداء رسالته<sup>(2)</sup>، ومدفوع بقوة لا تقاوم وهو ما يشير إليه الأستاذ مالك بن نبي بقوله : « فمبدأ النبوة يعرض نفسه بفضله شاهده الوحيد النبي »<sup>(3)</sup> .

إذا لا يمكننا ملاحظة ظاهرة النبوة إلا من خلال شهادة النبي، أو في محتويات رسالته المتواترة المترلة، فالأمر يتعلق إذن بمشكلة نفسية من جهة وتاريخية من جهة أخرى .

وليس غريبا أو حدثا فردا أن يعث نبي، بل على العكس أن تلك الظاهرة - النبوة - مستمرة ومتكررة بانتظام بين قطبين من التاريخ، منذ إبراهيم عليه السلام إلى محمد ﷺ<sup>(4)</sup>، فهم جاؤوا يخاطبون الناس باسم (حقيقة مطلقة) يقولون أنهم يعرفونها معرفة شخصية، وخاصة بوسيلة سرية هي الوحي .

1 - أحمد المشرفي، النبوة في الأديان الكناية، (مرجع سابق)، ص 114.

2 - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ النبوة الإسرائيلية، ص 35.

3 - مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ط 04، ترجمة عبد الصبور شاهين، الجزائر، دار الفكر، 1987م، ص 87 .

4 - المرجع السابق والصفحة .



ويرى الأستاذ مالك بن نبي أنه من الواجب في المقام الأول أن نلجأ إلى شهادة النبي باعتبارها تجربة ذاتية لنثبت القيمة التاريخية للوقائع والأحداث<sup>(1)</sup>.

فإذا حصل أن وقعت نبوة في قوم يجب أن تعد أولاً سبباً يثير الاضطراب في ذات النبي ويدفعها دفعا لا سبيل إلى مقاومته نحو رسالة ما، فيوسف وإرميا وغيرهم أفراداً أرادوا أولاً التملص والهروب عن طواعية من دعوة النبوة إلا أنهم قاوموا، لكن دعوتهم بعد ذلك سيطرت عليهم فمقاومتهم تدل على التعارض بين اختيارهم واللزومية التي تطوق إرادتهم وتطغى على ذواتهم وهذه دلائل وبراهين وقرائن قوية عن وجود وحدوث حركة نبوية في واقع الأمة<sup>(2)</sup>.

ولكي تتضح الصورة النفسية التي عاشها الأنبياء في بدايات نبواتهم علينا أن نقدم نماذج من تجاربهم الذاتية لحظة "الاتصال" الإلهي بهم، ففي العهد القديم توجد عدة فقرات تصور لحظة المفاجأة التي عاشها الأنبياء وطريقة ردود أفعالهم المباشرة على ذلك الاتصال المفاجئ.

وهناك عدة تجارب من بينها تجربة موسى، وإرميا، وحزقيال :

- تجربة موسى: وإن كان موسى النبي لا ينتمي إلى عصر النبوة الكلاسيكية إلا أن تجربته تعد نموذجا لتجارب الأنبياء اللاحقين وأساسا دينيا للنبوة الإسرائيلية التي جعلت هدفها بعد ذلك إصلاح ديانة بني إسرائيل والعودة بها إلى النموذج الموسوي.

ويظهر عنصر المفاجأة في تجربة موسى لحظة الاتصال الأول بالوحي، وهي لحظة اختلطت فيها مشاعر الغرابة والخوف والرهبة والتردد، من شدة وقع المفاجأة على نفسه، وقد فضلنا في ذكر ملاحظات التجربة الموسوية مع الوحي في موضع سابق مما يدعوننا إلى عدم تكراره.

- تجربة إرميا: والنبي إرميا تتكرر معه بعض ملامح التجربة الموسوية فهو يفاجأ بكلمة الرب إذ يقول له الرب: « قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك نبيا للشعوب »<sup>(3)</sup>.

وهذا يعني أن الاصطفاء الإلهي لإرميا كني أمر مقدر له، لا مفر منه قدره المولى عز وجل له قبل ميلاده وما كان من إرميا أمام هذا الاصطفاء إلا أن يشعر بضالته، وأنه لا يستحقه، ويأتي رد فعل إرميا

1 - مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، (مراجع سابق)، ص 88.

2 - المرجع نفسه، ص 92.

3 - سفر إرميا 01 : 05.

تلقائيا ومعبرا في نفس الوقت عن شعور بالرهبة من جراء وقوع الاصطفاء الإلهي عليه، وقد يكون للمفاجأة أيضا دور في تنمية هذا الشعور بالخوف والرهبة فكان الرد التلقائي: «فقلت آه يا سيد الرب إني لا أعرف أن أتكلم لأني ولد»<sup>(1)</sup> .

وهذا الرد يذكرنا بتجربة موسى السابقة الذكر وهو يقول: «لست أنا صاحب كلام مند أمس ولا أول من أمس، ولا من حين كلمت عبدك بل أنا ثقيل الفم واللسان»<sup>(2)</sup> .

ويأتي الرد الإلهي المطمئن لإرميا متشابهًا مع الرد الإلهي المطمئن لموسى، ففي إرميا نقرأ: «فقال الرب لي: لا تقل إني ولد، لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب، وتكلم بكل ما أمرك به، لا تخف من وجوههم لأني أنا معك لأنتذك يقول الرب»<sup>(3)</sup> .

- تجربة حزقيال: ففي سفر حزقيال يأتي الوحي الإلهي أيضا في صورة مفاجئة، وعلى غير موعد: «كان في سنة الثلاثين في الشهر الرابع في الخامس وأنا بين المسبيين عند نهر خابور أن السماوات انفتحت فرأيت رؤى الله»<sup>(4)</sup> .

وكذلك: «في الخامس من الشهر وهي السنة الخامسة من سبي يوباكين الملك صار كلام الرب إلى حزقيال الكاهن ابن بوزي في أرض الكلدانيين عند نهر خابور وكانت عليه هناك يد الرب، فنظرت وإذا بريح عاصفة جاءت من الشمال....»<sup>(5)</sup>، وغيرها من الفقرات التي تعطي وصفا لتجربة حزقيال النبوية ولا تخفى فيها مشاعر حزقيال من رهبة وخوف .

كما نجد التجربة النبوية الذاتية في القرآن من ذلك ما عبرت عنه آية قرآنية عن الوضع النفسي لمحمد ﷺ قبل نبوته، جاء فيها قول الله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾<sup>(6)</sup> .

كما تجمع المصادر الإسلامية على الرواية المشهورة والتي وثقت بداية التجربة المحمدية مع النبوة حين فاجأه الوحي في غار حراء . وفي رواية أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة، جاء فيها : «أنها قالت

1 - سفر إرميا 01 : 06 .

2 - سفر الخروج 04 : 10 .

3 - سفر إرميا 01 : 07 - 08 .

4 - سفر حزقيال 01 : 01 .

5 - سفر حزقيال 01 : 02 - 04 .

6 - سورة القصص : 86 .

أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا وجاءت مثل فلق الصبح ثم حيب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن يستترع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود مثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاهه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني. فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد. ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة. ثم أرسلني. فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. فرجع بها الرسول ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها. قال: زملوني زملوني فرملته حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي .....» (1).

فهذه المشاعر النفسية التي استشعرها أنبياء الديانات السماوية تعتبر من المستجدات في التاريخ الديني العام، فلا يوجد ما يماثلها لدى الشخصيات الدينية القديمة، مما يعني أن الأديان السماوية قد تميزت في هذا الجانب بأسلوب لم يكن مألوفاً في الاتصال بين الآلهة والإنسان (عبر النبوة)، يختلف عن الأساليب الأخرى التي أفرزتها موسوعات دينية قديمة (مثل الكهانة، والعرافة، والسحر، والتنجيم) (2).

وبهذا أصبحت عملية اتصال الإنسان بالله هي الأساس والقاعدة في تعريف الإنسان بما تريده الذات الإلهية، وهذا لم تكن دعوات الأنبياء ورسالاتهم مستمدة من رغباتهم الشخصية ولا تعبيراً عن مصالحهم الذاتية، وقد تكون عملية الاتصال هذه هي التي ولدت مشاعر التردد والرغبة في نفوس الأنبياء دون استثناء، وهذه المشاعر لم تكن معروفة في تجارب الشخصيات الدينية القديمة - الشرق الأدنى - لأن شخصيات تلك المرحلة تعتبر عملية الاتصال بالغيب وظيفية دينية بحتة (كالكاهن والعراف والعياف)، حيث تكون الشخصية الدينية هي المبادرة والراغبة في الاتصال، وكانت هذه الرغبة تستدعي للاتصال إعداداً واستعداداً، مما يجعل عنصر المفاجآت أو المباغته بعيداً عنها كلياً، خلافاً للنبي إذ يكون هو المستهدف بالمبادرة الإلهية من حيث لا يلدرى مما تحدث فيه مشاعر التردد والإرباك.

#### 4 - المعاناة الشخصية :

المعاناة صفة أساسية في أي نبي أرسل إلى جماعة سوى لبني إسرائيل أو غيرهم، وهناك أسباب متعددة

1 - رواه البخاري، من كتاب بدء الوحي .

2 - أحمد المشرقي، النبوة في الأديان الكبار، ص 117 .

هذه المعاناة منها ما يتعلق بطبيعة العلاقة بين النبي وربه ومنها ما يتعلق بطبيعة العلاقة بين النبي وجماعته، وموقف هذه الجماعة من دعوته ومن الرسالة التي أتى بها، ومنها أيضا ما يتعلق بطبيعة العلاقة بين النبوة من جهة وبقية المؤسسات الدينية والسياسية .

نبدأ أولا بالمعاناة في علاقة النبي مع ربه ولعل أهم مصدر للمعاناة الشخصية للتجربة النبوية تظهر في طبيعة العلاقة الرابطة بين الله والنبي، فهي ليست علاقة عادية بين طرفين إنما علاقة خاصة، فالنبي فيها ليس له إرادة حرة مستقلة مثلما يحدث في العلاقات العادية .

فالنبي إنسان دائما في حالة انتظار للاتصال الإلهي به، وهو يجهل تماما زمان ومكان هذا الاتصال المرتقب ولا يعلم متى وأين سيحدث هذا الاتصال وبأي طريقة يكون في حلم، أو رؤيا، أو خلاف ذلك، من سبل الاتصال الإلهي بالنبي، فهذا الترقب والتوقع للاتصال الإلهي يزيد من درجة المعاناة الشخصية للنبي، لأن حالة الترقب هذه تشير إلى الرغبة الكامنة والمسيطر على وجدان النبي في تمام الاتصال الإلهي: كونه اتصالا غير محدد ولا منتظم لأنه تحت الإرادة الإلهية في الوقت الذي تريده وفي المكان الذي ترغبه<sup>(1)</sup> .

ولنا نموذج وهو إرميا ليكشف لنا عن درجة المعاناة فهي تعبير واضح عما يعانيه النبي عندما ينتظر الاتصال الإلهي به، خاصة إذا كان هذا الاتصال في ظل ضغوط تمارس عليه من جانب قومه وأعدائه فإنما يكشف لنا هذه الحالة بقوله : « هاهم يقولون لي أين هي كلمة الرب لتأت أما أنا فلم أعتزل عن أن أكون راعيا وراعا ولا اشتيت يوم البلية أنت تعرف ما خرج من شفتي كان مقابل وجهك لا تكن لي رعبا أنت ملجأ في يوم الشر .. ليرتعبوا هم ولا أرتعب أنا اجلب عليهم الشر واسحقهم سحقا مضاعفا »<sup>(2)</sup>، وفي حوار داخلي مع الرب يعبر إرميا عن معاناته الذاتية بقوله : « قد أقنعتني يا رب فاقنعت وألححت علي فغلبت »<sup>(3)</sup>، ثم يبين إرميا علاقة التشابك والتداخل فيما بينه وبين ربه وبينه وبين قومه « صرت للضحك كل النهار كل واحد استهزأ بي لأني كلما تكلمت صرخت ناديت ظلم واغتصاب لأن كلمة الرب صارت لي للعار وللسخرة كل النهار فقلت لا أذكره ولا أنطق بعد باسمه فكان في قلبي كنار محروقة محصورة بين عظامي فمللت من الإمساك ولم أستطع »<sup>(4)</sup> . فالسخرية وغيرها من الاستهزاء كادت أن تقطع العلاقة وفي

1 - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ النبوة الإسرائيلية، (مرجع سابق)، ص 45 .

2 - سفر إرميا 17 : 15-18 .

3 - سفر إرميا 20 : 07 .

4 - سفر إرميا 20 : 07 - 09 .

مراثي إرميا، نجد كذلك صورة مباشرة لإرميا فيها كثير من المشاعر التي تتاب النبي من خوف ومذلة وقلق الظلام ولا نور، حيث يقول: «أبلي لحمي وجلدي، كسر عظامي، بني عليّ وأحاطني بعلقم ومشقة أسكنني في ظلمات كموتى القدم، سيح عليّ فلا أستطيع الخروج، ثقل سلسلتي، أيضا حين أصرخ وأستغيث بصد صلاتي، سيح طرفي بحجارة منحوتة، قلب سبلي، هو لي دب كامن، أسد في مخابي، ميل طوقي ومزقني جعلني خرابا . وقد أبعدت عن السلام نفسي، نسيت الخير، وقلت بادت تقني ورجائي من الرب ذكر مذلتني وتيهاني . أردد هذا في قلبي. من أجل ذلك أرجو»<sup>(1)</sup> .

وقد تكون هذه ذروة المعاناة في علاقة النبي بربه، حيث ظن إرميا أن العناية الإلهية قد تخلت عنه، وأن استغاثته، حين تصد صلاته، وتنتهي ثقته في إله وينتهي رجاءه في الرب، وهو ينتظر في مشقة ومعاناة . كما تتجدد المعاناة مع حزقيال عند الاتصال الإلهي فينتج التغير المفاجئ على شخص النبي بسبب الروح التي دخلت في النبي، مما جعلته يتحرك قائلا: «هذا منظر شبه مجد الرب ولما رأته خرت على وجهي وسمعت صوت متكلم»<sup>(2)</sup> . «كل الكلام الذي أكلمك به أوعه في قلبك وأسمعه بأذنيك. ثم حملني روح فسمعت خلفي صوت رعد عظيم مبارك مجد الرب من مكانه. فحملني الروح وأخذني فذهبت مرا في حرارة روحي ويد الرب كانت شديدة علي...»<sup>(3)</sup> .

والأمثلة كثيرة التي تبين صفة المعاناة للنبي مع الرب وهذا أمر حصل لسائر الأنبياء، دون استثناء . أما معاناة نبي الإسلام فتختلف عن معاناة أنبياء بني إسرائيل لأن معاناته حصلت بسبب بداية الوحي عليه، وكانت أول البداية لما جاءه الوحي إلى الغار وهو يتعبد هناك فخاف من جبريل لأنه رآه لأول مرة، ولم يكن يتوقع أن يحصل له هذا الأمر وهو بعيد عن البيت ففي رواية للبخاري وهي طويلة «.... فجاءه الملك فقال اقرأ . قلت ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني. فقال: اقرأ . قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني. فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾<sup>(4)</sup> . فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال:

- 1 - سفر مراثي إرميا 03 : 04 - 21 .
- 2 - سفر حزقيال 01 : 28 .
- 3 - سفر حزقيال 03 : 10 - 14 .
- 4 - سورة العلق : 01 - 03 .

« زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروح ..... »<sup>(1)</sup> .

وعلى الرغم من طمأنة خديجة - زوجته - له بأن أخذته على ورقة بن نوفل يشرح له ما رأى، لأنه كان رجلاً مثقفاً في مجتمعه وعليم بالإنجيل قائلًا له في حديث صحيح رواه مسلم : «.... هذا الناموس الذي أنزل على موسى ﷺ، يا ليتني فيها جذعا يا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك، قال رسول الله ﷺ : أو مخرجي هم، قال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً»<sup>(2)</sup> .

بقي القلق ينتاب محمد ﷺ، إلا أنه قلق شوق إلى رؤية جبريل ولمعرفة الرسالة الثقيلة التي سيحملها لأمته، وخاصة بعدما فتر الوحي بعد اللقاء الأول في غار حراء، فازداد حزنه، ففي الصحيحين : «... بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فوعيت منه فرجعت فقلت: زملوني فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾<sup>(3)</sup> إلى قوله ﴿فَاهْجُرْ﴾<sup>(4)</sup> . ثم حمى الوحي وتتابع ... »<sup>(5)</sup> .

ويذكر ابن إسحاق « أنه لما فتر الوحي على النبي ﷺ، أنزل الله عليه سورة الضحى ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾<sup>(6)</sup> . وهي سورة تطمين وتسلية وترويح، وقد عبر عنها المرحوم سيد قطب : « هذه السورة بموضوعها، وتعبيرها ومشاهدها وضلالها وإيقاعها، لمسة من حنان ونسمة من رحمة وطاقف ود، ويد عانية تمسح على الآلام والمواجع، وتمسم بالروح والرضى والأمل وتسكب البرد والطمأنينة واليقين»<sup>(7)</sup> .

مما جعل الرسول ﷺ بعد ذلك يذكر للناس الذين آمنوا أنعم الله به عليه وعلى العباد، به من النبوة سرا إلى من يطمئن إليه من أهله " أقاربه وعشيرته".

والمعاناة الثانية التي تعترضه هي مع قومه، فلم يستثن نبي من أنبياء بني إسرائيل من هذه المعاناة ومعروف

1 - رواه البخاري، كتاب بدء الوحي.. وينظر أيضا : سورة ابن هشام، ج01، ص255 .

2 - رواه مسلم، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، من كتاب الإيمان .

3 - سورة المدثر : 01 - 02 .

4 - سورة المدثر : 05 .

5 - رواه البخاري، سورة المدثر ، من كتاب التفسير .

6 - سورة الضحى : 02 - 03 .

7 - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج06، ص3925 .

من البداية أن رفض الدعوة النبوية رد فعل مباشر من القوم أتجاه النبي المرسل وهذا الرفض هو بداية المعاناة الحقيقية بين النبي وقومه، كلما اشتدت درجة الرفض والجدل دون الوصول إلى الإقرار بطبيعة الدعوة النبوية، وكلما زادت درجة المعاناة لدى النبي، وهي معاناة روحية ونفسية في المقام الأول، وأحيانا يتعرض النبي لأطياف من التعذيب والاضطهاد الجسدي والمعنوي فتصل المعاناة إلى أقصى درجاتها حين تتشابك المعاناة الروحية بالمعاناة الجسدية فتنتهي أحيانا بالقتل أو الهروب<sup>(1)</sup>.

وقد يكون التوتر الحاصل بين النبي وقومه هو انحرافهم وبعدهم عن العهد المقطوع بينهم وبين ربه وعدم المحافظة على الشرائع والوصايا والانخراط في الوثنية الأجنبية ولنا في ذلك عدة أمثلة منها:

- حالة إشعياء في رؤياه التي رآها على يهودا وأورشليم « اسمعي أيتها السماوات أصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلم، ربيت بنين ونشأتهم، أما هم فعصوا علي، الثور يعرف قانيه، والحمار معلف صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرف شعبي لا يفهم ويل للأمة الخاطئة الشعب الثقيل الإثم نسل فاعلي الشر أولاد مفسدين تركوا الرب استهانوا بقدوس إسرائيل ارتدوا إلى الورا»<sup>(2)</sup>.

وأما في موضع آخر لإرميا فيدعو عليهم بالشر لأنهم تركوا الرب وعبدوا آلهة وثنية « وأقيموا دعواي على كل شرهم لأنهم تركوني، وبخروا لآلهة أخرى وسجدوا لأعمال أيديهم»<sup>(3)</sup>. وأيضا « أتسرقون وتقتلون وتزنون، وتحلفون كذبا وتبخرون للبعل، وتسرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها ثم تأتون وتقفون أمامي في هذا البيت الذي دعي باسمي عليه وتقولون قد أنقذنا، حتى تعملوا كل هذه الرجاسات، هل صار هذا البيت الذي دعا باسمي عليه مغارة لصوص في أعينكم»<sup>(4)</sup>.

وفي موضع آخر نجد إرميا ترفض دعوته وتقابل جهوده الإصلاحية بالتمسك بكل ما هو منهى عنه مما جعله يعبر عن تعاسته ومعاناته بسبب المكابرة والجفوة التي يقابل بها قومه جهوده الإصلاحية والتفكير بقتله لكي لا يذكر اسمه بعد ذلك بقوله: « والرب عرفني، فعرفت حينئذ، أريتي أفعالهم وأنا كخروف داخن، يساق إلى الذبح ولم أعلم أنهم فكروا علي أفكارا قائلين لنهلك الشجرة بثمرها ونقطعه من أرض

1 - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ النبوة الإسرائيلية، (مراجع سابق)، ص 49.

2 - سفر إشعياء 01 : 02 - 04.

3 - سفر إرميا 01 : 16.

4 - سفر إرميا 07 : 09 - 11.

وأمام هذه التهديدات بحياته لا يجد إرميا ملاذاً سوى في طلب الانتقام الإلهي « فيا رب الجنود القاضي العدل فاحص الكلبي والقلب دعني أرى انتقامك منهم لأني لك كشفت دعواي. لذلك هكذا قال رب الجنود ها أنذا أعاقبهم يموت الشبان بالسيف ويموت بنوهم وبناتهم بالجوع ولا تكون لهم بقية لأني أجلب شراً على أهل عناثوث سنة عقابهم»<sup>(2)</sup>.

إن استمرار اضطهاد إرميا من طرف قومه أدى إلى حدوث حوار هادئ بينه وبين ربه فترتفع طبيعته الجدلية كما لا تلقى استغاثة النبي استجابة سريعة مباشرة من الرب ولهذا نجد إرميا يكتبوي بنارين نار الاضطهاد من قومه ونار انتظار الرد الإلهي على هذا الاضطهاد بوقوع الانتقام الإلهي بمضطهدي النبي وإذا ما تأخر الانتقام الإلهي ثارت تساؤلات النبي المعبرة عن قلقه وحيوته وشدة معاناته ولهذا نجده يقول: « أنت يارب عرفت رأيتني واختبرت قلبي من جهتك. افرزهم كغنم للذبح وخصصهم ليوم القتل حتى متى تنوح الأرض وييس عشب كل الحقل. من شرّ الساكنين فيها فبيت البهائم والطيور لأنهم قالوا لا يرى آخرتنا قد تركت بيتي رفضت ميراثي دفعت حبيبة نفسي ليد أعدائها. صار لي ميراثي كسند في الوعر»<sup>(3)</sup>، كما يعبر إرميا عن رغبته واعتزازه عن بني قومه بسبب الدعوة التي كلف بها قائلاً: «لم اجلس في محفل المازحين مبتهجا من أجل يدك جلست وحدي لأنك قد ملأتني غضبا، لماذا كان وجعي دائما وجرحي علم الشفاء يأبي أن يشفي، أتكون لي مثل كاذب مثل مياه غير دائمة»<sup>(4)</sup>.

كما أن هناك اتجاه آخر جلب المعاناة للنبي وهي المؤسسة السياسية، حيث اتخذت موقفا عدائيا للنبوة والأنبياء، وهذا العداء يرجع إلى طبيعة النبوة وأهدافها الاصطلاحية التي تشمل جميع المؤسسات، من بينها المؤسسة السياسية.

وكذلك الأمر بالنسبة لنبي الإسلام محمد ﷺ، حيث عانى من جراء دعوته الولايات من قومه منذ أن جهر بدعوته، ولاقى في طريقها الأذى والسب والشتم والإهانة سواء من أقاربه: كعمه أبي لهب حينما جمع قريش ودعاهم في أول لقاء بهم - على الصفا - إلى التوحيد وعبادة الخالق عز وجل، قائلاً له: « تبا لسك

1 - سفر إرميا 11: 18 - 19 .

2 - سفر إرميا 11: 20 - 23 .

3 - سفر إرميا 12: 03 - 08 .

4 - سفر إرميا 15: 17 - 18 .



سائر اليوم! لهذا جمعنا»<sup>(1)</sup>. ومن زوجة عمه، مما أنزل الله في حقهما سورة المسد، تتوعد أبي لهب بالعذاب الأليم يوم الآخر .

وتواصل المعاناة بعد ذلك من سائر قريش وخاصة أشرفهم، حيث كلما رأوه لوحده بجانب الكعبة أو سائر في طريق إلا واستهزأوا به. وهنا لنا رواية عن البخاري، أن عروة بن الزبير قال: سألت ابن عمرو بن العاص. أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ، قال : بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط. فوضع ثوبه في عنقه، فحققه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ قال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله»<sup>(2)</sup>.

وفي رواية أخرى للبخاري، عن عبد الله بن مسعود قال: بينما النبي ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش، جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور فقفده على ظهر النبي ﷺ فلم يرفع رأسه، فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره، ودعت على من صنع، فقال النبي ﷺ « اللهم عليك الملائم من قريش، أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، أمية بن خلف أو أبي بن خلف، شعبة الشاك ».<sup>(3)</sup>

ودعا النبي ﷺ عليهم بالهلاك نظرا لشدة معاناته معهم، وكأنه رأى أنهم لا فائدة مرجوة من بقائهم، لأنهم أضروا بالدعوة كثيرا، على الرغم من سعة صدر النبي ﷺ وتحمله الشدائد في سبيل دعوته، ولهذا فقد استجاب الله له، فهلكوا جميعا. فقال عبد الله : « فرأيتهم قتلوا يوم بدر. فألقوا في بئر غير أمية، أو أبي تقطعت أوصاله، فلم يلتق في البئر »<sup>(4)</sup>.

ومعاناة النبي ﷺ لم يكن يشعر بها من نفسه. بل لما وجد أصحابه يعانون الويلات من شدة الأذى والتعذيب والقتل، فكان النبي ﷺ يتألم، ولهذا كانوا يسألونه أن يجعل الله لهم مخرجا، وكان النبي ﷺ يحثهم على الصبر ويضرب لهم بأمثلة من الذين سبقوهم من المؤمنين، لأن طريق الدعوة إلى الله والإيمان بإله واحد يقتضي تحمل المشاق والمخاطر ولهذا يروي البخاري. يقول : « حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا يمان وإسماعيل. قالوا: سمعنا، قيسا يقول : سمعت خبابا، يقول آتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة. فقلت : ألا تدعو الله. فقعد وهو محمر وجهه. فقال : « لقد كان من قبلكم

1 - رواه البخاري، باب وانفر عشيرتك الأقرين. وباب ذكر شرار الموتى. وباب تفسير سورة: المسد .

2 - رواه البخاري، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة .

3 - رواه البخاري، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة . وابن كثير، السيرة النبوية، ج1، ص468.

4 - رواه البخاري، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة .

ليمشط بمشاط الحديد، مادون عظامه من لحم . أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على فرق رأسه. فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه...» (1).

وكانت معاناة النبي ﷺ تزداد بمرور الأيام. كلما ازداد عدد المنتسبين للدعوة فتتخذ قريش أساليب أخرى عليها تشي محمد عن الطريق الذي انتهجه في حياته. ومن تلك الوسائل مقاطعة قريش لكل من له صلة بمحمد سواء من مؤمنين أو مشركين وقفوا معهم .

وقد تكالبت قريش على محمد أكثر لما توفي عمه وزوجته فحاصرتة. بحيث لم يجد الرسول ﷺ ملجأ إلا الخروج من مكة إلى بلاد أخرى، ووجه وجهته إلى الطائف. وليس ذلك هروبا بنفسه وإنما أراد أن يجد منفذا آخر للدعوة، وأن مكة أصبحت غير صالحة لاستمرار الدعوة فيها إلا أنه أودى كذلك في الطائف، فخرج منها وهو في حال ضعف، وواقع الحال أن حياة النبي ﷺ كانت كلها معاناة، من بداية الجهر بالدعوة إلى غاية غزواته لصد الهجمات على الدعوة والمسلمين. وهذا طريق المصلحين فهو محفوف بالمكاره. وهي سنة الله في الأنبياء والرسل. ولن تجد لسنة الله تبديلا لمن ارتضى هذا المنهج .

وقد أدت عملية الإصلاح إلى وضع العقبات الكثيرة نظرا لتعارض الأهداف الإصلاحية النبوية مع أهداف المؤسسة السياسية، مما نتج عنه ممارسة أنواع من الضغوط وأشكال الاضطهاد لإثناء الأنبياء ومنعهم من القيام بوظائفهم النبوية، وقد أدى هذا الأمر في النهاية إلى زيادة الشعور بالإحباط لدى الأنبياء مما زاد من معاناتهم وآلامهم، خاصة وأن هذه المؤسسات السياسية وحتى الدينية تمثل مراكز القوى في الحياة السياسية والدينية لبني إسرائيل، من هنا كان اضطهاد تلك المؤسسات للأنبياء شديدا وأعظم قوة (2).

والمؤسسات الدينية في بني إسرائيل تنحصر في طبقة الأنبياء الكذبة وغيرها « حيث لم يكن هناك سلوك معين يميز الأنبياء الحقيقيين عن الأنبياء الكذبة، كما أنه لا توجد مؤسسة دينية ينتمي إليها الأنبياء الكذبة حتى يمكن التفرقة بينهما ولعللى الخطر الرئيسي الذي واجه الأنبياء الحقيقيين بسبب ظهور مدعي النبوة هو إثارة الشكوك حول مصداقية الأنبياء الحقيقيين اللذين كان عليهم أن يثبتوا صدق دعواهم، أو بمعنى آخر أن يثبتوا أنهم ليسوا أنبياء كذبة، وقد كلف هذا الأمر الأنبياء الحقيقيين جهدا ضخما وعملا شاقا ومتواصلا، خاصة وأن الانتماء إلى مؤسسة دينية معينة لم يكن عاملا حاسما في معرفة النبي الحقيقي من النبي الكاذب،

1 - رواه البخاري، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة .

2 - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ النبوة الإسرائيلية، ص 52-53 .

بل على العكس فربما كان الارتباط بالمعبد أو البلاط مصدر خطر على النبي الحقيقي، ولهذا فقد كان العامل الأساسي للفرقة بين الفريقين من الأنبياء يتحدد من خلال علاقة النبي بالإله "يهوه" <sup>(1)</sup> .

ولنا عدة نصوص من العهد القديم تبين معاناة النبي الحقيقي أمام فساد النبي الكاذب، وسوء أخلاقهم فالنبي إرميا يتحدث عنهم، « في الأنبياء انسحق قلبي في وسطي أرثت كل عظامي، صرت كإنسان سكران ومثل رجل غلبته الخمر من أجل الرب ومن أجل كلام قدسه، لأن الأرض امتلأت من الفاسقين . لأنه من أجل اللعن ناحت الأرض جفت مراعي البرية وصار سعيهم للشر وجبروتهم للباطل، لأن الأنبياء والكهنة تنجسوا جميعا بل في بيتي وجدت شرهم يقول الرب. لذلك يكون طريقهم لهم كمزالت في ظلام دامس فيطردون ويستقنون فيها لأني أجلب عليهم شرا سنة عقابهم يقول الرب. وقد رأيت في أنبياء السامرة حماقة، تنبأوا بالبعل وأظلموا شعبي إسرائيل. وفي أنبياء أورشليم رأيت ما يقشعر منه. يفسقون ويسلكون بالكذب ويشددون أيادي فاعلي الشر حتى لا يرجعوا الواحد عن شره. صاروا لي كلهم كسدوم وسكاها كعمورة . لذلك هكذا قال رب الجنود عن الأنبياء، هأنذا أطعمهم أفتستينا وأسقيهم ماء العلقم لأنه من عند أنبياء أورشليم خرج نفاق في كل الأرض » <sup>(2)</sup>، ويكمل إرميا حديثه قائلا بلسان الرب: « لم أرسل الأنبياء بل هم جروا، لم أتكلم معهم بل هم تنبأوا باسمي بالكذب قائلين: حلمت حلمت . هم أنبياء خداع قلبهم. النبي الذي معه حلم فليقص حلما والذي معه كلمتي فليتكلم بكلمتي بالحق . لذلك هأنذا على الأنبياء يقول الرب الذين يسرقون كلمتي بعضهم من بعض . وأنا لم أرسلهم ولا أمرهم » <sup>(3)</sup> .

وإلى جانب معاناة إرميا يعطينا سفر ميخا إشارات عن المعاناة التي وجدها ميخا في طريقه، من الأنبياء الكذبة « هكذا قال الرب على الأنبياء الذين يضلون شعبي الذين ينهشون بأسناهم، وينادون سلام، والذي لا يجعل في أفواههم شيئا يفتحون عليه حربا.. لذلك تكون لكم ليلة بلا رؤيا. ظلام لكم بدون عرافة وتغيب الشمس عن الأنبياء ويظلم عليهم النهار فيخزي الراؤون ويحجل العرافون . لأنه ليس جواب من الله » <sup>(4)</sup> .

يتبين من الشهادات السابقة من إرميا وميخا أن جماعات الأنبياء العاملين في خدمة الحكام أو في المعبد

1 - محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ النبوة الإسرائيلية، (مرجع سابق)، ص 59 .

2 - سفر إرميا 23 : 09 - 15 .

3 - سفر إرميا 23 : 21 - 32 .

4 - سفر ميخا 03 : 05 - 07 .

قد كونوا قوة هائلة في وجه الأنبياء مكنتهم من اضطهاد هؤلاء الأنبياء وتحريض الشعب ضدهم، وإثارة الحكام عليهم بل والتشكيك في نبوتهم، وقد زاد هذا من معاناة الأنبياء الحقيقيين الذين كان عليهم أن يدافعوا عن أنفسهم وعن رسالتهم، بتقلم الحجج والبراهين على صدق دعواهم، على كذب وافتراء الأنبياء المحترفين .

كما عانى النبي ﷺ في دعوته بالذين ادعوا النبوة كذبا، وذلك بعد ما أقام دولة في المدينة وأصبحت للنبي ﷺ شوكة وشرفا بين أتباعه وهيبة لم تكن لغيره، فأغرت هذه الحال بعض الرجال ممن أرادوا الدنيا والشرف والعظمة بين أقوامهم، فكان منهم مسيلمة الكذاب، وهناك أحاديث كثيرة تنقل لنا أخبار وانشغال النبي ﷺ بالمراكز التي ظهر فيها أدعاء النبوة في وقت مبكر، وقد ذكرنا طرفا من الأحاديث في الفصل الثالث كما ذكرنا الأنبياء الكذبة .

ومسيلمة متبئ اليمامة و مترجم ثورة بني حنيفة على المدينة المنورة، فقد كان يسمى "الرحمان" وقد زعمت قريشا في وقت من الأوقات أن محمد ﷺ إنما كان يعلمه هذا "الرحمان"<sup>(1)</sup> .

ويظهر أن مسيلمة ادعى النبوة قبل مرض النبي ﷺ، إذ تذكر المصادر أنه قدم في وفد بني حنيفة إلى المدينة (عام الوفود) وهو يزعم أن النبي سيقاسمه أو يجعل له الأمر من بعده . ففي البخاري عن ابن عباس قال : « قدم مسيلمة الكذاب على رسول الله ﷺ، فجعل يقول : إن جعل لي محمدا الأمر من بعده تبعته، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ... وفي يده قطعة حديد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه . (وفي رواية أخرى بادره مسيلمة بالكلام فقال: « وإن شئت خلعت بيننا وبين الأمر ثم جعلته لنا . فقال النبي ﷺ : لو سألتني هذه القضية ما أعطيتك وإني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت....» .<sup>(2)</sup> وهو يشير إلى مارآه في المنام .

ويذكر ابن كثير أن مسيلمة بن حبيب « كتب إلى رسول الله ﷺ : » من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله السلام عليك: أما بعد فإنني قد أشركت في الأمر معك، فإن لنا نصف الأمر ولقريش نصف الأمر، ولكن قريش قوم يعتلون . فقلما عليه رسولان بهذا الكتاب، فكتب إليه رسول الله ﷺ « بسم الله الرحمان الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من أتبع الهدى، أما بعد: فإن الأرض

1 - ابن كثير، السورة النبوية، (مرجع سابق)، ج 04، ص 95 .

2 - رواه البخاري، وفد بني حنيفة .

لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» (1).

ومن هنا تظهر انتهازية مسيلمة وأنه لم يكن يحمل مشروع نبوي حقيقي، وإن كل ما كان يريد هـ ملك نصف الأرض أي شرق الجزيرة بلاد اليمامة والبحرين .

ويظهر أنه أراد أن يجذب الناس إليه بالتخفيف عليهم من الواجبات الدينية. وتذكر المصادر أنه أتاح لقومه الخمر و الزنى ووضع عنهم الصلاة، وكان يسجع ويقول أنها قرآن يزل عليه :» لقد أنعم الله على الجبلى، أخرج منهما نسمة تسعى، من بين صفاق وحشا» (2). وتوالت حركة ادعاء النبوة من سحاح التميمية، وطليحة الأموي، والأسود الغنسي، وذى التاج ( بعمان ) .

والأمر الذي تأخذه من حالات ادعاء النبوة في زمن النبي ﷺ، أن الغرض منها هو طلب الشرف والملك والنفوذ؛ حيث انفتحت نفوسهم لما رأوه من جلاله قدرالني عند قومه وكيف صار الناس في طاعته في مشارق الأرض ومغارها، فأرادوا أن ينالوا مما وصل إليه محمد ﷺ .

وقد حارهم محمد ﷺ لما رأى في ادعائهم خطر على الإسلام والمسلمين . وخاصة أن الناس مازالوا في بداية إسلامهم وكثير منهم لم يفقه عقيدة الإسلام، وهذا جانب كبير من المعاناة التي لقيها النبي ﷺ في طريق دعوته.

## 5 - البشرية :

الأنبياء كلهم من طينة واحدة وهي طينة الآدمية، فهم يتسبون لآدم خلقا. وفي جميع الشرائع السماوية ومصادرها أن الأنبياء على الرغم من بشرتهم إلا أن لهم منزلة خاصة عند أقوامهم .

فموسى ﷺ - مثلا - في المصادر اليهودية، له منزلة رفيعة تفوق منزلة سائر أنبياء بني إسرائيل، بل هو أفضلهم، ولهذا تحكي التوراة « ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه» (3). وكذلك « فزل الرب في عمود سحب ووقف في باب الخيمة ودعا هارون ومريم فخرج كلاهما فقال: اسمعا كلامي إن كان منكم نبي للرب بالرؤيا أستعلن له، في الحلم أكلمه، وأما عبيدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي فما إلى فم وعيانا أتكلم معه لا بالألغاز وشبه الرب يعاين» (4).

1 - ابن كثير، السيرة النبوية، (مرجع سابق)، ج04، ص98 .

2 - المرجع نفسه والجزء، ص97 .

3 - سفر التثنية 34 : 10 .

4 - سفر العدد 12 : 05 - 08 .

وبعده موسى بن ميمون " أمير الأنبياء " لأنه أولهم وصاحب شريعة ومنقذ بني إسرائيل من فرعون<sup>(1)</sup> .  
وكذلك الأمر عند سيدنا محمدﷺ، فهو بشر وقد أثبت له القرآن بشريته على لسانه في قوله تعالى :  
﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ﴾<sup>(2)</sup> وبشرية الأنبياء ثابتة في القرآن من خلال  
قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾<sup>(3)</sup> أيضا ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى  
اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّعَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ  
أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَنَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ، قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ  
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾<sup>(4)</sup>. وأيضا ﴿ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا  
رُّسُولًا ﴾<sup>(5)</sup> . وقوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مِثْلَ بَنِيِّ إِسْرَائِيلَ ﴾<sup>(6)</sup> . وأيضا: ﴿ وَمَا  
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَىٰ ﴾<sup>(7)</sup> .

ثانيا - ارتقاء النبوات :

إن الوحي الإلهي لم يظهر في التاريخ الإنساني مرة واحدة بل تعدد، ولهذا لم توجد نبوة واحدة، بل  
وجدت عدة نبوات منذ أول الأنبياء آدمﷺ، حتى آخرهم محمدﷺ، بل حتى الشرائع تعددت، وكلما  
جاءت أخرى غيرت من سابقتها، بل في الشريعة الواحدة يحصل فيها تبديل إلا أنه بوحى من الذي أنزلها  
على عبده المصطفى من بين عباده .

ونسمي هذه العملية بـ "النسخ" ولا يقتصر النسخ على تبديل حكم بحكم أو آية بآية بل يتعداه من  
وحي إلى وحي، وظهور نبوة بعد نبوة، بل إن النسخ عملية أوسع، فهو تحول من مرحلة إلى أخرى وهو  
الذي يسمى "بالنسخ العام" كنسخ المسيحية لليهودية والإسلام للمسيحية، وعادة أن النسخ يكون في  
الشرائع والقوانين والأحكام العملية، وهذه المجموعة تسمى "بالتغيرات" . ولا يكون النسخ في العقائد،  
ولهذا فكل نبي جاء بمثل الذي سبقه في الأحكام النظرية، ولهذا سميت "بالتوابت" .

1 - Moïse Maïmonide, le livre de connaissance, P88 .

2 - سورة يونس : 02 .

3 - سورة يوسف : 109 .

4 - سورة إبراهيم : 13 - 14 .

5 - سورة الإسراء : 93 .

6 - سورة الزخرف : 59 .

7 - سورة الأنبياء : 07 .

والنسخ لا يعني إبطال وإسقاط وإزالة، بل يعني تقدم وتطور وتكيف الشريعة طبقا لدرجة ترقى الفكر البشري وانسجامها مع واقع الحياة اليومية المتجددة<sup>(1)</sup>.

إذا فما هو مفهوم النسخ؟ فعند عبد القاهر البغدادي بأنه « بيان انتهاء مدة العبادة »<sup>(2)</sup> وهذا المفهوم يظهر منه أنه جزئي، أي غير شامل ولا يدخل ضمنه أي حكم من الأحكام النظرية والعقلية الأخرى، والنسخ لا يقتصر على جانب العبادات والأحكام العملية بصفة خاصة، بل هو حكم مطلق يدخل في كثير من القضايا العقلية والنقلية .

أما الجويني فيورد تعريفا أكثر شمولاً من سبقه فهو « الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بخطاب آخر، على وجه لولاه لا استمر الحكم المنسوخ، ومن ضرورة ثبوت النسخ على التحقيق رفع حكم بعد ثبوته »<sup>(3)</sup>.

وقد اختلف الناس في حكم النسخ فمنهم من أنكروه ومنهم من أجازه، ومن الذين أنكروه اليهود، وهم يزعمون أن الأمر - الحكم - إذا ورد مطلقاً لا يجوز ورود نسخ حكمه بعده، وهذا الرأي المتشدد منهم هو التهرب من الإيمان برسالة محمد ﷺ، وأنها ليست ناسخة لشريعة موسى وعيسى ﷺ، وإذا كان البعض منهم أجاز النسخ من جهة العقل وليس من جهة السمع (العقل)، وبهذا فشريعة موسى غير منسوخة لا بشريعة عيسى ولا بشريعة محمد عليهما الصلاة والسلام، لأن موسى في نظرهم أمرهم بالتمسك بالتوراة إلى الأبد<sup>(4)</sup>.

وإثبات اليهود للنسخ رأوا فيه ضرر عليهم من ناحيتين :

- من ناحية نسخ المسيحية لليهودية .

- ومن ناحية أخرى نسخ الإسلام للمسيحية

ولهذا كان إثبات النسخ في رأيهم موجهاً أساساً ضد اليهود. وقد انقسم اليهود إلى فريقين :

فريق أبطل النسخ ابتداء كاستحالة عقلية، إذ يستحيل عندهم أن الله يأمر بشيء وينهي عنه، بهذا

اعتبروا أن الحق باطلاً والباطل يصير حقاً، وتنقلب الطاعة إلى معصية والمعصية إلى طاعة، وبهذا أوقعنا

1 - حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة، (مرجع سابق)، ج 04، ص 104.

2 - عبد القاهر البغدادي، كتاب أصول الدين، ص 226 .

3 - الجويني، الإرشاد، ص 339 .

4 - المرجع السابق والصفحة .

الله في الجهل والندم وإحداث تغير في العلم الإلهي وتحول في الإرادة .

وهناك فريق آخر من اليهود أجاز النسخ إلا أنه أنكر وقوعه في نبوته - نبوة موسى عليه السلام - وإن كان وقع في نبوات الآخرين<sup>(1)</sup> .

ومنهم من قال إن نسخ الشرائع جائز من جهة العقل والشرع جميعا، إلا أننا أنكرنا نبوت عيسى ومحمد عليهما السلام، لأنهما عدما المعجز الدال على صدقهما .

ومنهم من يرى أن محمد عليه السلام نبيا إلا أنه خاص بالعرب دون غيرهم<sup>(2)</sup> . وقد رد القاضي عبد الجبار في كتابه شرح الأصول الخمس ردا جميلا ومطولا على آراء الفرق اليهودية بأمثلة حسية وشواهد عملية تبطل مزاعمهم وتفحم حججهم، ولم يترك لهم بابا للوقوف والبقاء على حججهم، ومن ذلك « أن الشرائع اللطاف ومصالح، وما كان هذا طريقه فإنه تختلف شرائعه باختلاف الأزمان والأعيان، ولا يمتنع أن يعلم الله عز وجل أن صلاح المكلفين في زمان بشرية، وفي زمان آخر بشرية أخرى، وكذلك من يتولى تدبير أمر ولده، قد يعلم أن صلاحه في الرفق مرة وفي العنف مرة أخرى، والحال كذلك في المرض، والشفاء، والحياة، والموت، فكما أنه تعالى يمرضنا مرة ويشفينا أخرى، كما تعلق صلاحنا بالمرض مرة وبالشفاء أخرى، كذلك هاهنا لا يمتنع أن يعلم أن صلاحنا بالمرض مرة وبالشفاء أخرى، كذلك هاهنا لا يمتنع أن يعلم أن صلاحنا في أن يتعدنا بشرية مرة، وفي ألا يتعدنا بها، بل يتعدنا بغيرها مرة أخرى، فصح بذلك ما قلناه في جواز نسخ الشرائع»<sup>(3)</sup> .

حيث بدأ بالفريق الأول منهم: الذين ادعوا أن نسخ الشرائع يقتضي أن يصير الحق باطلا والباطل حقا، فرد عليهم بقوله: « إن النسخ لم يتناول عين ما كان حقا حتى يجب انقلاب الحق باطلا والباطل حق، وإنما يتناول مثلما كان حقا، ولا يمتنع في المثليين أن يكون أحدهما حقا والآخر باطلا»<sup>(4)</sup> . ويورد أمثلة على ذلك فدخول الدار أحيانا يكون حسنا إذا كان عن إذن صاحب الدار، وأحيانا أخرى يكون باطلا قبيحا إذا كان عن غير إذنه<sup>(5)</sup> .

1 - حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة، (مرجع سابق)، ج4، ص107 .

2 - القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمس، ص235 .

3 - المرجع نفسه، ص235 - 236 .

4 - المرجع نفسه، ص236 .

5 - المرجع نفسه والصفحة .



ثم يسأل قائلا : « ما قولكم في شريعة موسى، هل نسخت ما قبلها من الشرائع أم لا ؟ فإن قالوا : « لا بل لم يأت موسى إلا بما كان قد أتى به الأنبياء قبله ». فيحاججهم بأن آدم عليه السلام زوج بناته من بنيه وحرم ذلك موسى وكذلك أن إبراهيم أختن في الكبر وأوجه موسى في الصغر وجاز الجمع بين أختين في شرع يعقوب، ولم يجز في شرع موسى»<sup>(1)</sup> .

أما الفريق الثاني : الذين قالوا إن نسخ الشريعة جائز من جهة العقل، غير أن السمع منع منه. وهو « قول موسى : « شريعتي لا تنسخ أبدا » على حد زعمهم، فرد عليهم بأن يثبتوا هذا الخبر عن موسى عليه السلام بالأدلة النقلية المتواترة فلم يستطيعوا ذلك. لأن المسلمين خالطوهم كثيرا ولم يسمعوا عنهم ولو كان ذلك الخبر متواترا لما خرجت العناية بجواز النسخ عقلا وشرعا»<sup>(2)</sup> .

والقاضي عبد الجبار عنده أن قول موسى « شريعتي لا تنسخ أبدا » لا يخلو من أحد الوجهين : «فإما أن يكون المراد به أن شريعتي لا تنسخ على يدي من معه معجز، أو على يدي من لا معجز معه، فإن أردتم به أن شريعتي لا تنسخ على يدي من لا معجز معه فإننا نوافقكم، وإن أردتم به أنه لا تنسخ على يدي من معه معجز، فإن ذلك مما لا يجوز أن يكون قد أراده موسى عليه السلام، لأن ذلك يقدر في نبوته» .<sup>(3)</sup> ثم يورد احتجاجات أخرى كثيرة ومتنوعة تقوي ادعاءات هذه الفرقة .

أما الفرقة التي ادعت أن نسخ الشريعة جاء من جهتي الشرع والعقل، إلا أنهم أنكروا نبوة محمد عليه السلام، لأنه عدم عنه المعجز. فرد عليهم القاضي أن نبينا محمد عليه السلام لم يعدم العلم المعجز الدال على صدقه، لأن الله تعالى أيده بالأعلام. ومن بينها القرآن الذي تحدى به العرب على الرغم أنهم كانوا في غاية الفصاحة وقد قرعهم بالعجز عن الإتيان بمثله فلم يعارضوه وسكنوا لذلك بسبب عجزهم عن الإتيان بمثله<sup>(4)</sup>. والقرآن مليء بآيات التحدي مثل قوله عز وجل : ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ﴾<sup>(5)</sup> وقوله أيضا : ﴿ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾<sup>(6)</sup>. وقوله تعالى أيضا : ﴿ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ

1 - القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمس، (مرجع سابق)، ص 237.

2 - المرجع نفسه، ص 238.

3 - المرجع نفسه والصفحة .

4 - المرجع نفسه، ص 240.

5 - سورة الإسراء : 88 .

6 - سورة هود : 13.

أما الفرقة الأخيرة التي أنكرت أن يكون محمد ﷺ مبعوثاً للعالمين، إنما للهروب خاصة فرد عليهم بقوله: «إنه ﷺ إذا ادعى أنه مبعوث إلى الكافة، ثم صدقه الله تعالى بالآيات المعجزة فإنه لا بد من أن يكون مبعوثاً للأحمر والأسود»<sup>(2)</sup>.

وعلم إيراد ابن ميمون موضوع النسخ في كتابيه - دلالة الحائرين وكتاب المعرفة - فيه دلالة على أنه ينكره ويعتبر شريعة موسى ﷺ هي شريعة ناسخة لغيرها .

### ثالثاً - الغاية من النبوات :

إن الأمر الذي يتبادر في الأذهان أن الغاية الرئيسية من النبوات هي هداية الناس وسعادتهم ونجاتهم وخيرهم وصلاتهم في الدارين .

والحقيقة أن الأنبياء قد بعثوا لهداية الناس وتوضيح طريق السعادة والنجاة لهم، والكلام ليس حول هذا، وإنما الكلام في أن هذا الطريق المستقيم ينتهي إلى أي غاية نهائية؟ وفي أي شيء تكمن سعادة الناس في رأي مدرسة القرآن؟ في أي شيء ترى هذه المدرسة الخير والصلاح والفلاح النهائي؟ .

إن القرآن الكريم في الوقت الذي أشار إلى كل هذه المعاني أو لَوَّحَ بها، قد أشار إلى معنيين أو مفهومين متميزين يوضحان أن الغاية الرئيسية هي أمران، أي أن جميع تعاليم الأنبياء تضمنت أمرين هما: معرفة الله والتقرب إليه، والآخرة إقامة العدل والقسط في المجتمع البشري .

والقرآن يذكر الأمر الأول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾<sup>(3)</sup> .

يتضح من هذه الآية أن الدعوة إلى الله والتقرب منه هو الأمر الوحيد الذي يمكن أن يعتبر الغاية الأساسية في مبعث الأنبياء والرسل، من أجل معرفته حق المعرفة حتى تصح عبادته وتكون النفس مستعدة لذلك، ومن جهة أخرى يقول حول جميع الأنبياء: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ... ﴾<sup>(4)</sup> . أظهرت هذه الآية صراحة أن إقامة العدل والقسط هو غاية

1 - سورة البقرة : 22 . وسورة يونس : 38 .

2 - القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمس، ص 240 .

3 - سورة الأحزاب : 45 - 46 .

4 - سورة الحديد : 24 .

فالدعوة إلى الله، ومعرفته والتقرب منه كل ذلك يعني الدعوة إلى التوحيد وأما إقامة العدل العملي الفردي، والعدل في المجتمع، فهذا يعني إقامة التوحيد العملي الاجتماعي، كما يطرحها مرتضى مطهري<sup>(1)</sup> .

ويتساءل مطهري هل أن غاية الأنبياء الرئيسية هي معرفة الله وعبادته وأن كل شيء - ومنه العدل والقسط الاجتماعي - مقدمة له؟ أو أن الغاية الرئيسية هي إقامة العدل والقسط، وأن معرفة الله وعبادته مقدمة ووسيلة لتحقيق هذه الفكرة الاجتماعية؟ وإذا أردنا أن نعرض ذلك باللغة التي تحدثنا بها في الماضي، يجب أن نعرضه كما يلي : هل أن الغاية الرئيسية هي التوحيد النظري والتوحيد العملي الفردي أو أن الغاية الرئيسية هي التوحيد العملي الاجتماعي ؟ ويصل مرتضى مطهري بهذه التساؤلات إلى عرض عدة أنواع من الآراء :

- قائلا: «كان الأنبياء ثانويين من ناحية الهدف والغاية، أي أن لهم غايتين مستقلتين: إحداهما تتعلق بحياة البشر الأخروية وسعادته الأخروية ولما كان الأنبياء يفكرون بسعادة البشر الدنيوية، بادروا إلى التوحيد الاجتماعي العملي الفردي وهو روحي وذهني محض .

- إن الغاية الرئيسية هي التوحيد الاجتماعي، وإن التوحيد النظري والتوحيد العملي الفردي مقدمة يستلزمها التوحيد الاجتماعي، والتوحيد النظري يتعلق بمعرفة الله ولا ضرورة أبدا للإنسان في حد ذاته أن يعرف الله أو لا يعرفه، أو أن يكون الله هو العامل الوحيد المحرك لروحه أو أelf شيء آخر، كما أنه لا يفرق بالنسبة لله بطريق أولى أن يعرفه الإنسان أو لا يعرفه يعبده أولا يعبده، ولكن بالنظر إلى أن كمال الإنسان يكمن في كونه (نحن) والتوحيد الاجتماعي، ولا يتيسر ذلك إلا بالتوحيد النظري والتوحيد العملي الفردي، فقد فرض الله معرفته وعبادته ليتحقق التوحيد الاجتماعي»<sup>(2)</sup> .

- والرأي الآخر إن الغاية الرئيسية هي معرفة الله والتقرب إليه، ويعتبر مطهري أن التوحيد الاجتماعي هو مقدمة ووسيلة للوصول إلى هذه الغاية السامية، لأن العالم له ماهية " منه " و" إليه " ولذا فإن كمال الإنسان يكون في السلوك نحوه والتقرب إليه، ولذا فإن سعادة البشر، وكماله ونجاته وخيره وصلاحه في معرفة الله وعبادته وطبي مسافة قربه، وبالنظر إلى أن الإنسان اجتماعي بالطبع بادر الأنبياء إلى

1 - مرتضى مطهري، الوحي والنبوة، (مرجع سابق)، ص 23 .

2 - المرجع نفسه، ص 24 .

إقامة العدل والقسط وإزالة الظلم والتمييز، وعلى هذا فإن القيم الاجتماعية من قبيل العدل والحرية والمساواة والديمقراطية... وكذلك الأخلاق الاجتماعية من قبيل الجود والعتو والمحبة والإحسان، لا تكون لها قيمة ذاتية ولا تعتبر كامالا - بذاتها - للبشر<sup>(1)</sup>.

ثم يذكر مطهري الرأي الأخير وهو كما جاء في الرأي الثالث، أن غاية الإنسان وكماله، وغاية كل موجود وكماله الواقعي في الحركة إلى الله فقط، وأن ادعاء ثنوية الأنبياء من ناحية الغاية والهدف شرك لا يقتصر، كما أن ادعاء أن غاية الأنبياء النهائية هي الفلاح الدنيوي وأن الفلاح السديوي ليس إلا التمتع بمواهب طبيعة الحياة تحت ظل العدل والحرية والمساواة والأخوة هو عبادة المادة، ولكن بعكس الرأي الثالث فإن القيم الاجتماعية والأخلاقية مع كونها مقدمة ووسيلة للوصول إلى قيمة الإنسان الأصلية الوحيدة، أي معرفة الله وعبادته لم تكن تفقد قيمتها الذاتية<sup>(2)</sup>.

يذكر فخر الدين الرازي في كتابه "محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين". جملة من القوائد من بعثة الأنبياء والرسول فيقول: «وأما فائدة بعثهم فيما لا يستقل العقل بدركه فقد ذكروا أمورا: أحدها: أن العقل لا يدل إلا على الصفات التي يحتاج إليها، أما السمع والبصر والكلام وسائر الصفات الجزئية فلا طريق إليها إلا السمع.

وثانيها: أن المكلف يبقى خائفا فيقول لو اشتغلت بالطاعات لكنت متصرفا في ملك الله تعالى بغير إذنه، ولو لم يشتغل بها فرما عذب على ترك الطاعة فيبقى في الخوف على التقديرين، وعند البعثة يزول هذا. وثالثها: أنه ليس كل ما كان قبيحا عندنا كان قبيحا في نفسه، فإن النظر إلى وجه الحرة العجوز الشوهاء قبيح وإلى وجه الأمة الحسناء حسن.

رابعها: أن الأشياء المخلوقة في الأرض منها غذاء ومنها دواء ومنها سم، والتجربة لا تفي بمعرفتها إلا بعد الأدوار العظيمة، ومع ذلك ففيها خطر على الأكثر، وفي البعثة فائدة معرفة طبائعها ومنافعها، من غير ضرر وخطر.

خامسها: أن المنجمين عرفوا طبائع درجات الفلك ولا يمكن الوقوف عليها بالتجربة لأن التجربة يعتبر فيها التكرار والأعمار البشرية كيف تفي بأدوار الكواكب الثابتة، ثم إنهم وقفوا على الكل بالرصد فكيف

1 - مرتضى مطهري، الوحي والنبوة، (مرجع سابق)، ص 24.

2 - المرجع نفسه، ص 25.

وقفوا على أحوال عطارده مع أن الآلات الرصدية لا تقي بأحواله لصغره وخفائه وقلة نوره وبعده عن الشمس حالتي التشريق والتغريب .

سادسها : أن الإنسان مدني بالطبع والاجتماع مظنة التنازع المفضي إلى التقاتل فلا بد من شريعة يفرضها شارع لتكون مرغبة في الطاعات وزاجرة عن السيئات .

وسابعها : لو نؤمن كيفية العبادة إلى الخلق فرمما أتى كل طائفة موضع خاص ثم أخذوا يغيضون لها فيضفي ذلك إلى الفتن أما وضع الشريعة فمما ينافي ذلك .

وثامنها : أن الذي يفعله الإنسان بمقتضى عقله يكون كفعل المعتاد والعادة لا تكون عبادة أما الذي يأمر به من كان معظما في قلبه ولا يكون هو واقفا على سببه كان إتيانه محض العبادة ولذلك ورد الأمر بالأفعال الغريبة في الحج .

وتاسعها : أن العقول متفاوتة والكامل نادر والأسرار الإلهية عزيزة جدا، فلا بد من بعثة الأنبياء وإنزال الكتب عليهم أيضا لا لكل مستعد إلى منتهى كماله الممكن له بحسب شخصه .

وعاشرها : أن كل جنس تحته أنواع فإنه يوجد فيما بين تلك الأنواع نوع واحد هو أكملها وكذا للأنواع بالنسبة إلى الأصناف والأصناف بالنسبة إلى الأشخاص والأشخاص بالنسبة إلى الأعضاء فأشرف الأعضاء ورئيسها القلب وخليفته الدماغ ومنه تنبت القوى على جميع جوانب البدن فكذا الإنسان لا بد فيه من رئيس والرئيس إما أن يكون حكمه على الظاهرة فقط وهو السلطان أو على الباطن وهو العالم أو عليهما معا وهو النبي فالنبي يكون كالقلب في العالم وخليفته كالدماغ وكما أن القوى المدركة إنما تفيض من الدماغ على الأعضاء، وكذا قوة البيان والعلم إنما يفيض منه بواسطة خليفته على جميع أهل العالم .

وحادي عشر : الهداية إلى الصناعات النافعة قال الله تعالى في داود عليه السلام : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ نَبُوسٍ لَكُمْ ﴾<sup>(1)</sup> . وقال لنوح عليه السلام : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾<sup>(2)</sup> ولا شك أن الحاجة إلى الغزل والخياطة والبناء وما يجري مجراها أشد من الحاجة إلى الدرع وتوقيفها على استخراجها بالتجربة خطر عظيم، ووجب بعثة الأنبياء لتعلمها .

وثاني عشر: لا بد في المعيشة من علم الأحكام والسياسة فلا بد من البعثة لتعلمها، ولهذا قال تعالى لنبيه:

1 - سورة الأنبياء : 79 .

2 - سورة هود : 37 .

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾<sup>(1)</sup> وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾<sup>(2)</sup> وقال تعالى : ﴿ فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ ﴾<sup>(3)</sup> فقد ظهرت البعثة من هذه الوجوه<sup>(4)</sup> .

#### رابعا - دلائل ختم النبوة :

المستقرأ للتاريخ الإنساني، يجد أن كل الرسالات السماوية السابقة قد انتهت بانتهاج الجماعات المكلفة بتعاليم الرسالات السابقة، التي غيرت، وبدلت مالا يجب تغييره، ووضعت نصوصا وتعاليم ملؤها الهوى والمصالح الشخصية، فأفسدت رسالات أنبياءها وقضت عليها قضاء نهائيا لا يرجى لها منفعة بهذه التعاليم. وهكذا ندرك أن انتهاء هذه الرسالات يكون حقا أصحابها قد انتهوا، مما لا يبقى لهم أثرا يعرفون به، بل أن الذي نجده في الكتب المقدسة المزيفة لديهم حول حياتهم ومولدهم ومكان ولادتهم مملوء بالتناقضات المتراكمة فوق بعضها البعض، ونسيت سيرتهم ولا يكاد الناس يعثرون على أحوالهم الصحيحة المعتمدة عليها كما أنهم لا يمكن لهم أن يعرفوا ما نص عنه هؤلاء الأنبياء وما أمروا به، فأصبحت التعاليم التي جاؤوا بها نسيا منسيا .

أما نبينا محمد ﷺ فلا يزال حيا موجودا بتعاليمه وسيرته الطاهرة، فسيرته لا تزال محفوظة بين أيدينا، مما يخيل لدارس السيرة النبوية أن شخص الرسول ﷺ هو منه الآن ويراه بعين بصيرته، فتنشط الانفعالات النفسية فتجده يكي في مواقف أخرى من سيرته تعبيرا عن حبه الشديد له، ويفرح والسرور يملأ قلبه في مواقف أخرى من سيرته تعبيرا عن طاعته له، وانقياده لما جاء به من موازين ثابتة وتعاليم طاهرة، فيها الخير كله للإنسانية جمعاء على اختلاف أجناسها وأشكالها ولغاتها، وفي هذا يقول تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾<sup>(5)</sup>. كما أن القرآن الذي أنزل عليه لا يزال بين أيدينا محفوظا لم تستطع أية قوة باطلية ومفسدة أن تمس بكرامته وقديسته فتدنسه بيدها النجسة، رغم أن التاريخ أخبرنا أن هناك محاولات كثيرة نشطت لأغراض مشبوهة، ولكن الله من ورائهم محيط، فعجزت كل المحاولات وبقي هذا الكتاب محفوظا .

1 - سورة الأعراف : 199 .

2 - سورة النحل : 90 .

3 - سورة آل عمران : 159 .

4 - فخر الدين الرازي، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والتكلميين قدم له عبد الرؤوف سعد، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، [د، ت]، ص ص 214 - 216 .

5 - سورة الأنبياء : 106 .

لأن آية محاولة معه مكتوب عليها بالفشل والهزيمة، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾<sup>(1)</sup>. فسيرته محفوظة وقول ربه محفوظ.

وهذا هو الدليل على أن لا حاجة للبشر اليوم إلى نبي مرسل من عند الله تعالى بعد النبي ﷺ. كما أن هناك أدلة أخرى تدل على ختم النبوة بمحمد ﷺ وهي أدلة نقلية وأخرى عقلية:

الأدلة النقلية:

من القرآن قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ ﴾<sup>(2)</sup>. قال الألويسي في تفسير هذه الآية... والخاتم آلة لما يختم به كالطبع كما يطبع به خاتم النبيين الذي ختم النبيون به ومآله آخر النبيين.

وقرأ الجمهور خاتم بكسر التاء على أنه اسم فاعل أي الذي ختم النبيين، والمراد به آخرهم وفي حديث ابن مسعود. أي في قراءته: «ولكن نبيا ختم النبيين» والمراد بالنبي ما هو أعم من الرسول فيلزم من كونه ﷺ خاتم النبيين كونه خاتم المرسلين. والمراد بكونه ﷺ خاتمهم انقطاع حدوث وصف النبوة في أحد من الثقلين بعد تحليه ﷺ بهما<sup>(3)</sup> وقال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾<sup>(4)</sup>.

والآية هذه تبين بوضوح تام لا لبس فيه بأن الدين قد كمل وأن الله قد أتم نعمته على البشرية بهذا الدين وقد ذهب ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾: «أنهم لا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم ﷺ، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء وبعثه للجن والإنس. وعن ابن عباس أن المعنى: هو الإسلام، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو صدق. فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا، وقد أتمه الله فلا ينقصه، وقد رضي الله فلا يسخطه أبدا»<sup>(5)</sup>.

1 - سورة الحجر : 09 .

2 - سورة الأحزاب : 40 .

3 - شهاب الدين السيد محمود الألويسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، بيروت، دار الفكر، 1983م، ج08، ص34 .

4 - سورة المائدة : 04 .

5 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط03 بيروت، المكتبة العصرية، 2000م، ج02، ص13 .

هذه الآية نص قرآني واضح وقاطع بكمال رسالة الإسلام وعدم تجزئة الأديان، لأن هذه الرسالة الكاملة محفوظة بإعجاز رباني كما هو واضح في الآية 09 من سورة الحجر .

أما الدليل من السنة :

ما رواه مسلم عن رسول الله ﷺ قوله: « مثلي والأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بناها فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»<sup>(1)</sup> .

وروي أن رسول الله ﷺ قال: « فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»<sup>(2)</sup> .  
وروي مسلم عن حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: « أنت مني بمثلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي »<sup>(3)</sup> .

وفي حديث طويل عن أبي هريرة ؓ قال: « أتى رسول الله ﷺ يوما بلحم فرفع إليه الذراع .... فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ...»<sup>(4)</sup> .  
الأدلة العقلية :

جرت سنة الله تعالى أن يرسل الأنبياء تلو الأنبياء، لوجود الأسباب الداعية إلى ذلك، فلا يرسل الأنبياء إلا إذا دعت الحاجة إليهم، والسؤال الواجب طرحه: هل تدعو الحاجة إلى وجود نبي بعد النبي محمد ﷺ أم لا؟ وتكون الإجابة عليه من خلال الأسباب التي تدعو إلى تجدد الأنبياء. ونذكرها فيما يلي:

1- اندثار وانمحاء رسالة النبي السابق وظهرت الحاجة إلى عرضه على الناس مرة أخرى .

2- كون تعليم النبي المتقدم غير كامل فهو بحاجة إلى إتمامه .

3- كون التعليم النبوي المتقدم منحصرًا في أمة خاصة، ويمكن أن تكون أمة أخرى أو سائر الأمم .

بحاجة إلى نبي مرسل مثله، ويمكن أن يكون السبب الرابع أيضا أن يرسل مع النبي آخر لتأييده وتصديقه<sup>(5)</sup> .

1 - رواه مسلم، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، من كتاب الفضائل .

2 - رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة .

3 - رواه مسلم، باب فضائل علي بن أبي طالب ؓ، من كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم .

4 - رواه مسلم، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، من كتاب الإيمان .

5 - أبو الأعلى المودودي، مبادئ الإسلام، الجزائر، مكتبة رحاب، [د، ت]، ص 70 .



4- تحريف السابقة يؤدي إلى وجود رسالة جديدة . وبالنظر إلى الرسائل السابقة على الإسلام بصورة مختصرة وتتبع أعظمها . نرى مايلي :

- الرسالة الإبراهيمية وهي متمثلة في صحف إبراهيم عليه السلام، فلا يوجد منها شيء على الإطلاق وقد فقدت واندرثت .

- الديانة اليهودية المتمثلة في التوراة المترلة على سيدنا موسى عليه السلام، وبالنظر لها نرى أنها أولا وقبل كل شيء ديانة خاصة بعنصر معين، فهي لبني إسرائيل فقط .

- أن التوراة الأصلية غير موجودة على الإطلاق والتوراة الحالية محرفة .

- الديانة اليهودية بصورتها العامة المحرفة والتي كانت على زمان موسى عليه السلام لا تعالج إلا مشاكل خاصة وهي ديانة عادية لا تتعلق بما تحتاجه النفس البشرية، ولذا لا تصلح الديانة اليهودية لأن تكون خاتمة ولا ديانة لجميع البشر، وينطبق هذا الأمر على المسيحية باعتبارها موجهة لبني إسرائيل <sup>(1)</sup> .

6- قابلية علماء هذا العصر على حمل رسالة التبليغ والتشريع .

يقول مرتضى مطهري: « كان أغلب الأنبياء - بل أكثرهم التي تقارب الإجماع - تبليغيين لا شرعيين وربما لا يتجاوز الأنبياء التشريعيون عدد أصابع الكف الواحدة، وكان عمل الأنبياء التبليغيين هو تبليغ الشريعة وترويجها وتنفيذها وشرحها، ويتمكن علماء الأمة في عصر الخاتمية الذي هو عصر العلم من تطبيق الكليات مع الظروف والمقتضيات الزمانية والمكانية بمعرفة أصول الإسلام العامة ومعرفة الظروف، ثم استنباط الحكم الإلهي واستخراجه، واسم هذه العملية "الاجتهاد"، وإن علماء الأمة الإسلامية الأكفاء يقومون بكثير من واجبات الأنبياء التبليغيين وبعض واجبات الأنبياء الشرعيين (دون أن يكونوا مشرعين) عن طريق الاجتهاد وواجب هداية الأمة الخاص، ولهذا فقد انتفت الحاجة إلى تجديد النبوة، وتأويل كتاب سماوي جديد، ومجيء نبي جديد إلى الأبد، وانتهت النبوة بنفس الوقت الذي بقيت فيه الحاجة إلى الدين دائما، بل كلما تقدمت البشرية نحو المدنية تكثر الحاجة إلى الدين <sup>(2)</sup> .

ومما ذكر سابقا يتبين أن لبلوغ البشر الفكري الاجتماعي دور في خاتمية النبوة، ويكون هذا الدور في

نواحي :

1 - محمد هشام سلطان، العقيدة والفكر الإسلامي، (مرجع سابق)، ص 117- 118 .

2 - مرتضى مطهري، الوحي والنبوة، ص 30 .

- لم تندثر وإنما كما هي منذ خمسة عشر قرنا وأن الله حفظها، كما وعد حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(1)</sup> .

- نرى كذلك أنها رسالة عامة للبشر جميعا وليس لقوم بعينهم، لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُدْعَىٰ لِلْإِنسَانِ أَنذَارٌ﴾<sup>(2)</sup> . وبدأ النبي ﷺ بإبلاغ الدعوة إلى قريش وهم عشيرته، ثم ارتقى في الدعوة إلى بلدته أم القرى، ثم من حولها، ثم انتقل انتقالاتا تدريجيا موضوعيا إلى دعوة العرب المحيطين به، ثم إلى ملوك وأمراء الأمم، كهرقل ملك الروم والنجاشي ملك الحبشة وغيرهما .

- ووصل إلى مرحلة يتمكن فيها من تلقي خطته التكاملية دفعة واحدة - لا مرحلة مرحلة ومرحلة ومرحلة - ويستفيد منها<sup>(3)</sup> .

- وكذلك سمح له بلوغه - الإنسان المؤمن - الفكري ونموه الاجتماعي بأن يتكلف بنفسه بإقامة الدين وترويجه وتبليغه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهذا قد زالت الحاجة إلى الأنبياء التبليغيين المروجين المبلغين لشريعة الأنبياء أصحاب الشرائع، وسد علماء الأمة وصلحاؤها هذه الحاجة .

- ووصل من ناحية النضوج الفكري إلى حد بحيث يتمكن، من تفسير كليات الوحي وشرحها، وأن يرجع كل مورد إلى أصله في الظروف الزمانية والمكانية المختلفة، ويقوم بهذه المهمة علماء الأمة أيضا<sup>(4)</sup> .

وتبين لنا أن خاتمة النبوة لا تعني أن الحاجة إلى التعاليم الإلهية والتبليغات التي جاءت عن طريق الوحي قد زالت، ولأن الإنسان لما كان قد وصل إلى البلوغ الفكري ولا يحتاج هذه التعليمات فقد انتهت النبوة، لا أبدا، قد زالت الحاجة إلى وحي جديد ونبوات جديدة، لا الحاجة إلى الدين والتعاليم الإلهية .

إن فكرة ختم النبوة لم تكن تعني مجرد الإعلان عن الانقطاع النهائي لسلسلة النبوات، وإنما هي شهادة على سن الرشد الذي بلغته الإنسانية وقرار بإحالة جانب من وظائف النبوة إلى العقل البشري .

والملفت في مسار النبوة الكتابية وصورورها هو ذلك التحول الذي عرفته النبوات في تاريخ الأديان السماوية من وضع الرسالة إلى وضع المؤسسة، وقد حدث ذلك بأشكال مختلفة في تاريخ السدينتين اليهودية والإسلام. بما فيها المسيحية باعتبارها ديانة يهودية .

1 - سورة الحجر : 09 .

2 - سورة الحج : 47 .

3 - مرتضى مطهري، الوحي والنبوة، ص 30 .

4 - المرجع نفسه، ص 31 .

فلقد تجلّى هذا التحول في تاريخ اليهودية في المرحلة التي أعقبت العودة من الأسر حيث أخذ دور النبي في التراجع تدريجياً لفائدة الكاهن، فحل المعبد محل الرسالة وغلب جانب الطقوس على جانب القيمة والمضمون في الحياة الدينية اليهودية<sup>(1)</sup>.

كما عرفت العصور التالية للنبوّة المحمدية مساراً مشابهاً، لكن بتغيرات ثقافية مختلفة، فلقد طرأ تحول واضح في التعامل مع النبوة أدى أحياناً إلى أنواع من التشخيص والتنميط كاد أن يهمل معها جوهر الرسالة وغايتها، وكان من نتائج ذلك أن نشأ أدب كبير حول شخصية الرسول ﷺ، اختلطت فيه الجوانب الدينية بالجوانب التاريخية وأحياناً بالجوانب الخيالية، وانتهى ذلك كله إلى تأسيس شخصية النبي ﷺ، وإلى تحويل النبوة في وعي الجماعات إلى مؤسسة لها رموزها ورجالها والناطقون باسمها رسمياً، حتى خيل للبعض من المسلمين أن دورها ينحصر أو يكاد في التعقيد والتنميط، والحال أن النبوة أثبتت - طوال تاريخها - ما كانت تتميز به من تلقائية وانفتاح وتفاعل إيجابي مع المتغيرات .

وقد سبق للقرآن الكريم أن شجب بشدة كل المواقف المشخصة للنبوة والتي بدأت تبرز لدى بعض أتباع النبي ﷺ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾<sup>(2)</sup>.

يظهر لنا أن هذه الآية لا تدين في رأينا موقفاً حدث في زمان ومكان معينين، وإنما هي في الحقيقة تشجب منها كما في التعاطي مع النبوة يقوم على تغليب النمط والصنم والقالب على حساب المعنى والفكر والمقصد .

وهو النهج نفسه الذي كان سائداً في المجتمعات القديمة التي سيطر على حياتها الدينية: الكاهن أو رجل الدين أو العراف. أي تلك الشخصيات الدينية التي غلب على نشاطها طابع الاحتراف والتقنين والتنميط في مقابل المنهج النبوي القائم على العفوية والأصالة والتلقائية<sup>(3)</sup>.

خامساً - ختم النبوة :

1- ختم النبوة في اليهودية :

1 - أحمد المشرقي، النبوة في الأديان الكتابية، (مرجع سابق)، ص134.

2 - سورة آل عمران : 144 .

3 - المرجع السابق، ص135.

## أ- ختم النبوة في العهد القديم :

وهي من أهم العقائد اليهودية، إذ تحتل مكانا عظيم الشأن في فكر اليهودي ووجدانه، وفكرة ختم النبوة الإسرائيلية تستند إلى نصين في المؤسسة النبوية وهما :

سفر زكريا: حيث يقول: « في ذلك اليوم، يكون ينبوع مفتوحا لبيت داود ولسكان اورشليم، للخطيئة وللنجاسة، ويكون في ذلك اليوم يقول رب الجنود: إني أقطع أسماء الأصنام من الأرض فلا تذكر بعد وأزِيل الأنبياء أيضا والروح النجس من الأرض ويكون إذا تنبأ أحد بعد، أن أباه وأمه والديه يقولان لا تعيش لأنك تكلمت بالكذب ويكون في ذلك اليوم أن الأنبياء يمزحون كل واحد من رؤياه إذا تنبأ، ولا يلبسون ثوب الشعر لأجل الغش، بل يقول: لست أنا نبيا، أنا إنسان فالج في الأرض، لأن إنسانا اقتناني من صباي، فيقول له: ما هذه الجروح في يديك فيقول: هي التي خرجت بها في بيت أحبائي»<sup>(1)</sup>.

سفر دانيال: حيث جاء فيه « سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكتميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم وليؤتى بالبر الأبدي ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدسين»<sup>(2)</sup>. ويلاحظ على النصين مايلي :

أ - أن النصين يتحدثان عن ختم نبوة عام وليس محمدا بخاتم معين .

ب - أن زكريا لم يذكر تاريخا لختم النبوة، بل الختم يكون (في ذلك اليوم) على إطلاقه دون قيد، أما دانيال فيحدد أمدا قدره "سبعون" وهو على أي الحالات غير دقيق، إذ تدور هذه الرؤيا حول عودة أسرى اليهود المسيبين من مناهم وإعادة بناء اورشليم حيث يشير دانيال « في السنة الأولى لداريوس بن أحشور بروش من نسل الماديين الذي ملك على مملكة الكلدانيين، في السنة الأولى من ملكه أنا دانيال فهمت من الكتب عدد السنين التي دانت عنها كلمة الرب إلى إرميا النبي لكاملة سبعين سنة على خراب اورشليم»<sup>(3)</sup>. فلو فسر هذا الأمر حرفيا سبعين أسبوعا، لكان غير مطابق لفترة الأسر التي هي ثلاثة أضعاف هذا الرقم .

وإن فسر هذا الأمد على أنه مدة طويلة كما يرى شراح العهد القديم، فتكون الرؤيا أيضا غير صدقة،

1 - سفر زكريا 13: 01 - 06 .

2 - سفر دانيال 09 : 24 .

3 - سفر دانيال 09 : 01 - 02 . وأصل البشارة لدى إرميا « ويكون عند تمام السبعين سنة أي أعاقب تلك بابل وتلك الأمة

يقول الرب على إلهم أرض الكلدانيين وأجعلها خرابا أبديا». إرميا 25 : 12 . و 29 : 10 .

لأن فترة الأسر والمنفى استمرت فقط تسعة وأربعين عاما، إذ تمتد من عام خراب أورشليم وهدم الهيكل (587ق.م) حتى صدور منشور قورش بالإذن لليهود في العودة وإعادة بناء أورشليم عام (538ق.م)<sup>(1)</sup>.

ج- تاريخ كتابة النصين لا يتفق وتاريخية الأنبياء المراد تكريس وجود الفكرة من خلالهم :

فنص زكريا يفترض أنه على لسان زكريا النبي الذي عاصر زمن إعادة بناء الهيكل حوالي عام (520ق.م - 515 ق.م) بينما تاريخ النص وكتابه يرجع إلى عام (330ق.م - 300ق.م) ونسب إلى زكريا الثاني .

أما نص دانيال الذي يفترض أنه يروي أحداث المنفى ونبؤات العودة في شكل رؤى إعجازية، فإنه كتب حوالي عام (164 ق.م) .

ويعني هذا من ناحية أخرى أن الفترة الزمنية فيما بين حياة هؤلاء الأنبياء، وبين تاريخ تأليف ما نسب إليهم، كانت تعيش إما في ظل وحي، وإما في انتظار نبوة، أو أنها لم تكن تعرف شيئا عن انتهاء النبوة<sup>(2)</sup>. أن هذين النصين تعارضهما نصوص أخرى معاصرة لهما تحكي عن وجود أنبياء أو تتحدث عن ترقب وحي و انتظار نبي، وهذا ما نجده في سفر المزامير «آياتنا لا نرى. لا نبي بعد. ولا بينا من يعرف حتى متى»<sup>(3)</sup>.

فإذا أضفنا إلى هذه الملاحظات النقدية على النص حقيقتين تاريخيتين :

أولا : ظهور اثنين من الأنبياء في بني إسرائيل في القرن الأول الميلادي هما : يوحنا المعمدان الذي عد اليهود قتله على يد هيرودس سببا في حلول غضب الرب عليه، وعقابه بالهيار قوته العسكرية، وكذلك المسيح عيسى بن مريم، والاثنان وإن كانا قد قوبلا بكثير أو قليل من الرفض إلا أن ذلك يؤكد أن فكرة ختم النبوة لا تستند إلى أسس كتابية، وإلا ما استطاع واحد من هذين النبيين الظهور في وسط اليهود ودعوتهم إلى تجديد الإيمان بالله والعودة إليه في ظل وجود نص كتابي ثابت .

ثانيا : أن جماعة قمران لم تكن تعترف بشرعية نصوص إنهاء النبوة في سفر زكريا أو دانيال وكانت تعيش عصر وحي ونبوة، حيث ظهر فيها عدد من الرائيين والناظرين ومفسري الأحلام الذين قدموا أنفسهم كأنبيا ولقيت دعوتهم قبولا وتصديقا<sup>(4)</sup> .

1 - سفر أخبار الأيام الثاني 36 : 22 - 23 .

2 - عبد الراضي محمد عبد المحسن، المعتقدات الدينية لدى الغرب، ص 179.

3 - سفر المزامير 74 : 09 .

4 - المرجع السابق، ص 181 .

## ب- ختم النبوة في التلمود :

في منتصف القرن الأول قبل الميلاد اجتمعت كلمة الأحرار والكهنة واليهود، وأعلنوا على لسان الرابي أبا " ABBA " إغلاق باب النبوة، اعتباراً من القرن السادس قبل الميلاد، وذلك في نص التلمود القاطع: «موت الأنبياء، حجاجي، زكريا، ملاخي، ارتفع الوحي من إسرائيل، ولم يبق له صوت يسمع، إلا صدى عبر الشروح والتفسيرات»<sup>(1)</sup>.

وهذا الإعلان يظهر بدقة في أمرين : عصر نهاية النبوة. وشخصية خاتم الأنبياء الجماعية ( حجاجي زكريا ملاخي ). لذلك يرجع فلهاوزن "wallhausen" فكرة إنهاء النبوة وإغلاق بابها إلى طغيان سلطان الكهنة الذين نجحوا في تشكيل وتوجيه الروح الدينية لليهود<sup>(2)</sup>.

والذي نعتقد أنه نجاح الكهنة في تكريس فكرة إغلاق باب النبوة في اليهودية، قد ساهمت فيه نجاحات أخرى سابقة تمثلت في :

- حصر العبادة في أورشليم « هذه هي الفرائض والأحكام التي تحفظون لتعملوها في الأرض التي أعطاك الرب إله آبائك لتمتلكها كل الأيام التي تحيون على الأرض، تخربون جميع الأماكن حيث عبدت الأمم التي تروثها آهتها على الجبال الشاخنة وعلى التلال وتمت كل شجرة خضراء، وتهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتحرقون سواريتهم بالنار وتقطعون تماثيل آلهتهم وتمحون اسمهم من ذلك المكان»<sup>(3)</sup>.

- فرض تصورهم الكهنوتي من خلال نسختهم التي أعدوها وأدجوها في نصوص التوراة .

## 2- ختم النبوة في الإسلام :

الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، كلهم كانوا يحملون رسالة إلهية واحدة، وهم أتباع لمدرسة واحدة، وهذه المدرسة عرضت تدريجياً حسب متطلبات وقابليات المجتمع الإنساني، إلى الحد الذي وصلت فيه البشرية إلى أرقى مدارك الفكر، فعرضت المدرسة كاملة وجامعة. وبهذا وصلت فيها النبوة إلى النهاية، والذي عرضته هذه المدرسة ليكون مبلغاً عنها هو محمد ﷺ وهو آخر الأنبياء، وكتابه آخر الكتب السماوية،

1 - **Derbabilonische Talmud** نقل عن: عبد الراضي محمد عبد المحسن، المعتقدات الدينية لدى الغرب، (مراجع سابق)، ص 182 .

2 - المرجع نفسه والصفحة .

3 - سفر التثنية 12: 01 - 03 .

وهو القرآن لقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾<sup>(1)</sup>. وكما حكى القرآن أنه خاتم الأنبياء ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>(2)</sup>.

### 3 - نظرة ابن ميمون لختم النبوة :

أما- ابن ميمون - يعتقد يقينا أن رجوع النبوة الخاتمة ستحصل لشعب إسرائيل « لعله يظهر قريبا كما وعد »<sup>(3)</sup>. وهي عقيدة عنصرية تقوم على أساس انتظار قدوم المسيح المنتظر، يحقق الخلاص القومي للشعب اليهودي، ويقوم مملكة الله على الأرض، جاعلا اليهود في أرقى منازلها. وهذه نظرة توافقية مع الديانة اليهودية من حيث المبدأ والتفصيل .

### سادسا- طعن الطوائف المنحرفة في عصرنا في ختم نبوة محمد ﷺ :

وهي الطوائف التي كانت بداياتها على فتح الإسلام ثم انحرفت بعد ذلك لأسباب ذاتية في صاحبها وأخرى سياسية، وهذه الطوائف معظمها كانت على مذهب الشيعة الإمامية (الإثني عشرية) ومن بين هذه الطوائف التي ادعى مؤسسوها النبوة وأنكروا ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ طائفة البابية وحتى زعيمها لا يعتبرونه بخاتم المظاهر، حيث يصرح الشيرازي<sup>(4)</sup> فيقول: « يكون بعد ظهور من يظهره الله ظهورات أخرى إلى ما لا نهاية لها »<sup>(5)</sup>، ويعتقد البابية في الميرزا أنه جوهر وحقيقة كل نبي ورسول، وأنه أكمل من ظهرت فيه الحقيقة الإلهية، يقول الباب (الميرزا) عن نفسه: « كنت في يوم نوح نوحا، وفي يوم إبراهيم إبراهيم، وفي يوم موسى موسى، وفي يوم عيسى عيسى وفي يوم محمد محمدا، وفي يوم علي قبل نبيل - ومن المعروف أن الشيعة تسمي محمدا ﷺ بنبيل، فيكون معنى علي قبل نبيل أي علي قبل محمد - ولأكون في يوم من يظهره الله من يظهره الله، وفي يوم من يظهره الله من بعد من يظهره الله إلى آخر الذي لا آخر

1 - سورة الأنعام : 116 .

2 - سورة الأحزاب : 40 .

3 - موسى ابن ميمون، دلالة الحائرين، ص 405 .

4 - هو علي محمد الشيرازي، نسبة إلى شيراز مدينة بجنوب إيران، ولد محمد علي في بيت يدعى انتسابه إلى آل بيت النبي ﷺ، في

أول محرم سنة 1235هـ الموافق لـ 20 أكتوبر 1819م على أصح الأقوال. إحسان إلهي ظهر، البابية، لاهور، دار ترجمان

السنة، [د، ت]، ص 49 .

5 - إحسان إلهي ظهر، البابية، ص 194 - 195 .

له قبل أول الذي لا أول له، كنت في كل ظهور حجة الله على العالمين»<sup>(1)</sup>. بل وصل الأمر بهم أنهم ادعوا الألوهية لمؤسسها فيقول أحد دعاة أبو الفضل الجلبائيجاني: «نحن لا نعتقد في الميرزا علي محمد الباب إلا أنه رب وإله»<sup>(2)</sup>.

كما أن البهائيون ينكرون ختم النبوة بالنبي محمد ﷺ، ويعتبرون بهاء الله استمرار للنبوة، فيقول أبو الفضل في كتابه "الحجج البهية": «وانتشر نور القلق من الأقطار الحجازية فظهر أعظم أشرار الساعة وتجلت أكبر آيات القيامة، فقام خاتم الأنبياء وسيد الأصفياء عليه التحية والثناء والنور والبهاء، ونادى بأعلى النداء «أتى أمر الله فلا تستعجلوه».... فصرح بانقضاء الليلة الليلية واقتراب طلوع شمس الحقيقة من الأفق الأعلى.... وبشرهم بمجيء يوم الله وأخذ منهم عهد نزول الروح من سماء أمر الله... حتى جاء الميقات وبدأت آيات ورود «يوم الله» في كل الجهات حينئذ طلعت شمس جمال الموعد وأشرق وضاء نير وجه المعبود، وأتت الساعة وقامت القيامة ونفخ في الصور ولاح فجر الظهور، فقام بهاء الله الأبهى وظهر جمال الله الأعلى ونادى ببناء ملئت منه الآفاق وارتعد السبع الطباق، قد أتى الرب الموعد وظهر الجمال المعبود، وطلع يوم الله المعهود وجاء أمره الميرم المحمود....»<sup>(3)</sup> في كتابه "الإيقان" أن خاتم الأنبياء يمكن أن يتكرر فيقول: «وإذا ما نادى كل واحد منهم ببناء: أنا خاتم النبيين، فهو أيضا حق ولا سبيل إلى الريب فيه ولا طريق إلى الشبهة. لأن الجميع حكمهم حكم ذات واحدة، ونفس واحدة، وروح واحدة، وجسد واحد، وأمر واحد، وكلهم مظهر البدئية والحتمية، والأولية والآخرية والظاهرية والباطنية لروح الأرواح الحقيقي وساذج السواذج الأزلي»<sup>(4)</sup>.

كما يعتقد البهائيون بتوالي الرسل دون انقطاع، حيث يقول شوقي أفندي: «يعلن بهاء الله أن رسالته ليست نهاية رسالات السماء، بل يصرح بأن تطور الجنس البشري وهو التطور المستمر اللاهائي، سوف يتطلب بالضرورة، في مراحلها المقبلة ظهور قدر أكبر مما كشفت عنه الحقيقة التي أوكل الله تعالى بيها الله

- 
- 1 - عبد الرحمان بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية. نقلا عن: عامر النجار، في مذاهب اللإسلاميين، البابية - البهائية - القاديانية، ط01، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2004م، ص52.
  - 2 - الجلبائيجاني، الفرائد. نقلا عن: المرجع نفسه ص29.
  - 3 - أحمد وليد سراج الدين، البهائية والنظام العالمي الجديد، دمشق، مكتبة دار الفتح، 1994م، ج01، ص186.
  - 4 - نقلا عن: المرجع نفسه والجزء، ج01، ص186 - 187.



أن يهبها للإنسانية في هذه المرحلة الدقيقة من مراحل مصايرها»<sup>(1)</sup>. والاستشهاد عن نوابهم في إنكار حاتمة نبوة محمد ﷺ يطول وقد اكتفينا ببعض الفقرات .

أما طائفة القاديانية فيقول عنها الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي: «لم يمتحن الإسلام والمسلمون في تاريخ الإسلام الطويل بفتنة أعظم وأدق من فتنة المنتبين، إلا أن دعوة أكثرهم لم تلق نجاحا يذكر، وقد ماتت في مهدها، ولم يبق لها عين ولا أثر، ولكن الشأن يختلف فيما يختص بمتنبي شبه القارة الهندية في القرن التاسع عشر والعشرين: المرزا غلام أحمد القادياني (1840م - 1908م) لأسباب سياسية اقتضت ذلك»<sup>(2)</sup>.

فقد فتح باب النبوة على مصراعيه، وقال: «إن اتباع النبي ﷺ بمنح كمالات النبوة، وإن العناية بذلك والاهتمام ينحت الأنبياء الجدد ويخلقهم»<sup>(3)</sup>، وقد وضع غلام أحمد بذرة الإشارة إلى النبوة في كتابه "براهين أحمدية" حين زعم أنه أهم إلهامات كثيرة من قبل الله تعالى فقال: «لقد ألهمت أنفا وأنا أعلق هذه الحاشية وذلك في شهر مارس عام (1882م) ما نصه حرفيا: يا أحمد بارك الله فيك ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى، الرحمان علم القرآن، لتندر قوما ما أنذر آباؤهم، ولتستبين سبيل الجرمين، قل إني أمرت وأنا أول المؤمنين، قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا»<sup>(4)</sup>.

كما يرى ابنه وخليفته المرزا بشير الدين محمود هذا الأمر ويعلنه صراحة بأن والده ليس مسيحا موعودا مجازا فقط بل هو نبي أيضا، ويؤكد هذا المعنى بقوله: «فالمعنى الذي تفهمنا إياه الشريعة الإسلامية عن النبي لا يسمح أن يكون المسيح الموعود نبيا مجازا فقط بل لا بد أن يكون نبيا حقا، إنا نؤمن بنبوة ميرزا علييه السلام»<sup>(5)</sup>.

وقال نجله: «لقد اعتقدوا أن كنوز الله قد نفذت، وما قدروا الله حق قدره، إنكم تزعمون في نبي واحد، وأنا أعتقد أنه سيكون هنالك ألف نبي بعد محمد ﷺ»<sup>(6)</sup>.

1 - شوقي أفندي، رسالة النور. نقلا عن: أحمد وليد سراج الدين، البهائية والنظام العالمي الجديد، (مرجع سابق)، ج 01، ص 187 .

2 - أبو الحسن علي الحسيني الندوي، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، ط 07، دمشق، دار القلم، 2000م، ص 154 .

3 - المرزا غلام أحمد، حقيقة الوحي. نقلا عن: المرجع نفسه والصفحة .

4 - المرزا غلام أحمد، براهين أحمدية. نقلا عن: عامر النجار، في مذاهب الإسلاميين، البابية - البهائية - القاديانية، ص 196 .

5 - أبو الأعلى المودودي. ماهي القاديانية. نقلا عن: المرجع نفسه والصفحة .

6 - المرزا بشير الدين محمود، أنوار خلافت. نقلا عن: المرجع السابق والصفحة .

وقال: «إنه نسخ القرآن وناسخ لشريعة محمد»<sup>(1)</sup>، وبهذا كان خطره أقل أما الأول وهو القادياني، كان أمهر وأمكر، ولذلك أخفى حقه وبغضه، فظهر بمظهر التجديد مرة وبالمهداوية أخرى، ثم قفز به الحال إلى أن ادعى النبوة فقال: «أنه نبي مرسل يتزل عليه الوحي، ولكنه ليس بنبي مستقل بل نبي متبع كهارون لموسى»<sup>(2)</sup>، وحرف معاني القرآن وأولها تأويلا فاسدا مثل قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾<sup>(3)</sup>، معنى خاتم النبيين عندهم أي طابعتهم، فيزعمون أن كل نبي يظهر الآن بعده، فإن نبوته تكون مطبوعة بخاتمه ﷺ!

يقول محمد منظور إلهي القادياني في كتابه "ملفوظات أحمدية" (ص 290): «المراد بخاتم النبيين أنه لا يمكن أن تصدق الآن نبوة أي نبي من الأنبياء إلا بخاتمه ﷺ وكما أن كل قرطاس لا يكون مصدقا مؤكدا إلا حين يطبع عليه بالخاتم، فكذلك كل نبوة لا تكون مطبوعا عليها بخاتمه وتصديقه ﷺ، تكون غير صحيحة»<sup>(4)</sup>.

ويقول القاضي القادياني: «إن الآية المذكورة لا تدل مطلقا على انقطاع للنبوة، بل تدل على بقائها لأن كمال النبي لا يتحقق إلا بكمال الأمة وفضيلة الأستاذ لا تظهر إلا بفضل التلميذ.. وإن أصر أحد على أنه بمعنى الآخر زمانا فيمكننا أن نجعله مطابقا للمعاني الأخرى بكل سهولة ونقول: إن المراد من النبيين هم المشرعون والمستقلون، والنبي ﷺ، ختم النبوة التشريعية والمستقلة؛ لأنها موجودة قبله، وأما النبوة الغير مستقلة فما كانت موجودة قبله»<sup>(5)</sup>.

ولو كان غلام أحمد وغيره من أتباعه يبحثون عن الحقيقة لرجع إلى القراءة الأخرى الثابتة: ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾<sup>(6)</sup> بكسر التاء، وكذلك إلى الأحاديث الصحيحة الصريحة مثل الحديث السابق «لا نبي بعدي»<sup>(7)</sup>.

1 - إحسان إلهي ظهير، القاديانية، ط 16، لاهور، إدارة ترجمان السنة، 1983م، ص 20.

2 - المرجع نفسه والصفحة.

3 - سورة الأحزاب : 40.

4 - أبو الأعلى المودودي، ماهي القاديانية، نقلا عن: عامر النجار، في مذاهب الإسلاميين، الباية - البهائية - القاديانية، ص 202.

5 - نذير السيلكوتي القادياني، القول الصريح، نقلا عن: المرجع نفسه والصفحة.

6 - وهي قراءة الجمهور، بكسر التاء. معنى أنه خاتمهم، أي جاء آخرهم. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، ج 14، ص 196.

7 - رواه مسلم، باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، من كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم.

ومما يؤكد هذا الأمر الحديث السابق أن النبي ﷺ قال : « مثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه إلا موضع لبنة فيه فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون ويقولون: هل وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »<sup>(1)</sup> .

ومن تأويلاته الفاسدة لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾<sup>(2)</sup>، قائلا: « أنا أشكر الله عز وجل أنه أظلي تحت ظل رحمة بريطانية التي أستطيع تحت ظلها أن أعمل وأعظ فواجب على رعية هذه الحكومة المحسنة أن تشكر لها وخصومها علي أن أبدي لها الشكر الجزيل لأني ما كنت أستطيع أن أنجح في مقاصدي العليا تحت ظل أية حكومة أخرى سوى حكومة حضرة قيصر الهند . ولعنة الله على من يريد الافتراق والفساد وعلى من لا يريد أن يكون تحت أمر الأمير مع أن الله قال أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر، فالمراد من أولي الأمر ههنا هو الملك المعظم ولذا أنا أنصح مريدي وأشياعي بأن يدخلوا الإنجليز في أولي الأمر ويطيعوه من صميم قلوبهم »<sup>(3)</sup> .

وفي ادعائه نفى ختم النبوة بمحمد ﷺ فيقول : « إذا قال أحد أن النبوة انتهت فكيف يمكن أن يكون نبي من أتباع محمد ﷺ، فالجواب على ذلك هو أن الله عز وجل، إنما سمى هذا العبد(المرز غلام أحمد) نبيا؛ لأن كمال نبوة محمد ﷺ، لا يمكن أن يثبت دون كمال أمته، ودون ذلك ليس إلا دعوى بغير دليل »<sup>(4)</sup> .

ومما يزيد في غلو غلام أحمد في مسألة عدم ختم النبوة فيقول : « إن الزعم القائم أن النبوة انتهت على رسول الله ﷺ، زعم باطل، ولا يعدو كونه لغوا، إن القرآن والأحاديث النبوية، زعم باطل، والحقيقة أن فضل وشأن الأمة المحمدية يكمن في أن يكون فيها أنبياء ورجال يخاطبون الله، ويتكلمون عنه، كما يمكن أن يكون فيها الأولياء والشهداء والعلماء؛ لكي تكون هذه الأمة في الواقع خير أمة »<sup>(5)</sup> .

وقد أحدث ذلك فوضى في النبوة، وفقدت كلمة(النبوة) جلالها وحرمتها وقداستها، وأصبحت العوبة وعيبا، وهان على الناس بعد المرزا أن يتنبؤوا.....ولكن المرزا هو أول من فتح الباب بوجه عام، ونهض

1 - رواه مسلم، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين .

2 - سورة النساء : 58 .

3 - غلام أحمد القادياني، تحفة قيصرية، نقلا عن : إحسان إلهي ظهير، القاديانية، ص 27 .

4 - محمود بن المرزا غلام أحمد، حقيقة الوحي، نقلا عن : عامر النجار، في مذاهب الإسلاميين، البابية - البهائية - القاديانية، ص 198 .

5 - مجلة أخبار الفضل، العدد 50، في 1931/10/25م. نقلا عن : المرجع نفسه والصفحة .

عدد من المتبينين، وقد عد منهم الأستاذ محمد إلياس البرني إلى عام (1936م - 1355هـ) سبعة، ولا شك أنه لم يكن إحصاء دقيقا، وإلا فإن قام أحد بإحصائهم بشيء من الاهتمام والدقة، لوجد في نفس مقاطعة (بنجاب) أكثر من هذا العدد بكثير<sup>(1)</sup>.

وعقيدة استمرارية النبوة كانت لها جناية على الشعور بالمسؤولية وقوة مقاومة الفساد، وإقامة الحق والعدل، مما جعل الأمة تستسلم للأوضاع الفاسدة، وتخلد إلى الدعة والراحة والتواكل، ولهذا يقول أبو الحسن الندوي: « ولا شك أن قضية نبي جديد، وأنبياء جدد، وعقيدة استمرار النبوة ونزول الوحي والمكالمات والمخاطبات الإلهية - التي أسس عليها بعض المدّعين نبوتهم، واستدلوا بها في صدق دعواهم - أدق وأخطر، وأعمق تأثيرا في العقول والنفوس، فإنها تضعف ثقة الأمة بصلاحيّة دينها وشريعته، وخلود رسالتها، واستغنائها عن نبوة جديدة، وعن تعليمات جديدة من السماء، وتحول بينها وبين اعتمادها على طاقتها وصلاحتها وكفاحها، من حيث تشعر ومن حيث لا تشعر، هذا عدا أن إمكان ذلك يجعلها فريسة للأدعياء والدجالين، والمحترفين المشعوذين، ولعبة لدهائهم وذكائهم»<sup>(2)</sup>.

وجمل القول في ختم النبوة أنها قد ختمت بسيد الأنبياء والمرسلين، وأن جميع الدعاوى للنبوة بعد النبي ﷺ - من مسيلمة الكذاب وغيره - باطلة بطلانا بينا، وهذا ظاهر لمن يعرف أوصاف صاحب الرسالة الخاتمة، ومن خصائص الرسالة الخاتمة من العموم والحفظ والخلود والكمال ووجود المعجزة الخالدة الدالة على ذلك، ألا وهي القرآن الكريم .

سابعا - محمد ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين :

- الأمر الأول : الذي يجب الإشارة إليه قبل كل شيء إلى أن جميع البشر سواء من آدم إلى يوم القيامة، لا يتفاضل الناس إلا في أعمالهم، غير أن الله تعالى اختص من البشر الأنبياء كي يكونوا مصابيح الهداية بنور نبوتهم التي وهبها الله إياها، وشرفهم بأكمل الأوصاف وجعلهم أئمة الدنيا والدين، فقال تعالى في وصفهم: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْتُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾<sup>(3)</sup> فالنتيجة المجمع عليها أن الأنبياء أفضل البشر وذلك بتفضيل الله .

1 - أبو الحسن علي الحسيني الندوي، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، (مرجع سابق)، ص 195 .

2 - المرجع نفسه، ص 151 .

3 - سورة الأنبياء : 72 .

- الأمر الثاني : أن الأنبياء يتفاضلون فيما بينهم وهذا التفاضل قائم بأمر الله ولا دخل فيه للأنبياء ولا للبشر، والله قد جعلهم درجات حيث قال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾<sup>(1)</sup>. فهذا التفضيل إذن بأمر الله .

كذا نجد القرآن يتناول بعض الرسل ويعطيهم صفة أولى العزم والصبر مثل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام فقال تعالى في حقهم ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ﴾<sup>(2)</sup>، وهذا يعتبر تفضيل وذلك لقسوة عزائمهم وشدة صبرهم وجهادهم .

الأمر الثالث : إن أفضل الرسل وسيدهم محمد بن عبد الله وهو أيضا باختيار الله لادخل فيه لغيره، لأنه صفة الصفوة وبه ختم الأنبياء والرسل الكرام، وكتابه أعظم الكتب وهو مسك الختام، قال تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>(3)</sup> .

ومما يدل على العظمة والقدرة أن الله قد أخذ الميثاق من الأنبياء في الأزل أنه من أدرك محمد ﷺ في حياته فليؤمن به ويسير على هديه، حيث قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾<sup>(4)</sup> .

كما أخبر النبي ﷺ عن منزلته فقال : « إذا كان يوم القيامة كنت أنا إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر»<sup>(5)</sup> .

وحدث الشفاعة أيضا بين فضله، وإمامته ليلة الإسراء وهي إشارة إلى فضله، وخطاب الله له بوصف النبوة والرسالة إشارة أخرى إلى فضله على الأنبياء الذي خاطبهم الله بأسمائهم، وليس المقصود بقوله تعالى : ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ﴾<sup>(6)</sup> عدم الأفضلية، وإنما المقصود أن تؤمن بجميع الأنبياء ولا تكذب بنبوّة أحد منهم، كما فعلت اليهود والنصارى. ويفسر هذه الآية قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ

1 - سورة الإسراء : 55 .

2 - سورة الأحقاف : 34 .

3 - سورة الأحزاب : 40 .

4 - سورة آل عمران : 80 .

5 - رواه الترمذي، وهذا حديث حسن صحيح غريب، صححه الشيخ الألباني في تحريجه لأحاديث "فقه السيرة" للشيخ الغزالي .

6 - سورة البقرة : 284 .

وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١﴾.

وليس المراد من التفريق الأفضلية، فالأفضلية جائزة بين الرسل بدليل قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ (2). وأيضا قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (3). ومن هذا تتبين الأفضلية وأنها درجات تعظيم في الإسلام .

ومن الأدلة العقلية الأخرى : أنه تعالى وصف الأنبياء بالأوصاف الحميدة ثم قال لمحمد ﷺ : ﴿ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (4). أمره بأن يقتدي بهم بأسرهم فيكون آتيا به وآلا يكون تاركا للأمر وتارك الأمر عاص وإذا أتى بجميع ما أتوا به من الخصال الحميدة فقد اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم، فيكون أفضل منهم .

وأما الدليل العقلي الذي يذكره فخر الدين الرازي : وهو أن دعوته بالتوحيد والعبادة وصلت إلى أكثر بلاد العالم بخلاف سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أما موسى عليه السلام : فكانت دعوته مقصورة على بني إسرائيل، وأما عيسى عليه السلام فدعوته الحقيقية التي جاء بها ما بقيت البتة .

وبهذا ظهر أن انتفاع أهل الدنيا بدعوة محمد ﷺ أكمل من انتفاع سائر الأمم بدعوة سائر الأنبياء عليهم السلام، فوجب أن يكون محمد ﷺ أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام (5) .

إن هذه الأفضلية للنبي محمد ﷺ كان بالإمكان العقلي أن تكون لموسى وعيسى أو إبراهيم أو غيرهم، كما أن الأفضلية التي أعطيت لإبراهيم عليه السلام كان بالإمكان أن تكون لغيره، إلا أن إرادة الله هي التي حددت هذه الأفضليات وجعلتها بهذا الترتيب، فما علينا إلا أن نصدق ونؤكد ما أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى . ومن فضائله ﷺ أنه لم يعطي أحد من الأنبياء والمرسلين معجزة ولا فضيلة إلا وقد أعطي رسول الله ﷺ مثلها أو

1 - سورة النساء : 149 - 150 .

2 - سورة البقرة : 251 .

3 - سورة الإسراء : 55 .

4 - سورة الأنعام : 91 .

5 - فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، أصول الدين، راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، مكتبة الكليات

الأزهرية، [د، ت]، ص 103 - 104 .

أبلغ منها، وهم قد استمدوا معجزاته من نوره، وهذه المميزات والخصائص التي أظهرناها تدلك على أن هذه الرسالة رسالة خاتمة، وأن نبيها هو آخر الأنبياء وخاتمهم .

وأفضلية نبي على آخر تقره اليهودية ليس كل الأنبياء عندها في درجة واحدة .

وقد أشار ابن ميمون إلى هذا الأمر في كتابه مشنه التوراة، حيث اعتبر أن هناك تدرج وتفاوت فيما يخص مراتب الأنبياء، كما هو الحال فيما يتعلق بميدان الحكمة فهذا الحكيم هو أرفع منزلة من ذاك ويوجد هذا أيضا في حال النبوة فهذا النبي أسمى من ذاك<sup>(1)</sup> .

ثامنا - المسيح المنتظر:

### 1 - النظرة اليهودية للمسيح المنتظر :

كلمة "مسيح" تعني ممسوح أو مكرس لعمل ما وقد وردت في العهد القديم كثيرا، إذ كانوا يمسخون الكهنة والأنبياء والملوك بالزيت أو الدهن المقدس « وتلبس هارون أخاك أياما وبنيه معه وتمسحهم وتملأ أيديهم وتقدسهم ليتكهنوا لي »<sup>(2)</sup> .

أما كلمة "مسيح" في العبرية بمعنى المخلص فلم ترد على الإطلاق في العهد القديم ولم تستخدم إلا في الكتابات غير القانونية التي نشأت عام (100 ق.م) وفي الآداب التي ترجع إلى عصر التلمود<sup>(3)</sup> .

ولا يعتبر اليهود المسيح بن مريم المسيح الحقيقي، فهو في نظر كتبة التلمود مُضللّ الشعب، كما دعي بـ "الرجل الذي شق" وأنه ابن غير شرعي حملته أمه خلال الحيض، وكانت تتقمّصه روح "يسو Esau" وأنه مجنون، مشعوذ<sup>(4)</sup>، أما المسيح الحقيقي واسمه عندهم "المسيا" فلم يظهر بعد، وهم يعيشون على أمل ظهوره يوما ما، لأنه هو الذي سيحمل معه وعد الخلاص من التشتت والتيه الذي طال أمده، وأمل تحقيق الحلم القديم بالعودة إلى أرض الميعاد واستعادة المجد الضائع، ثم السيادة على البشرية من جديد .

وقد وضعت للمسيح "المسيا" المنتظر في الفكر الديني اليهودي أو التراث اليهودي شروطا ومواصفات

شخصية، وكذلك علامات تصاحب مجيئه، تختلف ماهيتها وأنواعها باختلاف الطوائف والأعراق

1 - Moïse Maïmonide, le Livre de Connaissance, P85 .

2 - سفر الخروج 41 : 28. وأخبار الأيام الأول 22 : 16. وصموئيل الثاني 10 : 19. والملوك الأول 01 : 39 .

3 - عبد الراضي محمد عبد المحسن، المعتقدات الدينية لدى الغرب، ص 183.

4 - آي.بي.برانايس، فضح التلمود تعاليم الخاطامات السريّة، إعداد زهدي الفاتح، ط 05، بيروت، دار النفائس،

2003م، ص 57 .

اليهودية، وكما اختلفت شروط مجيء المسيح المنتظر وعلاماته فيما بين الفرق والطوائف اليهودية، كذلك اختلفت أشكاله التي ينتظر اليهود ظهوره فيها، والتي اتخذت ثلاثة أشكال :

أ- الملك : وذلك استنادا إلى النصوص التالية: « قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه قائلين : لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما الساكن في السماوات يضحك الرب يستهزئ بهم، حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه، أما أنا قد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي، إني أخبر من جهة قضاء الرب . قال لي : أنت ابني، وأنا اليوم ولدتك أسألني فأعطيك الأمم ميراثا ولك أقاصي الأرض ملكا لك تحطمهم بقضيب من حديد مثل إناء خزاف تكسرهم »<sup>(1)</sup>. وينص سفر هوشع أن المسيح المخلص هو ملك من نسل داود وموعده آخر الأيام «..... لأن بني إسرائيل سيقعدون أياما كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا تمثال وبلا أفود<sup>(2)</sup> وترفيم<sup>(3)</sup> وبعد ذلك يعود بني إسرائيل، ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم ويقرعون إلى الرب وإلى جوده في أحر الأيام »<sup>(4)</sup>. وفي سفر عاموس « في ذلك اليوم أقسم مظلة داود الساقطة وأحصن شقوقها وأقيم ردمها وأبنيها كأيام الدهر، ها أيام تأتي يقول الرب يدرك الحارث الحاصد، وأرد سبي شعبي إسرائيل فينون مدنا. خربة ويسكنون ويفرسون كروما ويشربون خمرها ويصنعون جنات ويأكلون أثمارها وأغرسهم في أرضهم ولن يقلعوا بعد من أرضهم التي أعطيتهم قال الرب إلهك »<sup>(5)</sup>. ومن أهم الشخصيات التي كانت محط آمال اليهود كمسيح مخلص، وأشير إليه على أنه الملك المسيح المنتظر في شخصية زربابل الذي عينه الإمبراطور الفارسي داريوس ( 522-486 ) عام (520 ق.م) حاكما على يهودا. كما كان قائدا للمجموعة الثانية من السبايا العائدين من بابل<sup>(6)</sup> .

هذه بعض من نصوص وأمثلة تشير على انتشار المسيحية في فكر أنبياء بني إسرائيل سواء في فترة ما قبل النبي أو بعده وهي تشير إلى داود كرمز ومثال. ونموذج للملك المخلص الذي سيأتي في نهاية الأيام .

1 - سفر الزمير 02 : 02 - 09 ، و 110 : 01 - 02 . و إرميا 21 : 05 - 06 .

2 - أفود : وتعني هنا صورة تستخدم في عبادة الصنم، وليس هو لباس الكاهن الرسمي . بروس بارتون وآخرين، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 1722 .

3 - ترفيم : وهي أصنام مزلية، وكان الكثير من اليهود يحتفظون في بيوتهم بأصنام صغيرة، خشبية أو معدنية، وكانوا يظنون أنها تحمي البيت وتقدم المشورة في وقت الحاجة . المرجع نفسه، ص 84 .

4 - سفر هوشع 03 : 04 - 05 . وسفر إشعيا 55 : 03 - 04 . سفر إرميا 30 : 03 - 09 .

5 - سفر عاموس 09 : 11 - 15 .

6 - بايز . ك . م . نقلا عن : عبد الرازي محمد عبد المحسن، المعقدات الدينية لدى الغرب، ص 185 - 186 .



(ب) - الكاهن : ويستند هذا الشكل من أشكال المسيح المنتظر على نوعين من النصوص :

1 - نصوص مقدسة عامة وردت في سفر زكريا وهما نصان :

- النص الأول : « فكلمني قائلاً : ألا تعلم ما هذان؟ فقلت لا يا سيدي. فقال : هذان هما المسيحان الواقفان لدى رب الأرض كلها »<sup>(1)</sup> .

- النص الثاني: « هكذا قال رب الجنود قائلاً: هو ذا الرجل الغصن اسمه ومن مكانه بنيت ويبنى هيكل الرب، فهو يبني هيكل الرب وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسیه ويكون كاهنا على كرسیه وتكون مشورة السلام بينهما كليهما »<sup>(2)</sup> .

2- نص متأخر يحدد صفة هذا الكاهن ورتبته وهو: « أقسم الرب ولن يندم . أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق »<sup>(3)</sup> .

وتؤكد هذه النصوص على سمتين للمسيح الكاهن:

أولاً: أنه يتلقى امتيازاته وعطاءاته من الله مباشرة وليس عن طريق تنصيب أرضي .

ثانياً: أن مرتبته تساوي تماماً رتبة المسيح الملك .

وترجع بعض الدراسات اليهودية نشأة هذا الشكل من المسيح المنتظر إلى نجاح الثورة التي قامت بها أسرة الحشمونيين الكهنوتية، وأسفرت عن إقامة حكم مستقل عن الإمبراطورية اليونانية استمرت قرابة قرن من الزمان<sup>(4)</sup> .

ويرى عبد الراضي محمد عبد المحسن أن هذا الشكل من أشكال الخلاص المنتظر له أسباب تاريخية محضة، وليس للدين فيها نصيب إلا بالقدر الذي جعل المؤلفات الدينية اليهودية تستقر في يد الكهنة وتخضع لسلطانهم، بما يفتح الباب أمام إضافة وتكريس مفاهيم وعقائد ما أنزل الله بها من سلطان<sup>(5)</sup> .

(ج) - النبي: ويستند هذا الشكل من أشكال المسيح المنتظر إلى نص سفر الشبية « أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع

1 - سفر زكريا 03 : 13 - 14 .

2 - سفر زكريا 06 : 12 - 13 .

3 - سفر الزامير 110 : 04 .

4 - عبد الراضي محمد عبد المحسن، المعقّدات الدينية لدى الغرب، ص 190 .

5 - المرجع نفسه، ص 192 .

لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه»<sup>(1)</sup> . والشرط الواجب تحقيقه في هذا النبي هو المثلية بموسى .

ويذكر عبد الراضي عبد المحسن أن هناك وثيقة واضحة لأول مرة في نصوص قمران. ففي النص 11-

10 IQS9 من دستور المجتمع الإيماني في قمران، جاء في ترجمته « على الأبرار أن يجيئوا بحسب اللائحة

القديمية التي وضعت لتنظيم حياة المجتمع الأول، وذلك حتى يأتي النبي والمسيحان من هارون وإسرائيل»<sup>(2)</sup> .

وقد اختلف الباحثون اليهود هل المسيح المنتظر خلع له لقب النبوة؟ أم خلع ثوب المسيح المنتظر على

النبي، ولهذا يقول الفريد يسن Alfred jefsen « في نهاية الأمر أسند لقب النبوة إلى المسيح المنتظر» أما

العلامة كارستن كولبي Carsten colpe أستاذ الأديان في جامعة برلين الحرة فقطع في كتابه " خاتم

الأنبياء" بأن عقيدة المسيح المنتظر كني مجهولة التاريخ وغير قابلة للتخمين<sup>(3)</sup> .

ويبدو أن السبب في صعوبة تحديد تاريخ احتمالي لميلاد فكرة المسيح النبي لدى الباحثين هو عدم وجود

نص يتحدث عن المسيح النبي سابق لنص قمران .

ويذكر مؤلف كتاب " jesus otage " ميكل دي إباززا Mikel de epalza أن يهود العصر

الوسيط الذين عاشوا في إسبانيا لا يعترفون بالمهمة الربانية التي أتى بها عيسى، وأسباب ذلك أن رسالته

مختلفة إلى حد بعيد عن مبادئ اليهودية، لأنه جاء كمصلح بسيط ومطهر للقانون اليهودي، كما أن علاقته

- في رأي اليهود- بالرب شهدت عدة انقطاعات متكررة .

ولهذا يرى مايكل أنه لهذه الأسباب تحفظ يهود العصر الوسيط بأن يعطوه أو يمنحوه أقل سلطة دينية

ممكنة، أو إضفاء أي سلطة ربانية على جميع أنشطته، إن على المستوى الديني أو القانوني أو السياسي<sup>(4)</sup> .

وقد أخذ ذلك الرفض اليهودي للأصل الرباني لرسالته أشكالا عديدة لدى مؤلفي العصر الوسيط منها:

- رفض اليهود للفكرة التي مفادها تطبيق جميع السوابق التوراتية على حالة عيسى، وذلك وفقا للطريقة

التي يتبعها المسيحيون والمشملة على إيجاد مواصفات "عيسى المسيح" في الشخصيات التي ظهرت في التوراة.

- علاوة على ذلك، فلا يمكن اعتباره ذلك الرسول من خلال النص الذي ورد في سفر الخروج

1 - سفر التثنية 18: 18-19 . وكذلك 15 : 18 .

2 - عبد الراضي محمد عبد المحسن، المعتقدات الدينية لدى الغرب، ص 193 .

3 - المرجع نفسه، ص 193 .

4 - Mikel d' Epalza, Jésus otage, paris, les éditions du CERF, 1987, P72 .

« فالآن اذهب، وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به »<sup>(1)</sup>. لأنه هارون المقصود هنا . حسب السياق فلا يمكن اعتباره ذلك الملك الذي يدعو شعبه إلى طريق الهداية والنجاة .

وبالرغم من أن تعاليم "المسيح" التي كانت على توافق تام مع العادات والأعراف اليهودية وذلك وفقا للنصوص المسيحية في العهد الجديد، لم تقرأ أبدا من طرف الكتاب اليهود. إلا أنها اعتبرت بمثابة تلك الوسائل التي ساعدت في التحريض على ذلك الجدل أو الهجوم على المسيحيين<sup>(2)</sup> .

ولهذا السبب نرى أنه كيف تفسر الصورة اليهودية "المسيح" وكيف أنها لا تستحوذ على تلك السلطة الربانية، فلم يكن "المسيح" اليهودي بذلك النبي لإسرائيل ولا بالرسول الرباني، ولا أيضا بذلك الملك المبعوث عن طريق الرب، إنه بمثابة ذلك النوع الآخر الفوق الطبيعة التي رفضها اليهود لأن يمنحوها لـ "المسيح" وفقا لمنطق معتقداتهم<sup>(3)</sup> .

أما التلمود فيرى أن العالم سيقبى ألفي سنة في الارتباك والبلبلة. وألفي سنة في سيادة القانون(التوراة) وألفي سنة بعد مجيء المسيح. وعلى هذا لم يبق سوى بضع عشرات السنين على انتهاء العالم، وقد جاء في التلمود أيضا: إن الموعد المحدد لمجيء المسيح قد انتهى . ويذكر التلمود أيضا أن المسيح سيظهر بعد ظهور ياجوج وماجوج وحرب التين Dragon ، كما يؤكد على أن بظهور المسيح فسيدخل جميع الأجانب في الدين اليهودي<sup>(4)</sup> .

وإذا جاء المسيح فإنه يعيد قضيب الملك إلى إسرائيل فتخدمه الشعوب وتخضع له الممالك وعندها يمتلك كل يهودي ألفين وثمانمائة عبد وثلثمائة وعشرة أبطال يكونون تحت إمرته، بيد أن المسيح لا يأتي مالم ينقرض ملك الشعوب غير اليهودية وتلاشى الشقاوة، وذلك لأن إسرائيل إذا كان صالحا يجب عليه أن يعمل بغير هوادة في أن ينبذ المتسلطين على الشعوب دون هوادة، لأن السلطة على الشعوب غير اليهودية هي من نصيب اليهود فقط وفي كل مكان يدخله اليهود يجب أن يكونوا متسلطين<sup>(5)</sup> .

وهناك خلاف بين الحاخامات حول المدة التي يقضيها المسيح على الأرض، فيقول البعض إنه سيقضي

1 - سفر الخروج 04 : 12 .

2 - Mikel d' Epalza, Jésus otage, P73.

3 - Ibid, P74

4 - ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ص 58 .

5 - بولس حنا سعد، همجية الصاليم الصهيونية، ط02، بيروت، المكتب الإسلامي، 1982م، ص 61 .

أربعين سنة، والبعض الآخر يقول سبعين سنة، والبعض الآخر يقول ثلاثة أجيال، وقال آخرون: سيقضي على الأرض المدة التي سبقت مجيئه منذ خلق العالم أو منذ زمن نوح حتى الآن. وذهبت جماعة من الحاخامات إلى أن مملكة المسيح ستستمر لآلاف السنين، لأنه إذا وجدت حكومة جيدة لن تقرض بسرعة<sup>(1)</sup>.

واليهود يصورون المسيح (المسيا)، الذي يترقبون ظهوره، على أنه مضطهد- بكسر الهاء- سيترل التكيات والفواجع والكوارث بغير اليهود، وهم يتلهفون لظهور المسيح، الحقد خاصة في ليلة عيد الفصح<sup>(2)</sup>.

## 2 - النظرة الإسلامية للمسيح المنتظر :

ذكر النووي عدة أقوال عن سبب تسمية عيسى بالمسيح، وهذا يبين اختلاف العلماء في سبب تسميته: منها أن أصله بالعبرانية مشيحا فعرته العرب، وغيرت لفظه، مثلما قالوا عن موسى: أن أصله موشي أو ميشا بالعبرانية فلما عربوه غيره فعلى هذا لا اشتقاق له. كما وقع اختلاف في ذلك حيث حكى ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: لأنه لم يمسح ذا عاهة إلا برئ، وقيل لكونه ممسوح أسفل القدمين لا أخص له، وقيل لمسح زكريا إياه، وقيل لمسحه الأرض أي قطعها، وقيل لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن، وقيل لأنه مسح بالبركة حين ولد، وقيل: لأنه تعالى مسحه أي خلقه خلقا حسنا<sup>(3)</sup>.

ويعتبر عيسى عليه السلام في الإسلام إحدى علامات الساعة الكبرى التي تنبئ بقرب نهاية الحياة الدنيا، وقد وردت عدة أحاديث كثيرة مروية من عدة رواة كالبخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه، تبين أن نزوله يكون لأجل بسط العدل والحكم بشرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. حيث يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويزيل الوثنيات .

ومن الأحاديث المروية في هذا الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»<sup>(4)</sup>. وفي رواية أخرى عن ابن عيينة « إماما مقسطا وحكما عدلا » وفي رواية

1 - ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، (مرجع سابق)، ص 59.

2 - آي. بي. برانانتس، فضح التلمود تعاليم الحاخامات السرية، إعداد زهدي الفاتح، ص 149.

3 - محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج 01، ص 415.

4 - رواه البخاري، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، من كتاب الأنبياء . ومسلم، في باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

يوسف « حكما عدلا » ولم يذكر إماما مقسطا<sup>(1)</sup> .

وقد ذهب أبو هريرة في تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾<sup>(2)</sup> . إن عيسى عليه السلام تصدقه الإنسانية كلها بسبب حكمه بالعدل<sup>(3)</sup> .

وإن كان ابن جرير يرى أن معنى هذه الآية اختلف فيها أي في تأويلها، فقال بعضهم يعني قبل موت عيسى يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتال الدجال، فتصير الملة كلها واحدة، وهي ملة الإسلام وذهب إلى هذا المعنى ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما وذكروا أقوالا أخرى وإن كان القول الذي ذكرناه هو الصحيح. وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موته، لأن المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قبل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك كما دلت عليه الأحاديث المتواترة<sup>(4)</sup> .

كما ذكرت بعض الأحاديث النبوية أن المسيح عيسى عليه السلام يتزل إماما يوم المسلمين فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وأمكم »<sup>(5)</sup> .

ويعتبر النووي أن نزول عيسى عليه السلام ليس من أجل نسخ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا برسالة مستقلة بل هو حاكم من حكام هذه الأمة<sup>(6)</sup> .

وإن كان بعض المعتزلة من ينكر نزول عيسى عليه السلام زاعمين أن هذه الأحاديث وغيرها مردودة بقول الله تعالى: ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾<sup>(7)</sup> . وبقوله صلى الله عليه وسلم: « لا نبي بعدي »<sup>(8)</sup> وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا صلى الله عليه وسلم، وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لا تنسخ .

ويعتبر القاضي عياض أن هذا استدلال فاسد لأنه ليس المراد بتزول عيسى عليه السلام أنه يتزل بشرع ينسخ شرعنا ولا في الأحاديث ولا في غيرها ما يشير إلى هذا، بل صحت الأحاديث هنا أنه يتزل حكما مقسطا

1 - رواه مسلم، في باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

2 - سورة النساء : 158 .

3 - رواه مسلم، في باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

4 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 01، ص 513-514 .

5 - رواه مسلم، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا عمدا صلى الله عليه وسلم .

6 - النووي، بشرح صحيح مسلم، ج 01، ص 379 .

7 - سورة الأحزاب : 40 .

8 - رواه البخاري، باب من سمي بأسماء الأنبياء، من كتاب الأدب .

وقد ادعى غلام أحمد القادياني أنه المسيح الموعود حيث يقول: « إن الله أرسل من هذه الأمة (المسيح) الذي هو أعظم شأنًا من المسيح الأول بمراتب والله الذي نفسي بيده إن كان عيسى بن مريم في الزمن الذي أعيش فيها أنا، ما كان يستطيع أن يعمل ما أعمله، أما وما كان في إمكانه أن يظهر الآيات والبيئات التي أظهرها أنا »<sup>(2)</sup>، ويقول: « أن المسجد الأقصى هو المسجد الذي بناه المسيح الموعود في القاديان »<sup>(3)</sup>.

ويقول: « إن الذي يزور قبة المسيح الموعود (القاديان) البيضاء يساهم في البركات التي تختص قبة النبي الخضراء في المدينة فما أشقى الرجل الذي يحرم نفسه هذا التمتع في الحج الأكبر إلى قاديان »<sup>(4)</sup>.

كما له تصريحات يطعن فيها في عيسى بن مريم ﷺ وفي طهارته وطهارة أمه فيقول من بينها: « إنني أرى بأن المسيح ما كان يتزه عن شرب الخمر »<sup>(5)</sup>. وغير هذا كثير .

كما يعتبر في سنتنا أن من علامات الساعة الكبرى، ظهور المهدي ﷺ في آخر الزمان، حيث وردت عدة أحاديث في هذا الباب، ما وهو من أهل بيت النبي ﷺ ومن ذرية سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما، اسمه هو اسم النبي ﷺ واسم أبيه إذن هو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسيني، والأدلة على ظهوره آخر الزمان قوله ﷺ: « يخرج في آخر أمي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي الممل صحاحا وتكثر المشية وتعظم الأمة، يعيش سبعا أو ثمانيا »<sup>(6)</sup>، وعن الإمام علي عليه السلام قال: قال النبي ﷺ: « المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة »<sup>(7)</sup>. وروى عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « المهدي من عترتي من ولد فاطمة »<sup>(8)</sup>. وعن عبد الله بن مسعود عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجلا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي »<sup>(9)</sup>. وعن

1 - نقلا عن: النووي، بشرح صحيح مسلم، (مرجع سابق)، ج 09، ص 239.

2 - محمود بن المرزا غلام أحمد، حقيقة الوحي. نقلا عن: منظور أحمد جنوبي، القادياني ومعتقداته، جنوب، الإدارة المركزية للدعوة والارشاد، [د، ت]، ص 25.

3 - محمود بن المرزا غلام أحمد، خطبة الهامية. نقلا عن: المرجع نفسه، ص 26.

4 - جريدة الفضل، 13 ديسمبر 1939م. نقلا عن: المرجع نفسه، ص 27.

5 - ريبو آف ريليجر. نقلا عن: المرجع نفسه، ص 26.

6 - روا الحاكم ووافقه الذهبي .

7 - رواه أحمد وابن ماجه وإسناده صحيح .

8 - رواه أبو داود وابن ماجه .

9 - رواه أحمد في مسنده .

عاصم عن زر عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم قال زائدة في حديثه لظنوا أنه ذلك اليوم ثم اتفقوا حتى يبعث فيه رجلا مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي» (1).

كما جاء ذكره تلميحاً في عدة أحاديث في صحيح البخاري، فعن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» (2). وفي رواية عن ابن جرير قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فيترى عيسى بن مريم عليه السلام فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة» (3).

وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن الرسول ﷺ بذكر المهدي، وأنه من أهل البيت الكرام عليهم الرضوان والسلام، وأما ما اعترض من قبل بعض العلماء على ذلك محتجين بحديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: « لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إداراً ولا الناس إلا شحاً ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ولا المهدي إلا عيسى بن مريم» (4)، فإن شيخ الإسلام ابن تيمية قد أجابهم بأن هذا الحديث ضعيف، وهو حديث منكر ومردود عند أغلب المحدثين كما ذكر الذهبي، إذ قال الأزدي منكر الحديث، وذكر الذهبي في كتابه (ميزان الاعتدال) هذا الحديث خير منكر أخرجه ابن ماجه. أما الإمام القرطبي فقد بين الأمر بقوله: « يحتمل أن يكون قوله ﷺ في هذا الحديث أن لا مهدي كاملاً معصوماً إلا عيسى عليه السلام وبهذا يزول التعارض وتجمع الأحاديث» (5).

ويقول ابن القيم رحمه الله: « وهذه الأحاديث وإن كان في إسنادها بعض الضعف والغرابة فهي مما يقوي بعضها بعضاً، ويشد بعضها بعضاً، فهذه أقوال أهل السنة» (6).

وقد ادعت البهائية المهداوية لمؤسسها البهاء حسين علي المازندراني، ومما جاء في أقوالهم: « وهو الموعود

1 - رواه أبو داود، من كتاب المهدي .

2 - رواه مسلم، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة محمد ﷺ، من كتاب الأنبياء .

3 - رواه مسلم، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة محمد ﷺ، من كتاب الأنبياء .

4 - أخرجه ابن ماجه، في الفتن .

5 - نقل عن: خالد فائق العبيدي، آخر الزمان، نبوات المصطفى ﷺ بما سيكون آخر الزمان من العلامات قبل القيامة، ط01،

بيروت، دار الكتب العلمية، 2005م، ص20 .

6 - ابن القيم، المفيد في الصحيح والضعيف. نقل عن: عامر النجار، في مذاهب الإسلاميين، البابية - البهائية - القاديانية،

وبجئته الساعة الكبرى، وقيامه القيامة، ورسالته البعث، والانتهاه إليه الجنة، ومخالفته هي النار»<sup>(1)</sup>.

ومما ورد في أقوال أبي الفضائل - أحد علماء البهائية «لقد أجمعت كافة كتب الله على أنه ستظهر في آخر الأيام طلعة مباركة لتوجد الخلق الجديد وتعيد تنظيم العالم بنظم جديد بحيث تكون الأرض قطعة واحدة والمصالح متشابكة، هذه الطلعة المباركة موسومة في التوراة باسم " الرب " ... وباسم " الله " ... وباسم " الروح " .... وباسم " البينة والرسول " ..... وباسم " المنادي " ..... وباسم " الداعي " ..... وبالنبا العظيم ..... وهو عند الشيعة موسوم " بقائم آل محمد " و " عودة الإمام الغائب " و " الظهور الحسيني " و " المهدي وعيسى " وعند أهل السنة والجماعة " بالمهدي وعيسى " ..... يعلم مما تقدم أن الموعد الذي تغتت بذكره الكتب المقدسة يظهر بعلاماته عندما تطلع شمس الهدى من سماء الحق الذي غربت فيه، وعندما لا يقى من كتب الله إلا

رسمها، وعندما يفتح سد يأجوج الشر ومأجوج الهوى، ويعم الفساد في الأرض . وهذا الموعد لا يظهر باسم " نبي " بل بالأسماء المباركة التي جاء ذكرها في كتاب الله، أي باسم " الرب " والله والروح والبينة والرسول المنادي، والداعي، والنبأ العظيم»<sup>(2)</sup>.

هذا قليل من كثير مما نقلناه عن تصريحاتهم بظهور المهدي الموعد في نظرهم ومعتقدهم .

### 3 - نظرة ابن ميمون للمسيح المنتظر:

يذكر لويس فينكلستين، أن عقيدة المسيح المنتظر أصبحت من أركان الأيمان في اليهودية من خلال البناء النظري العقدي الذي وضع أصوله وصاغ مبادئه في شكلها النهائي الحاخام والعلامة ابن ميمون وذلك في المبادئ الثلاثة عشر التي جعلها أساسا للدين اليهودي وهي الاعتقاد في وجود الخالق، ووحديته، وتزيهه، وأبديته، وأحقية العبادة له وحده، والاعتقاد في الوحي والنبوة، وأن موسى أعظم الأنبياء، والاعتقاد أن الله عالم، والاعتقاد في الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، والاعتقاد في قدوم المسيح، وفي بعث الموتى<sup>(3)</sup>.

ويرى ابن ميمون أن الحكماء والأنبياء يدعون كذلك إلى ظهور المسيح (المسيا)، ليس من أجل حكم

1 - محب الدين الخطيب، البهائية، نقلا عن: عامر النجار، في مذاهب الإسلاميين، البابية - البهائية - القاديانية، (مرجع سابق)، ص 191.

2 - " مختارات من مولفات أبي الفضل " . نقلا عن: أحمد وليد سراج الدين، البهائية والنظام العالمي الجديد، ج 01، ص ص 170 - 171 .

3 - نقلا عن: عبد الراضي محمد عبد المحسن، المعتقدات الدينية لدى الغرب، ص 183.



العالم أو وضع الكفار ( الأمم الأخرى ) تحت السيطرة، وليس من أجل أن تعظمهم الأمم أو ليأكلوا ويشربوا ويفرحوا، أن كل ما يطمحون إليه هو القدرة على استثمار كل أوقاتهم من أجل التوراة والحكمة دون قيود.

في ذلك الوقت لن يكون هناك أي جوع أو حقد أو فوضى لأن الأرض ستحكم من طرف الكل والعالم كله لا يصبح لديه انشغالا إلا معرفة الله<sup>(1)</sup>.

وظهور المسيح يرافقه خروج يأجوج ومأجوج في البداية وهو ما يتفق مع المعتقد الإسلامي في علامات الساعة، ولا يآبه ابن ميمون كثيرا بالمعجزات ولا بخوارق العادات، فبالنسبة إليه الزمن المسيحاني يحمل سلبا وهو التحرر من العبودية لإسرائيل والتي يري أنها مازالت خاضعة للأمم الأخرى، وإيجابا وهي الحرية التي تسمح لهم بالوصول إلى معرفة الله<sup>(2)</sup>.

وللوصول إلى هذا المبتغي ليس هناك ضرورة لإلغاء القانون الأخلاقي أي التوراة البينة أو القانون الطبيعي أو الأخلاق أو الدين، لكي يخضع إلى تحريفات أو تعديلات، فبروز الظواهر الطبيعية في السماء أو على الأرض لا تشكل بالنسبة لابن ميمون حجة شرعية لظهور المسيح، ومهمته أن يعترف بحجة واحدة عمليا وهي نجاح المسيح(المسيا) في مساعيه والتزاماته<sup>(3)</sup>.

والمساوية تعرف أيضا بأشياء تشكيكية وليس بعلاماتها الكونية أو معجزاتها ولكن بنجاحها التاريخي، فليس هناك دستورا خارقا للطبيعة يضمن نجاحها، وليس من الممكن إعادة تصويرها بشكل ما، مادامت لم يعرف حتى زمن ظهورها .

عصر المساوية الذي سيدشن سوف يكون شيء فاصل مثل زمن الإصلاحات، فكل الرؤى التي تذهب ما وراءه خاصة الرؤى المثالية للعالم، سوف ترفضه بكل حزم، العصر المسيحاني هو عبارة عن حقيقة مرئية فليس هو الفرصة الحاسمة ولكن الوجه الأول للمرحلة النهائية باتجاه مستقبل العالم .

وقد حذر ابن ميمون من الذين يستعجلون الخلاص وذلك بإعلان ظهور المسيح المنتظر قائلا: « الله فقط قادر على إحلال العصر المساوي، في زمن لا يعلمه إلا الله وحده، وليس في استطاعة الإنسان أن

1 - Gershom .scholem, **le Messianisme juif**, Angleterre, Calmann-lévy, 1992, P58.

2 - **Ibid**, P58.

3 - **Ibid**, P59 .

يحتسب زمان الخلاص، ولا أن يستعجله بأية معالجة صوفية قبالية لاسم يهوه»<sup>(1)</sup> وحصل أن كثير ممن استعجلوا الأمر - الخلاص - عن طريق بث الفوضى بين الناس، لم يحققوا آمال اليهود بإعلانهم ظهور المخلص، لهذا يسعى حاخامات اليهود إلى ترويض الجماهير اليهودية لمنعها من استعمال الخلاص بالفوضى والقوة على حساب الجماعة .

وما كان يحشاه موسى بن ميمون، قد تحقق من بعده على يد مدعي الخلاص الميساوي ساباتاي إزفاي، وذلك في القرن السابع عشر (1665م-1667م)،<sup>(2)</sup> مما أدى إلى فوضى عارمة عبر دول أوروبا والشرق الأوسط، أدت في النهاية إلى مقتل آلاف اليهود<sup>(3)</sup>.

وينظر ابن ميمون إلى ظهور الميساوية على أنه إصلاح المسيحية، وهو حدث عام البذري يقع داخل المجموعة، حتى خارج زمن المسيح، إن الكتابات الأولى لابن ميمون خاصة " رسالة إلى اليمين " في (1178م) ميلادي هي موجهة للمجموعة اليهودية التي شكلت الحركة الميساوية، أثبتت بأنها تعطي أهمية كبيرة للعوامل الوطنية للميساوية المنتظرة، وفي اللحظة نفسها يركز على أخذ الأمر بأهمية وعجلة<sup>(4)</sup>.

إننا نقرأ عن رأي ابن ميمون في الميساوية « المسيح سوف يعود ويصلح مملكة داود حتى تصبح في قوتها الأولى، وسوف يبني المحراب ويجمع بني إسرائيل المشتتين، كل القوانين الشرعية سوف تطبق في أيام المسيح كما في الأزمنة الغابرة وستقدم قربانا وأيضا السنوات السبتية والإلهية يمكن ملاحظتها بالضبط حسب المواصفات التي ذكرت في التوراة، ومن لا يؤمن بعودة المسيح ولا ينتظر قدمه فإنه يرفض ما جاء به، ليس فقط الأنبياء الآخرين، وإنما أيضا ما جاء في التوراة وجاء به سيدنا موسى »<sup>(4)</sup>.

ولا يظن ابن ميمون أن المسيح سوف يتم كل علامات ومعجزات وسيقوم بأحياء حديقة في العالم كأحياء الموتى..... الخ وفي بداية ظهوره تصبح التوراة مستعملة كل يوم وإلى الأبد، ولا يضاف ولا ينقص شيء من موادها وسيقوم ملك من أعلى بيت داود لدراسة التوراة ويضع أوامرها في إطار التطبيق كما فعل جده داود وارتباطا مع التوراة الكتابية والشفوية، والذي سيدعو كل الإسرائيليين إلى اتباع طريق التوراة

1 - آيان لوستك، الأصولية اليهودية في إسرائيل. نقلا عن: د. جمال البديري، السيف الأحمر دراسة في الأصولية اليهودية

المعاصرة، ط01، دمشق، دار الأوتل للنشر والتوزيع، 2003م، ص55 .

2 - المرجع نفسه، ص55 .

3 - Gershom .scholem, le Messianisme juif, P60 .

4 - Ibid, P57 .

وإصلاح ما فسد منها) أي محاربة الأخطاء الناتجة عن التطبيق الكامل للتوراة) ويقوم بمعارف مقدسة عندئذ يمكن القول على أنه مسيح، كما سينجح في بناء المعبد في مكانه ويجمع بني إسرائيل المشتتين، وسوف يثبت بنجاحه أنه حقا هو المسيح، وسوف يدعو كل العالمين إلى خدمة الله وحده، وكما قال: «سأجعل من الناس تلاميذ مخلصين من أجل إعلاء اسم الله وخدمته تحت راية واحدة»<sup>(1)</sup>.

في المواد الثلاثة عشر التي أسسها ابن ميمون في كتابه شرح المشنة هي عبارة عن قوانين تابعة لديانة اليهود تقرأ كالتالي «المبدأ الثاني عشر بخصوص زمن المسيح يؤكد الاعتقاد والإيمان أو التأمل في الآيات التوراتية بقصد التعجيل يوم عودته، الحكماء يقولون أن تخمد أرواح الذين يحسبون حساب النهاية، يجب أولا الإيمان بالمسيح وحبه، والصلاة له تماشيا مع أقواله ورسائل الأنبياء من موسى إلى ملاخي، إن من يشك في قدرات المسيح أو النيل من عظمته فهو قد أنكر التوراة التي تروي بكل وضوح قدومه»<sup>(2)</sup>.

وفي تاريخ اليهودية ما أكثر المواقف والمناسبات التي حددت لظهور المسيح "المسيا" المنتظر وادعى أفراد أنهم ذلك المسيح وصدقهم اليهود في بعضها واندفعوا ورائهم .

وقد بدأت هذه الحركات (المسياوية) منذ القرن الأول الميلادي، استهلهها قيوداس الذي ظهر في عهد الإمبراطور كلاوديوس ووعد حواريه بأنه سيأتي بالمعجزات والخوارق، ولكن روما لم تمهله حتى يظهر معجزاته وعجلت بموته، ثم أعقبه سيمون بن جيورا أحد زعماء ثورة عام (66م) على عهد الإمبراطور نيرون. وجاء بعدهما لوكاس زعيم يهود بركة. وفي نفس الوقت تقريبا جاء باركوشبا الذي قاد ثورة ضد الحكم الروماني في فلسطين على عهد الإمبراطور هدریان ولكن حركته وأدقها الهزيمة التي لحقت به في عام (125م) وكان من نتيجتها أن حرم على اليهود الوجود في فلسطين . وفي القرن الخامس ظهر بجزيرة كريت من يدعى موسى مدعيا أنه المسيا واستحث بعض أتباعه على التوجه معه إلى أورشليم، ولكن الجميع غرقوا في البحر الأبيض المتوسط .

وبعد قرنين ظهر شخص آخر يدعى أبو عيسى وادعى أنه البشير بالمسيا، وحاول إثبات صحة قوله بإدخال إصلاحات على طريقة الحياة اليهودية، ومهاجمة التلمود، وفي القرن الثامن ظهر مدع مسياوي آخر في العالم الإسلامي، هو يهوذا يوجدان من بلاد فارس .

1 - Gershom .scholem, le Messianisme juif, P57 .

2 - Ibid, P56 .

ومع ازدهار التقاليد القبلية في القرن الثاني عشر ظهر عدد آخر من الذين ادعوا الرسالة الميساوية، ومن أشهر هؤلاء إبراهيم أبو العافية، الذي حين بلغ الأربعين من عمره خيل إليه أنه المسيا وناط نفسه بالرسالة الميساوية، فسافر إلى روما في محاولة تحويل البابا نفسه إلى اليهودية بعد أن حدد لخلّاص اليهود سنة (1290م). هذه وغيرها كانت حركات محلية.

أما أول حركة جاوزت النطاق المحلي وأثارت الجماعات اليهودية في العالم أجمع، فقد كانت حركة ساباتاي إزفاي . وكان ساباتاي إزفاي قد أعلن نفسه المسيا بعد أن نطق بالاسم الخفي الكامل لله، وحدث سنة (1648م) لخلّاص اليهود . ثم عاد تلميذه أبراهام ناتان فأعلن عن نزول الوحي على ساباتاي إزفاي وعن عودة مملكة إسرائيل وحدد موعدا جديدا للخلّاص هو سنة (1666م)، وفي السنة نفسها أعلن ساباتاي إزفاي عزل السلطان العثماني ورحل إلى القسطنطينية ليواصل رسالته الميساوية. ولما انتهى به الأمر إلى اعتناق الإسلام إنقاذاً لروحه اجتاحت اليهود موجة كآبة وخيبة لم يعهدوا مثلها من قبل .

وتوالى حركة ادعاء الميساوية وكان آخرها جاكوب فرانك الذي أعلن حوالي عام (1751م) أنه المسيا الإله، لكن انتهى الأمر به إلى اعتناق المسيحية عام (1751م)<sup>(1)</sup> .

والرسالة الميساوية لم تقتصر على الحالمين والمغامرين، لأن رغبة الخلاص والعودة إلى "الأرض الموعودة" أرض الوطن كما في اليهودية الصهيونية، كانت أمراً منتشرًا وفعالاً بين أشهر علماء اليهود ومفكريهم على الرغم مما يبدو من صبغة تفكيرهم الفلسفي والأخلاقي، وكانوا على لفة شديدة لظهوره فشغلوا كثيراً بحساب تاريخ ظهوره، من هؤلاء موسى بن ميمون الذي قال: « وهو السبب في رجوع النبوة لنا على معتادها في أيام المسيح لعله يظهر قريباً كما وعد »<sup>(2)</sup> . والذي يذكر عن تقاليد أسرته أن البشير بقرب ظهور المسيا سيكون في عام (1216م)<sup>(3)</sup> .

وبنا دخل اليهود عصر التنوير لم يحتف أمل اليهود في الخلاص، ولكنه اتخذ صورة الأمل الملموس الواقعي في لم شملهم " كشعب " وفقاً لتخطيط سياسي ديني عنصري شامل قامت على تنفيذه الصهيونية كحركة وتحقيقاً لما نادى به التلمود من أن العصر السابق على ظهور المسيا وعصر المسيا هو " زوال عبودية بني

1 - لمعرفة المزيد من ادعاء الميساوية راجع، صيري جرجس، التراث اليهودي الصهيوني، ط01، القاهرة، عالم الكتب، 1970م، ص ص305 - 307 .

2 - موسى بن ميمون، دلالة الحاترين، ص 405 .

3 - المرجع السابق، ص 307 .

## 4- المساوية وتأثيراتها على المسيحية ومجتمعاتها:

أ- على المسيحية<sup>(2)</sup> :

لم تكن أوروبا- قبل عهد الإصلاح الديني- ترى اليهود الشعب المختار، وإذا كان اليهودي مختاراً لأمر ما فإنه اختير للجنة .

واليهود في نظر المسيحية مارقين، وقتلة المسيح، ولم تكن هناك ذرة حب عاطفي للمجد القلم الذي يزهو به اليهود، ولم تكن هناك بارقة أمل لبعث اليهود روحياً أو قومياً .

ولم تكن الصهيونية حاضرة في الوعي الأوروبي في العصور الوسطى، وتطور الاهتمام بالتوراة تحت شعار(العودة إلى الكتاب المقدس)، وأصبح العهد القلم مرجعاً للاعتقاد والسلوك، ودعي المؤمنون للعودة إلى الكتاب المقدس نفسه، باعتباره مصدر المسيحية النقية الثابتة وإلى فهم النصوص بمعناها البسيط.

وبعد ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات القومية أصبح ما ورد في العهد القلم من تاريخ ومعتقدات وتشريع أموراً مألوفة، وصار كثير من البروتستانت يحفظونها، وأصبح المسيح نفسه واحداً من سلسلة طويلة من الأنبياء العبرانيين، وحل إبراهيم وإسحاق ويعقوب محل القديسين الكاثوليك<sup>(3)</sup>، و«الحقيقة أن العهد القلم لم يصبح فحسب أحب كتاب إلى قلوب البروتستانت، بل أصبح مرجعهم الرئيس ومصدرهم الموثوق به الذي استمدوا منه معرفتهم بالله ومعرفتهم بالتاريخ، فحكايات ذلك الجزء من الكتاب المقدس ورواياته التاريخية وأساطيره لم ينظر إليها بوصفها كذلك بل بوصفها التاريخ الحقيقي لله والعالم»<sup>(4)</sup> .

وهذا أصبح العهد القلم المرجع الأعلى لفهم العقيدة المسيحية وبلورتها، وفتح باب تفسير نصوصه أمام الجميع لاستخراج المفهومات الدينية دون قيود. واعتبرت اللغة العبرية- باعتبارها اللغة التي أوحى الله بها،

1 - صبري جرجس، التراث اليهودي الصهيوني، (مراجع سابق)، ص308 .

2 - لا تهدف من هذا العنوان الدراسة التاريخية لنشأة الحركة الإصلاحية، وأثرها في تغير العقائد المسيحية وموقف الكنيسة الكاثوليكية منها، وإنما قصدنا إظهار الدافع لهذا التغير، وموقف المذاهب المسيحية من اليهود والمسيح المنتظر وأرض الميعاد، وأثر هذه العقائد على الساسة ورجال الدين النصارى .

3 - كامل سفعان، اليهود من سراييفو إلى مقاصر الفاتيكان، القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، [د، ت]، ص175 .

4 - شفيق مقار، المسيحية والتوراة. نقلا عن: محمد بن علي بن محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، ط01.

الرياض، مجلة البيان، 2003م، ص89 .

واللسان المقدس هي اللغة المعتمدة للدراسة الدينية<sup>(1)</sup>.

وقد نتج عن هذا التصور التأثيرات التالية:

1- إمكان قبول التفسير اليهودي للعهد القديم، ولاسيما التفسير المتعلق بمستقبل استعادة اليهود لفلسطين.

2- اقتناع طلبة الجامعات والباحثين بأن كلمة إسرائيل الواردة في العهد القديم تعني كل الجماعات اليهودية في العالم.

3- قبول التفسير بارتباط زمن نهاية العالم بعودة المسيح الثانية، وأن هذه العودة مرتبطة بمقدمة تشير إلى عودة اليهود إلى فلسطين<sup>(2)</sup>.

وكان للقبلاية المكان الأول من بين النصوص العبرية التي كانت تدرس بعناية خلال عصر الإصلاح الديني.

والأدب القبلاي يعد من كنوز الحكمة القديمة، كما كانت الصوفية القبلاية تعد تحولاً جذرياً عن النظام اللاهوتي العقيم الذي كان معروفاً في العصور الوسطى.

ويرى محمد السّمّاك أن الأدبيات اليهودية التي تسربت إلى صميم العقيدة اليهودية تدور حول أمور ثلاث:

الأمر الأول: هو أن اليهود هم شعب الله المختار، وأنهم يكوّنون بذلك الأمة المفضلة على كل الأمم.

الأمر الثاني: هو أن ثمة ميثاقاً إلهياً يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وأن هذا الميثاق الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام هو ميثاق سرمدى حتى قيام الساعة.

الأمر الثالث: هو ربط الإيمان المسيحي بعودة السيد المسيح (المسيا) بقيام دولة صهيون، أي بإعادة تجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم<sup>(3)</sup>.

فهذه الأمور الثلاث تألّف في الماضي، وإلى اليوم تألّف قاعدة الصهيونية المسيحية، التي تربط الدين بالقوموية، والدين بالسياسة، والتي تسخّر الاعتقاد الديني لتحقيق مكاسب اليهود.

1 - محمد السّمّاك، الصهيونية المسيحية، ط4، بيروت، دار النفائس، 2004م، ص35.

2 - يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني. نقلاً عن: محمد بن علي بن محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، ص ص89 - 90.

3 - المرجع السابق، ص34.

إن المسيح المنتظر (المسيا) الذي يعمل اليهود على التعجيل بخروجه ليخلصهم من الذل الذي هم فيه، لم يكن حكرا عليهم بل اشترك معهم المسيحيون الذين يحملون نفس المعتقد بتخليص البشرية من خطاياها، ولهذا تنفذ اليهود في المراكز الدينية، للمسيحيين- وخاصة منها البروتستانتية- وأول ما بدأ هذا التغلغل في الكنيسة نفسها، حتى أصبحت الأدبيات الدينية اليهودية تحتل الموقع الممتاز في معركة الإصلاح الديني .

وقد نشر مارتن لوثر زعيم حركة الإصلاح<sup>(1)</sup> ورائد المذهب البروتستانتي كتابا في سنة (1523م) باسم "عيسى ولد يهوديا" قال فيه: « إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم، إن اليهود هم أبناء الله، ونحن الضيوف الغرباء، ولذلك فإن علينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب»<sup>(2)</sup>. وهذا التغلغل تم من خلال الحركة البروتستانتية (الإصلاحية)، ثم من خلال الحركة التطهيرية (Puritanisme)، وكانت الكنيسة الكاثوليكية تتمسك باعتقادها بأن ما يسمى بالأمة اليهودية قد انتهى، وأن الله طرد اليهود من فلسطين إلى بابل عقابا لهم على صلب المسيح<sup>(3)</sup>، وتعتقد الكنيسة أيضا أن النبوءات الدينية التي تتحدث عنها العودة تشير إلى العودة من بابل، وأن هذه العودة قد تمت بالفعل على يد الإمبراطور الفارسي قورش<sup>(3)</sup>.

وصاحب هذا الاعتقاد الفيلسوف الديني القديس أوغسطين الذي كان يعتبر القدس مدينة العهد الجديد، وأن فلسطين هي إرث المسيح والمسيحيين<sup>(4)</sup>.

إلا أن الإصلاح الديني تنكر لهذا الاعتقاد، واعتبر اليهود هم الأمة المفضلة، وأن عودتهم إلى فلسطين تحقق وعد الله، وأن هذه العودة ضرورية لعودة المسيح وقيام مملكته مدة ألف عام .

وبسبب هذا التغلغل، أصبح العهد القديم المرجع الأول لفهم العقيدة المسيحية، كذلك اعتبرت اللغة

1 - وقد سبق مارتن لوثر، للإصلاح الديني المسيحي نبيه اسمه إيراسموس من نوتردام، وكان أول عمل إصلاحى قام به أنه فنّد الترجمة اللاتينية وأثبت أنها مملوءة أغلاط لأنه كان قد أحكم اللاتينية واليونانية، وأعلن إخراجه نسخة جديدة وصحيحة من العهد الجديد اليوناني، وعرفت هذه النسخة في باسال سنة (1516م)، أي قبيل الإصلاح بسنة، إلا أن إيراسموس لم يتمكن من إكمال الإصلاح، ولهذا قال عنه لوثيروس أن إيراسموس قادر على إبطال الضلال لكنه لم يعرف كيف يعلم الحق، إنه كان مسيحيا لكن تجاوزه الحد في العجب حال دون تأثيره في أهل عصره . جميل مدبك، موسوعة الأديان في العالم- الإصلاح الديني المسيحي، بيروت، [د، د]، [د، ت]، ص ص 22 - 23 .

2 - Martin Luther, Saemtliche Werke، نقلا عن: محمد السّمّك، الصهيونية المسيحية، ص 34 .

3 - المرجع نفسه، ص 35 .

4 - المرجع نفسه والصفحة .

العبرية- باعتبارها اللغة التي أوحى بها الله، اللسان المقدس الذي خاطب به شعبه المختار- هي اللغة المعتمدة للدراسة الدينية .

ويذكر محمد السّمّاك أن من أبرز مظاهر التغلغل اليهودي في المعتقدات المسيحية من خلال الحركة البروتستانتية في هذا العهد هي:

1- استعمال العبرية لغة الصلاة في الكنائس وفي أثناء تلاوة الكتاب المقدس .

2- تعميد الأطفال في الكنائس بأسماء عبرية بعد أن كان يتم تعميدهم بأسماء القديسين المسيحيين .

3- نقل يوم الاحتفال الديني ببعث المسيح إلى يوم السبت اليهودي<sup>(1)</sup> .

وهذا التغلغل العميق للفكر اليهودي في الحركة الدينية البروتستانتية بواسطة ترجمات الكتاب المقدس إلى اللغات القومية، تغيرت كثير من المفاهيم في الفكر المسيحي؛ منها ما يتعلق بأرض الميعاد .

وأصبحت فلسطين في تراثيل الكنائس ومواعظها، وفي العقل المسيحي في أوروبا البروتستانتية، الأرض اليهودية، وصار اليهود هم شعب فلسطين الغريباء في أوروبا والغائبين عن وطنهم ، وسعودون إليه في وقت قريب .

وتأصل الفكر البروتستانتية في الذهنية الأوروبية، أصبحت فلسطين عند الأوروبيين هي أرض اليهود والوطن الذي خص الرب به بني إسرائيل، بناء على الوعد الموجود في العهد القديم. وسرى في نفوس الأوروبيين اعتقاد بأن من الضروري عودة اليهود المشتتين في أنحاء العالم إلى أرض الأجداد<sup>(2)</sup> .

والعمل على تجميع اليهود في فلسطين لم يكن حبا في اليهود، بل لأن هناك عقيدة عند النصارى مفادها: أن عودة المسيح الثانية إلى الأرض، وبداية العصر الألفي السعيد لن يتحققا إلا إذا سبقهما تجميع اليهود بفلسطين<sup>(3)</sup>، والذي قادهم إلى هذا الاستنتاج، هو التفسير الحرفي لسفر الرؤيا<sup>(4)</sup> .

1 - حمد السّمّاك، الصهيونية المسيحية، (مرجع سابق)، ص38 .

2 - محمد بن علي بن محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، ص90 .

3 - المرجع نفسه، ص39 .

4 - رؤيا يوحنا: «هي مجموعة من الرؤى المتتابعة، تنسب إلى يوحنا اللاهوتي صاحب الإنجيل الرابع، أعرب عنها الكاتب بأسلوب رمزي، مما جعل النصارى يختلفون في تأويلها وتفصيلها، وسميت (رؤيا) لأنها تشبه الأحلام، لكن يوحنا رآها في اليقظة، ويزعمون أنها وحي، أوحى إليه ثروح فيها بكثير من حقائق الديانة النصرانية وأحداث المستقبل، فهي نبوءة توسلت الرؤى والرموز لتهيئة النصارى لما سيواجههم من اضطهاد، وإلى مجيء المسيح ثانية، واليوم الآخر، والجنة والنار». عبد الوهاب طويلة، الكتب السماوية وشروطها. نقلا عن: محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، ص91 .



ويعتقد المسيحيون أن تجميع اليهود في فلسطين، وتأسيس دولة لهم هناك يجعل بالجميـء الثاني للمسيح "عيسى بن مريم" ويقول ول ديورانت: «وكان ثمة عقيدة مشتركة وحدت الجماعات المسيحية المنتشرة في أنحاء العالم: هي أن المسيح ابن الله، وأنه سيعود لإقامة مملكته على الأرض، وأن كل من يؤمن به سينال النعيم المقيم في الدار الآخرة»<sup>(1)</sup>.

كما أن اليهود كذلك ينتظرون مجيء مسيحيهم (المسيا)، وهو يمثل حجر الزاوية في الإيمان اليهودي، إذ المسيح هو «أحد نقاط التماس بين الديانتين»<sup>(2)</sup>.

كما أنه أحد نقاط الافتراق بين الديانتين، ففي اليهودية أن المسيح ملك من نسل داود<sup>(3)</sup> لأول مرة يبعث، وبعثه سوف يدخل جميع الأجناب إلى اليهودية، وأنه محررهم من الاضطهاد، وسوف يترل النكبات والفواجع بأعدائه (المسيحيين والمسلمين)<sup>(3)</sup>، وهو ما أشارت إليه بروتوكولات حكماء صهيون «وإن هذا الملك يجب أن يبدأ بإطفاء هذه النيران التي تندلع اندلاعا مطردا من كل الجهات. ولكي يصل الملك إلى هذه النتيجة يجب أن يدمر كل الهيئات التي قد تكون أصل هذه النيران...»<sup>(4)</sup>.

أما المسيح في المسيحية هو عيسى<sup>(5)</sup> الذي بشرت به نبوءات العهد القديم يعود ثانياً إلى شعبه المسيحي ليقم العدل<sup>(5)</sup> ويقا تل أعداءه (اليهود والمسلمين).

= وذهب الشيخ "رحمة الله" إلى أن هذه الرؤيا لا يصح إسنادها إلى يوحنا الحواري، لأنها بلا حجة على ذلك، وكانت مشكوكا فيها إلى سنة (363م) وبعض فقراتها مردودة وغلط إلى الآن عند جمهور المحققين، ولذلك ترددها الكنيسة السريانية، وأن كثيرا من محققى البروتستانت لا يسلمون بما كذلك.

وأثبت المحقق بروبرا يوالد بالشهادة القوية أن إنجيل يوحنا وكتاب المشاهدات لا يمكن أن تكون من تصنيف مصنف واحد. حيث إن إنجيله والرسالة الأولى له كانت على اللسان اليوناني وليس فيها ألفاظ صعبة، بخلاف عبارة المشاهدات (الرؤيا)، لأنها على خلاف محاوره اللسان اليوناني، ويستعمل السياق الوحشي. وأما على خلاف عاداته (أي يوحنا)، فهو لم يظهر اسمه في الأسفار المنسوبة إليه في العهد الجديد (لا الإنجيل الرابع، ولا رسائله الثلاث العامة الكاثوليكية الملحقه بإنجيله)، بخلاف هذه الرؤيا. الشيخ رحمة الله، إظهار الحق، تحقيق عمر الدسوقي، بيروت، المكتبة العصرية، 1998م، ص 137-139.

1 - ول ديورانت، قصة الحضارة، ج 03، ص 290.  
2 - أليوتو دانزول، اليهودية والغيرية، غير اليهود في منظر اليهودية، ترجمة ماري شهرستان، ط 01م، دمشق، دار الأوتل، 2004م، ص 102.

3 - عابد توفيق الهاشمي، فضيحة التلمود، ط 01، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2000م، ص 51 - 52.  
4 - سرجي نيلوس، الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة محمد خليفة الترنسي، الجزائر، دار التنوير للنشر والتوزيع، 2004م، ص 250.

5 - والناظر في الأوصاف التي ذكرها يوحنا اللاهوتي في رؤياه يرى أنها لمسيح يهودي، من أصل داود «الذي له مفتاح داود» رؤيا يوحنا 03: 07. ومحارب «وعيناه كليل نار... وهو متسريل بثوب مغموس بدم» رؤيا يوحنا 19: 12-13.

وهذا التقاطع والافتراق في التصور النظري العقائدي بين اليهودية والمسيحية في المسيح المنتظر، سبب حرجا بالغاً للمسيحيين أتباع الكنائس البروتستانتية والصهيونية المسيحية، وأيضاً للصهيونيين اليهود، الذين يطمعون في مساعدة المسيحيين لهم في الاستيطان في فلسطين، حيث إن المسيحيين يؤمنون بأن المسيح عيسى عليه السلام، هو المسيح الذي بشرت بحجته نبوءات (العهد القديم)، بينما اليهود يرفضون ذلك، ويتمسكون بأن المسيح (المسيا) الموعود عندهم والمخلص لهم لم يأت بعد .

وهذا الافتراق في شخصية المسيح المنتظر لا يعطل مسيرة العمل المشترك بينهما تمهيدا لحجته، بل إن كليهما يعين الآخر في القدر المشترك من التقاطع، فهما متفقان على ضرورة إعادة بناء الهيكل في ساحة الأقصى، وتجميع اليهود في فلسطين، تعجلاً لظهور المسيح المنتظر .

ويعتقد اليهود أن المسيح المنتظر سوف يأتي آخر الزمان ليقود الجيش اليهودي ضد جيش الأعداء، في معركة هرجمذون<sup>(1)</sup> وينتصر عليهم وتتحكم صهيون في كل الشعوب والأمم، وينبذ العالم الحروب، في ظل سلام صهيوني، وتختفي كل الأديان، فلا تبقى إلا الديانة اليهودية الخاضعة لعبادة إلههم يهوه .

إن اختراق المسيحية من طرف المسيواوية (حركة انبعاث المخلص) كان منذ البداية، وكما ذكرنا سابقاً أن إنجيل يوحنا ورسائله ومشاهداته (رؤاه) لم يسلم علماء نقد الكتاب المقدس بصحتها ونسبتها ليوحنا<sup>(2)</sup> .

- 1 - وردت كلمة هرجمذون مرة واحدة في الإنجيل، وتحديدًا في سفر الرؤيا، الإصحاح 16: 16 « فجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية هرجمذون » . ولم ترد تلك الكلمة في العهد القديم (التوراة) .
- 2 - عبد الوهاب طويلة، الكتب السماوية وشروط صحتها. نقلًا عن: محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، ص 92 . ويذكر كميل خباز: «إن أئمة اليهود وضعوا مؤامرة سرية تهدف إلى القضاء على المسيحية بأساليب متعددة، ومنها تحريف الإنجيل، حيث إن رؤيا يوحنا، وهي آخر الأسفار في الكتاب المقدس عند المسيحيين، هي نبوءة كاذبة ومدسوسة، كما أنها تولف إحدى حلقات تلك المؤامرة .

وهذه الرؤيا لم تكن في الأصل كتاباً واحداً كما هي عليه اليوم، بل هي عبارة عن ثلاثة نصوص مستقلة، دونت على مراحل، ثم أعيدت صياغتها في سفر واحد في أواخر القرن الميلادي الأول. وهذه النصوص هي:

النص الأول: (الرسائل إلى الكنائس السبع)، هو الإنجيل اليهودي النصراني الذي انتشر نحو سنة (57م) في كنائس غلاطية (تركيا) على يد رسل كذبة .

النص الثاني: هو نبوءة عن قرب مجيء الدينونة (رؤيا: 01) بشكل رسالة منحولة نسبت ليوحنا إلى القديس بولس الرسول، ونشرت في كنيسة تسالونكي سنة (52م). وقد دحض بولس الرسول تلك النبوءة في رسالته الثانية إلى أهل تسالونكي .

النص الثالث: هو نبوءة قمرانية عن مجيء القيامة، كُتبت سنة 66م، في مطلع الحرب اليهودية الكبرى (66م-70م). وبعد سقوط أورشليم سنة (70م)، واقضاء الصلوقيين عن الزعامة الروحية للشعب اليهودي؛ تابع الفريسيون حرهم السرية ضد المسيحية، وفي أواخر عهد الإمبراطور دوميتيان (81م-96م) جمعت النصوص الثلاثة المذكورة في كتاب واحد (رؤيا يوحنا) بعدما صيغت بصيغة مسيحية. ومن المعروف أن انتشار الرؤيا في ذلك العهد توافق مع موجة أعيدت صياغتها من

ومما يزيد من حقيقة هذا الاختراق والتحرير للمسيحية، مخططات حكماء صهيون، وذلك في البند السابع عشر حيث تقول الفقرة التالية : « وقد عينا عناية عظيمة بالخط من كرامة رجال الدين Clergy من الأميين (غير اليهود) في أعين الناس، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كئودا في طريقنا. وإن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوما بعد يوم.

اليوم تسود حرية العقيدة في كل مكان، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية<sup>(1)</sup> كلية انهارا تاما. وسيبقى ما هو أسير علينا للتصرف مع الديانات الأخرى..... سنقصر رجال الدين وتعاليمهم له على جانب صغير جدا من الحياة. سيكون لها أثر مناقض للأثر الذي جرت العادة أن يكون لها»<sup>(2)</sup>.

وإذا اتجهنا إلى موقف الكنيسة الكاثوليكية من اليهود، خلال ما يقرب من ألفي عام، نجده يقوم على ثلاث نظريات، حتى وقت انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني عام (1964م) :

- أن اليهود بقتلهم يسوع (المسيح عليه السلام)؛ قد قتلوا الرب، حسب زعمهم .
- الشعب المختار منذ ذلك الوقت هم الكنيسة .
- والعهد القديم تجسيد رمزي مسبق للعهد الجديد<sup>(3)</sup> .

فالفكر الكاثوليكي التقليدي، قبل عهد الإصلاح الديني، لم يكن له أدنى احتمال لعودة اليهود إلى فلسطين، أو لأي فكرة عن وجود الأمة اليهودية. وكان القساوسة الأوائل يرفضون التفسير الحرفي للتوراة ويفضلون الأساليب الأخرى للتفسيرات اللاهوتية .

وفي فترة الصراع بين المسيحيين واليهود لم تكن فلسطين تذكر إلا على أنها أرض المسيح المقدسة، وظلت كذلك طوال مئات السنين القليلة التالية، إلى درجة أن الرجل الإنجليزي كان يقول : « حينما أموت

= الاضطهادات قامت بها السلطات الرومانية ضد المسيحيين). جريدة الأنوار اللبنانية، تاريخ 1990/6/8م. نقل عن: محمد السّمك الصهيونية والمسيحية، (مراجع سابق)، ص 36 - 37 .

1 - ولهذا فاليهود يسمحون لأنفسهم بالتحويل إلى دين إيماننا به، وقد تنصرت أسرة (بارليوني) اليهودية بزعامه (باروخ)، وهي أغني أسر روما، ثم تسلت إلى الفاتيكان، وظهر منها أربع باباوات أسهموا في إيقاد الحروب الصليبية ضد المسلمين. د. عابد توفيق الهاشمي، فضيحة بروتوكولات حكماء صهيون، ط 01، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2000م، ص 99 .

2 - سرجي نيلوس، الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة محمد خليفة التونسي، ص 222 - 223 .

3 - رجاء جارودي، فلسطين أرض الرسالات المساوية. نقل عن: محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، ص 71 - 72 .

ستجد فلسطين ساكنة في قلبي»<sup>(1)</sup> .

واستمرت فلسطين، كأرض مقدسة، تحتل مكانا بارزا في خيال أوروبا المسيحية؛ سواء لأسباب دينية أو سياسية أو اقتصادية .

وعلى ضوء العهد الجديد، فسرت الكنيسة الكاثوليكية كل الإشارات والتنبؤات المتعلقة باليهود في الكتاب المقدس تفسيراً جديداً، يستبعد أي مضمون سياسي للنصوص قد يعني فرضية عودة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها<sup>(2)</sup> .

ولكن ما لبث هذا الموقف المسيحي الكاثوليكي طويلاً، حتى تناقست أهمية فلسطين (وأورشليم) في نظر الكنيسة، لاسيما بعد عام (590م)، ففي عهد البابا غريغوار الأكبر، والذي كان جالسا على كرسي البابوية مركز السلطة المسيحية، منح الأولوية هاتيا لروما، وبذلك لم يعد للقدس دور في القيادة الروحية، وإنما اعتبرت مكاناً للحج، ولم تستعد مكانتها إلا عندما نشبت الحروب الصليبية<sup>(3)</sup> .

وهذا التغيير الأولي من التقليل من أهمية فلسطين نتج عنه استغلال اليهود لمصلحتهم، فركزت الحركة الصهيونية (المسيوية) جهدها للتغلغل في الدوائر الكاثوليكية العليا، سعياً لتغيير موقف الكنيسة الكاثوليكية من اليهود، وبالتالي من أمانهم، وخاصة فيما يتعلق بإسرائيل .

فدفعت بيهود متصرين أعلنوا الكهنوت الكاثوليكي، تدق بهم أبواب الفاتيكان بعنف وإصرار، محاولة منها كسب اعتراف الفاتيكان بها، لما يمثله هذا الاعتراف من قوة أدبية لإسرائيل والصهيونية<sup>(4)</sup> .

وازداد نشاط الحركة الصهيونية في الفترة التي سبقت انعقاد المجمع المسكوني سنة (1963م)، وكان نشاطها يرمي إلى تحقيق عدة أهداف وهي:

**الهدف الأول:** التقليل من نظام المركزية في الفاتيكان، حيث ارتفعت أصوات كثيرة للمطالبة بتوسيع اختصاصات كبار رجال الكنيسة في أماكن إقامتهم، وهذه الخطوة ترمي لإحداث تباين في الآراء، مما ينجر عنه شق عصا الطاعة، وقد استحاج البابا بولس السادس إلى هذه الدعوة سنة (1963م) .

1 - محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، (مرجع سابق): ص 71 .

2 - المرجع نفسه، ص 72 .

3 - المرجع نفسه، ص 74 .

4 - محمود نعاية، الصهيونية في الستينات، نقلا عن: المرجع نفسه، ص 75 .

**الهدف الثاني:** إثارة الرأي العام ضد البابا بيوس الثاني عشر، وبالتالي ضد الفاتيكان، لموقفه السليبي من اضطهاد الحركة النازية لليهود، والغاية من ذلك الحصول على بيان من المجمع المسكوني يساعد الحركة الصهيونية في أطماعها على فلسطين .

**الهدف الثالث:** إقحام رجال الكنيسة الكاثوليكية في القضية الصهيونية، والحصول على تأييدهم أمام الرأي العام .

**الهدف الرابع:** تفسير الكتاب المقدس أو تحريفه، مما يؤدي إلى إعادة كتابة دور اليهود في اضطهاد المسيحيين الأوائل، وخاصة فيما يتعلق بموضوع صلب المسيح <sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من المذكرات المنددة باليهود من طرف الفاتيكان والتي أرسلت إلى عصبة الأمم سنة (1922م) يعارض فيها إنشاء دولة يهودية في فلسطين. والمذكرة التي أرسلها سنة (1943م) إلى الحكومة الأمريكية يحدد معارضته، وفي سنة (1944م) أرسل الفاتيكان مبعوثاً-ماكماهون- إلى الولايات المتحدة الأمريكية للتحذير من خضوع الغرب إلى المطالب الصهيونية . إلا أن التحذيرات والضغطات لم تجدي نفعا. «وتوجت جهود الصهيونية على الكنيسة الكاثوليكية والفاتيكان في اكتساب عدد من الأنصار، من بين صفوف أعضاء المجمع المسكوني المقدس- الذين طلبوا إلى المجمع المسكوني أن يستنكر التيارات المعادية لليهود في العالم، وأن يلغي من الصلوات المسيحية تلك العبارات التي تسيء إلى اليهود، وأن يصدر وثيقة تبرئ اليهود من مسؤولية صلب المسيح، وإلقاء هذه المسؤولية على الجنس البشري كله»<sup>(2)</sup> .

وصدرت الوثيقة (1963/11/20م) بقلم الكاردينال بيا الألماني، وفي معرض دفاعه عن هذه الوثيقة، قال: «إن الكنيسة ما هي إلا استطراد لشعب إسرائيل المختار. إن الكنيسة لا يمكن أن تنسى أن المسيح جاء في الجسد من نسل إبراهيم، وأن أمه المباركة، وكذلك الرسل، هم أيضا من نسله»<sup>(3)</sup> .

بهذا الموقف وغيره من المواقف الأخرى، أصبح الفاتيكان معترفا بالكيان الصهيوني، وأصبح همه محصورا في إيجاد ضمانات لحرية ممارسة الشعائر الدينية لجميع الأديان في القدس .

وبهذا نجحت الصهيونية في أن تدخل البيت الكاثوليكي، بعد أن ضمت من قبل الكنائس البروتستانتية.

1 - محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، (مرجع سابق)، ص 77 - 78 .

2 - محمود نعاة، الصهيونية في الستينات، نقلا عن: المرجع نفسه، ص 79 .

3 - محمود نعاة، الصهيونية في الستينات، نقلا عن: المرجع نفسه والصفحة .

وهو ما سعوا إليه سابقا في بروتوكولاتهم الخطيرة، حيث قالوا: «حينما يحين الوقت كي نخطم البلاط البابوي The Papal court تحطيمًا تامًا فإن يد مجهولة، مشيرة إلى الفاتيكان The Vatican ستعطي إشارة الهجوم. وحينما يقذف الناس، أثناء هيجانهم بأنفسهم على الفاتيكان سنظهر نحن كحماة لوقف المذابح. وبهذا العمل سننقذ إلى أعماق البلاط، وحينئذ لن يكون لقوة على وجه الأرض أن تخرجنا منه حتى نكون قد دمرنا السلطة البابوية. إن ملك إسرائيل سيصير البابا Pope الحق للعالم، وبطريك Patrich الكنيسة الدولية. ولن نهاجم الكنائس القائمة الآن حتى تتم إعادة تعليم الشباب عن طريق النقد Critieisim الذي كان وسيظل ينشر الخلافات بينها.....»<sup>(1)</sup>.

(ب) - على المجتمعات المسيحية :

(1-1) - في أوروبا :

فالعلاقات بين المسيحيين واليهود لم تكن في كثير من الأوقات ودية، بل بعض هذه العلاقات مصبوغة بالدم، حيث شهدت أوروبا خلال القرون الوسطى، وبخاصة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، سلسلة دامية من الأحداث والصراعات والاضطهادات ضد اليهود، فقد طرد اليهود من إنجلترا في نهاية القرن الثالث عشر، ومن فرنسا في نهاية القرن الرابع عشر، ومن أسبانيا في نهاية القرن الخامس عشر<sup>(2)</sup>. والسبب في ذلك اليهود أنفسهم، فهم منذ بداية عيسى المسيح<sup>عليه السلام</sup>، ودعوته؛ قابله بالماناوة، وناصره العدا، وقدحوا فيه وفي أمه مريم الصديقة.

لكن بعدما نجحت المسيحية في اختراق المسيحية وعقائدها ووضعت بصماتها فيها، اتجهت بعد ذلك إلى ذهنية مجتمعاتها لإكمال الخطوة الثانية، وهي السيطرة على المجتمعات المسيحية روحيا وثقافيا وإعلاميا واقتصاديا وسياسيا، كل ذلك تسهلا لهم للرجوع إلى فلسطين انتظارا لعودة المسيح المخلص للمرة الأولى. وكان من نتائج ذلك أن احترمت اليهودية المعاصرة، وازداد التسامح الديني في إطار المذهب البروتستانتي، وبخاصة في الأراضي المنخفضة (هولندا) تحت حكم أسرة أورانج، حتى كانت أمستردام تعرف بين يهود أوروبا بأنها القدس الجديدة<sup>(3)</sup>.

1 - سرجي نيلوس، الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، (مرجع سابق)، ص 222 - 223 .

2 - محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، ص 67 .

3 - كامل سغان، اليهود من مراديب الجيتو إلى مقاصر الفاتيكان، ص 176 - 177 .

ففي الاتجاه السياسي فإن مجموعة لفلز (Levellers)، وهي مجموعة بيوريتانية جمهورية، حثت الحكومة بأن تعلن التوراة دستورا لبريطانيا<sup>(1)</sup>.

وأصبحت فكرة إعادة فلسطين لليهود في إنجلترا، خلال القرن السابع عشر، بديلا من التاريخ الطويل الذي جعل من القدس شعار الحروب الصليبية، بحسبان أن عودة اليهود إيدانا بعودة المسيح المنتظر، وكان ينظر إلى العودة على أنها اعتناق اليهود للمسيحية، لأن العودة إشارة إلى قرب عودة المسيح<sup>(2)</sup>.

وكان أوليفر كرومويل في مقدمة أهم السياسيين البريطانيين المتحمسين لمشروع التوطين اليهودي في فلسطين، وذلك على مدى عشر سنوات (1649م - 1658م) عندما كان رئيسا للمحفل البيوريتاني<sup>(3)</sup>. وفي سنة (1649م) وجه من هولندا عالما اللاهوت البيوريتانيان الإنجليزيان جونا وأليتر كارتيات (Joanna and Elenezer Cartwright) مذكرة إلى الحكومة البريطانية طالبا فيها بأن يكون للشعب الإنجليزي ولشعب الأرض المنخفضة شرف حمل أولاد وبنات إسرائيل على متن سفنهم إلى الأرض التي وعد الله بها أجدادهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ومنحهم إياها إرثا أبديا، وتقول هذه النظرية: إن للمسيح عودة ثانية، وإن لهذه العودة شروطا لا بد من توافرها منها: عن المسيح، لن يظهر ثانية إلا في وسط مجتمع يهودي، وإنه لن يعود إلا في صهيون<sup>(4)</sup>.

وتظهر أهمية هذه المذكرة في أمرين:

1- أنها تعبير عن مدى تحول نظرة المسيحيين إلى فلسطين والقدس من كونها أرض المسيح إلى كونها أرضا ووطنا لليهود.

2- أنها تعبير عن التحول من الإيمان بأن عودة المسيح تحتم أن تسبقها عودة اليهود إلى فلسطين، وأن العودتين لن تتحققا إلا بتدخل إلهي، والإيمان بهاتين العودتين، يمكن أن تتحققا بعمل البشر<sup>(5)</sup>.

ويذكر مؤلف "أحجار على رقعة الشطرنج" أن أوليفر كرومويل بعث برسالة وهي مؤرخة في السادس من حزيران (1647م) إلى الحاخام إيتزر برات يقول له فيها: «سوف أذاع عن قبول اليهود في إنجلترا مقابل

1 - محمد الشّمّاك، الصهيونية والمسيحية، (مرجع سابق)، ص 38.

2 - كامل سفان، اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصر الفاتيكان، ص 180.

3 - المرجع السابق، ص 39.

4 - غريس هالسل، النبوة والسياسة، ترجمة، محمد الشّمّاك، ط 05، بيروت، دار النفائس، 2003م، ص 09.

5 - محمد الشّمّاك، الصهيونية والمسيحية، ص 39.

المعونة المالية، ولكن ذلك مستحيل طالما الملك شارل لا يزال حيا. لا يمكن إعدام شارل دون محاكمة، ولا نمتلك في الوقت الحاضر أساسا وجيها للمحاكمة، يكفي لاستصدار حكم بإعدامه، ولذلك فنحن ننصح باغتياله ولكننا لن نتدخل في الترتيبات لتدبير قاتل غير أننا سوف نساعد في حالة هربه»<sup>(1)</sup>. وكان رد الخاخام يران سريعا أنه حالما تتم إزالة شارل عن العرش الملكي سوف تقدم المعونات المالية .

وكان أوليفر كرومويل(O. Cromwell) أول سياسي بريطاني رئيسا للمحفل البيوريتاني(التطهيري)، على مدى عشر سنوات(1649م-1658م) وهو الذي دعا إلى عقد مؤتمر(1655م) في "الهوايت هول" للتشريع لعودة اليهود إلى بريطانيا(أي إلغاء قانون النفي الذي أصدره الملك إدوارد) .

حضر المؤتمر إلى جانب كرومويل العالم اليهودي مناسح بن إسرائيل الذي ربط الصهيونية المسيحية بالمصالح الاستراتيجية لبريطانيا، ومن خلال عملية الربط تلك تحمس كرومويل لمشروع التوطين اليهودي في فلسطين منذ ذلك الوقت المبكر<sup>(2)</sup> .

وتوالى الدعم السياسي، حيث تكونت سنة(1807م) "جمعية لندن لتعزيز المسيحية بين اليهود"، وفي سنة(1838م) تم إنشاء أول فصلية إنجليزية في القدس، وتعيين قس بروتستنتي نائبا للفصل .

وفي سنة(1839م) وجه سكرتير البحرية البريطانية مذكرة إلى وزير الخارجية بالمرستون يقترح فيها دعوة أوروبا إلى الاقتداء بقورش ملك فارس لإعادة اليهود إلى فلسطين. وبعد سنة وجه ذلك الوزير رسالة إلى سفير بريطانيا بالقسطنطينية، يدعوه فيها لحث السلطان على تحويل يهود أوروبا الشرقية إلى فلسطين .

وتوالى الأحداث الداعمة لموقف الصهيونية اليهودية من طرف الحكومة البريطانية إلى أن تحقق أمل اليهود بصدور وعد بلفور سنة(1917م). بمنح اليهود وطنا قوميا في فلسطين، ثم الإعلان - بعد سنوات - على قيام الكيان الإسرائيلي من طرف بن غوريون، واعتراف أمريكي وسوفيياتي فوري به<sup>(3)</sup> .

ولم تتوقف الحكومة البريطانية عن الدعم السياسي والإعلامي إلى يومنا هذا وحتى العسكري كل ذلك إرضاء للكيان الإسرائيلي وتحقيقا لأهدافه السياسية والقومية والدينية، أملا بتعجيل العودة الثانية للمسيح

1 - وليام غاي كار، أحجار على رقعة الشطرنج، ترجمة سعيد جزائري، ط15، بيروت، دار النفائس، 2003م، صص 65 - 66 .

2 - محمد السُّنَّاك، الصهيونية والمسيحية، ص39 .

3 - المرجع نفسه، صص 25 - 27 .



لم تقف أدبيات الصهيونية المسيحية عند حدود الكنيسة، فمن أجل تأصيل هذه الأدبيات وتعميمها في جميع شرائح المجتمع، كان لابد من بناء هيكل أدبي فوق قواعدها الفكرية، وقد عكس ذلك ميلتون (Milton) في قصيدته الفردوس المفقود حيث يقول: « إن الله سيثق لليهود طريق البحر ليعودوا فرحين مسرورين إلى وطنهم، كما شقّ لهم طريق البحر الأحمر ونهر الأردن عندما عاد آباؤهم إلى أرض الميعاد، إنني أتركهم لعناية الله، وللوقت الذي يختاره من أجل عودتهم»<sup>(1)</sup> .

وبالإضافة إلى ميلتون، ترددت أفكار مشابهة في قصائد وأعمال أدبية للورد بايرون (Lord Byron) وكولريدج (Colridge) وألكسندر بوب (Alexander Pope) ووليم بليك (William Blake)، كما ترددت في كتابات جان راسين (Jean Racine) وجاك بوسيه (Jacque Bousset) وتعتبر رواية جورج آليوت (George Eliot) ودانيال ديروندا (Daniel Deronda) من الأدبيات التوراتية التي تنبأت بقيام إسرائيل تسود فيها العدالة والحريّة والرخاء<sup>(2)</sup> .

وقد توصل إسحاق نيوتن في مقال "ملاحظات حول نبوءات دانيال ورؤيا القديس جون" الذي نشر بعد خمس سنوات من وفاته، إلى أن اليهود سيعودون إلى وطنهم، وحاول أن يضع جدولاً زمنياً للأحداث التي تفضي إلى العودة، وتوقع تدخل قوة أرضية من أجل اليهود المشتين<sup>(3)</sup> .

وقد تناول اللورد بايرون، في كثير من قصائده مجموعته الشعرية "الألحان العبرية" سنة (1815م) الأفكار التوراتية والفلسطينية، وجعل خاتمة أشهر قصائده هذه المجموعة "أبك من أجل هؤلاء"، حيث يقول: « أيتها القبيلة الكثيرة التجوال، ذات الصدر المرهق، كيف ستستقرين وتشعرين بالراحة؟

إن للقيادة عشها، وللثعلب جحره، وللبشرية وطنها .

أما إسرائيل فليس لها إلا القبر» .

وقد سافر هذا الشاعر إلى فلسطين سنة (1811م)، واندعش مما رأى من مظاهر اليأس والفقير، وقد دعا اليهود للعودة وتحرير الأرض في قصيدته "الغزال البري" و"يوم أن هدم تيتوس المعبد"<sup>(4)</sup> .

1 - محمد السّمّاك، الصهيونية والمسيحية، (مرجع سابق)، ص 41 .

2 - المرجع نفسه والصفحة .

3 - كامل سعفان، اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصر الفاتيكان، ص 183 .

4 - المرجع نفسه، ص 185 .

وظهر في فرنسا من دعا إلى توطين اليهود في فلسطين، ومن هؤلاء فيليب جنتل دي لانجاليير (1656م-1717م)، وإسحاق دي لابيرير (1594م-1676م)، كما تنبأ قسيس فرنسي يدعى بسير جوريو بإعادة تأسيس مملكة يهودية في فلسطين قبل انتهاء القرن السابع عشر<sup>(1)</sup>.

وخلال القرن الثامن عشر الميلادي دبر اليهود مكيدة وهي إقامة الثورة الفرنسية الكبرى، التي اشتعلت نارها سنة (1789م)، وكان زعيمها نابليون بونابرت وتوغلوا في صفوفها ودعموها ماديا ولهذا لم يتوان أثناء حملته على مصر، عن أن يطلب منهم-اليهود- أن يرافقه واعدوا إياهم بإعادة إنشاء مملكة اليهود وبناء هيكل سليمان<sup>(2)</sup>، ولكن بسبب فشله أمام قلعة عكا سنة (1899م) خابت آمال الصهيونيين في إقامة وطن لهم على أرض فلسطين<sup>(3)</sup>.

وفي الأراضي المنخفضة كانت الأفكار الصهيونية راسخة في الإحساس الشعبي، إذ أن اليهود الأسبان الذين فروا من محاكم التفتيش وجدوا ملاذا لهم وحلفاء ضد العدو المشترك، الملك الأسباني والكنيسة الكاثوليكية<sup>(4)</sup>.

وفي هامبورغ (ألمانيا)- في القرن السابع عشر- اشتهرت بأنها الموطن الأسطوري لليهود، وكان هذا المكان ثالث الأماكن المهمة - بعد لندن وأمستردام - يأوي إليه اليهود الأسبان والبرتغال الفارون من محاكم التفتيش، وكان بها مركزا لحركة القابالاه، وهي حركة صوفية تركز تعاليمها على عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين، وقد استغل مؤسس هذه الحركة فيليب جاكوب سبندر (1635م-1703م) كتابات لوثر الأولى حول المسألة اليهودية، من أجل حب السامية، كوسيلة لإغراء اليهود بالتنصر قبل عودتهم إلى فلسطين<sup>(5)</sup>.

وفي سنة (1655م) نشر بول فلجنهادر (1593م-1677م) كتابه "أخبار سعيدة لإسرائيل" الذي أكد فيه أن عودة المسيح المنتظر ووصول المسيح اليهودي حدث واحد، وإن علامة ظهور المسيح اليهودي- حسب اعتقاد المؤمنين بالعصر الألفي السعيد- هي عودة اليهود الدائمة إلى وطنهم الذي منح الله لهم من

1 - محمد الشنّك، الصهيونية والمسيحية، (مرجع سابق)، ص 41.

2 - حسين عبد القادر، فرنسا والأديان السماوية، ط01، باريس، مركز الدراسات العربي-الأوروبي، 1998م، ص 27.

3 - إيلي ليفي أبو عسل، يقظة العالم اليهودي، ط01، القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، 2003م، ص 109.

4 - كامل سغفان، اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصر الفاتيكان، ص 180.

5 - المرجع نفسه، ص 181.

خلال وعده القاطع لإبراهيم وإسحاق ويعقوب<sup>(1)</sup>.

وفي الدنمارك حتّ هولجر بولي ملوك أوربا على القيام بحملة صليبية جديدة لتحرير فلسطين والقدس من الكفار، وتوطين اليهود وارثيها الشرعيين، وفي سنة (1696م) قدم خطة مفصلة إلى ملك إنجلترا ولسيم الثالث، طالبا منه أن يعيد احتلال فلسطين، ويسلمها لليهود، لإقامة دولة خاصة بهم<sup>(2)</sup>.

### 1-2- في الولايات المتحدة الأمريكية :

وقد يأخذ المرء العجب لما يرى انتشار أفكار الحركة الصهيونية المسيحية في أقصى الكرة الأرضية- أقصد أمريكا- أكثر من غيرها(وأوربا عموما) ويرجع محمد السّمّاك ذلك إلى أن طبيعة المجتمع الأمريكي متدين، فالإحصائيات الأخيرة تظهر أن 14٪ فقط من الأوربيين يذهبون إلى الكنيسة مرة في الأسبوع، مقابل 12٪ من الأوربيين الشرقيين، أما في الولايات المتحدة الأمريكية فإن النسبة ترتفع إلى 47٪<sup>(3)</sup>.

وهذه الروحية المرتفعة قد يكون من أسبابها، أن المهاجرين الأوائل أو ما اصطُح على تسميته بـ"البيوريتانيين(Puritans) سنة(1620م) حملوا معهم المعتقدات البروتستانتية الوثيقة الصلة باليهودية، التي كانوا يحاولون بلا طائل تطبيقها في بريطانيا، ولكنهم طوروا واضطهدوا، فراح يحدوهم الأمل بإمكان العيش وفقا لمبادئ الإصلاح الكالفيني على الأرض الجديدة .

وقد ذهب معظم الباحثين الغربيين إلى أن المهاجرين الجدد: البروتستانت، كانوا متأثرين باليهودية تأثرا مركبا: لاهوتيا، وتاريخيا، وكتابيا، وسياسيا، فأفرز هذا التأثير صيغة تعايش وتوافق بين البروتستانتية واليهودية، بقيت إلى الآن « ويعود هذا التأثير لرؤية المستوطنين الجدد- البروتستانت- للعالم الجديد باعتباره " القلم الجديدة " حيث شعروا أن تجربتهم الناشئة تجعلهم متماثلين مع المنفيين والعبرانيين الذين ذكروا في التوراة، فأصبحت أمريكا لديهم " كنعان الجديدة " فهم فروا مثل العبرانيين القدامى من عبودية "فرعون"(الملك جيمس الأول ملك إنجلترا) من "أرض مصر" (إنجلترا) بحثا عن ملاذ في الأرض الموعودة من الاضطهاد الديني»<sup>(4)</sup>.

1 - كامل سغان، اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصر الفاتيكان، (مراجع سابق)، ص182 .

2 - كامل سغان، اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصر الفاتيكان، ص182.

3 - غريس هالسل، النبوة والسياسة، ترجمة، محمد السّمّاك، ص 11 .

4 - سمير مرقس، رسالة في الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية، ط01، القاهرة، مكتبة الشروق، 2001م،

وكان لهذا الشعور أثره على أرض الواقع، من حيث إطلاق أسماء عبرانية على الأماكن التي يغدون إليها، وإطلاق أسماء عبرانية على المواليد الجدد و« إضافة إلى ما سبق 'فرض تعلم اللغة العبرية في المدارس والجامعات، ويشار هنا إلى أن أول دكتوراه منحتها جامعة هارفارد في سنة (1642م)، كانت حول موضوع "العبرية هي اللغة الأم" وكان أول كتاب يصدر في أمريكا "سفر المزامير"، وأول مجلة تصدر تحمل عنوان "اليهودية"<sup>(1)</sup>.

لقد باتت أمريكا بالنسبة للمستوطنين الجدد "النموذج الروحي للعهد القديم العبري" بل نجدهم يسمون أنفسهم (أطفال إسرائيل Children of Israel)<sup>(2)</sup>.

وتأكد هذا التعاطف أكثر فأكثر، بين البروتستانتية واليهودية، عند احتلال فلسطين، بداية القرن الثامن عشر، الأمر الذي ولد اعتقادا راسخا في اللاهوت البروتستانتي الأمريكي بضرورة البعث اليهودي، إن هذه العلاقة أدت إلى أن تتضمن الثقافة البروتستانتية في وجهها الأصولي كثيرا من تعاليم اليهودية الروحية والعقائدية ثم الصهيونية لاحقا، حيث هناك «ميلا بروتستانتي قوي للاعتقاد بأن معنى المسيح المنتظر يجب أن ينتظر عودة الدولة اليهودية»<sup>(3)</sup>.

إن المتبع لمسيرة البروتستانتية في الولايات المتحدة الأمريكية يشير بما لا يدع مجالا للشك، إلى أمرين:

1- التهود الذي طال الاتجاهات الأصولية، حيث تم "عبرنة" المسيحية في أمريكا بسببها، فبدت العبرنة واضحة في الثقافة إلى الدرجة التي دفعت الرئيس الأمريكي جيفرسون بتقدم اقتراح إلى الكونغرس مفاده «أن يمثل رمز أمريكا على شكل أبناء إسرائيل تقودهم في النهار غيمة، وفي الليل عمود من النار بدلا من النسر»<sup>(4)</sup>. وهذا الاقتراح يتفق مع النص التوراتي التالي « وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحب ليهدبهم في الطريق وليلا في عمود نار ليضيء لهم. لكي يمشوا نهارا وليلا »<sup>(5)</sup>.

وكان من نتائج هذه الاتجاهات المتهودة إلى صياغة قالب ديني بروتستانتي يهودي، قاعدته التوراة، ومن نتائجه الترويج للمصطلحات مثل: التراث المسيحي اليهودي. الأخلاق المسيحية اليهودية. الالتزام الأدبي

1 - محمد السُّنَّك، الصهيونية المسيحية، (مرجع سابق)، ص 55 - 56 .

2 - سيمر مرقس، رسالة في الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية، ص 06 .

3 - المرجع نفسه، ص 07 .

4 - المرجع نفسه، ص 10 .

5 - سفر الخروج 13: 21 .

2- هيمنة الاتجاه الأصولي على البروتستانتية الأمريكية، على الرغم من وجود اتجاهات ليبرالية بل ويسارية داخلها، إلا أن الاتجاه الأصولي هو الأكثر تأثيراً وتنظيماً، والذي يضم في إطاره التيار الصهيوني المسيحي، وكان لهذا الاتجاه القدرة على حصار الاتجاهات الليبرالية التي عرفت باسم "المسيحية الجديدة"<sup>(1)</sup> . ولهذا فاليمين المسيحي (الصهيونية المسيحية) الذي يسيطر على الإدارة الأمريكية حالياً، هو امتداد للأصولية البروتستانتية التي ظهرت مع بداية القرن، فهما يشتركان معا في الأساس النظري من حيث النظرة إلى العالم والمجتمع والإنسان، كما أن الصهيونية المسيحية هي التي وضعت التأسيس النظري لدور الله في تنقية وتطهير الثقافة السائدة من الليبرالية وشن حرب مقدسة ضد الشيطان .

وعبأت الصهيونية المسيحية المجتمع والإدارة معا بأفكار وهي أن أمريكا ستكون في عافية وتؤدي دوراً مركزياً لما تسترجع تراثها اليهودي المسيحي وهو ما عبر عنه بات روبرتسون، مما جعل معظم القيادات المسيحية البروتستانتية تشارك روبرتسون منطقه حول التاريخ الأمريكي<sup>(2)</sup> .

فالتصورات النظرية التي روجت لها الصهيونية المسيحية في بداية القرن العشرين لا بد لها من كيان تنظيمي يؤهلها للتحميد العملي، وتعبيراً عن هذا التحول وكنقطة بداية تأسست سنة (1942م) "الرابطة الوطنية للإنجيليين National Association of Evangelicals" وتعد هذه الرابطة الكيان التنظيمي الذي يضم تحت مظلة آلاف الكنائس الصهيونية في أمريكا، واعتبر كثير من الباحثين هذا الكيان نقلة نوعية في تاريخ الصهيونية المسيحية، لسببين وهما:

الأول: انتقال التحرك الصهيوني من الحركة إلى المؤسسة .

الثاني: الانتقال من الحركة ذات الطبيعة الدينية الأخلاقية إلى المؤسسة التي يمكن أن تلعب دوراً سياسياً .

وبالنسبة للسبب الثاني، فقد أتاح تأسيس الرابطة، واكتساب الشكل المؤسسي، الأمور التالية:

- 1- القدرة على التأثير والضغط على السلطتين التشريعية والتنفيذية .
- 2- الانخراط في شبكة من العلاقات مع الاقتصاديين والإعلاميين والسياسيين المؤثرين .
- 3- إتاحة الفرصة لتكوين كيانات مماثلة لاحقاً .

1 - سيمر مرقس، رسالة في الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية، (مرجع سابق)، ص ص 10 - 11 .

2 - المرجع نفسه، ص 12 .

ونتيجة لهذا ومنذ سنة (1970م)، استطاعت الحركة الصهيونية المسيحية أن تلعب دورا خطيرا في الحياة السياسية الأمريكية، واستعادة المبادئ والمفاهيم النظرية التي طرحتها الأصولية البروتستانتية في بدايات القرن، وأعطتها صبغة وأبعادا سياسية، تم استخدامها في الواقع السياسي الأمريكي (الداخلي)، ثم امتدت بعد ذلك لتشمل السياسة الخارجية الأمريكية<sup>(1)</sup>.

فبالنسبة للواقع السياسي الداخلي أتاح لهم التحول النوعي في مسيرة الأصولية البروتستانتية أن يكونوا شعورا دنيا شعبيا، وذلك من خلال التحرك في المجال العام للمجتمع المدني، ولكي يحققوا ذلك اعتمدوا على أربعة مستويات من التحرك، وبمرور الوقت أصبح سياسيا، وذلك كما يلي :

1- اتخاذ موقف دفاعي بداية، وذلك لحماية قيمهم وأفكارهم الأساسية من أية تأثيرات سلبية عليهم .  
2- التحول إلى موقف هجومي ضد الليبراليين، بهدف إحداث تجديد في الحياة الأمريكية في إطار لاهوتي، وهذا الموقف الهجومي يتمثل بشن حرب دينية (صليبية)، وذلك لاسترجاع ما يسمى بـ "القيم الأخلاقية الكتابية (الكتاب المقدس)" في الوطن بكامله .

3- تحقيق ما سطر سابقا عبر البرامج السياسية للأحزاب .  
وبالنسبة للمستوى الأخير، نجد بات روبرتسون يسعى دائما على ضرورة أن يكون للمسيحيين (الصهيونيين) صوتا في الحكومة، ولهذا وضع برنامجا من خمسة عناصر وهو كما يلي :

(أ) - تدريب المسيحيين (الصهيونيين) على القيام بأفعال اجتماعية مؤثرة. وهو ما تشير إليه "غريس هالسل" من أن « المسيحيين البروتستانت المؤمنين بالكتاب المقدس أنشؤوا معظم جامعاتنا الكبيرة بما فيها (هارفارد) و(يال) و(برنستون)... إن المسيحيين البروتستانت المؤمنين بالكتاب المقدس أنشؤوا أيضا معظم مستشفياتنا الشهيرة...»<sup>(2)</sup>.

(ب) - مقاومة الذين يقفون ضد الدين والتدين .  
(ج) - تنبيه المسيحيين للقضايا المتنوعة وللتشريعات المزمع سنها في الوقت المناسب .  
(د) - الترويج للقيم الأسرية، للمحافظة عليها .

1 - سيمر مرقس، رسالة في الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية، (مراجع سابق)، ص 12 - 13 .

2 - غريس هالسل، النبوة والسياسة، ترجمة محمد السّمّاك، ص 47 .

(هـ) - تمثيل المسيحيين (الأصوليين الصهيونيين) في كل مراكز الإدارة الأمريكية<sup>(1)</sup>.

وبالفعل نجحت المسيحية الأصولية في تجسيدها المعاصر (الصهيونية المسيحية أو ما يسمى باليمين المسيحي)، في التأثير على القرارات الحكومية والسلطة التشريعية والحياة الأمريكية، واتجاهات المجتمع، واستخدام الوسائل المتنوعة للتأثير على قرارات الناس وطريقة تفكيرهم.

ومن أبرز الشخصيات اللاهوتية تأثيرا على المجتمع الأمريكي روحيا وثقافا واقتصاديا وسياسيا واجتماعيا كما يلي:

\* (بات روبرتسون) الذي يستضيف برنامجا لمدة تسعين دقيقة يوميا يدعى نادي الـ700. وهو يوظف حوالي 1300 شخص لإدارة شبكته التلفزيونية المسيحية (سي.بي.إن).

\* (جيمي سواغرت) الذي يدير عملياته من باتون روج في لويزيانا، وهي ثاني أكثر محطات التلفزيون الإنجليزية شهرة.

ويصل صوته إلى 4.5 مليون منزل يوميا (أو 5.4 بالمئة من المشاهدين) وإلى ما مجموعه 9 ملايين وربع المليون أسرة (أو 10% من المشاهدين) أيام الآحاد.

\* (جيم بيكر) الذي يملك ثالث محطة تلفزيونية تبشيرية، بدأ عمله الديني متلمذا على (بات روبرتسون) وصوته يصل إلى حوالي 6 ملايين منزل (6.8% من المشاهدين).

\* (أورال روبرتس) والذي تصل برامجه التلفزيونية اليوم إلى 5.77 مليون منزل، أي بمعدل 6.8% من المشاهدين وهو واحد من اثنين من الأمريكيين الذين بنوا منفردين جامعة ومدرسة طبية ومستشفى (الشخص الآخر كان: جونز هوبكنز).

\* (جيرى فولويل) الذي تصل دروسه التبشيرية الأسبوعية إلى 5,6 مليون منزل، وكان منغمسا في الشؤون السياسية مثل (روبرتسون).

\* (كينيث كوبلاند) الذي يصل إلى 4.9 مليون منزل (5.8% من المشاهدين في الأسبوع)<sup>(2)</sup>.

ومن بين الرؤساء الأمريكيين الذين انخرطوا في صفوف الحركة الصهيونية المسيحية (اليمين المسيحي):

- هاري ترومان (1945م - 1949م) وكان ترومان بإجماع التواريخ الصهيونية تجسيدا للصهيونية

1 - سيمر مرقس، رسالة في الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية، (مرجع سابق)، ص 16 - 17.

2 - غريس هالسل، النبوءة والسياسة، ترجمة، محمد السّمّاك، ص 48 - 51.

الأمريكية غير اليهودية على المستوى السياسي<sup>(1)</sup> .

- جيمي كارتر (1976م - 1980م) فقد نشأ هذا الرجل نشأة دينية بروتستانتية إنجيلية، وفي سنة (1976م) أعلن إيمانه كمسيحي بعقيدة "الولادة الثانية" .

- ورونالد ريغان (1980م - 1988م) وفي عهده تمكنت الصهيونية المسيحية من اتخاذ عدة قرارات خطيرة في سياسته الخارجية، وهو يؤمن إيمانا عميقا بـ "الولادة الثانية" .

- ومن الرؤساء الأمريكيين، جورج بوش الأب (1988م - 1992م) وكانت له علاقات صداقة مع زعماء الصهيونيين الإنجليين، وبخاصة جيري فولويل، وقد امتدحه فولويل بقوله: «بوش سيكون أفضل رئيس في سنة (1988م)»<sup>(2)</sup> .

- جورج بوش الابن (2000م - 2008م) وهو متأثر كثيرا بالرئيس ريغان في سياساته الخارجية، والأحداث الجارية حاليا في الشرق الأوسط وخصوصا في العراق، ما هي إلا تفسير لقناعاته الصهيونية المتعلقة بتسريع عودة المسيح المخلص .

وفيما يخص السياسة الخارجية حيث عملت الإدارة الأمريكية عبر عدة حكومات يقودها اليمين المسيحي بدفع وضغط من اللوبي الصهيوني المسيحي واليهودي على انتهاج سياسة تتحكم في مصير دول العالم وقراراتها ومقدراتها، ويظهر هذا الأمر خاصة على دول العالم النامي (الثالث) وبالأخص العالم الإسلامي ومنطقة الشرق الأوسط نظرا لوجود الثروات الباطنية الأساسية في تحريك عجلة الصناعة، وهي منطقة عبور وبوابة لثلاث قارات كبرى في الأرض، كما أنها نقطة التقاء الحضارات والرسالات الكبرى عبر التاريخ، ونظرا لأهميتها ترى الولايات المتحدة الأمريكية أن الذي يسيطر على هذه المنطقة (الشرق الأوسط) قد يسيطر على العالم اقتصاديا وسياسيا .

ومنذ أن أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية القوة الكبرى في العالم لم تغب عيناها عنها، وبمرور الوقت ازداد اهتمامها بها، ولكي تبقى لها الحجة على الاهتمام بمنطقة الشرق الأوسط تحالفت مع الكيان الصهيوني وأصبح في نظرها الحليف الرئيسي لها، وغذت بقاءه ونموه بالدعم المالي والسياسي والعسكري والصناعي ولم يكن هذا التحالف استراتيجي فقط، بل تعداه إلى أكثر من ذلك وهو ما صرح به بعض القادة

1 - محمد السَّكَّك، الصهيونية المسيحية، (مرجع سابق)، ص 47 .

2 - غريس هالسل، النبوءة والسياسة، ترجمة، محمد السَّكَّك، ص 51 .